مجلة بحوث

العدد الثامن عشر
جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ
شباط / فبراير ٢٠١٨ م

مجلة بحوث

MAGAZINE BOUHOUTH

مجلّة علمية محكمة ربع سنوية
تصدر عن مركز لندن للبحوث والدراسات والاستشارات

ISSN 2313-1004

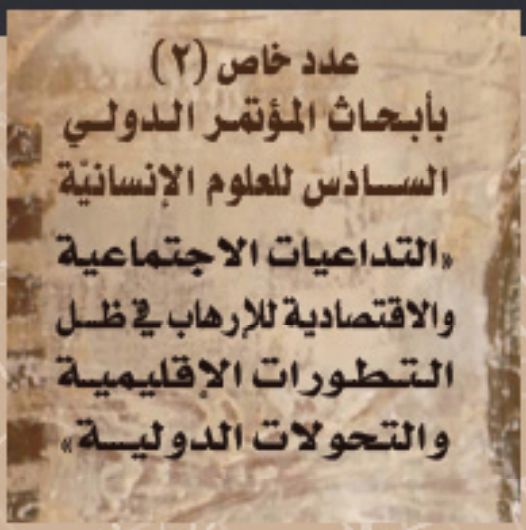

رئيس مجلس الإدارة
الشيخة ميسون القاسمي

المدير العام: د. ناصر الفضلي
نائب المدير العام: د. حفصة الغريب
رئيس التحرير: د. بدرية العتيبي
مدير التحرير: د. محمد عبد العزيز

LONDON
+442033044839
Hot Line
+447766666016
conference@scrlondon.com
info@scrlondon.com
www.scrlondon.com

معامل التأثير رقم
1.5 - 247

@scrlondon2 @scrlondon SCR London

– كلفة الإرهاب في المجتمعات المأزومة – الحداثة ونقيضها

د. أحمد نعمة حسن الصحاف/أستاذ مساعد، علم الاجتماع السياسي والجماعات، وزارة الخارجية العراقية (العراق)

– دور إدارة الأزمات في الحد من العنف والإرهاب (دراسة تحليلية سوسيولوجية)

د. إنعام يوسف/دكتوراه في الآداب، تخصص علم اجتماع، إدارة الأزمات، أستاذ مساعد، جامعة عجمان (عُمان)

– التوظيف الفكري لسنن القرآن التاريخية في مواجهة الإرهاب وتداعياته

أ.د. حميد سراج جابر/أستاذ الفكر الإسلامي، جامعة البصرة (العراق)

– العلاقات العراقية – العبرية القديمة (الجانب الديني أنموذجًا)

د. طعمه وهيب خزعل هتاش/دكتوراه تاريخ قديم، جامعة تكريت، كلية الآداب (العراق)

– نماذج من التعايش في العصر النبوي جذور العيش المشترك: دراسة تاريخية في الرد على التطرف

د.سماهر محي موسى/ جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، تاريخ الاقتصاد الإسلامي (العراق)

د. ظافر أكرم قدوري/ جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، تاريخ الفكر الإسلامي (العراق)

– مواقع التواصل الاجتماعي وتوظيفها في الترويج لقضايا الإرهاب (دراسة مسحية لعينة من مستخدمي المواقع)

د. عبد الملك ردمان الدناني (اليمن)/أستاذ الإعلام المشارك بكلية الإمارات للتكنولوجيا (أبو ظبي)

د. محمد شرف محمد هاشم (اليمن)/أستاذ الإعلام المشارك، جامعة الكويت (الكويت)

– الإرهاب الإسرائيلي وتداعياته على الفلسطينيين في الأراضي المحتلة

أ.د.عدنان إبراهيم الحجار/رئيس جامعة الإسراء (غزة / فلسطين)

د. أحمد جواد الوادية/أستاذ مساعد في العلوم السياسية وعميد كلية العلوم الإنسانية جامعة الإسراء (غزة / فلسطين)

– أثر الإرهاب على الأوضاع الاقتصادية في العراق وانعكاساته الاجتماعية... الأسباب والمعالجات

د. عماد جاسم حسن/رئيس قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار (العراق)

– مهددات الأمن الإنساني لعودة النازحين إلى المناطق المحررة من الإرهاب(دراسة سوسيولوجية)

أ. د. فهيمة كريم رزيج/ جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع (العراق)

– دور النخب المثقفة في مواجهة ظاهرة الإرهاب

د. فواز موفق ذنون/أستاذ مساعد، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل (العراق)

– الإرهاب والاعتدال في الدين وأثرهما في بناء العراق الجديد

د. ماهر جبار الخليلي/دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بغداد، كلية الآداب (العراق)

– أثر الإرهاب في التعليم بجامعة ديالى بعد العام ٢٠٠٣

د. منذر مبدر عبد الكريم العباسي/أستاذ مساعد، دكتوراه في العلوم، جامعة بغداد (العراق)

د. ماهر مبدر عبدالكريم العباسي/أستاذ مساعد، دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر وتاريخ الولايات المتحدة الأميركية الحديث والمعاصر في كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة ديالى (العراق)

– السياسات الاقتصادية ودورها في مكافحة التطرف

د. محمد الجوهري /دكتوراه تمويل واستثمار (مصر)

– دور السياسات الاقتصادية للحكومات في التفاوت الطبقي وتشجيع التطرف (العراق أنموذجًا)

د. محمد عباس أحمد التميمي /دكتوراه علاقات اقتصادية دولية من جامعة النهرين (العراق)

– ومضات في التعايش السلمي والتسامح الديني في الحياة الاجتماعية – الأندلس أنموذجًا

د. محمد علي حسين /كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة ديالى (العراق)

د. مها عبدالرحمن حسين /كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة ديالى (العراق)

– الحرب المقنعة

أ.نادين الكحيل/ باحثة وكاتبة، طالبة ماجستير في العلاقات الدولية والدبلوماسية ودكتوراه في العلوم السياسية في جامعة بيروت العربية (لبنان)

أ.سناء العجمي / ناشطة اجتماعية في منظمات وجمعيات المجتمع المدني (لبنان)

– آية السيف (جدلُ البصرِ والتّبصُّرِ)

د. وسن صالح حسين الحياني/أستاذ مساعد، دكتوراه فلسفة لغة العربية، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية (العراق)

مجلة بحوث

بحـوث

مجلّة علمية محكمة ربع سنوية

تصدر عن مركز لندن للاستشارات والبحوث

العدد الثامن عشر

جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ - شباط/فبراير ٢٠١٨ م

هيئة التحرير

المدير العام

د. ناصر الفضلي

رئيس التحرير

د. بدرية العتيبي

نائب رئيس التحرير

أ. د.شبير الحرازي

مدير التّحرير

د. محمد عبد العزيز

مدير التدقيق

أ. هبـة عصـام

مدير الموقع

أ. محمد الصوابي

باحثو التحرير

أ. سـارة كـميـخ

الكويت

أ.د. محمد أحمد الدوماني

ليبيا

د. أحمد نعمة الصحاف

العراق

د. ضحى لعيبي السدخان

العراق

مواقع التواصل

أ. إسـلام العـزيز

الهيئة العلمية الاستشارية ٢٠١٨

د. إنعام يوسف محمد (رئيس الهيئة)/مصر
أستاذ مساعد، جامعة عجمان

أ.د. محمد عبد الكريم محافظة محافظة/الأردن
عميد كلية الآداب، الجامعة الهاشمية

أ.د. شبير عبد الله الحرازي/اليمن
رئيس الجامعة، جامعة العلوم الحديثة

أ.د. مزنة بنت حزام الشمري/السعودية
أستاذ هندسة الحاسب الآلي
kings college London

أ.د. علا عبد المنعم الزيات/مصر
أستاذ علم الاجتماع، جامعة المنوفية

أ.د. ألفت ابراهيم جاد الرب/مصر
عميد كلية التجارة، جامعة الأزهر

أ.د. محمد أحمد الدوماني/ليبيا
أستاذ الفلسفة وعلم الاجتماع، جامعة المرقب

أ.د. لطيفة إسماعيل قاسم/اليمن
أستاذ الاقتصاد، جامعة صنعاء

أ.د. يعقوب الكندري/الكويت
أستاذ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، جامعة الكويت

أ.د. أحمد عودة سعود القرارعة/الأردن
أستاذ علوم تربوية، جامعة الطفيلة

د. بدرية بنت محمد العتيبي/ السعودية
أستاذ علم الاجتماع المشارك، جامعة الإمام محمد بن سعود

د. وسن صالح حسين الحياني/العراق
أستاذ مساعد اللغة العربية، جامعة بغداد

د. شومة بنت محمد بن مساعد الفاضلي/السعودية
أستاذ البلاغة والنقد، جامعة تبوك

د. عبد الملك ردمان الدناني/اليمن
أستاذ الاتصال المشارك، جامعة الإمارات للتكنولوجيا

د. سعاد مطر/فرنسا
أستاذ الإعلام والاتصال، جامعة العين

د. نجاح حميد صنقور/البحرين
أستاذ محاضر وباحث أكاديمي

د. جميلة سليماني/الجزائر
أستاذ محاضر علم النفس، جامعة الجزائر 2

د. مازن موفق الخيرو/العراق
أستاذ مساعد البلاغة القرآنية، جامعة الموصل

د. عماد مطير الشمري/العراق
تاريخ وجغرافية، المستنصرية/الجامعة

د. أسماء جابر علي مهران/مصر
أستاذ مساعد علم اجتماع، جامعة أسيوط

د. ربيع عبد الرؤوف عامر/مصر
أستاذ مساعد التربية الخاصة، جامعة الملك خالد (السعودية)

د. هنادي الحملي/الكويت
محاضر غير متفرغ كلية الدراسات التجارية التعليم التطبيقي

د. إبراهيم الخضر/السودان
عميد كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية

د. نهى بنت سعيد أسعد نقيطي/السعودية
أستاذ مشارك تصميم وفنون، جامعة الملك عبد العزيز

د. فواز موفق ذنون/العراق
مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل

د. مهرة آل مالك/الإمارات
استشاري علم نفس، جامعة عجمان

د. محمد شرف محمد هاشم/ اليمن
عضو هيئة تدريس، منتدب جامعة الكويت

د. ثناء عبد الودود عبد الحافظ/العراق
أستاذ مساعد علم نفس تربوي، جامعة بغداد

Dr. Alexander c.m d
PhD in theology at the University of Birmingham, UK/Birmingham

Dr Anita moors
London research center.Uk/London

http//www.scrlondon.com
http//www.scr-magazine.com

conference@scrlondon.com
info@scrlondon.com

@scrlondon2
@scrlondon
SCR London

قواعد النشر

- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره من قبل في مكان آخر.
- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر بالمجلة إلى التحكيم العلمي الدقيق من قبل أساتذة مرموقين في تخصصات مختلفة.
- لا ترسل البحوث للتحكيم إلا بعد اجتيازها مرحلة مراجعة أسلوب الكتابة.
- عند قبول البحث من طرف لجنة التحكيم يتم إخطار الباحث بذلك، ويتم إدراج البحث في قائمة الانتظار الخاصة بالمواد المقبولة للنشر.
- المجلة غير ملزمة بتقديم تبريرٍ في حالة رفض البحث من قبل لجنة التحكيم.
- ترسل البحوث باسم مدير عام المجلة على البريد الإلكتروني التالي:

  conference@scrlondon.com

- يقدم الباحث موجزاً عن سيرته الذاتية يحتوي على رتبته الأكاديميّة والمؤسسة البحثية أو الجامعية التي ينتمي إليها.

محتويـــات العدد

– كلفة الإرهاب في المجتمعات المأزومة – الحداثة ونقيضها
د. أحمد نعمة حسن الصحاف/أستاذ مساعد، علم الاجتماع السياسي والجماعات، وزارة الخارجية العراقية (العراق) ٧

– دور إدارة الأزمات في الحد من العنف والإرهاب (دراسة تحليلية سوسيولوجية)
د. إنعام يوسف/دكتوراه في الآداب، تخصص علم اجتماع، إدارة الأزمات، أستاذ مساعد، جامعة عجمان (عُمان).....١٧

– التوظيف الفكري لسنن القرآن التاريخية في مواجهة الإرهاب وتداعياته
أ.د. حميد سراج جابر/أستاذ الفكر الإسلامي، جامعة البصرة (العراق) ٣١

– العلاقات العراقية – العبرية القديمة (الجانب الديني أنموذجًا)
د. طعمه وهيب خزعل هتاش/ دكتوراه تاريخ قديم، جامعة تكريت، كلية الآداب (العراق) ٤٥

– نماذج من التعايش في العصر النبوي جذور العيش المشترك: دراسة تاريخية في الرد على التطرف
د.سماهر محي موسى/جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ/تاريخ الاقتصاد الإسلامي (العراق)
د. ظافر أكرم قدوري /جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ /تاريخ الفكر الإسلامي (العراق) ٦١

– مواقع التواصل الاجتماعي وتوظيفها في الترويج لقضايا الإرهاب (دراسة مسحية لعينة من مستخدمي المواقع)
د. عبد الملك ردمان الدناني (اليمن)/أستاذ الإعلام المشارك، جامعة الإمارات للتكنولوجيا (أبو ظبي)
د. محمد شرف محمد هاشم (اليمن)/أستاذ الإعلام المشارك، جامعة الكويت ٧١

– الإرهاب الإسرائيلي وتداعياته على الفلسطينيين في الأراضي المحتلة
أ.د.عدنان إبراهيم الحجار/رئيس جامعة الإسراء (غزة / فلسطين)
د. أحمد جواد الوادية أستاذ مساعد في العلوم السياسية وعميد كلية العلوم الإنسانية جامعة الإسراء (غزة / فلسطين) ٩٥

– أثر الإرهاب على الأوضاع الاقتصادية في العراق وانعكاساته الاجتماعية... الأسباب والمعالجات
د. عماد جاسم حسن/رئيس قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار (العراق) ١١٥

مهددات الأمن الإنساني لعودة النازحين إلى المناطق المحررة من الإرهاب(دراسة سوسيولوجية)
أ. د. فهيمة كريم رزيج، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع (العراق) ١٣١

– دور النخب المثقفة في مواجهة ظاهرة الإرهاب
د. فواز موفق ذنون /أستاذ مساعد، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل(العراق) ١٤١

– الإرهاب والاعتدال في الدين وأثرهما في بناء العراق الجديد
د. ماهر جبار الخليلي/دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بغداد، كلية الآداب (العراق) ١٥١

– أثر الإرهاب في التعليم بجامعة ديالى بعد العام ٢٠٠٣
د. منذر مبدر عبد الكريم العباسي/أستاذ مساعد، دكتوراه في العلوم، جامعة بغداد (العراق)
د. ماهر مبدر عبدالكريم العباسي/أستاذ مساعد، دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر وتاريخ الولايات المتحدة الأميركية الحديث والمعاصر في كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة ديالى (العراق).....١٦٩

– السياسات الاقتصادية ودورها في مكافحة التطرف
د. محمد الجوهري /دكتوراه تمويل واستثمار (مصر) ١٨١

– دور السياسات الاقتصادية للحكومات في التفاوت الطبقي وتشجيع التطرف (العراق أنموذجًا)
د. محمد عباس أحمد التميمي /دكتوراه علاقات اقتصادية دولية من جامعة النهرين (العراق) ١٩٥

– ومضات في التعايش السلمي والتسامح الديني في الحياة الاجتماعية – الأندلس أنموذجًا
د. محمد علي حسين /كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة ديالى (العراق)
د. مها عبدالرحمن حسين /كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة ديالى (العراق) ٢١٥

– الحـــرب المقنعـــة
أ.نادين الكحيل/ باحثة وكاتبة، طالبة ماجستير في العلاقات الدولية والدبلوماسية ودكتوراه في العلوم السياسية في جامعة بيروت العربية (لبنان)
أ.سناء العجمي / ناشطة اجتماعية في منظمات وجمعيات المجتمع المدني (لبنان) ٢٢٥

– آية السيف (جدلُ البصر والتّبصُّر)
د. وسن صالح حسين الحياني/أستاذ مساعد، دكتوراه فلسفة لغة العربية، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية (العراق).....٢٣٩

دراسة بعنوان

كلفة الإرهاب في المجتمعات المأزومة – الحداثة ونقيضها

د. أحمد نعمة حسن الصحاف

أستاذ مساعد، علم الاجتماع السياسي والجماعات،
وزارة الخارجية العراقية/العراق
alsahaf.mekate@gmail.com

المستخلص

الحداثة مائدة يأخذ منها الإرهابي ما يخدم سلوكه ثم يلفظ فيما تبقى في أوانيها بل إن الإرهاب الذي نضفي عليه صفة الإسلام أو الأصولية يتصرف رسميًا ونظريًا على الأقل خارج صلاحيات أي دولة. (الباحث)

إن عالم اليوم بقدر ما تتسارع فيه خطى العلم والاختراعات التكنولوجية، تتفاقم فيه المخاطر، وليس بخاف أن المجتمعات الإنسانية ولا سيما الغربية منها أصبحت تواجه مزيدًا من المخاطر مع اتساع أشكال الظواهر الإرهابية. ويبدو أنه لا يوجد مجتمع يعطي الأولوية للثقة وإنما وكما يقول ألان تورين: (إن حياة المجتمعات حتى أوفرها غنًا وأشدها تعقيدًا وأكثرها حصانةً تبقى مهددة بالخوف من الحرب والعنف ومن ثم إعطاء الأولوية للحذر على الثقة).

الحداثة استشراف للغد وإيمان بالمستقبل غير أن للحداثة عثراتها إذ إنها غدت العقدة العظمى والتمركز الثقافي الغربي مما أوجد المبررات غير الإنسانية لاستعمار الآخر. لقد كانت المخاطرة متصلة دائمًا بالحداثة وهذه المخاطرة على نوعين خارجية آنية أو من ثوابت التقاليد والطليعة ومصطنعة وهي التي أوجدها تطويرنا للمعرفة. فالحداثة شجرة مثمرة يأكل منها الإرهابي حد التخمة ثم يقتلعها من جذورها وذلك لأن الإرهاب تعبير متطرف عن الكراهية الشديدة والرغبة في إيذاء الآخر إلى حد استئصاله أو السيطرة عليه.

ولم يعد الإرهابي يستخدم في معركته السيوف والخناجر وإنما أصبح من الميسور عليه الحصول على مختلف أنواع الأسلحة من خلال الشبكات الاقتصادية والشركات التي توفر كل أنواع الأسلحة.

Abstract

Modernism is table from which a terrorist takes what serves his attitudes and spit on the rest. Terrorism,which pretends to be Islamic or even extreme, is theoretically and practically is but out-law.

Researcher

Nowadays, we are living in a world of technology where almost all things can be easily got in minutes, if not seconds. However, there are a lot of challenges facing societies all over the world, particularly the western ones, due to the terrorist acts. It seems that confidence is no longer a priority for a society. Allen Torren said that the life of societies, regardless of their prosperity, extremity, and immunity, has been endangered of fear, wars, and violence giving, as a result, a priority to be careful of confidence.

Despite the fact that modernism is an out-look for tomorrow and a belief in the future, it has some draw-backs for being a problem of greatness and western cultural centralization giving,as a result, different non-human justifications for the other colonialism.

The risk has been always connected with modernism. it is of two major types: external risk and traditional one. Modernism is just like a fruitful tree uprooted by a terrorist after having its fruit. Therefore, terrorism can be defined as an expression of hatred and an extreme desire to harm other for the sake of controlling them and if not, extracting them. A terrorist does not only use swords and poniards but also different weapons he can have easily from economic networks and companies concerned.

المقدمة

ثمة آراء وأسئلة، تثيرُ ردود فعل، ومناقشات ربما وجد فيها البعض عُقمًا لا طائل من ورائه. إلا أنّ كثيرين يرون أن تلك المناقشات ضرورية في عالم تتفاقمُ فيه المخاطر بقدر ما تتسارع فيه خُطى العلم والاختراعات التكنولوجية. إنها مسيرة التقدم المادي الذي تلهث وراءه الثقافة ولا تجاريه. ولعلنا ونحن ندرس ظواهر المخاطرة التي صارت أحد موضوعات علم الاجتماع المعاصر لا نستطيع أن نغضَ النظر عن حقيقة أن المجتمعات الإنسانية ولا سيما الغربية منها أصبحت تواجهُ مزيدًا من المخاطر مع اتساع وتعدد أشكال الظواهر الإرهابية. ولا يبدو أن هناك مجتمعًا إنسانيًا قد أفلح في الإفلات من المخاطر وما تمليه من خوف وحذر. لقد أصبحت الثقة موضع شك. وأصبح الحذر واجبًا ومقدمًا عليها.

العنف ظاهرة متجددة في العديد من المجتمعات، وهي حين تتفاقم وتزداد وحشية وتتسع من حيث ما تستهدفه من بشر تصبح إرهابًا. إن مجموعات مثل الجيش الجمهوري الأيرلندي السري وحركة آيتا في الباسك والألوية الحمراء في إيطاليا وبادر ماينهوف في ألمانيا... إلخ، هي نبت الحداثة وتقلباتها. ونحن نفترض أن الجماعات الإرهابية التي نصفها أحيانًا بالإسلامية، أو بالأصولية، هي أيضًا تتبنى موقفًا معينًا من الحداثة.

إن عالم ما بعد الحرب الباردة، لم يكن سعيدًا. وإن الوعد بنهاية التاريخ، سرعان ما بدا خرافة، ولا سيما مع الدخول إلى القرن الحالي، بوابة الألف الثالثة، حيث أصبح الإرهاب منهجًا وعابرًا للحدود، مستخدمًا كل مزايا الحداثة (الأسلحة/ أجهزة الإعلام المختلفة/أجهزة الاتصالات) دون أن يتوقف عن لعنها والبحث عن مساوئها.

في هذه الدراسة الموجزة نحاول أن نستطلع هذه العلاقة –المفارقة ما بين الإرهاب– الإسلامي أو الأصولي وهي التسميات والتوصيفات –الخطأ– وبين الحداثة. ملاحظين أنهما معًا، مفهومان لا ينقصهما الغموض.

المبحث الأول: إطار منهجي واصطلاحي

أولاً: أسئلة ضرورية

تتلخص المقالة المهمة للفيلسوف الفرنسي جان بودريار التي نشرتها صحيفة لوموند على وقع انهيار برجي التجارة في نيويورك (الحادي عشر من سبتمبر أيلول ٢٠٠١) في أن الإرهابَ رعبٌ مقابلَ رُعب! وأنه كامنٌ في لُـبِ الثقافة التي تحاربهُ. يجب أن نخضع لحقيقة أن نوعًا ما جديدًا من الإرهاب قد ولد أخيرًا. إنه شكل جديد من الفعل الذي يؤديها ويتقن قواعدها لكي يزعزع سياقها[١].

يمكن استخلاص أسئلة مهمة من هذه الرؤية الديالكتيكية التي عبر عنها بودريار:

- ما موقف الإرهاب (الممثل في جماعات القاعدة ومن تبعتها من الجماعات المتطرفة كداعش على وجه الخصوص) من الحداثة؟ ونحتاج للإجابة عن هذا السؤال إلى تعريف للإرهاب، كما نحتاج إلى تعريف للحداثة؟
- أنجح الإرهاب في إلحاق الضرر برموز الحداثة. أم أنه يتكيف لها ويستثمر تسهيلاتها؟
- هل شكلت الحداثة بيئة مؤاتية للإرهاب؟

ثانيًا: مفاهيم أساسية

من المعلوم أن المصطلحات والمفاهيم في سياق الفهم والنظر الذي يبذله الإنسان وفي سياق الصيرورة التاريخية لهذا الكائن عرضة لتغيرات وتقلبات متعددة تمليها ظروف وخصوصيات المرحلة التاريخية مما يجعلها تنأى كثيرًا أو قليلاً عما أنزلت أو وضعت له أصلاً فيكون ذلك منشأ للخلاف[٢].

١ - الحداثة (Modernity)

توافق الباحثون على جعل الحداثة فترة تتماهى مع الحُقبة التاريخية التي بدأت في الغرب مع عصر النهضة (القرن الخامس عشر). لقد تميزت هذه المرحلة التاريخية الجديدة بتحولات كبرى أثّرت على البِنى الاجتماعية (حياة مدنية - ولادة الرأسمالية) وعلى أنماط الحياة، وعلى القيم (الفردية، ظهور الحريات العامة، المساواة في الحقوق) وعلى الأفكار (بروز الفكر العقلاني، العلوم) وعلى السياسة (عملية الدمقرطة). إذًا: العقل، الفرد، التقدم، المساواة، الحرية، هذه الكلمات المفاتيح في الحداثة. ولذلك عَدَّ علماء الاجتماع الحداثة انقلابًا اجتماعيًا كبيرًا يقوم على التعارض بين مجتمع تقليدي وآخر حديث. ويرى ماكس فيبر في عقلنة النشاطات الإنسانية السمة السائدة في الحداثة بعد أن تخلصت من وطأة التقليد لتتبع منطقها الخاص[٣].

يعتقد ألان تورين أن الحداثة ترسي أسسًا غير اجتماعية لأفعال اجتماعية وتفرض خضوع المجتمع لمبادئ أو قيم ليست اجتماعية في حد ذاتها. على أن وجود الحداثة هو رهن توافر مكونين اثنين باعتبارهما شرطًا لوجود الحرية والإبداع داخل الأنظمة الاجتماعية. أول هذين المبدأين هو الاعتقاد بالعقل وبالنشاط العقلي. فالعلم والتكنولوجيا والحساب والدقة وتطبيق نتائج العلم على ميادين يكثر تنوعها في حياتنا كل هذه الأمور تشكل مكونات ضرورية للحضارة الحديثة. أما المبدأ الثاني المؤسس للحداثة فهو الاعتراف بحقوق الفرد أي إثبات شمولية تعطي جميع الأفراد الحقوق نفسها كائن ما كانت أوصافهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[٤] اقترح عالم الاجتماع بيترفاغنز التمييز بين مرحلتين كبيرتين للحداثة. المرحلة الأولى هي مرحلة الحريات الاقتصادية والسياسية وهي المرحلة التي تقلصت فيها سلطة الملكيات المطلقة أو الكنيسة على المجتمعات. أما المرحلة الثانية في القرن العشرين فتمثل الأزمة التي وقعت فيها الحداثة: الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والأيديولوجية. ويرى بعض العلماء أن هناك (حداثة متأخرة) تتميز ومنذ الستينات بالتحرر من العادات وبفردية جديدة.

الحداثة ليست رديف العولمة. إذ بقدر ما بشّرت الأولى بمبادئ التنوير جاءت العولمة بالرأسمالية المتوحشة وبالداروينية الاستئصالية حيث البقاء للأقوى. الحداثة: بشّرت بسيادة العقل والعلم وبشرت بالتقدم. وأنكرت دور الكنيسة والخرافة، وأكدت على حقوق الإنسان وعلى النظام الديمقراطي. الحداثة استشراف للغد، وإيمان بالمستقبل. غير أن للحداثة عثراتها إذ إنها غذّت عقدة العظمة والتمركز الثقافي الغربي، مما أوجد المبررات غير الإنسانية لاستعمار (الآخر) وسرقة موارده. وفي بيئة الحداثة نشأت الديانات الأرضيـة -كما أسماها ماكيفر- كالماركسية والفاشية والنازية مع اختلاف منطلقاتها.

٢. الأزمة (Crisis)

الأزمة توقف أو انحراف عن سياقات الانتظام والروتين ويبدو أن لكل من علوم الإنسان والمجتمع نظرتهُ التخصصية نحو مفهوم الأزمة. غير أن تاريخ علم الاجتماع بالذات يعكس مخاض التفكير الجدلي ما بين النظام والفوضى. فالنظام تواتر واستمرار فيما الفوضى خلل يتجاوز مستوى الصراعات أحيانًا ونوع من دمار النظام.

تعرف الأزمة: من الناحية الاجتماعية بكونها توقف الأحداث المنظمة والمتوقعة واضطراب العادات والعرف مما يستلزم التغيير السريع لإعادة التوازن ولتكوين عادات جديدة أكثر ملائمة[٥]. وليست الأزمة في أي حقل اجتماعي مؤشرًا على نزاع قد يدمر المجتمع فحسب بل هي أيضًا مدخل إلى تجديد الحقل الاجتماعي المتأزم – كالحقل العلمي مثلاً – فالأزمة محطة في مسار وقد تغدو في حال استمرارها مسارًا مستقلاً[٦]. وإذا توسعنا في التحليل نجد أن الأزمات الاجتماعية الكبرى قد تدفع بالمجتمع إلى الخطر. ومن المعلوم أن هناك من يميز بين الخطر وبين المخاطرة. فالمخاطرة كما يرى جدنز إلى الخطر المقدر بوعي فيما يتعلق بالاحتمالات المستقبلية وهو واسع الاستعمال في المجتمعات ذات التوجه المستقبلي وقد كانت المخاطرة –كما يذهب جدنز- متصلة دائمًا بالحداثة. وهي على نوعين مخاطرة خارجية آتية من الخارج أو من تراتب التقاليد والطبيعة ومصطنعة وهي التي وجدها تطوير المعرفة[٧].

والواقع أن هذه الرؤية قد تنطبق على المجتمعات الصناعية التي أصبحت الإنجازات العلمية مصدر تهديد. أما في مجتمعاتنا فإن المخاطر قد تنجم عن صراعات أزمات بنيوية تهدد بقاء المجتمع أو قد تنجم عوامل طبيعية (كوارث) ذات تأثيرات حاسمة على البناء الاجتماعي. إن الأزمات الناجمة عن الحروب تشكل مخاطر مركبة على السكان وعلى النظم الاجتماعية معًا. فهي تطال رأس المال البشري ورأس المال المادي معًا[٨]. إنّ للإرهاب مخاطره الخاصة التي تشكل أزمات إنسانية مستمرة تنطوي على مخاطر تتولد وتعيد الإنتاج من خلالها.

٣. الإرهاب (Terrorism)

الإرهاب فعل تدميري. وتختزن كلمة (إرهابي) صورًا متعددة من الأفعال تندرج في خانة الخوف الشديد الذي يصل حد الرعب. ولعل هذه الكلمة صارت أشد ارتباطًا بسلوكيات المليشيات والجماعة المسلحة التي تستخدم العنف المُنظَّم، شديد القسوة ضد المناوئين لها. أقدم تعريف للإرهاب ورد في القاموس الفرنسي عام (١٢١٥م) وهو: (الاستخدام المتعسف للقوة والعمل الموجه ضد خصم أو إرغامه على القيام بعمل ضد إرادته باستخدام القوة والتخويف ضد الآخرين بقصد السيطرة عليهم بواسطة الموت والتدمير أو الإخضاع والهزيمة)[٩].

الإرهاب تعبير متطرف عن الكراهية الشديدة والرغبة في إيذاء الآخر إلى حد استئصاله أو السيطرة عليه. ولذلك فإن بين الإرهاب والعنف دائرة مشاركة واضحة فهما مفردتين متوازيتين مع بعضهما إلى حد يجعل الساحة المشتركة بينهما تؤكد

لنا أن العنف يحتوي على الإرهاب الذي يُعد من صور العنف وأحد أشكاله وكلاهما مُدان دينيًا وقانونيًا في كل العصور وعلى مدى الأزمان[١٠].

ويرى آخرون بأن الإرهاب هو (العنف المخطط مسبقًا لتحقيق أهداف سياسية ولقتل الأبرياء والمدنيين) غير أن كتيب للجيش الأمريكي يعرف الإرهاب بكونه الاستخدام المحسوب للعنف أو للتهديد بالعنف بغية تحقيق أهداف سياسية، دينية، أيديولوجية من حيث الجوهر وذلك من خلال التهويل والإكراه أو بث الخوف) وجوهر التعريفين المذكورين هو التركيز على عنصر استخدام القوة والعنف لتحقيق الأهداف المختلفة، كما وأن العنصر الآخر الذي يتفرع من الأول يتمثل بقتل الأبرياء من الناس إما بهدف إبادتهم أو إجبارهم على قبول ما يريدون تحقيقه[١١]. ويمكن أن نضيف لما تقدم:

- أن الإرهاب فعل قصدي، وليس فعل عابر، يحدث صدفة.
- كما أنّ الإرهاب الذي نتناوله في هذه الدراسة، هو الوجه السلوكي لمنهج فكري أو أيديولوجيا تنطوي على تفسير وتبرير للفعل.
- أن الإرهابي يختلف عن المجرم (بالمعنى التقليدي له) في كونه لا ينتظر في الغالب -مكافأة مادية- على سلوكه.

الحداثة تمضي على ساقين: العلم والعقل. والإرهاب يستفيد من منجزات العلم على نحو يفصح عن حقيقة أن الضوابط الدولية التي تنظم استخدام تلك المنجزات ولا سيما التي تؤدي إلى مخاطر ليست فاعلة بدرجة كافية. لكن الفكر الإرهابي، مغلق، ودوغمائي، وغير عقلاني، لا يؤمن بالحوار، ولا يحترم الإنسان ككائن كرّمه الله. من هذه النقطة يفترق الإرهاب عن الحداثة.

١ - المزايا Advantages

لم يعد الإرهابيون يستخدمون السيوف والخناجر. بل أصبح من الميسور عليهم الحصول على مختلف أنواع الأسلحة. فالشبكات الاقتصادية والشركات الخفية والعلنية توفر كل أنواع الأسلحة، بل إن دولاً تستورد الأسلحة، لا تتردد عن جعلها متاحة للإرهابيين.

إن قافلة متخمة بالأسلحة هدفها جبهة النصرة في سورية، أو داعش في العراق لا بد أن تكون قد جاءت من مكان ما، ولا بد أن طرفًا ما (دولة أو حزبًا.. أو...) قد مَوّل صفقة تلك القافلة لا سيما أن العولمة وهي وليدة الحداثة، قد نجحت في مصادرة القيمة الرمزية للسيادة التي تمثلها الحدود. يقول بودريار: الإرهاب كالفيروس ماثل في كل مكان. هناك حقن عالمي متواصل للإرهاب. هو كالظل الملازم لكل نظام من أنظمة السيطرة. إنه في لب الثقافة التي تحاربه. لا يتعلق الأمر إذًا بصراع حضارات ولا بصراع أديان كما يتعدى بكثير الإسلام وأمريكا اللذين تجري المحاولات لحصر النزاع فيهما. إن العولمة المنتصرة تخوض صراعًا مع ذاتها. ويلخص بودريار الفكرة بالقول إن هؤلاء (ويقصد الإرهابيين) لا يراهنون على موتهم الخاص.. بل تملّكوا أيضًا كل أسلحة القوة المسيطرة. المال والمضاربة في البورصة وتكنولوجيا المعلوماتية والطيران والشبكات الإعلامية لقد اكتسبوا كل ما توفره الحداثة والعالمية من غير أن يغيروا الهدف القائم على تدميرها[١٢].

العلم الذي أفرزته الحداثة كنتيجة لأعمال العقل والتحرر من الخرافة، هو ذاته الذي أنتج القنبلة النووية التي ألقيت على هيروشيما وناغازاكي وهو الذي أنتج غاز السارين الذي هدد الإرهابيون بنشره في أنفاق القطارات في طوكيو وهو الذي حذّر الروس من وصوله إلى داعش أو جبهة النصرة، أو هو الذي حاول الإرهابيون استخدامه في أنفاق القطارات في لندن. الحداثة مائدة يأخذ منها

الإرهابي ما يخدم سلوكه ثم يلفظ في ما تبقى من أوانيها. بل إن الإرهاب -الذي نضفي عليه صفة الإسلام أو الأصولية يتصرف- رسميًا ونظريًا على الأقل - خارج صلاحيات أي دولة، بل هو فعل يستهدف إسقاط الدولة (في سورية) مثلاً مع أن الدولة، أموية أو عباسية أو عثمانية كانت هي التي تضفي على الإرهاب رداء الشرعية. وفي عصرنا، كان لما يسمّى الدولة العميقة في تركيا دورًا في صناعة إرهاب مُعَبر عنها ومُموّل من مواردها إلا أن دولاً أخرى تندد بالإرهاب لكنها تموله بشتى الطرق. بل إن أمريكا التي أعلنت الحرب على الإرهاب في اللحظة التاريخية لانهيار البرجين في نيويورك كانت هي التي صنعت (القاعدة) في أفغانستان.

ماذا يعني ذلك؟ باختصار: يعني أن الحرب على الإرهاب مخترقة. وأن من يدّعي التنديد به نظريًا يقدم له العون واقعيًا. والأسلحة، وتقنيات الأسلحة الكيماوية والنووية هي جزءٌ من بضاعة سوق الحداثة التي توفرها منظومات اقتصادية ترعاها الدول ذاتها. إن النظام العالمي الذي يعلن ويواصل حربهُ على الإرهاب يوفر هو ذاته فرصًا تعزز سطوة الإرهاب وديمومته.

الجانب الآخر. يتمثل في أجهزة الإعلام، ولا سيما الفضائيات التي تجعل الفعل الإرهابي حاضرًا في كل بيت، مضخّمًا، مخيفًا، وكأن الفضائيات تهيئ لذلك الفعل مسرحًا، يستعرض من خلاله شدة قسوته. واحتقاره للحياة، ورهانه على الموت. الفضائيات، تعطي من خلال الصورة تأثيرًا مضاعفًا للفعل. ولذلك، فإن صورة برجي التجارة في نيويورك تعادل في قوتها وشدة تأثيرها بيانات كل رؤساء الدول الذين انتفضوا وهم يشاهدون الطائرات تنقض على البرجين. كما أن صورة الإرهابي الذي شق صدر الجندي السوري وأكل قلبه تتجاوز من حيث الرعب والاشمئزاز والرفض، فعل دراكولا مصاص الدماء. أو مقطع الفيديو الذي يصوّر داعشيًا وهو ينفذُ حُكمًا بالقصاص على أُمه!!... ويقتلها!...

إنه شكلٌ من الفعل يقدم تنميطًا جديدًا للذاكرة السائدة ويمثل انجراحًا عميقًا في منظومة القيم السائدة، ويدعو للتساؤل عن جدوى القيم الضابطة في مجتمعاتنا والتي تهاوت أمام ظاهرة صوتية من التخويف والرعب.

فالصورة تضخّم الحدث. وتحوله من اللحظة الواقعية المحدودة التي وقع فيها إلى حدث مستمر في الذاكرة. التصوّر، عبر الإعلام، يعيد صناعة الواقع، ويجعل استرداده ممكن لسبب بسيط هو أن للذاكرة زمنها الفاعل خارج دائرة الزمن الفلكي.

إن للإرهاب اليوم قنواته الفضائية وحضوره في مواقع التواصل الاجتماعي. فالحداثة فتحت أبوابها للجميع. فلا فرق بين من يحمل كتاب (التسامح) ومن يحمل كتاب (الحقد والتكفير). إنها حرية مُدانة لا ينبغي الاطمئنان لها لكنها حقيقة الأمر الواقع الذي جعل من العالم قرية صغيرة لكن طرقها مفتوحة للجميع بما فيهم أولئك المُتشحين بالسواد.

ومزايا العلم الذي قامت على قاعدته العولمة يبدو واضحًا في أجهزة الاتصال ولا سيما الهاتف النقال والإنترنت والأجهزة الصغيرة الدقيقة التي تستطيع أن تصوّر وتسجل الكلام.

٢- الرفض (Rejection)

يعتقد هابرماس أن الإرهاب هو تأثير صدمة التحديث الذي انتشر حول العالم بسرعة في حين يرى داريدا أنه علامة وعرض لعنصر مرض حقيقي خاص بالحداثة التي تركز دائمًا على المستقبل. وتمثل أيديولوجية الإرهابيين الذين هاجموا البرجين والبنتاغون في رفض هذا النوع من الحداثة والعلمانية المرتبط بالعرف الفلسفي مع مفهوم التنوير.[١٣]

إن جردًا بسيطًا لتطبيقات (شرع الله الطالباني) في (إمارة أفغانستان يظهر أن الحركة):

• أوقفت البث التلفزيوني في عموم مناطق الإمارة وحرمت تحت طائلة تطبيق الحد على كل من يحاول التقاط البث التلفزيوني القادم من خارج الإمارة.

• منع المرأة من مزاولة العمل في العديد من مجالات الحياة ومنعها من الاختلاط بالرجال مما جعل النساء الأفغانيات قيد الإقامة الجبرية وقد أدى ذلك إلى إغلاق العديد من مدارس البنات. فالمرأة كما يقول الملا عمر خلقت للنكاح.

• فرض حجاب قاس على المرأة إذ يغطيها بغطاء سميك من أعلى رأسها حتى أسفل قدميها مع وجود فتحات صغيرة في هذا الغطاء تسمح بالتنفس.

• فرض إجباري على كل الشباب فوق سن الرابعة عشرة بإطلاق لحاهم وبحلق شواربهم ومن لا يفعل ذلك يضربونه في الشارع ضربًا مُبرّحًا.

• تدمير التماثيل الأثرية التاريخية ليس تماثيل بوذا التي أثارت ضجة في العام كله ولكن آلاف أخرى في متاحف أفغانستان.[١٤]

• الموقف من الديمقراطية يظهر بنوع خاص التقاطع الحاد بين الإرهاب وبين الحداثة التي كانت البيئة التي ولدت فيها الديمقراطية وحقوق الإنسان والحكم الرشيد.. إلخ. ففي مطبوع وزّع في العراق لأحد كبار قادة الإرهاب يصف فيه (الحكومات المرتدة المعاصرة التي تبنّت مذهب الديمقراطية الكُفري وكذلك أنصارها وعلماؤها الذين يفتون حسب أهواء الحكام الطواغيت وهو ما يجعل من جميع هؤلاء (فتنة العصر). والحال أن «من مقاصد القتال درء فتنة الكفر حيث كان في أرض الله».[١٥]

• وبينما تؤكد قيم الحداثة على مبدأ سواسية الناس واحترام حقوقهم – نظريًا على الأقل – فإن الفكر الإرهابي يقسم الناس إلى مؤمنين وكفرة، ويقسم المجتمعات إلى دار إسلام ودار حرب[١٦] وهذه الأخيرة تستحق أن تدمر لأنها (دار كفر). إن هذا التصور يستند إلى فتوى أبي علي المودودي حول أوضاع المسلمين في الهند، وفتوى ابن تيمية حول التتار وخلاصتها أنَّ هناك من يلتزمون بالإسلام جملة ويرضون بأحكامه على وجه التفصيل وهناك الذين آمنوا ببعض الكلام وأعرضوا عن البعض الآخر فالواجب قتالهم حتى يقبلوا الإسلام ولا يعطلوا أحكامه. وهؤلاء فريقان: المرتدون الذين دخلوا الإسلام ثم كفروا ببعض أحكامه وتركوا قسمًا من شريعته دخلوا الإسلام بشرط عدم الالتزام بجميع أحكامه. وفي مطبوع لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين عنوانه (لمَ نقاتل، ونقاتل من؟) يوجز الكاتب فتوى ابن تيمية.[١٧] إن مثل هذا التصنيف للناس يعني أن بعضهم يستحق الموت ببساطه لأنه (كافر). قال رسول الله ﷺ: (بشّروا ولا تنفّروا). وفي (بشّروا) معنى البشارة والوعد بالخير ولكن في (لا تنفّروا) نجد معنى (النفير) والنفّرة. والإسلام طبقًا لشريعته السمحاء استثنى من القتال: الأبرياء والضعفاء والنساء والأطفال والشيوخ فالقتال لمن يقاتل وعلى من يقاتل.[١٨] بل إن الإرهاب لا يجد حرجًا في تجنيد الأطفال بل أن (يفخخهم) ويحولهم إلى قنابل موقوتة. مع أن أحد أهم مبادئ الحداثة هو حماية الأطفال من كل أشكال العنف ولا سيما تجنيدهم.

• الحداثة أطلقت العنان لحقوق المجموعات الثقافية الفرعية والأقليات كجزء من مرجعيتها الإنسانية وقد كان لذلك أثره في تفكيك دول. صحيح أن هذا التوجه يمثل انتهاكًا لسيادة الدول وسلطانها إلا أنه في الوقت ذاته يعكس حق تلك الأقليات في الحفاظ على هويتها. إن ما يتعرض له الشبك والأيزيديين وغيرهما من الأقليات من قتل فردي وجماعي من قبل الإرهابيين يعكس حقيقة التمييز اللاإنساني الذي تقوم عليه مرجعية الإرهاب. ومن المعلوم أن الحرب حتى حين تقع لا تبرر قتل المدنيين، لأن الحروب تجري بين جيوش منظمة ولذلك حرصت الأمم المتحدة على استثناء المدنيين وحمايتهم من ويلات الحرب. وجاء مفهوم الأمن الإنساني ليفصل بين ذلك الانقسام بينه وبين الأمن الوطني أو القومي.

• إن أفضل نموذج تمييزي تمارسهُ جماعات الإرهاب التي تدعي التزامها بالشريعة الإسلامية هو موقفها من المرأة. يقول الدكتور محمد سعد أبو عامود أن تنظيم جماعة الإخوان المسلمين في مصر كان التنظيم الوحيد الذي ضم النساء والفتيات إليه وزوجهن للأعضاء الرجال حتى المتزوجة منهن كان يحق لها الزواج من آخر لأنها بمجرد الانضمام للجماعة تصبح حرة ومحرمة على زوجها الأول لأنه كافر. وقد حرم تنظيم التكفير والهجرة على النساء والرجال (كل ما يأتي من المجتمع الجاهلي الكافر). ولعل ما سمي بـ (نكاح الجهاد) أو تحويل النساء إلى (مفخخات) أو تهجيرهم مع أسرهن هي نماذج لهذا التمييز الدموي ضد المرأة.

• تؤكد الحداثة انطلاقًا من تصوراتها حول مبادئ حقوق الإنسان على أن العالم متعدد الأصوات وأن الخلافات لا ينبغي أن تُحل بالعنف والحرب ولذلك تسمح أجواء الحداثة ونواديها ومنابرها بكل ما يمكن أن يقوله فلان وفلان. وهذا ما جعل الإدارة الأمريكية، وحكومات الدول الغربية الأخرى كالسويد تغض النظر عن إساءات بالغة وجهت للإسلام ولا سيما في شخص رسول الله ﷺ، أو اشتغال عدد من مراكز البحوث على إثارة الأحقاد ضد الإسلام بوصفه (إرهابي أو يرعى الإرهاب). إن موضوعة (حرية الرأي) و(حرية وسائل الإعلام) (مع كل ما تنطوي عليه من أخطاء جسيمه إذا استغلت ضد أطراف مناوئة) ترفض على نحو قاطع من قبل الجماعات الإرهابية فهي ترفض أن يكون للآخر حق في إبداء الرأي الأيديولوجيا الإرهابية لا تقر بأنه للآخر رأي. بل هي وحدها تحتكر حق إبداء الرأي. لأنها تحتكر الحقيقة. إن موقف الغرب من الإسلام هو أيضًا برر لهذه الحركات ولعل ذلك هو الذي جعل بودريار يؤكد على أن هناك (حقن عالمي للإرهاب).

إن سؤالاً مهمًا يطرح نفسه: إلى أي حد كان الغرب –بحداثته وبعولمته– هو ذاته سببًا في ظهور –أو على الأقل– نمو وتوسع النشاط الإرهابي؟

لقد كان علماء الاجتماع يتحدثون عن مخاطر ناجمة عن التكنولوجيا والتقدم العلمي، وأحيانًا عن سوء استخدام بعض هذه الأشكال من التكنولوجيا ومنها تلك التي تؤدي إلى إفرازات غاز أول أوكسيد الكاربون فضلاً عن المخاطر النووية وغيرها. اليوم يواجه الغرب مخاطر جديدة مضاعفة تتمثل بالإرهاب وتستنزف الكثير من موارده المادية والبشرية. إن ما تعرضت له المصالح الأمريكية في نيويورك وفي إفريقيا يؤكد أن الإرهاب قد ضاعف من المخاطر التي تتعرض لها المجتمعات الغربية لا سيما وأن بعض الذين قاتلوا ويقاتلون اليوم مع الجماعات الإرهابية في العراق وسورية سوف يعودون إلى تلك المجتمعات بوصفهم مواطنين وسوف يتعاملون مع السلطات فيها بوصفها معادية لا سيما وأنهم تلقوا تدريبًا كافيًا وخبرة قتالية جيدة.

المبحث الثاني: دور الحداثة في تعزيز المد الإرهابي

أعلن الغرب – وأمريكا بالذات – الحرب على الإرهاب. فماذا حدث؟ احتلت أمريكا أفغانستان بعد أن زرعت فيه القاعدة وما أن انهار البرجان حتى أدركت أمريكا أن الخطر قد أصبح على أبوابها فكان أن أعلنت الحرب. واحتلت أفغانستان ثم العراق وكثّفت حضورها في اليمن وفي باكستان، وأقامت غوانتانامو .. لكنها لم تنجح حتى اليوم في إنهاء القاعدة التي تعاظم نشاطها في المغرب العربي، وفي إفريقيا، واليمن، أو التعامل المُجدي عسكريًا مع كيان داعش في العراق وسورية (بحسب خبراء روس). لماذا حدث ذلك مع كل هذه الشدة في الحرب ضد الإرهاب؟ هل كان لأفكار الحداثة في الغرب دورها إذا تركنا جانبًا العامل السياسي الذي شجع أمريكا على إقامة القاعدة في أفغانستان؟[١٩]

من المؤكد أن هناك منصفين اقتنعوا بأن الإسلام الذي يساء لمبادئه ويتهم بكونه يشجع على الإرهاب وعلى استخدام السيف بدل الحوار هو دين سماوي ولا ينبغي أن يصبح هدفًا للكراهية التي يحملها المتعصبون من الديانات يقول بودريار: لا يتعلق الأمر إذًا لا بصدام حضارات ولا بصدام أديان، كما يتعدى بكثير الإسلام وأمريكا اللذين تجري المحاولات لحصر النزاع فيهما لتوليد وهم مجابهة مرئية ووهم حل بالقوة .. الإسلام ليس تجسيد للإرهاب. ويقول بريجنسكي: على الغرب أن يتفهّم أن المليار مسلم لم يتأثروا بغرب يرونه مبشرًا بقيم استهلاكية وفضائل لا أخلاقية وبركات الإلحاد. فرسالة الغرب -لا سيما أمريكا- مرفوضة لدى الكثير من المسلمين. وغير هذا فإن محاولة تصوير الإسلام (المتطرف) على أنه التهديد المركزي للغرب –باعتباره خليفة الشيوعية في تهديدها للغرب– إنما هي محاولة في غاية البساطة.

إن نظرية: أن الإسلام في أغلبه يرفض التعريف الغربي للحداثة فهي قضية أخرى لا تمثل قاعدة صُلبة للنظر سياسيًا إلى الإسلام لأنه عالم متنوع يمتد من غرب إفريقيا السوداء من خلال شمال إفريقيا والشرق الأوسط وإيران ... إلخ، فإن أمريكا إذا سارت على افتراض أن الإسلام مستعد للشروع باستخدام أسلحة نووية فإنها ستقع في مخاطرة التورط بنبوءة – عليها تحقيقها بنفسها.

ومع ذلك فإن جهات دينية وثقافية وفنية في الغرب (أمريكا والدانمارك والسويد وفرنسا..) أعلنت (حرب إساءة) ضد الإسلام، كان أشدها تلك الصور المسيئة لرسول الله ﷺ أو حرق نسخ من القرآن الكريم، أو التشريعات ضد الحجاب. إلى جانب ذلك فإن الغرب الذي يرعى اقتصاد السوق المعولم سمح بتعظيم معدلات الفقر والحرمان ومع فشل الأطروحات القومية والعلمانية في مجتمعات العالم الثالث، توجهت الأنظار إلى الماضي ووجد الإرهابي أن موته ليس مجانيًا بل هو رفض لإدانة تسيء إلى دينه كما أنه في الوقت ذاته يحجز لنفسه مكانًا في جنة الله. إن العودة إلى الماضي (كبديل فشل برامج الحاضر) يظهر في أماكن أخرى من العالم مثل المكسيك والهند.[٢٠]

من جانب آخر فإن الأنظمة العربية والإسلامية التي كان لها دورها في ضبط حركة الشارع وفي توجيه العقول فقدت دورها وشاخت ولم تعد قادرة على حماية مصالحها. أصبحت هي ذاتها أرضًا خصبة لنمو الحركات الإرهابية المعادية لتلك المصالح فكان لا بد من التغيير. لكن ما حدث هو العكس تمامًا. ففي مصر تسلق الإخوان على السلطة قبل أن يتم التعاطي معهم كأزمة. وفي سورية كان للإرهاب حضورهُ على المواقع المتقدمة في الحرب ضد النظام. ولم يختلف الأمر في ليبيا حيث اغتيل السفير الأمريكي. ومن العراق –ومع اختلاف التجربة– تحدث اليوم مواجهة كبرى بين الإرهاب والديمقراطية –وهي إحدى ثمار الحداثة– ويتعرض العراقيون لعمليات قتل جماعي يعكس مبدأ الاستئصال التكفيري للعدد مهما كان عمره أو جنسه أو عمله.. أو.. أنه مجرد عدد (كافر) ويتعاظم العداء ضده حين لا يكون من حملة هوية الإرهابي. مع أن الإرهاب لا دين له.

إن مما يعزز موقف العقل الجمعي الإسلامي من منتجات الحداثة هو أنها تتعارض مع قيمه. فالفضائيات لا تتردد عن عرض الأفلام الإباحية ومشاهد العُري، والتشجيع على العنف، وتفكك الأسرة، وإشاعة ثقافة المخدرات .. إلخ مما هو معروف. إنها حداثة تنطوي هي ذاتها على عملية استلاب لقيم الآخر. إنها برنامج اختراق لثقافة الآخر. وهذا (الآخر) لا يمتلك التسهيلات التكنولوجية والفنية التي تستغل لما يعده تدميرًا لثقافته وقيمه فماذا يفعل إن رفضه الاقتصـــادي –مقاطعة بضائع بعض الدول– هو الموقف الوحيد –إلى حد ما– المتاح له. لأنه لا يستطيع أن يغير سياسة دولة عظمى أصبحت هي ذاتها غير قادرة

على مواجهة هذا السيل من الانهيار الأخلاقي. المواطن لا يستطيع أن يحطم جهاز التلفزيون. ولا أن يهمل (الموبايل). ولا يهمل الإنترنت... إلخ البعض سوف يرى في الإرهاب حلاً. ولا سيما حين يتداخل ذلك مع الفقر والحرمان والديكتاتورية بل وحين تكون القيادة في المجتمع تدفع باتجاه الفعل الإرهابي وتسوّغه باسم الدين.

الخاتمة

إن الزمن الذي أُطلقت فيه حملات مكافحة الإرهاب في إيطاليا بعد مقتل الدرمورو رئيس الوزراء الإيطالي، وفي ألمانيا بعد أن تعاظم نشاط (بادرماينهوف) وفي بريطانيا ضد البروتستانت.. إلخ لم يعد الزمن نفسه. إنّه تهديد داعش بإبادات جماعية للهويات الدينية الأخرى بل والمذهبية من غير هذه الجماعة، وباستخدام السلاح الكيماوي واستفادتها من التسهيلات التي وفرتها العولمة بسبب انفتاح الحدود والأسواق، مما سهّل عملية تحرك أفرادها من بلد لآخر. إلى جانب أن الجماعات الإرهابية أصبحت أكثر قدرة على استقطاب العرب المقيمين في أوروبا، ووجود دول ضعيفة في الشرق الأوسط، يجعل الصيغ التقليدية في الحرب ضد الإرهاب غير فعّالة وتحتاج إلى دراسة تقويمية شاملة.

التوصيات

- أول جانب ينبغي التركيز عليه، هو ذلك المتعلق بفحص وتفكيك البنية الفكرية للإرهاب، أفرادًا وجماعات. سلوكًا وأيديولوجيات، لما يتصل بعملية مواجهته في مجتمعات الدولة الوطنية.
- العمل على رفع مستوى الوعي بضرورة الحداثة في بعدها التكنولوجي، وإمكانية الإفادة منه في دعم وتدريب النخب المخاصة في المجتمعات التي يهددها الإرهاب. لغلق منابر الدعاية التي تشحذ طاقات الشباب وتزجهم في أتون العنف الدموي.
- توسيع دائرة الحوارات الثنائية والمتعددة، دبلوماسيًا وسياسيًا وعلميًا-دينيًا، بين الدول، من أجل إيقاف الحملات المسيئة للإسلام ورموزه، لما يمثله من تبرير للعنف والإرهاب.

المصادر

١. أحمد علي الخفاجي، الحركات الإسلامية المعاصرة والعنف، بغداد، ٢٠١١ (بدون جهة الطبع).

٢. ألان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١١.

٣. أنتوني غدنز، عالم جامح، ترجمة عباس كاظم، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣.

٤. أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، ترجمة جورج كتوره، بيروت، المكتبة الشرقية، ٢٠٠٩.

٥. بودريار وادغار موران، عنف العالم، ترجمة عزيز توما، سورية، دار الحوار، ٢٠٠٥.

٦. جان بودريار وآخرون، ذهنية الإرهاب: لماذا يقاتلون بموتهم، ترجمة بسام حجار، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣.

٧. جان فوانسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة جورج كتوره، بيروت، المؤسسة الجامعة، ٢٠١١.

٨. جيوفانا بورادوي، الإرهاب وإرث عصر التنوير هابر ماس ودريدا، دراسة في مجلة قضايا معاصرة، العدد (٣٧-٣٨)، ٢٠٠٨، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين.

٩. حامد سالم الزيادي (الفريق الركن) مقاتلة الإرهاب في العراق، الحرب الجديدة، بغداد، دار الجواهري ٢٠١٣.

١٠. د. محمد سعد أبو عامود، جماعات الإسلام السياسي والعنف في الوطن العربي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٢.

١١. د. السيد عليوه، إدارة الأزمات والكوارث، مخاطر العولمة والإرهاب الدولي، القاهرة، مركز القرار، ٢٠٠٤.

١٢. د. حسن حنفي، الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠١٢.

١٣. د. خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥.

١٤. د. فضل مصطفى النقيب، الحداثة مثقفو التبعية العربية الجديدة، بيروت، مركز الغد، ٢٠٠٧.

١٥. رضوان السيد وآخرون، التسامح وجذور اللاتسامح، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين، ٢٠٠٥.

١٦. زبغينو بريجنكي، الفوضى، ترجمة مالك فاضل، عمارة الأهلية، ١٩٩٨.

١٧. سعيد شبار، المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية، سلسلة كتاب الأمة، العدد (٧٨) ١٤٢١، قطر.

١٨. عبد اللطيف الهرماسي، ظاهر التكفير في المجتمع الإسلامي من منظور العلوم الاجتماعية للأديان، بيروت، الدار العربية، ٢٠١٠.

١٩. فرانك جي. لتشتنر وجون بولي، العولمة: الطوفان أم الإنقاذ، ترجمة فاضل جتكر، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٤.

٢٠. مؤسسة انزاك، التنمية في مجتمعات غير مستقرة، بيروت، ٢٠٠٦.

دراسة بعنوان

دور إدارة الأزمات في الحد من العنف والإرهاب

(دراسة تحليلية سوسيولوجية)

د. إنعام يوسف

دكتوراه في الآداب، تخصص علم اجتماع، إدارة الأزمات،
أستاذ مساعد، جامعة عجمان/عُمان
E.youssef@ajman.ac.ae

مقدمة

هناك علاقة قوية بين معاناة المجتمع من العنف وبين طبيعة الظروف الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية التي يمر بها، فالعنف يرتبط وبشكل قوي بالمشكلات والأزمات التي قد تتواجد بالمجتمع، حيث تصبح عوامل محفزة ومهيّئة لوجوده وانتشاره، فالعنف بمثابة الآلية التي يستخدمها أفراد وجماعات المجتمع المتأزم للتعبير عن عدم الرضا الاجتماعي، والشعور القوي في الرغبة بالثورة على النظم والأوضاع والظروف المسببة لتلك المشكلات والأزمات، خاصة في ظل عدم وجود حلول فورية، إضافة إلى الإحساس القوي في عدم الاستجابة والإدارة الفعلية والفعالة لتلك الأزمات، مما يبرهن على أزمة كبرى هي المصدر لعدد من الأزمات الاجتماعية التي تحدث بدرجات وآليات مختلفة، ألا وهي أزمة الثقة بين الدولة ممثلة في الحكومات المختلفة وبين القاعدة العريضة من الشعب (أفراد المجتمع)، وهو ما يختلف من مجتمع لآخر وفقًا ولطبيعة بنية ومكونات هذا المجتمع.

والعنف ليس وليد المرحلة الراهنة، ولكنه ظاهرة اجتماعية ذات أبعاد تاريخية، ومن ثم فالعنف وجد بوجود الإنسان وعليه، فالإشكالية ليست في وجود العنف، ولكن في تنوع أشكاله وآلياته المختلفة، إضافة إلى تنوع ممارساته بين مراحل عمرية مختلفة، وبمؤسسات اجتماعية متباينة بالشكل الذي يشير إلى كونه ظاهرة اجتماعية معقدة ومتعددة العوامل والأسباب التي تحول دون استقرار وتنمية المجتمع. وعلى وجه الخصوص ببعض الدول النامية والتي تتصف بتدني الأوضاع الاقتصادية، وسوء الأحوال المعيشية، والبطالة، مشكلات التعليم، والصحة العامة وجميعها مؤشرات اجتماعية اقتصادية للدلالة على وجود العنف، ومن ثم الإرهاب والذي يعد إحدى أشكال العنف وصوره الأكثر تعقيدًا، حيث يشير استطلاع الرأي الذي طبق في ولايتي «شيكاغو وإلينوى» والتي تهدف إلى تحديد الأسباب الأساسية للعنف والإرهاب حيث أكد ٦٧٪ من العينة أن أهم تلك الأسباب تتمثل في الفراغ والحدّة في

الحوار والتواصل بين أفراد المجتمع. إضافة إلى الضغوط الاجتماعية التي قد يعاني منها الأفراد بالمجتمع (Gilligan, James, 2008)، وذلك في إطار ما يعبر عنه العنف من أنه «ضرر يمكن تجنبه عند الوفاء باحتياجات الإنسان الأساسية» كما يؤكد "Glatung Johan". (علي إسماعيل، ٢٠٠٥: ٥)، وهو ما يمكن أن يوضح مدى أهمية الإدارة الفعالة والمستمرة للأزمات والتي تتباين في تطبيقها العديد من الدول وهو من العوامل التي تصنف الدول من حيث تقدمها وتطورها ومعدل تنميتها، وهو ما يعبر عن موضوع الدراسة الراهنة والتي تسعى لإبراز دور إدارة الأزمات والمشكلات في الحد من العنف، ومن ثم الإرهاب وفقًا لما أوضحته الأدبيات والدراسات المختلفة.

أولاً: إشكالية الدراسة

تنطلق الدراسة السوسيولوجية الراهنة من كون الإرهاب إحدى صور وأشكال العنف الذي يستخدمه قطاع أو جماعة معينة من المجتمع للوصول إلى أهدافهم نظرًا لعدم قدرة القائمين على المجتمع بالرعاية وإشباع الاحتياجات «الحكومات» من توفير احتياجاتهم، وحفظ العدالة، والمساواة الاجتماعية، وإدارة وحل المشكلات والأزمات التي قد تعيق ذلك، لذا تأتي هذه الدراسة كمحاولة بحثية للكشف عن طبيعة العلاقة بين إدارة الأزمات كآلية أساسية من آليات الحد من العنف والإرهاب من خلال تحليل ما تقره وتوضحه الأدبيات والدراسات المختلفة.

ثانيًا: أهمية الدراسة

تنبع الأهمية النظرية للدراسة من كونها تسهم في إثراء التراث المعرفي والعلمي المرتبط بطبيعة موضوع الدراسة، إضافة إلى التوعية بمدى أهمية الموضوع والتحفيز على دراسة ما يرتبط به من موضوعات، وأسباب، وأبعاد واستراتيجيات، لمواجهة المشكلة بشتى جوانبها ومكوناتها المختلفة، ناهيك عن الأهمية التطبيقية، إذ تُعد الدراسة الحالية من المحاولات التي قد تكشف عن الآليات اللازمة لمواجهة العنف والإرهاب، لاستنباط الأساليب التي كشفت عنها الأدبيات والدراسات العلمية المختلفة والتي تبين دور إدارة الأزمات في حل المشكلات وعلى وجه الخصوص «موضوع الدراسة».

ثالثًا: أهداف الدراسة

تتحدد أهداف الدراسة الراهنة في هدف رئيس يتمثل في:

- التعرف على دور إدارة الأزمات في الحد من العنف والإرهاب كإحدى أشكال العنف، وينبثق من هذا الهدف عددًا من الأهداف الفرعية وهي:

١- الكشف عن ماهية وأهمية إدارة الأزمات في الحد من المشكلات الاجتماعية.

٢- التعرف على العوامل والأسباب الأساسية للعنف، ومن ثم الإرهاب وانتشاره بالمجتمع.

٣- معرفة الكيفية التي يمكن من خلالها توظيف إدارة الأزمات في مواجهة العنف والإرهاب.

رابعًا: مفاهيم الدراسة

من المفاهيم الأساسية التي لا بد من تعريفها بالدراسة الراهنة مايلي:

١- **الدور الاجتماعي:** هو المسؤول والمتوقع من وضع اجتماعي محدد، أما الوضع فهو الوسيلة المستخدمة في تحديد الدور، كما أن الدور مصطلح علاقي لأن المرء يؤدي دورًا في مواجهة دور شخص آخر مرتبط بوضع مضاد. هذا كما يشير الدور إلى

الجانب الذي يؤديه نسق اجتماعي فرعي وتنظيم ونظام داخل النسق الاجتماعي الأكبر أو بمعنى أكثر تحديدًا كوظيفته أو إسهامه الإيجابي في النسق الأكبر. (عبد الهادي الجوهرى، ١٩٩٩)

كما يعَّرف «أنتونى جيدنز» الدور الاجتماعي بأنه «السلوك المتوقع من الفرد الذي يشغل وضعًا اجتماعيًا معينًا». (أنتونى جيدنز، ٢٠٠٢)، وفي إطار ذلك يمكن تعريف الدور الاجتماعي إجرائيًا بأنه «السلوك أو الفعل الذي يقوم به الأفراد أو المؤسسات وفقًا لعدد من المتغيرات الاجتماعية وصولاً لتحقيق هدفًا ما».

٢- **تعريف الأزمات:** ويعَّرف قاموس «ويستر» الأزمة بأنها «نقطة تحول يحدث عنها تغيير إلى الأفضل أو الأسوأ كما أنها لحظة حاسمة أو وقت عصيب في حياة المنظمة».(محمد هيكل، ٢٠٠٦: ٢٢)، في حين تعَّرف «الأزمة الاقتصادية» بأنها تعبير عن الانقطاع المفاجىء في مسيرة المنظومة الاقتصادية، مما يهدد سلامة الأداء المعتاد لها، والهادف إلى تحقيق غاياتها؛ فصفوة القول أن ظاهرة «الأزمة» وخاصة الاجتماعية بمدلولها الواسع ليست إلا نتاجًا طبيعيًا لعملية التفاعل الحيوي المستمر في طبيعة الروابط القائمة بين طرفي علاقة إنسانية ما، عندما تصل عناصر التوتر في هذه العلاقة إلى مرحلة تنذر بالانفجار. (رشدي العماري، ١٩٩٣: ١٨)، ويعَّرفها فيلبس بأنها «حالة طارئة أو حدث مفاجىء يؤدي إلى الإخلال بالنظام المتبع في المنظمة، مما يضعف المركز التنافسي لها ويتطلب منها تحركًا سريعًا واهتمامًا فوريًا، وبذلك يمكن تصنيف أي حدث بأنه أزمة اعتمادًا على درجة الخلل الذي يتركه هذا الحدث في سير العمل الاعتيادي للمنظمة». (Norman Phelps, 1986)، ومن ثم تعرف الباحثة الأزمة إجرائيًا بأنها «حالة تمزق تؤثر على النظام كله وتهدد مكوناته الأساسية ومعتقداته الداخلية وجوهر وجوده وتثير عددًا من الإشكاليات التي تهدد استقرار المجتمع».

٣- **تعريف إدارة الأزمات:** تعبر عن «التعامل مع عناصر موقف الأزمة باستخدام مزيج من أدوات المساومة الضاغطة والتوفيقية، بما يحقق أهداف الدولة ويحافظ على مصالحها الوطنية». وهي أيضًا تعني «محاولة لتطبيق مجموعة من الإجراءات والقواعد والأسس المبتكرة، تتجاوز الأشكال التنظيمية المألوفة وأساليب الإدارة الروتينية المتعارف عليها، وذلك بهدف السيطرة على الأزمة والتحكم فيها وتوجيهها وفقًا لمصلحة المجتمع والدولة بكافة مكوناتها». (ولاء البحيري، ٢٠٠٨: ١٨-٢٢)، كما يمكن تعريفها بأنها «تعني إدارة الأزمة كذلك في أحد تعريفاتها» القدرة على التنبؤ بالأحداث المستقبلية، ومحاولة التعرف على حجم وطبيعة الأزمات المحتملة وكافة البدائل المتاحة لمنع وقوع الأزمات أو التقليل من حدة آثارها والإعداد لمواجهتها عند حدوثها، كما أنها تسير إلى المرونة والقدرة على التغير السريع لمواجهة الأحداث المتتابعة والمتسارعة والفجائية التي تتصف بها الأزمات، بالإضافة إلى القدرة على خلق مناخ تنظيمي يتسم بالتفاهم والتعاون والمشاركة بين كافة المستويات الإدارية والمراكز الوظيفية كافة لمواجهة الأزمات (محمد هيكل، ٢٠٠٦: ٢٤). ويمكن تعريف إدارة الأزمة إجرائيًا بأنها «رصد وتحليل المتغيرات الداخلية والخارجية المسؤولة عن وجود الأزمة والقدرة على توفير الآليات والاستراتيجيات اللازمة لحل ومواجهة المشكلات، من خلال تعبئة الموارد والإمكانات والتنبؤ بالأزمات والمشكلات ووضع الحلول لها بصورة تسبق حدوثها...».

وفقًا لما سبق، نجد أن موضوع إدارة الأزمة يمثل أحد أهم مواضيع الإدارة في العصر الحديث. كما أن تعبير «إدارة الأزمة» يثير الجدل سواء من ناحية تطبيقه أو من ناحية جدواه .. لكن الواقع العلمي أثبت أهمية اللجوء إلى هذا الأسلوب كنتيجة لتطور ظروف الحياة وتعقد مجالاتها. لذا فإن أسلوب إدارة الأزمة قد أصبح ضرورة لمواجهة الطوارئ والمتغيرات السريعة، والتي تؤثر تأثيرًا بالغًا على المصالح القومية؛ وهذا ما سوف توضحه الدراسة الراهنة.

٤- **تعريف العنف:** يعرفه «محمد عاطف غيث» بأنه «فعل ممنوع قانونيًا وغير موافق عليه اجتماعيًا».

والمقصود هنا هو أن: العنف سلوك لا اجتماعي، والقانون يعاقب عليه وذلك نظرًا للأضرار التي يخلفها،

ومن ثم فإن العنف هو سلوك ضد اجتماعية واستقرار المجتمع. (محمد عاطف غيث، ١٩٧٦: ٢٥٩)، وفي هذا الصدد يمكن القول بأن العنف هو بمثابة القوة التي توجه الأفراد نحو القيام بالأعمال الإرهابية، والتي لا يرضى عنها المجتمع، نتيجة الضغوطات التي يتلقاها هؤلاء الأفراد من المجتمع.

ويمكن تعريفه إجرائيًا بأنه «الأفعال أو الحوادث التي تلحق الضرر المادي والمعنوي بالإنسان والأشياء، دون احترام للقواعد والمبادئ التي تحمي النظام، وهو نقيض الأمن والسلم والأمان بفعل تهديد استقرار المجتمع».

٥- **تعريف الإرهاب:** يطلق لفظ الإرهاب كوصف على من يستخدم العنف والقوة الجبرية لتحقيق أهدافه السياسية، وهو ما حدده «المعجم الوسيط». (المعجم الوسيط، ١٩٧٢: ٣٧٦)، هذا وقد اختلف العلماء والباحثين حول إيجاد تعريف متفق للإرهاب نظرًا لاختلاف العديد من الدول في نظرتها للإرهاب من حيث المعنى والمضمون، إلا أن العديد من التعريفات «لظاهرة الإرهاب» قد أوضحت أنه شكل من أشكال العنف، كما أنه لا يقتصر على دين أو ثقافة أو هوية معينة، وإنما هو ظاهرة شاملة وعامة نتيجة عدد من الاضطرابات السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية التي قد تنتاب مجتمعًا ما. والإرهاب هو عبارة عن «العمليات المادية أو المعنوية التي تحوي نوعًا من القهر للآخرين، بهدف تحقيق غاية معينة». (عبد الحي الفرماوى، ١٩٩٩: ١٦)، كما يشير مفهوم الإرهاب إلى «الآلية التي يلجأ إليها بعض الأفراد والجماعات، والحركات الثورية للتعبير عن رفضها لبعض السلوكيات من قبل الحكومة، أو كآلية لفك الحصار الذي تضربه حولها بعض الحكومات التي تحتكر العنف القانوني». (أحمد يوسف التل، ١٩٩٨: ١٥). ويمكن تعريف الإرهاب إجرائيًا بأنه «هو كل ما من شأنه أن يثير الفزع، والرعب، الخوف، والاضطراب بين أفراد المجتمع ويؤثر سلبًا على استقرار، وأمان، وتنمية المجتمع وتطوره أيًا كانت الوسيلة المستخدمة، والهدف من ورائه، وأيًا كان الدافع والسبب الحقيقي في حدوثه..»

خامسًا: الإجراءات المنهجية للدراسة

تُعد الدراسة الراهنة من الدراسات التحليلية الوصفية القائمة على تحليل مضمون بعض الأدبيات والدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة من خلال الاعتماد على أداة تحليل المضمون لاستقراء، واستنباط التعريفات المختلفة لكل من العنف والإرهاب وعلاقتهما بإدارة الأزمات في إطار تحديد وتوضيح الأسباب والدوافع الأساسية وراء حدوثهما كأزمات تهدد استقرار وتطور المجتمع، وإبراز مدى أهمية إدارة الأزمات كعلم وكآلية حيوية وفعالة لمواجهة كل ما يمكنه خراب، وهدم المجتمع.

المحور الأول: ماهية وأهمية إدارة الأزمات في الحد من المشكلات الاجتماعية

تشهد كافة المجتمعات ظاهرة الأزمة، وحدوث عددًا لا حصر له من المشكلات الاجتماعية والتي تختلف باختلاف الظروف والأسباب. فالمجتمعات المتقدمة مثلها مثل المجتمعات النامية تواجه عددًا من الأزمات، ولكن الأمر يتوقف على نوعية هذه الأزمات ومستوياتها، وكيفية مواجهة القيادات الإدارية في المجتمع والدولة لتلك الأزمات لدرء أو التخفيف من أثارها السلبية، ومن ثم أدى انتشار وجود الأزمات، وتعددها إلى الاتجاه نحو الاهتمام بوضع أسس ومبادئ لإدارة الأزمات حتى أصبحت اتجاهًا متميزًا في العديد من العلوم الإدارية والاجتماعية، حيث تزايد إدراك موضوع «إدارة الأزمات» كرؤية تحمل في طياتها ملامح التفاعل والتكامل مع متطلبات الحياة المعاصرة بما فيها متطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي تسعى لها كافة الدول والمجتمعات.

ومن منطلق العلاقة والعملية المتبادلة من حيث التأثير بين الأزمة والمجتمع، حيث التناقض بين المصالح المتعارضة بين قوى صنع الأزمة وبين القوى المعارضة والمضادة لها، وبين النتائج والإفرازات التي أفرزتها الأزمة في مراحل نموها وتصاعدها واحتدامها، وأيًا ما كان، فإن حدوث الأزمة ليس في حد ذاته سوى مؤشر يوضح أن ثمة خللاً ما قد حدث للمجتمع، يتطلب ضرورة إعادة التوازن له بشتى الطرق والآليات الممكنة. ففي الآونة الأخيرة من القرن العشرين تعرضت العديد من الدول وبخاصة دول العالم الثالث عامة للعديد من الأزمات والتي أثرت تأثيرًا كبيرًا على اقتصاديات الدول وعلى النظرة لمدى قوة المجتمع على المواجهة والتخطيط وحسن الإدارة، وعلى الحالة النفسية للشعوب تجاه حكوماتها حتى أصبح هناك يقين بأن الأزمات جزءًا لا يتجزأ من عالمنا المعاصر. ومع ذلك مازال لا يتوافر لدى العديد من المؤسسات الاجتماعية والمنظمات المختلفة خطط لمواجهة الأزمات، وربما وجد لدى البعض خطط أو برامج، ولكنها غير كافية وليست بقادرة على إدارة العديد من الأزمات سواء كان ذلك على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو العسكري... إلخ. (محمد هيكل، ٢٠٠٦: ١٥)

ومن ثم اختلفت المجتمعات في أنماطها وفقًا لأسلوب كلاً منها في إدارة ومواجهة الأزمات؛ حيث أشارت الأدبيات المختلفة إلى وجود نمط من الدول تستطيع استدعاء قدراتها السياسية والاقتصادية والفنية إزاء أزمة ما والتعامل معها وإدارتها إدارة رشيدة، وهو النمط الأكثر قدرة على مواجهة القلق والضغوط الناشئة عن الأزمات، كما أنه من أكثر الأنماط فاعلية في اتخاذ القرار بحزم في مواجهة الأحداث وتحمل المسؤولية أمام المجتمع؛ بينما هناك نمط آخر لا يستطيع أو عاجز عن استدعاء هذه القدرات، إما لعدم امتلاكه لكافة الإمكانات التي يمكن في ضوئها إدارة ومواجهة أزمة ما، وإما لعدم القدرة على توظيف تلك القدرات والإمكانات للتوظيف الرشيد الذي يمكنّه من أن يكون أكثر قدرة على المواجهة وتحمل المسؤولية وتخطي العقبات والمواقف الأزموية المحتملة. وفي هذا الإطار جاءت الحاجة إلى وجود إدارة للأزمات، وخاصة الإدارة الرشيدة للأزمات كآلية من الآليات التي تضمن الحفاظ على المصالح الحيوية للدولة أو المؤسسة أو الجماعة وحمايتها، وذلك لما تنطوي عليه إدارة الأزمة من أهمية تتمثل في الآتي:

- الأثر السلبي الكبير الذي تحدثه الأزمات على اقتصاديات الدول والأفراد، حيث تزيد حدة الأثر سوءًا إذا لم تكن هناك إدارة رشيدة لمواجهة الأزمات مواجهة سريعة.

- يدعو غموض الموقف الأزموي لحالة من الارتباك وعدم الاستقرار والعجز وعدم القدرة على المواجهة لفترة من الزمن. ولا شك في أن وجود إدارة للأزمات يزيد من كفاءة المواجهة، ويقلل من هذه الفترة الزمنية ويعيد الاتزان السريع، بل ويمكنَّها من منع حدوثها.
- وجود إدارة للأزمات تهيىء الجو النفسي والتعليمي لمواجهة، حالات الشائعات والقلق واللامبالاة والتخريب وبعض السلوكيات الرافضة.
- وجود إدارة للأزمات يساهم في انتهاج الأسلوب العلمي في المواجهة وتحديد مناطق الاستفادة من التجارب الأزموية السابقة، مما يرشَّد من أساليب المواجهة المستقبلية.
- لقد أصبح للأزمة خطورتها على المستوى البشري من حيث: تأثيراتها السلبية على الفرد، والأسرة، والإدارة، والدولة، والعالم. كما أصبح لها خطورة في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... إلخ.
- كما تعمل إدارة الأزمات على عدم حدوث الأزمات بإزالة مسبباتها أو التقليل من حدة آثارها بإعداد التدابير اللازمة، وباستخدام التقنيات والاحتياطات وتصميم النمط التنظيمي الفعَّال لمواجهة الأزمة عند حدوثها وتقليل آثارها، والعمل على إعادة التوازن والنشاط للمنظمة بعد انتهاء الأزمة، ويمكن استعراض مسببات الأزمات المختلفة، وطبيعة الأزمات التي قد تحدثها في الشكل التوضيحي التالي والذي يعد خلاصة تحليل واستقراء عدد من الدراسات والأدبيات المختلفة:

«شكل توضيحي لمسببات وأنواع الأزمات»

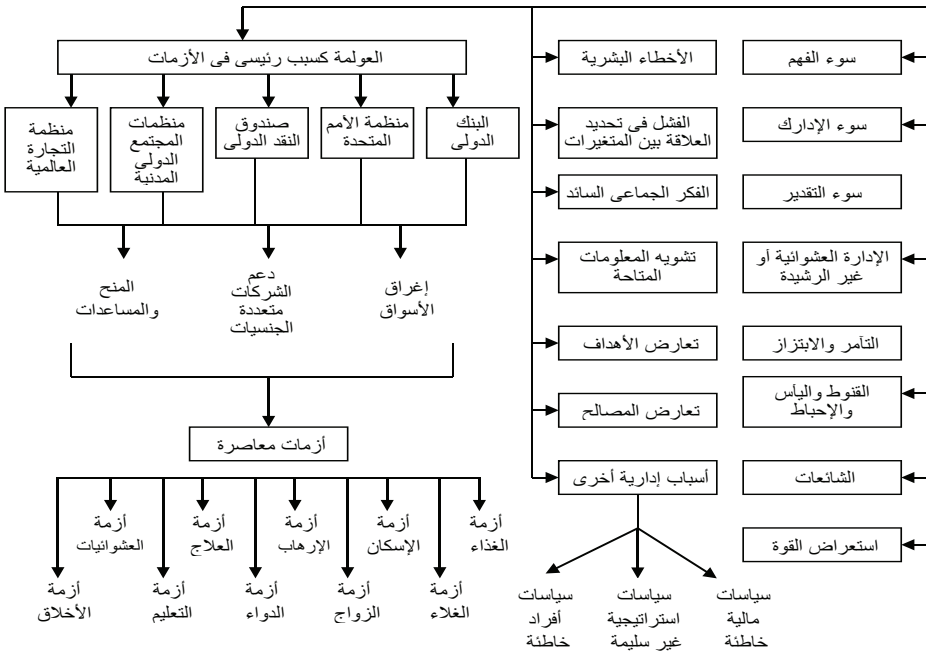

وفي إطار ما سبق نجد أن ظاهرة الإرهاب تصنف كإحدى الأزمات المعاصرة التي تسبب في حدوثها عدد من التغيرات الاجتماعية الاقتصادية، نتيجة لعدم تهيئة المجتمع لها بالطريقة التي تدعم استقراره وتطوره ومن ثم حماية أفراده وجماعاته.

هذا كما يتضح أن «العولمة» تعد من الأسباب الأساسية في ظهور العديد من المشكلات المتنوعة والأزمات، إذ إن العولمة بمضامينها وآلياتها المختلفة قد أدت إلى بروز ظواهر تهميش واستبعاد لطبقات اجتماعية عريضة في داخل المجتمعات المتقدمة

ذاتها، وكذلك المجتمعات النامية وما شهدته تلك المجتمعات من انهيار للتماسك الاجتماعي داخلها بفعل الفجوة بين الأغنياء والفقراء كنتيجة للتهميش الاجتماعي للطبقات الفقيرة في المجتمع، نظرًا لعدم امتلاكها للإمكانيات والقدرات والمقومات التي تمكنها من التفاعل مع الواقع المجتمعي الحديث والعالمي والاندماج معه، ومن ثم تحولت العديد من الدول النامية إلى كيانات مهمشة فهي موجودة بالفعل لكنها لا تستطيع التفاعل والتأثير في فضاء العولمة، مما خلق حالة من عدم الاستقرار الاقتصادي الاجتماعي والسياسي كذلك وأدى إلى تعزيز حالة الإحباط والعزلة في المجتمع والتي كانت بدورها مصدر للعديد من الأزمات المختلفة، ومن أهمها انتشار العنف والإرهاب. (سعيد اللاوندي، ٢٠٠٢: ٢٥). إضافة إلى عدة أنواع للأزمات قد أوضحتها الأبحاث والدراسات العلمية والباحثين الذين اهتموا بدراسة الأزمات وكيفية إدارتها من منطلق ما تقوم عليه إدارة الأزمات من أهداف يمكن توضيحها فيما يلي:

- توفير القدرة العلمية على استقراء مصادر التهديد والتنبؤ بالأخطاء.
- تحديد دور الأجهزة المعنية بتنظيم وإدارة الأزمة ووقت الأمان ووقت الأزمة والفعل على عدم تكرارها.
- توفير الإمكانات المادية للاستعداد والمواجهة وسرعة إعادة التعمير بأقل كلفة وفي أي مجال من مجالات حدوث الأزمة.
- الاستعداد لمواجهة الأزمة من خلال التنبؤ بالمشكلات، وتمكين الإدارة من السيطرة على الموقف، والمحافظة على ثقة كافة الأطراف المعنية، وتوفير نظم الاتصال الفعال.
- التعامل الفوري مع الأحداث لوقف تصاعدها وتجميعها من خلال تحليل الموقف ورسم السيناريوهات، وتحليل نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات الناتجة عن أي حدث.
- حماية ووقاية المؤسسة (الدولة على سبيل المثال) والارتقاء بأدائها والمحافظة على سلامة المشتغلين بها ومعالجة أي خلل أو خطر أو قصور قد يصيب أحد قطاعاتها.
- معالجة الأسباب التي قد تكون من شأنها إحداث بوادر أزمة مستقبلية، بقصد أن تحتفظ المؤسسة بحيويتها واستقرارها واستمرارها من منطلق أن إدارة الأزمات تعتبر إدارة علمية رشيدة تبنى على العلم والمعرفة وهذا ما ينبغي تطبيقه في كافة الدول التي تعاني من أزمات، وكذلك التي تسعى بشتى الطرق إلى مناهضة الأزمات وحماية كافة قطاعاتها منها اعترافًا منا بحتمية الأزمة، مما يتطلب أن تكون أكثر حضورًا في وعينا وفكرنا وإرادتنا حتى نؤثر في مجرياتها ونحد من مخاطرها. وهو ما يمكنه توضيح مدى أهمية إدارة الأزمات للحد من المشكلات التي تصبح سببًا في تفجر العنف والإرهاب. (Smith, Denis, 2006)، وعليه فكل ما سبق يوضح أن «إدارة الأزمات» هي علم وفن يهدف إلى التنبؤ بالمشكلات والأزمات قبل حدوثها لاستحضار قوى وإمكانات المجتمع المختلفة للإحالة دون حدوثها من منطلق أن الأزمة تولد أزمات، وتصبح بدورها منبع للعنف والإرهاب وفقًا وطبيعة تلك الأزمات. وهو ما أكدته الأدبيات والدراسات كدراسة "Nourse, A. Kevin, 2009"، والتي أوضحت أن الدعم الاجتماعي، ورعاية أفراد المجتمع، والتركيز على منهج إدارة الأزمات يعد من الآليات الرئيسية لمواجهة العنف والمشكلات التي من شأنها إحداثه.

المحور الثاني: العوامل الأساسية المسببة للعنف والإرهاب

انطلاقًا من تعريف «العنف» الذي تؤكد العديد من الأدبيات والدراسات أنه أحد وجوه التخويف، والإرهاب كما أنه من صنائع المجتمع، فهو يرتبط بالأسرة التي تنشئ أبناءها على العدوانية، والتسلط، والقمع خاصة إذا كان هناك ثقافة ذكورية تؤكد عليها الأسرة، مما يؤدي إلى عدم المساواة الاجتماعية فيما بين الذكور والإناث بين أفرادها. كما يرتبط بالسلطة التي لا تحترم المواطنة ولا تسعى لتنميتها وتعزيز الانتماء والولاء للوطن بين أفراد المجتمع، ولا تقوم بتوزيع الحقوق والواجبات بصورة عادلة ومتوازنة إضافة إلى المدرسة «المؤسسة التعليمية» التي لا تنمي الأخلاقيات الإيجابية البناءة ولا تعزز الحرية والاستقلالية والتفكير المتجدد الذي يواكب طبيعة العصر والمرحلة الزمنية التي يشهدها المجتمع، ولا تزرع روح النقد، وقبول الآخر، والتفاهم والحوار والتسامح والإبداع. كل هذه عوامل أساسية تؤدي دورًا كبيرًا في وجود العنف. وقد وضعت العديد من النظريات العلمية التي تعالج إشكالية العنف وصولاً إلى الطرق الفعالة لمكافحة الإرهاب، فقد وجد أن مشكلة العنف ذات جوانب نفسية، واجتماعية، واقتصادية وسياسية كذلك وهو ما أوضحته «نظريات العقد الاجتماعي» كما يراها «توماس هوبز» الذي تأثر بنظرية المنفعة، وهي نظرية تبريرية توضح الآليات التي تبرر استخدام البعض للعنف والإرهاب (Pitirm A.Sorokin,1928) هذا إضافة إلى ما عبر عنه «تشارلز مونتسكيو» حينما أدخل فكرة اجتماعية القوانين إلى العلوم الاجتماعية في كتابه «روح القوانين»، والذي رأى فيه أن القوانين في وجودها بالمجتمع وامتثال واحترام أفراد المجتمع لها تعد الآلية الفعالة لتنظيمه وتوزيع الحقوق والواجبات على أفراده، ومكافحة كل ما من شأنه توليد العنف والإرهاب. (جان جاك روسو، ١٩٧٣: ٣٥-٤٠)، ومما سبق يمكن التأكيد على عدة عوامل تؤدي لا محالة إلى خلق وانتشار العنف بالمجتمع، ويمكن حصرها كما أقرتها بعض الأدبيات والدراسات والتي أوضحت أن أسباب العنف قد اختلفت وفقًا وطبيعة النظريات المفسرة لها ووفقًا وطبيعة تخصص الباحثين والكتّاب كالتالي:

- **النظريات النفسية:** وترى أن العنف يمكن إرجاعه إلى عامل الإدراك بالإضافة إلى كونه يعد ظاهرة يمكن تقييمها وتحديد مدى تأثيرها، فقد وجد علماء النفس اختلافًا كبيرًا حول ما إذا كان البشر يدركون أن بعض الأفعال الجسدية التي قد تصدر عنهم أحيانًا توصف بأعمال العنف.
- **النظريات البيولوجية:** فقد اهتموا بكون صورة العنف إما بدنيًا، وإما سلوكيًا، وما إذا كان العنف غريزيًا متأصلاً في النفس البشرية، وموجودًا لدى جميع الأفراد أم لا.
- **النظريات الاجتماعية:** وتؤكد على أن العنف يعد نتاجًا لظروف اجتماعية اقتصادية تتمثل في مستويات معيشية متدنية، وانتشار للبطالة وعدم توافر فرص العمل المناسبة، وسوء الحالة التعليمية، والصحية، وانتشار الفقر وغيرها من المشكلات والأزمات التي تفرز الإساءة والإيذاء فيما بين أفراد المجتمع، وبالتالي ظهور العنف والإرهاب. (أحمد زايد، سمية نصر، ١٩٩٦: ٢-٣)، كما أن الجدل والاختلاف في الرأي وعدم احترام وجهة نظر الآخرين وغياب الديمقراطية، وعدم شغل أوقات الفراغ بما يفيد الفرد والمجتمع يعد من أهم أسباب ودوافع معاناة المجتمع من العنف والإرهاب (Gilligen, James, 2008). وهناك نظريات اجتماعية متباينة تفسر وتحدد أسباب العنف والإرهاب بالمجتمع، كنظرية «التفاعلية الرمزية» التي تفسر العنف الأسري القائم على سوء السلوكيات، والتواصل الاجتماعي السلبي وغير الفعال أو ما يسمى بمظاهر الاتصال الرمزي السلبي فيما بين أعضاء الأسرة، فكلما زادت قيم الفردية، والأنانية، والذاتية كلما قل التفاعل الأسري الإيجابي وهو ما يتسبب في وجود العنف

الأسري، وبدوره يعمل على إمداد المجتمع بأعضاء لديهم القدرة على ممارسة العنف وارتكابه مجتمعيًا. (سامية الخشاب، ١٩٩٣: ٥٤-٥٦).

كما أن هناك نظرية «الفقر والحرمان من القوة»، والتي توضح أن العنف ومن ثم الإرهاب يعد أحد أشكال التجريد من القوة وهو ما يمكن التعبير عنه بالعجز عن امتلاك القوة بشكل يعمل على عدم التوازن المجتمعي بين فئات المجتمع، ومن ثم جعل السياقات أو الفئات الفقيرة هي سياقات التوتر، والبيئة الخصبة لخلق العنف والجريمة. وتشير تلك النظرية إلى عدة أبعاد يمكن أن توضح أسباب العنف والإرهاب وتتمثل في التالي:

- **البعد الاجتماعي الاقتصادي:** ويوضح النقص النسبي للفقراء من الموارد اللازمة لنفقات المعيشة وتوفير حياة كريمة لهم، مما يجعل هناك عجز في إشباع احتياجاتهم وهو ما يدفعهم للعنف والإرهاب.
- **البعد السياسي:** وهو ما يوضح تهميش الفقراء نتيجة لعدم وجود جدول أعمال سياسي واضح وشامل لفئات المجتمع كافة يمثل آراءهم، ويشركهم فيما يحدث بالمجتمع وهو ما ينعكس على الأسرة وأفراد المجتمع بممارسة الوجود والسلطة من خلال ممارسة العنف وبأشكال مختلفة تجاه الأبناء، أو تجاه أفراد آخرون.
- **البعد النفسي:** يعبر عن الشعور الداخلي للفقراء بعدم رعايتهم من قبل السلطة والقائمين على المجتمع، والنظرة الدونية لهم وهو ما يسيء علاقتهم بالمجتمع نتيجة الإحباط النفسي، وهو ما يؤدي بدوره إلى تفريغ ذلك من خلال القنوات غير الشرعية ومنها السلوكيات العدوانية وممارسة أشكال من العنف والإرهاب. (علي إسماعيل، ٢٠١٦)
- **البعد الإعلامي:** يشير إلى ظاهرة الإنفاق البذخي، والعادات الاستهلاكية السيئة والذي يؤثر بدوره سلبًا على اقتصاديات الأفراد وانحراف عملية التنمية الاقتصادية ومن ثم الاجتماعية وحدوث اختلالات أمنية، كما أن الإعلام والإعلان في ظل العولمة قد حوّل حاجات الأفراد الثانوية إلى حاجات أساسية مما يثقل على كاهل الأسر في تلبية الحاجات حيث تطلع الأبناء للحصول عليها وانبهارهم بالإعلان الغربي عنها، وهو ما يؤدي إلى السلوك العنيف من قبل الآباء ضد الأبناء والعكس، وكذلك من قبل أفراد الأسرة ضد المجتمع. (علي إسماعيل، ٢٠٠٥: ٨١-٨٥)

وتفسر نظرية «ثقافة العنف» ظاهرة العنف من خلال ما تفترضه من أن وجود ثقافة العنف تجسد اتجاهات المجتمع نحو العنف مثل تمجيد العنف في الروايات والأفلام وفي وسائل الإعلام المختلفة، والتأكيد على الأفكار التي تنشر العنف وبأشكال متباينة مثل «الغاية تبرر الوسيلة»، وهو ما يفضي في النهاية إلى وجود ثقافات تمجد العنف وتبرر نماذجه بالمجتمع، ويصبح كجزء من حياة البعض يمارسونه ضد الآخرين نتيجة العدوان عليهم. (الجوهري وآخرون، ١٩٩٥: ٨١-٨٥). وفي إطار ما سبق يمكن استنباط عدد من الأسباب والدوافع الأساسية للعنف وكذلك الإرهاب مع الأخذ في الاعتبار لبعض من العوامل التي لا يمكن إهمالها عند توضيح ذلك ومنها:

- يجب التمييز بين الأسباب المباشرة والموقفية التي تفجر وتخلق أعمال العنف بالمجتمع، وكذلك العوامل غير المباشرة أو الكامنة التي تقف وراءها، حيث تمثل الأسباب المباشرة المناسبات والشرارات ولكنها ليست الأسباب البنائية الكامنة والتي تخلق العنف، فقيام الحكومة برفع الأسعار للسلع الغذائية أو التموينية على سبيل المثال لا يعد بمثابة السبب الحقيقي وراء العنف (حسنين توفيق، ١٩٩٢: ٧٥-٧٦)، وإنما يرتبط العنف بوجود أزمة تنموية لم تدارَ من قبل الحكومة كأزمة عجز ميزان المدفوعات، والتضخم، والديون، والبطالة وهو ما يوضح بدوره مدى أهمية التنبؤ بالأزمات وبصورة قبلية والعمل على إدارتها بشتى الطرق والاستراتيجيات.
- إن العنف ظاهرة مركبة متعددة التغييرات، ولا يمكن تفسيرها بمتغير أو عامل واحد، إذ إنّ هناك عدة عوامل تتفاعل معًا وتترابط سلبًا أو إيجابًا لخلق ظاهرة ما كالعنف والإرهاب.

- تختلف العوامل المسببة والمولدة لأي ظاهرة اجتماعية ومن ثم ظاهرة العنف والإرهاب من مجتمع لآخر ومن بيئة لأخرى وفقًا لطبيعة الظروف والعوامل الاجتماعية الاقتصادية السياسية والثقافية لهذا المجتمع، وتلك البيئة، فالبيئة تفرض ضرورتها على الناس وتسهم وبشكل قوي في تشكيل طباعهم.
- تختلف درجة انتشار العنف، وأشكاله وفقًا لطبيعة درجة ومستوى التنمية الشاملة للمجتمع، حيث تعد الإخفاقات التنموية وبمجالات شتى كالمجال التربوي، والاقتصادي، والاجتماعي لأي مجتمع من العوامل الأساسية لوجود العنف والإرهاب وغيرها من الآليات المجتمعية التي تستخدم لدى البعض للتكيف مع المجتمع الذي يعيشون به.

سادسًا: أسباب ودوافع العنف والإرهاب

ثمة مجموعة من العوامل المتداخلة والمتشابكة المسببة للعنف والإرهاب، منها مايلي:

١- فشل العديد من الأنظمة في إشباع الحاجات الأساسية لقطاعات كبيرة من المجتمع، مما يؤدي لوجود خلل اجتماعي نتيجة للنقص في مصادر التنمية من سلع وموارد وخدمات مادية أي القيم، والحاجات موضع النزاع بين البشر، إضافة إلى عدم العدالة في توزيع الثروة بين مختلف طبقات المجتمع مما يزيد من الفجوة بين فئاته، نظرًا لعدم كفاءة السياسات التوزيعية وانحيازها لصالح فئات دون أخرى.

٢- هناك أسباب ذاتية ترجع إلى شخصية القائم بالعنف نتيجة خلل في شخصيته بفعل عدد من الاضطرابات النفسية والاجتماعية التي يكون قد تعرض لها، أو أن يكون لديه مرض عقلي (محمد علي، ١٩٨١).

٣- الظروف الأسرية الناتجة عن تدني الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، مما يؤدي إلى المعاناة من الفقر، والبطالة، وسوء الأحوال المعيشية، إضافة إلى تدني المستوى التعليمي والثقافي لأفراد الأسرة، وضعف الوازع الديني، وعدم الاستقرار الفكري وهو ما ينمي فكرة التطرف وممارسة العنف والإرهاب.

٤- عدم إدارة أوقات الفراغ لدى الشباب على وجه الخصوص وحمايتهم فكريًا، واستخدام الإنترنت والإعلام الإلكتروني دون وعي أو توجيه لما يفيد المجتمع ويدعم القيم الإيجابية كالمسؤولية الاجتماعية المرتبطة بدورها بتنمية وتعزيز المواطنة والانتماء لدى أفراد المجتمع، ومن ثم تعزيز الأمن الوطني مما يحول دون وجود العنف والإرهاب.

٥- تدني مستوى المشاركة السياسية، وخاصة بين الشباب خاصة ما يتعلق باتخاذ القرارات ذات الصلة المباشرة بحياة المواطن، حيث نجد أن شباب اليوم وفي العديد من المجتمعات وخاصة بالدول النامية لا يمارسون المشاركة السياسية بصورة كبيرة وواعية تجعلهم على علاقة قوية واتصال بمتخذي القرار لتمثيلهم في شتى المناحي والتعبير عن آرائهم ورغباتهم كآلية فعالة تحول دون ممارسة العنف والإرهاب، أي دعم الثقة فيما بين القاعدة الشعبية، وبين السلطة ومتخذي القرارات بالمجتمع، والتعود على الاتفاق والاختلاف في الرأي، والديمقراطية في الحوار وهي من أهم القضايا التي تدعم الاتفاق والتماسك بين أفراد المجتمع.

٦- الفراغ الفكري، والفهم الخاطئ للدين ومبادئه، وأحكامه والإحباط الذي قد يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم، حيث يعطي الفراغ الفكري والديني الفرصة للجماعات المتطرفة لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتنقونها، هذا إضافة إلى غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة، ومناقشة الجوانب التي قد تؤدي إلى التطرف في الرأي مما يرسخ الفكر المتطرف وظهور العنف والإرهاب (أحمد أبو الروس، ٢٠٠١: ٢١-٢٤).

أصبحت الأزمات جزءًا لا يتجزأ من نسيج الحياة المعاصرة، بل إن وقوع الأزمات في أرجاء العالم أصبح من حقائق الحياة اليومية وذلك بفعل مجموعة من التغيرات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية التي تمر بها العديد من الدول؛ وعلى الرغم من أن حدوث الأزمات تمتد إلى العصور القديمة إلا أن وعي متخذي القرارات بأهمية إدارتها لم يظهر إلا في السنوات الأخيرة، نظرًا لتسارع الأزمات وتنوعها وتلاشي صدور البعد الزماني والمكاني بين مواقع الأحداث وبين متابعيها. هذا وتتعامل إدارة الأزمات مع الأزمة قبل حدوثها فهي تتضمن اكتشاف إشارات الإنذار المبكر التي تنبئ بقرب حدوث الأزمة وتوصل تلك الإشارات للتخطيط والإعداد لمواجهة الأزمة والتعامل معها حين حدوثها، إذ تُعد هذه المرحلة من أهم مراحل إدارة الأزمة، كما تتضمن إدارة الأزمات الأنشطة اللاحقة على حدوث الأزمة ومواجهتها والتخطيط لاستعادة النشاط والتعلم واستخلاص الدروس المستفادة، ومن هذا المنطلق تتضح أهمية تبني المنهج العلمي المنظم والمتكامل لإدارة الأزمات.

وتعد الأزمات الإرهابية من الأزمات التي يعاني منها المجتمع، وهي كأي نوع من الأزمات تحتاج إلى إدارة فعّالة للتنبؤ بها قبل حدوثها وهو ما يعبر عنه في «علم إدارة الأزمات» بالمرحلة الأولى من إدارة الأزمات وهي من أهم المراحل التي تحول دون وجود العديد من الأزمات التي قد تنبثق عن أزمات أخرى كأزمة انعدام الثقة بين السلطة والقاعدة الشعبية من أي مجتمع، وأزمة البطالة، وأزمة الفقر، وأزمات التعليم، وأزمة وقت الفراغ لدى الشباب، وأزمة تدني مستوى الحوار بين أفراد المجتمع وغيرها من الأزمات التي تحتاج إلى العديد من المتطلبات الإدارية، والفنية، والتنسيقية، وكذلك التخطيطية للقائمين على إدارة الأزمات وعلى وجه الخصوص أزمات العنف والإرهاب، وفي إطار ذلك يمكن توضيح أهم الأساليب التي يمكن التنبؤ من خلالها بالأزمات الإرهابية، وهو ما أوضحته بعض الأدبيات وأكدت عليه «جينفر هيرست» بمقر الأمانة العامة للإنتربول الدولي بمدينة ليون بفرنسا حيث أشارت إلى الآتي:

- جمع المعلومات والبيانات عن القائمين بالعمليات الإرهابية من جماعات أو أفراد أو مؤسسات على المستوى المحلي، والإقليمي، والعالمي لتحديد مقوماتها، والآليات التي قد تعتمد عليها في الاعتداء على المجتمع.
- نوع الضحايا وجنسياتهم.
- أساليب الهروب من موقع الحادث.
- الكشف عن الهدف من إرهاب المجتمع وممارسة العدوانية، وزعزعة استقرار وأمان المجتمعات مع تحديد نوع الإرهاب (ديني، سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ثقافي...).
- التعرف على الهيكل التنظيمي للجماعات الإرهابية.
- التعرف على تاريخ ونشأة الجماعة الإرهابية وأسباب تشكيلها. (يوسف ملا جمعة، ٢٠١٠: ٨١-٨٣).

إضافة إلى التنبؤ بالأزمات من خلال التقاط إشارات الإنذار المبكر الذي تطلقه الأزمة قبل وقوعها بالمجتمع والتي يمكن الوعي بها عن طريق عمليات الرصد والمتابعة لأحداث المجتمع ورعاية كل مكوناته هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن التنبؤ بالأزمة من خلال حساب تأثيرها واحتمال وقوعها وهو ما يمكن أن يفيد في الكشف عن العديد من الأزمات الإرهابية وأشدها خطورة. (أشرف طه، ٢٠٠٥: ٤٢١-٤٢٢).

ومن منطلق ما تهدف إليه المجتمعات من أهداف ومزايا مجتمعية على كافة الأصعدة والمستويات، والارتقاء بالحالة العامة للمجتمع وتحقيق التنمية، ومن ثم كان لزامًا على أي من هذه المجتمعات التخلص من المشكلات والأزمات الاجتماعية التي تعوق تحقيق ذلك في الوقت الحالي وفي المستقبل من خلال آليات على قدر من الفاعلية في التعامل مع الأزمات بشكل مستمر ومتطور وذلك وفقًا لمراحل التغير التي قد يمر بها المجتمع. ومن ثم تشمل إدارة التغيير المجتمعي ضرورة إجراء تجديدات تنظيمية وتطويرية في الهياكل التنظيمية والسلوكيات والسياسات حتى الفرص وصولاً إلى الحلول الابتكارية لمواجهة الأزمات والكوارث على مستوى السلوك الفردي والسلوك الجماعي والسلوك التنظيمي والحكومي، فإذا استمرت السلوكيات الإنسانية والتنظيمية الحالية خلال المستقبل فسوف تظل وتستمر الأزمات والكوارث، وعليه فلا بد من دعم السلوكيات الإيجابية التي تهدف إلى التغيير الإيجابي ومحاربة السلوكيات الضارة اجتماعيًا وتحويلها لشكل أفضل يعضد من عملية إدارة التغيير الحالي والمستقبلي لإدارة الأزمات والمشكلات المجتمعية (فريد النجار، ٢٠٠٩: ٤١٣-٤١٧).

هذا كما أن طبيعة التطورات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والثقافية وكذلك الإدارية التي فرضت على المجتمع من قبل العولمة والتي أفرزت طرق وآليات مستحدثة لا يمكن حل الأزمات والتعامل معها، إلا في إطارها، إذ إنّ كافة أزمات المجتمع النامي هي نتاج لتلك التحولات كما أنها نتاج للخلل الإداري والتخطيطي، وضعف التواصل بين مكونات النظام الاجتماعي ككل، إضافة إلى الدور الإيجابي لقنوات الاتصال المباشرة بين مكونات المجتمع ومؤسساته المختلفة وبين القائمين على إدارة الأزمات وحماية المجتمع، وهو ما أكدت عليه العديد من الدراسات كدراسة «ربحي عبد القادر، ٢٠١٠»، دراسة "Xioao, Shuxiao, 2006"، دراسة "Nourse, A. Kevin, 2009"، وهو ما يحول دون استخدام الجماعات الإرهابية الوسائل الإعلامية للدعاية والإعلان عن قدراتهم، وإمكانياتهم، وما يهدفون إليه من إثارة للرأي العام، وغير ذلك من آليات يمكنها دعم ظاهرة العنف والإرهاب بالمجتمع، وهو ما يشير إلى مدى أهمية تطبيق واتباع منهج إدارة الأزمات كجزء لا يتجزأ من استراتيجيات ووسائل دعم وحماية أمن واستقرار المجتمعات، والسعي نحو تفعيل ذلك بشتى الطرق. وفي هذا الصدد وعلى سبيل المثال إنشاء «المجلس القومي لمكافحة الإرهاب» بجمهورية مصر العربية بموجب القرار الجمهوري رقم ٣٥٥ لسنة ٢٠١٧ كإحدى الآليات التي يمكن من خلالها مواجهة وعلاج ظاهرة الإرهاب بالمجتمع المصري، حيث تضمنت مهامه معالجة للعديد من القضايا، والأسباب التي ذكرت سابقًا في الدراسة الراهنة المسؤولة عن وجود وانتشار ظاهرة الإرهاب، كدعم قضايا المواطنة، والانتماء من خلال تطوير التعليم والمناهج الدراسية، تمكين الخطاب الديني الوسطي في إطار الربط بين المؤسسة الدينية والمؤسسة الأمنية، ومواجهة التشدد بكل أشكاله، ومعالجة مشكلة البطالة، والعشوائيات، ودراسة أحكام التشريعات المتعلقة بمواجهة الإرهاب داخليًا وخارجيًا...إلخ. (www.almasryalyoum.com)

ثامنًا: نتائج خلصت إليها الدراسة

- أوضحت الدراسة تأكيد العديد من الدراسات والأدبيات المختلفة على كون الإرهاب صورة من صور العنف، حيث يسعى كلاً منهما إلى استخدام أساليب التخويف والترهيب والشدة، وأحيانًا إثارة الرأي العام نحو عدد من القضايا التي تخدم مصالح القائمين بهما وهي غالبًا ما تكون مصالح ذات طابع سياسي، أو اقتصادي، أو اجتماعي، أو فكري.

- أكدت الدراسة على أن ممارسة أعمال العنف والإرهاب في العديد من المجتمعات هو نتاج لضعف الخطاب والوازع الديني، وتدني مستوى المعيشة، وانتشار الفقر والبطالة والتي تعد بمثابة مبررات للقيام بتلك الأعمال لدى البعض، إضافة إلى أزمة الثقة فيما بين السلطة والمواطنين وعلى وجه الخصوص بالدول النامية وهو ما يؤدي إلى وجود ما يسمى بالعنف والإرهاب السياسي، أي أن هناك علاقة تفاعلية بين الأوضاع المتردية للمجتمع، وبين وجود وانتشار العنف والإرهاب بذلك المجتمع.
- أشارت الدراسة إلى أن البيروقراطية، وانتشار الفساد، وغياب التنسيق بين الوزارات، والمؤسسات بالمجتمع، وخاصة المعنية بإدارة الأزمات وعدم إيجاد حلول عملية فعالة للمشكلات الاجتماعية، والاستهانة بحقوق المواطنين في كثير من دول العالم النامي هي أزمات تحول دون تطور المجتمع من جهة، ومن جهة أخرى فهي مصدر للعنف والإرهاب بتلك الدول.
- أثبتت الدراسة أن عدم وجود إدارة رشيدة حقيقية تنظيمية وفاعلة للأزمات التي تعاني منها بعض المجتمعات يعد من أهم العوامل الأساسية لخلق وانتشار العنف والانحرافات، وكذلك الإرهاب.
- توصلت الدراسة إلى أنه ثمة مقومات أساسية لإدارة الأزمات تفتقدها العديد من الدول والمجتمعات ومنها: إقامة جسور قوية وفعالة بين كافة مكونات المجتمع، والوفرة الاحتياطية الكافية والتي تتضمن الدعم المادي والمعنوي اللازم لسرعة التصدي للأزمات «كالإرهاب»، والاستفادة من القوى البشرية، وإتاحة الفرصة للعمل التطوعي المنظم لدعم المسؤولية الاجتماعية، وتعزيز المواطنة، والانتماء لدى الأفراد كآلية لتعزيز الأمن الوطني، ومعالجة الردة الثقافية والفكرية، والتطرف، ومن ثم التصدي لظاهرة العنف والإرهاب.

تاسعًا: توصيات الدراسة

- إيجاد وتفعيل هيئة قومية لها صلاحيات كبيرة تعمل على المستويات القومية، والإقليمية وتشارك بها الوزارات السيادية، ومنظمات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية والقطاع الخاص، بحيث يعمل هؤلاء جنبًا إلى جنب من أجل إقامة أنظمة إنذار مبكر ضد الأزمات وخاصة تلك التي تهدد استقرار، وأمان المجتمع «كأزمات العنف، والإرهاب».
- العمل على تنمية وعي أفراد المجتمع «المواطنين» وثقافتهم وفق برامج ووسائل متطورة وبإشراف ورعاية الدولة بمؤسساتها المختلفة نحو قضايا، وأزمات المجتمع والكيفية التي يمكن التعامل بها مع هذه الأزمات، ومناهضة كافة أنواع التطرف وبشتى الآليات والاستراتيجيات الممكنة.
- ضرورة الارتقاء بالعملية التعليمية والنهوض بالمقررات الدراسية التي تؤكد على قيم الحوار، والاتصال المجتمعي الفعّال، وإبداء الرأي واحترام الرأي الآخر، والنقد، والتعايش، والتوجه الديمقراطي، إضافة إلى توجيه، وتوظيف وسائل الإعلام نحو التأكيد على ذلك وترسيخ القيم التي من شأنها إعلاء قيم التسامح، والتعاون، والترابط، والمسؤولية الاجتماعية.

مراجع ومصادر الدراسة

- أحمد أبو الروس، الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ص٢١-٢٤.
- أشرف طه إبراهيم، تطبيقات بحوث العمليات في التنبؤ بالأزمات الأمنية، مجلة كلية الدراسات العليا، أكاديمية مبارك للأمن، القاهرة، العدد ١٢، ٢٠٠٥، ص٤٢١.
- أحمد يوسف التل، الإرهاب في العالمين العربي والغربي، عمان – الأردن، ط١، ١٩٩٨.
- أحمد زايد، سمية نصر، فرضيات حول العنف في الحياة اليومية في المجتمع المصري، المجلة الجنائية القومية، المجلد التاسع والثلاثون، العدد الثاني، القاهرة، يوليو١٩٩٦، ص٢.
- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢، ص ٣٧٦.
- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة ذرقان قرقرط، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٦٣، ص٣٥.
- حنا عيسى، الإرهاب (تاريخه، أنواعه، أسبابه)، المركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام، الأردن، ٢٠١٤ من خلال: http://www.abouna.org
- حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، ١٩٩٢.
- رشدي العماري، إدارة الأزمات في عالم متغير، مركز الأهرامات للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣.
- ربحي عبد القادر الجديلي، واقع استخدام أساليب إدارة الأزمات في المستشفيات الحكومية الكبرى في قطاع غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، إدارة الأعمال، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٦.
- سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣، ص٥٤-٥٥.
- سهير عادل العطار، المدخل الاجتماعي لدراسة الأزمات بين التصورات النظرية والتطبيقات العملية، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٥.
- سعيد اللاوندي: بدائل العولمة «إطروحات جديدة لتجميل وجه العولمة القبيح»، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢.
- عبد الحي الفرماوي، الإرهاب بين الفرض والرفض في ميزان الإسلام، دار البشير، طنطا، ط١، ١٩٩٩، ص١٦.
- علي إسماعيل مجاهد: تحليل ظاهرة العنف وأثره على المجتمع، مركز الإعلام الأمني، الأكاديمية الملكية للشرطة، غير مبين سنة النشر.
- علي إسماعيل مجاهد، التنبؤ العلمي كأساس للتخطيط الأمني، دار الإسراء، القاهرة، ٢٠٠٥.
- عبدالهادي الجوهري: معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩.
- فريد النجار: إدارة الأزمات والكوارث في القرن ٢١ «المقارنات –الاستراتيجيات– السلوكيات»، الدار الجامعية، ٢٠٠٩.
- محمد هيكل: مهارات إدارة الأزمات والكوارث والمواقف الصعبة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.
- محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩.
- محمد علي محمد، علم الاجتماع ومشكلات وقت الفراغ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨١.
- محمد الجوهري وآخرون، المشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٥.
- ولاء البحيري: إدارة الأزمات، سلسلة مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، سلسلة شهرية، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، العدد (٣٨)، السنة الثالثة، ٢٠٠٨.
- يوسف ملا جمعة، الإرهاب، ٢٠١٠، من خلال: www.investintech.com
- Pitirm A.Sorokin. contemporary sociological theories, New York: Harper, 1928.
- Gilligan, James,Violence: our deadly epidemic and its causes. putnam adult., London, 2008.
- Norman Phelps: “Setting UPA Crisis Recovery Plan”, Journal of Business Strategy, Vol. 6. No. 4, 1986.
- Kevin, A.Nourse: managers who thrive: The use of workplace social support by middle managers during Hurricane Katrina, Fielding Graduate University, Pro Quest, UMI Dissertations, Publishing, 2009.
- Xio, Shuxio, research on the relationship between the media and government about crisis management of China, Huazhong (Peoples Republic of China), Pro Quest,UMI Dissertations, Publishing, 2006.
- http//: www.almasryalyoum.com/news/details/1168164.

دراسة بعنوان

التوظيف الفكري لسنن القرآن التاريخية في مواجهة الإرهاب وتداعياته

أ.د. حميد سراج جابر

أستاذ الفكر الإسلامي، جامعة البصرة/العراق

hameedsurag@yahoo. com

الملخص

يدرس البحث مشكلة مهمة تتعلق بكيفية مواجهة الإرهاب وتداعياته، ولكن وفق المنطق القرآني، فقد اتخذت الدراسة من السنن التاريخية في القرآن الكريم المحور الأساس في حل هذه المشكلة من خلال بيان التوظيف الفكري لهذه السنن في مواجهة الإرهاب وتداعياته. والسنن التاريخية هي قواعد وقوانين ذكرها القرآن الكريم، وأفصح عن اشتراكها مع القوانين العلمية في الطابع العلمي ونقصد الحتمية في الحدوث، ولها فلسفة وأهداف كانت وراء ذكرها. وقد بنيت هيكلية ومنهج البحث على أساس دراسة مفهوم السنّة وثباتها وحتميتها في المبحث الأول ثم دراسة المحددات والمحفزات القرآنية لجريان السنن وتوظيفها في المواجهة الفكرية في المبحث الثاني، ثم بعد ذلك دراسة التوظيف التعبوي للسنن في مواجهة الإرهاب في المبحث الثالث.

Abstract

The study examines the important problem of how to confront terrorism and its consequences. but according to the Quranic logic. the study of the historical Sunan in the Holy Quran is the main focus in solving this problem through the statement of the intellectual recruitment of these years in the face of terrorism and its consequences. The historical Sunn are rules and laws mentioned by the Holy Quran. and expressed their participation with scientific laws in the scientific nature and we mean the inevitability of the occurrence. and has a philosophy and goals were behind the mention. The structure and methodology of the research were based on the study of the concept of the year. its stability and its determinism in the first subject. and then the study of the Qur›anic determinants and stimuli of Al-Sunan›s run and its use in the intellectual confrontation in the second subject. and then studying the tactical recruitment of the Sunnis in the face of terrorism in the third topic.

إن السنن التاريخية هي قواعد وقوانين ذكرها القرآن الكريم، وأفصح عن اشتراكها مع القوانين العلمية في الطابع العلمي ونقصد الحتمية في الحدوث، وهذه السنن لها فلسفة وأهداف كانت وراء ذكرها في القرآن الكريم فقد وظفّت بما يخدم المستقبل فهي قواعد ثابتة تتكرر في حدوثها مما يعني إمكانية تجنب الجانب المظلم ورسم الصورة المشرقة للمستقبل فهي قوانين موضوعية كونية لا يمكن تحديها، لأن النتيجة معروفة وهي الاصطدام بالقانون الحتمي ولو بعد حين، ومن هنا فإن مخالفة هذه السنن التاريخية كما هو الحال في موضوع الإرهاب يشير إلى نتيجة حتمية بسقوطه وبتدخل الإنسان بالاعتماد على هذه السنن، إذ إن توظيفها هو الكفيل بقراءة السبب والمسبب ومن ثم الكيفية في تشخيص الأخطار ووضع العلاجات المناسبة لدرئها.

ولا يعني هذا المنطق اختزال كل السنن الأخرى بالسنن التاريخية بل إن لكل منها مجراها ومقامها فمن الأحداث ما يحكمها سنن فيزياوية ومنها فسلجية وهكذا، أما مسار الأحداث الذي يختص بالإنسان ودوره فتحكمه السنن التاريخية فالظالم مثلاً تحكمه سنة الاستبدال القرآنية، وتوظيف القرآن الكريم لسنة الاستبدال هنا، هو أمل وحافز ودافع وتعبئة للجماهير في التصدي للإرهاب وتداعياته وهو كتلة من التوجيه المعنوي للمواجهة بأشكالها كافة، كما أنها مقدمة لإصلاح النفس والتوحد في مواجهة الخطر المشترك فذلك التوظيف هو الذي يمثل فلسفة السنن التاريخية أو يمثل هدف القرآن من طرحها بهذا الشكل.

وينبغي أن نعرف أن السنن التاريخية التي وردت في القرآن الكريم لم تتحدد باتجاه واحد بل تنوعت مما يعني تنوع توظيفها الفكري في التصدي للإرهاب وتداعياته، فمنها السنن المقيدة بمحددات والتي لا تتحقق إلاّ بضابطة، فالسعي للإصلاح من الذات وما يتعلق بها، هو شرط تغيير المحيط، ومن هنا فالإرهاب وتداعياته إنما بني على جملة من نقاط الضعف أبرزها ذلك التقصير والنكوص عند الإنسان والذي يحتاج إلى عمل لتغييره ومن ثم تغيير الواقع.

ومن السنن ما يمثل اتجاه علمي حتمي يرتكز في حكمه على مسارات علمية لا يمكن الخروج عنها وهي متحققة كقوانين الجاذبية وغيرها، وهنا تدخل السنن الموضوعية العامة التي تسمى الاتجاه الطبيعي التكويني والذي لا يمكن مخالفته وتحديه ومستقبل هذا التحدي هو السقوط، وهو ما ينطبق على الإرهاب وتداعياته فهو نسخة من ذلك التحدي والخروج على السنن ومن ثم فهو بداية لسقوط يستدعي أن تكون مقدماته صحيحة لأنها موجهة من المجتمع، فكلما كان السعي جماعي تحققت السنن.

وربما نجد أن أكثر السنن الموجهة في موضوعنا هذا هي سنة التدافع والتي يقصد بها دفع الكفر بالإيمان، والشر بالخير، والفساد بالصلاح، والباطل بالحق، والمنكر بالمعروف، فهذه السنة تتعلق بوجود أناس في كل زمان يأخذون على عاتقهم مواجهة الأفكار الظلامية لكي يعلو صوت الحق وهم الذين يتصدون للإرهاب وتداعياته في عصرنا وينوبون عن الآخرين في حماية الدين والمبادئ الإنسانية عمومًا.

وعلى العموم فإن التوظيف القرآني لهذه السنن ينبع من مبدأ الإصلاح والبناء مقابل الهدم والتخريب الذي مثّل الإرهاب أحد مصادره الواضحة في عصرنا الحاضر، وهو الأمر الذي سيحاول البحث دراسته.

يتناول البحث مشكلة مهمة تتعلق بكيفية التعاطي مع الإرهاب وتداعياته، ولكن وفق المنطق

القرآني الذي يتعامل مع جذور المشكلات وآثارها وتداعياتها عمومًا، وهو الأمر الذي حاولت الدراسة إيجاد الحلول له بالقراءة المتعمقة في الأطر التاريخية القرآنية لأنها أساس حل هذه المشكلات، وقد اتخذت من السنن التاريخية في القرآن الكريم المحور الأساس في حل هذه المشكلة من خلال دراسة التوظيف الفكري لهذه السنن في مواجهة الإرهاب وتداعياته.

وقد بنيت هيكلية ومنهج البحث على أساس دراسة مفهوم السنّة وثباتها وحتميتها في المبحث الأول ثم دراسة المحددات والمحفزات القرآنية لجريان السنن وتوظيفها في المواجهة الفكرية في المبحث الثاني، ثم بعد ذلك دراسة التوظيف التعبوي للسنن في مواجهة الإرهاب في المبحث الثالث، إذ تم التركيز على دراسة الأسلوب القرآني في توظيف هذه السنن للتصدي للإرهاب وتداعياته من خلال دراسة فلسفة وأهداف ذكرها في القرآن الكريم وهي فلسفة توعوية وتعبوية وإعدادية وتشخيصية لمظاهر الفساد عمومًا ومنها مصاديق الإرهاب وتداعياته ومن ثم التوجيه بالتصدي له وفق الأطر التي تتبناها هذه السنن.

ولعل أبرز الأهداف المتوخاة من الدراسة:

١- تفعيل دور القرآن الكريم في تشخيص ومعالجة الفتن والآفات التي تصيب جسد الأمة في مراحل الحياة كلها.
٢- تحقيق التجربة والخبرة في التصدي للمواقف المستجدة بالاعتماد على سنن عملية تجمع بين الجانب النظري والعملي في الماضي والمستقبل.
٣- التعبئة الجماهيرية والدافعية الجهادية للناس كنتيجة إعدادية من فهم المنطق القرآني ومقاصده.
٤- ربط التاريخ بالواقع ودراسة الحوادث التاريخية وفق القاعدة والسنة القرآنية لأن هذه الدراسة مقدمة لبناء الحاضر والمستقبل.

المبحث الأول: مفهوم السنّة وثباتها وحتميتها

يرتبط المعنى اللغوي للسّنة بمفهوم الطريق والمنهج[١] وهو لا يخرج كثيرًا عن المفهوم الفكري للسنة التاريخية في القرآن الكريم، لأنها تمثل القانون المنهج الذي حدده الباري عز وجل للبشر، كما حدّد القوانين الكونية الأخرى، ونقصد ما يخص القوانين الطبيعية الثابتة والصارمة، والتي لا يمكن تحديها فمنها قوانين رياضية وفيزياوية وفسلجية، فضلاً عن الكونية التي سخرت لخدمة الإنسان، ومن هنا كانت القوانين أو السنن التاريخية تمثل المعادل للقوانين الطبيعية المذكورة لضمان التوازن وعدم العشوائية.

إن المنظور القرآني للسنن يعرفها على أنها القواعد والقوانين الحاكمة للمنظومة الكونية والاجتماعية، والتي لها خواص الثبات والإطراد، سواء كان منها ما يخص الإنسان بشكل مباشر كالقوانين التاريخية الحاكمة مثل قانون أو سنة الاستخلاف والتمكين، الاستبدال، التدافع، المداولة، الاستدراج، الإمهال، التمحيص، التطهير، أو ما يخص التسخير الذي يتعلق بالقوانين الكونية وما سخر للإنسان من مظاهر الطبيعة.[٢]

ولكي تتوضح الصورة ينبغي أن نفهم أن علم التاريخ يخرج عن حدود النقل والرواية ليرتبط بالمفهوم العلمي الذي يستند على القوانين الثابتة المطردة الهادفة إلى بناء الإنسان وفق التجارب الماضية، فالتاريخ يسير بنسق علمي يعتمد على القوانين أو السنن التاريخية التي ذكرها القرآن الكريم لتكون المنهج والطريق الذي يسلكه المتعقلون.

إن معرفة التاريخ تعني معرفة قوانين الحركة وتكوين المجتمع والحضارة ونوع الإنسان ومعرفة علل

(١) ابن منظور، لسان العرب ج ١٣، ص ٢٢٦.
(٢) د. حميد سراج جابر، حركية السنن التاريخية، ص٥.

وماهية تلك القوانين، والتاريخ يتقدم نحو هدف مقصود ومعين ومسلم به وإن مجيء هذه القوى أو تلك لم يكن تصادفيًا وإنما نتيجة سنن تتحكم بمفاصل كل تلك العمليات التاريخية، لذا نجد أن القرآن الكريم قد قاوم النظرة العفوية أو النظرة الغيبية المجردة لتفسير الأحداث، حيث قاوم تفسير الإنسان للأحداث على أساس الصدفة والاستسلام خارج دائرة الأسباب والمسببات ولذلك نبه العقل البشري إلى أن هذه الساحة لها سنن وقوانين.[٣]

وقد بين القرآن الكريم هذا الثبات بآياته الصريحة لتحقيق الهدف التثقيفي ومنها قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللّه الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّه تَبْدِيلاً﴾[٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللّه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً﴾[٥].

وبلا ريب أن هذه الآيات هي إشارات إلى عدم إمكان التغيير في تلك القوانين، وعدم عدها أحكامًا عادية أو منسوخة.[٦] وأن المفهوم العام لحتمية السنّة وتطبيقاتها وعدم تبديلها في هذه الآيات يفضي إلى القول بأنه يعني ولن تجد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرًا[٧] وأن أحدًا لا يقدر على تغيير سنة الله وإبطالها.[٨]

والأمر ينطبق على امتناع التحويل في الآيات الأخرى لقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾.[٩] والذي جاء بنفس المعنى، أي لن تجد لسنة الله في خلقه تبديلاً[١٠] أو لا يقدر أحد أن يغير فعل الله تعالى.[١١]

وقد ميّز الرازي بين المصطلحين، فالتبديل جاء بمعنى حصول العلم بأن العذاب لا تبديل له بغيره، أما التحويل أي حصول العلم بأن العذاب مع أنه لا تبديل له بالثواب لا يتحول عن مستحقه إلى غيره فيتم تهديد المسيء.[١٢]

وهذه الحتمية التطبيقية الواردة في هذه المقارنة بين التبديل والتحويل ليس هي ما يمكن أن نفهمه منها بل إنها كاشفة وموحية للعدالة الإلهية في التعامل مع الناس فعدم التغيير مقترن بعدم الإحالة والتحويل فمن يستحق العقاب بناءً على القاعدة والقانون في السنن التاريخية لا يمكن أن يفتديه الله تعالى لأن ذلك يخالف السنة أيضًا.[١٣]

ومن الآيات الأخرى الدالة على عدم التبديل قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١٤] وقوله تعالى ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[١٥] وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٦] وكذلك قوله جلّ وعلا: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[١٧]

---

(٣) حسن سليمان قيلي، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص١٨.
(٤) الفتح/٢٣.
(٥) الأحزاب/٦٢.
(٦) الرازي، تفسير الرازي ج ٢٥ ص ٢٣١. وينظر الطبري، جامع البيان ج ٢٦، ص ١٢٠.
(٧) الطبري، جامع البيان ج ٢٢، ص ٦٠.
(٨) الجصاص، أحكام القرآن، ج ٣، ص ٤٨٧. وينظر السمرقندي، تفسير السمرقندي، ج ٣، ص ٧٠.
(٩) الإسراء/٧٧.
(١٠) الطبري، جامع البيان ج ٢٢ ص ١٧٦. وينظر السمرقندي، تفسير السمرقندي ج ٢، ص ٣٢٤.
(١١) السمرقندي، تفسير السمرقندي ج ٣، ص ١٠٧.
(١٢) الرازي، تفسير الرازي ج ٢٦، ص ٣٥ – ٣٦.
(١٣) د. حميد سراج جابر، حركية السنن التاريخية، ص٨.
(١٤) الأنعام /١١٥.
(١٥) الكهف/٢٧.
(١٦) الأنعام/٣٤.
(١٧) يونس/٦٤.

وعلى ما يظهر أن ذكر القرآن الكريم لعدم تبديل كلمات الله هو إيحاء وتوجيه وتثقيف بأن هذه الكلمات هي مترجم وكاشف عن السنن الثابتة فلا يقصد بالقرآن الكريم إلاّ تلك الأفكار والأفعال التي أشار لها والتي هي حادثة لا محالة لإنها تمثل القواعد والقوانين الحتمية سواءً ما يخص الأمور الدنيوية أو آثارها الأخروية.[١٨]

وبالمحصلة النهائية فإن السنن هي أقدار الله وعهوده الثابتة الحقة وكلماته التامات التي لا تبديل لها ولا تحويل ولا يعتريها تغيير ولا تحابي مؤمنًا أو كافرًا[١٩]، كما إنها القانون الضابط المهيمن، والفعل النافذ الحاكم الذي يجري بإطراد وثبات وعموم وشمول، مرتبًا على سلوك البشر.[٢٠] ولكي يكون الإنسان فاعلاً ومؤثرًا في مجرى التاريخ لا بد له أن يكتشف هذه السنن والقوانين التي تسير عليها أحداث ومجريات التاريخ، وأن يتعامل وفق المعرفة بهذه السنن وإلّا صارت حياتنا ضربًا من العبث وسيرنا خبط عشواء.[٢١]

أي إن فلسفة وهدف هذا الثبات هو تقويم المعوج من العمل، وفتح الطريق أمام الإنسان ليعيد حساباته ويرسم مساره باتجاه القوانين التاريخية التي تعيد نفسها بما ينسجم والتدخل البشري الذي يشترط فيه التفكر والتعقل ومن ثم الوصول إلى الرعاية الإلهية التي لا تبدل سنتها وقوانينها.

(١٨) د. حميد سراج جابر، حركية السنن التاريخية، ص٩.
(١٩) رشيد كهوس، السنن الالهية وخصائصها، ص٤.
(٢٠) رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم، ص١٠.
(٢١) حسن سليمان قيلي، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص٢٣٠.

المبحث الثاني: المحددات والمحفزات القرآنية لجريان السنن وتوظيفها في المواجهة الفكرية

إن مواجهة الانحرافات الفكرية وتداعياتها ومنها ظاهرة الإرهاب يستدعي جريان السنن التاريخية وتوظيفها في هذا الإطار، غير أن ذلك الجريان والتوظيف يتطلب توافر وتحقق محددات وضوابط عدة، ترتكز بالأساس على إرادة الإنسان ومدى تعقله وتفكره، وهذه المحددات والشروط تمثل المقدمة الفعلية لنفاذ السنة التاريخية ومن ثم التصدي للانحراف، ومن هنا حدّد القرآن الكريم هذه الضوابط وبيَّن آثارها، كدعوة تثقيفية للتعبئة في المواجهة ومنها مواجهة الإرهاب، وهي بمثابة البيئة التي تحقق قيام السنّة وظهور المستوى التطبيقي فيها، وباستقراء بسيط يمكن أن نبين أهم تلك الضوابط والاعتبارات لتوضيح الصورة:

الضابطة الأولى - إصلاح الذات: وهي شرط أساس في حصول الحركية والتطبيق العملي للقواعد والنواميس الإلهية التي تأخذ الطابع التاريخي وتوظيفها في تشخيص ومعالجة التداعيات لمجمل الانحرافات الفكرية والتي يعد الإرهاب أبرزها، إذ إن توافر مثل هذه الضابطة يفعّل سنة التمكين والاستخلاف وما شابه، وهذه الضابطة كفيلة برفع الظلم عن المتعقلين المتفكرين، وهو ما قصده قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢٣]

(٢٢) الأنفال/ ٥٣.
(٢٣) الرعد/١١.

وإذا ما ربطنا دور الإنسان في قيام السّنة ونقصد تفكره وتعقله فيها أمكننا فهم الأمور بشكلها الواقعي لا أن تدخل السلوكيات والمزاج كشرط في السنن وهذا ما مرّ من أنه يمثل التحدي الملموس للسّنة، ومن هنا فمعنى الآيات الكريمة إن الله تعالى أنعم عليهم بالعقل والقدرة وإزالة الموانع وتسهيل السبل والمقصود أن يعملوا بالعبادة والشكر ويعدلوا عن الكفر، فإذا صرفوا هذه الأحوال إلى الفسق والكفر، فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم، فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن، وهذا من أشد ما يدل على أنه تعالى لا يبتدئ أحدًا بالعذاب والمضرة، والذي يفعله لا يكون إلا جزاءً على معاص سلفت[٢٤]، وإن سائر الآيات دلت على أنه تعالى لا يبتدئ بالتعذيب والإهلاك لقوله تعالى في الآية المذكورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢٥]، وذلك لأن الفيض الإلهي عام متصل كالماء الجاري،[٢٦] مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا التغيير مرتبط بالإصرار على الكفر أو الظلم أو الذنوب عمومًا فإن أصروا حان الأجل المضروب ونزلت بهم النقمة، وتزول عنهم الحفظة المعقبات.[٢٧]

وإزالة الموانع المشار إليها في هذا المقام إنما تقوم على اتخاذ السلوكيات المناسبة للتصدي، على أن هذا السلوك الذي يسمى بالعبادة لا يعني بأي حال من الأحوال العبادة المادية، بل مواجهة الانحرافات والمساهمة الفعالة في التصدي لها، لذا فتغيير ما بالنفس لا يخص الشخص نفسه بل كل البيئة المحيطة به بما فيها البيئة المنحرفة.

والذي يلاحظ في هذا المقام أننا يمكن أن نفهم هذه الآيات بشكل معاكس أيضًا، وهو أنه ممكن للإنسان أن يعكف على إزالة النقم والعذاب عن نفسه، والناجم أساسًا من أعماله السيئة، وذلك بتغيير هذه النفس الأمارة ليستحق رفع العقوبة للإمداد بنعم الله سبحانه وتعالى.

إن جميع الأمور التي طرقناها والهادفة إلى توضيح توظيف هذه الضابطة في مواجهة الإرهاب وتداعياته يمكن أن تجمل في الأفكار الآتية:

أولاً: اشتراط المصداقية والفاعلية في نبذ الإرهاب وأشكاله ونقصد وجود الاتجاه المعاكس في النفس الإنسانية وهو الوجود الفاعل وليس المجرد.

ثانيًا: التثقيف بأن ظهور الإرهاب والانحراف هو استحقاق لاتجاه الناس السلبي وليس أمرًا طارئًا يأخذ طابع المفاجأة.

ثالثًا: إن هذا التوظيف أوجد الحل بتعبئة الناس للعمل للتصدي ابتداءً من المحور الأول وهو محور ذات المتصدي.

رابعًا: إن هذا النوع من الشروط يمثل الفكرة الأساس في عزل الإرهاب وتداعياته على المستوى المادي والمعنوي.

الضابطة الثانية - التقوى: وهي ضابطة تترتب عليها الكثير من الأمور والآثار التطبيقية في سنن التأريخ، وهي آثار تمثل ترجمة للمواجهة ويمكن إجمال هذه الآثار الحركية بما يأتي:

(٢٤) الرازي، تفسير الرازي ج ١٥، ص ١٨١.
(٢٥) الرازي، تفسير الرازي ج ٢٠، ص ١٧٥.
(٢٦) ابن عربي، تفسير ابن عربي ج ١، ص ٣٦٢.
(٢٧) القرطبي، تفسير القرطبي ج ٩، ص ٢٩٢.

الأثر الأول- الخروج من الضيق: وقد جسد القرآن الكريم هذا المخرج وأنواعه وما يترتب عليه إذ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٢٨]، أي يجعل له مخرجًا من الشدة إلى الرخاء ومن الحرام إلى الحلال ومن النار إلى الجنة فمن صبر واتقى الحرام جعل الله له مخرجًا من الضيق[٢٩] وقيل مخرجًا من كل أمر ضاق على الناس، إذ إن من يصبر على المصيبة يجعل الله له مخرجًا من النار إلى الجنة.[٣٠] ونجد هنا لغة التعميم على كل أمر وضيق يصيب الإنسان لأن التقوى هي الميزان الذي يفاضل بين الناس، وهو الأمر الذي ربما يفتقده المتصدين للإرهاب وتداعياته، فالفكر المنحرف إنما يعتمد في دعوته على ادعاء التقوى، والله تعالى يهيىء الأسباب للقضاء على الظلم ومريديه، بتفعيل السنّة التاريخية، والتي تقتضي اعتماد الأحكام الإلهية في المواجهة وهو ما يمثل التقوى فعلاً.

الأثر الثاني-الرزق: وهو يتعلق بالجانب المادي والمعنوي، ولا يقتصر على مناسبة أو حادثة نزول، وهو ما يفسر تعدد الآيات القرآنية التي طرحت حوله والتي انسجمت وتناغمت مع التقوى كشرط مؤثر في حركية السنة التاريخية ومن ثم استحصال النتائج التطبيقية من هذه القاعدة والقانون.

ولعل الآيات المقصودة صريحة في هذا المقام كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[٣١] فجعل تعالى التقى من أسباب الرزق كما في هذه الآية[٣٢] فإذا اشتغلوا بتحصيل المقصود حصل ما يحتاج إليه في الدنيا على سبيل التبعية.[٣٣]

كما لا ننسى الآية السالفة عن التقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٣٤]، فالرزق هنا أثر واضح من الحركية والحيوية في التطبيق فيقصد بالرزق أن (يرزقه) ثواب جنة النفس وأنوار الفضائل من عالم الغيب من حيث لا يحتسب لعدم وقوفه منها، ومن يتقيه في أفعال نفسه يجعل له مخرجًا إلى مقام التوكل ويرزقه تجليات الأفعال من حيث لا يحتسب، ومن يتقيه في صفات نفسه يجعل له مخرجًا إلى مقام الرضا ويرزقه روح اليقين وثمرات تجليات الصفات الإلهية في جنة القلب من حيث لا يحتسب لعدم شعوره بها.[٣٥]

وهذا اليقين هو منبع ومصدر للتضحية والتصدي والإيثار ومواجهة الأفكار الضالة المضلة، فكما أسلفنا فإن الرزق هو ليس مال أو مواد عينية وإنما هو استحقاق وتفعيل لنعم الله تعالى التي لم يشكرها الفرد، أي إنه ترك الخنوع والخضوع والركون فاستحق أن يرزق بالرزق الاعتباري من الوجاهة والقيادة والمسؤولية بجده واجتهاده في إثبات نفسه بالأدوات المشروعة أمام المنحرفين، فضلاً عن

(٢٨) الطلاق/ ٢-٣.
(٢٩) الواحدي، تفسير الواحدي ج ٢، ص ١١٠٧.
(٣٠) الرازي، تفسير الرازي ج ٣٠، ص ٣٤. وينظر ابن عربي، تفسير ابن عربي ج ٢، ص ٣٢٩ – ٣٣٠.
(٣١) الأعراف/ ٩٦.
(٣٢) القرطبي، تفسير القرطبي ج ٦، ص ٢٤١.
(٣٣) الرازي، تفسير الرازي ج٣، ص١٣٧.
(٣٤) الطلاق/ ٢-٣.
(٣٥) ينظر ابن عربي، تفسير ابن عربي ج ٢، ص ٣٢٩.

الرزق المادي الذي لا ينكر وهو الآخر مثل تحدي رئيس كأثر من آثار الإرهاب الذي يحتاج إلى هذا النوع من التقوى للتصدي لآثاره.

الأثر الثالث - اليسر في الأمور: وهذا أثر منطقي يكاد يكون تحصيل حاصل في كل الأمور الإيجابية التي يقوم الفرد بها إلاّ أن باب التخصص هنا هو في كونها أثر لجريان السنّة التأريخية وتطبيقاتها العملية، فقد قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[٣٦] أي ييسر الله عليه في أمره، ويوفقه للعمل الصالح، ويسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة[٣٧] والتقوى في هذا المقام هي الاجتناب عن الذنوب مما يجعل لذلك المتقي من أمر سلوكه (يسرًا) ومتى ما راعى آداب مقامه واجتنب ذنوب حاله في المواطن تيسر له الترقي منه إلى أعلى.[٣٨]

والحال ينطبق على العسر الذي يتنوع في أشكاله، وأشده على الناس هو ما يمثل الانحراف اليوم والإرهاب الذي شملت تداعياته النواحي المختلفة، فكانت آثار هذه السنّة صريحة في علاج التداعيات المفروضة وهو اليسر المقصود.

الأثر الرابع - تكفير السيئات وتعظيم الأجر: إذ إن التقوى كفيلة بتفعيل السنّة التأريخية والحيوية والحركية فيها وتكفير السيئات على أرض الواقع، فقد كانت إشارة الآيات القرآنية صريحة لهذا الأثر وهو قوله تعالى: ﴿مَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[٣٩]، وسيئاته هي موانعه وهيئات نفسه الحاجبة عن الفيض، المانعة للمزيد، بينما يكون تعظيم الأجر بإفاضة ما يناسب حاله بحسب القبول والاستعداد الجديد من الكمال.[٤٠]

الضابطة الثالثة - الاستقامة: وهي مقدمة طبيعية للوصول للكمالات وللخير الكثير، فلا عجب أن تكون شرط وضابطة لجريان ونفاذ السنّة التاريخية ومن هنا فقد جاءت الآية القرآنية الكريمة لتأكيد هذه الحقيقة إذ قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[٤١] فلو استقاموا لاستحصلوا الخير والبركات [٤٢]، ولوسعنا عليهم في الدنيا بفعل هذه الاستقامة وهذا التوسيع يتعلق بإفاضة الخير وهو ما يدل عليه الماء الغدق[٤٣]. وينبغي أن نعرف أن الاستقامة كضابطة لا تمثل لفظ مادي وإنما هي صورة المؤمن الذي اختط له مسار الكمال.

والاستقامة هي نقيض الانحراف المتمثل بالإرهاب، ولعل من أولوياتها محاربته والتصدي لتداعياته الفكرية والسياسية والاقتصادية، لكونها ترتكز على مرتكزات عدة أهمها التشخيص المتعقل للأمور، والاتجاه الفكري البناء، بل وتشخيص الإرهاب الحقيقي وفرزه عن الدين الذي طالما تشدق به أتباعه، ومن ثم فإن الخير الكثير الذي هو بمثابة المكافأة للاستقامة يعكس معالجة تلك التداعيات الرهيبة على مختلف الأصعدة، فضلاً عن التصدي للانحراف من جذوره بالأساس.

(٣٦) الطلاق/٤.
(٣٧) الرازي، تفسير الرازي ج ٣٠ ص ٣٦، وينظر الواحدي، تفسير الواحدي ج ٢، ص ١١٠٨.
(٣٨) ابن عربي، تفسير ابن عربي ج ٢، ص ٣٢٩ – ٣٣٠.
(٣٩) الطلاق/٥.
(٤٠) ابن عربي، تفسير ابن عربي ج ٢، ص ٣٢٩ – ٣٣٠.
(٤١) الجن/١٦.
(٤٢) الرازي، تفسير الرازي ج ٣٠، ص ١٦٠.
(٤٣) القرطبي، تفسير القرطبي ج ١٩، ص ١٧.

المبحث الثالث: التوظيف التعبوي للسنن في مواجهة الإرهاب

يمثل الثبات والحيوية والحركية في السنن التاريخية الأساس الذي قام عليه التنوع في السنّن والذي من طبيعته التجدد الزمني بفعل توافر الظروف المهيأة والمحركة، والتي تستند بالأساس إلى الطبيعية البشرية مما خلق الأجواء والعوامل المساعدة على ذلك التجدد في جريان السنن، ومن هنا برز هذا التنوع فيه، والذي يمكن دراسته من خلال الخوض في تلك الأنواع الممثلة لواقع التصدي للانحراف والإرهاب ومن ثم إعطاء دفعة من الأمل لكل المتضررين من تداعيات الانحرافات على المستويات كافة.

ومن هذه السنن سنّة الاستبدال التي تعكس الحيوية والحركية، إذ إن هذه السنة تبنى في حركتها وتطبيقها على فكرة تعويض المستضعفين ووراثتهم الأرض، وقد جسد القرآن الكريم هذه السنة وحيويتها وإطرادها في كل زمان بآياته الكريمة ومنها قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٤٤] والاستضعاف هنا بالإذلال والإهانة والاستعمال في الأعمال الطبيعية والاستخدام في تحصيل اللذات البهيمية والسبعية وذبح الأبناء واستحياء النساء وهو ما قام به فرعون مع بني إسرائيل، فنجاهم الله من العذاب، وجعلهم وراث الأرض وملوكها بإفناء فرعون وقومه.[٤٥]

والجدير بالذكر أن قاعدة الاستبدال متجددة حتى بعد قوم بني إسرائيل فالظلم واحد والتصدي بحسب مقام المتصدي فتكون الوراثة والاستبدال هي الصورة العاكسة لطبيعة الأقوام في كل زمان ومكان فما يطرحه القرآن لا يتعلق بأسباب النزول قدر تعلقه بالتثقيف العام وهو تثقيف تعبوي، ولا أدل من التصدي للإرهاب في هذا المقام، فطبيعة التوظيف لهذه السنة في القرآن بنيت على أساس تعبئة الجماهير وفق ما يأتي:

أولاً: الوعد الإلهي بالنصر عند مواجهة هذا التحدي ومنه تحدي الانحراف المسمى بالإرهاب وتداعياته المختلفة.

ثانيًا: التثقيف بتشخيص ظلم المنحرفين والإرهابيين، والتأكيد على عناصر القوة في الفرد المؤمن الذي يستنهضه الدين.

ثالثًا: التعبئة بتكريم المتصدين للانحراف بجعلهم أئمة وقادة نتيجة لجدهم واجتهادهم وردهم الظلم وتداعياته.

رابعًا: العمومية والشمول في جريان هذه السنّة على الأرض دون أن تتحدد في فئة أو مكان وبغض النظر عن الزمان.

ومن الآيات الأخرى التي أشارت إلى نفس إطار هذه السنّة قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾.[٤٦] وهي تقوم على نفس الفكرة والاتجاه الشمولي الحيوي المتحرك مع الإشارة الصريحة إلى تدمير الانحراف والإرهاب على أثر تفعيل هذه السنّة إذ إن الآية الكريمة توحي بانهيار كل التداعيات التي يخلفها الإرهاب وذلك بتساقط عروش الإرهاب

(٤٤) سورة القصص: ٥.
(٤٥) ابن عربي، تفسير ابن عربي ج ٢، ص ١٠٩. ينظر الطبري، جامع البيان ج ٢٠، ص ٣٥.
(٤٦) سورة الأعراف: ١٣٧.

التي بنيت على حساب المستضعفين، كما أن الشمول والعمومية في هذه السنة ظهر بشكل واضح ونقصد ما ذكر عن المشارق والمغارب، هذا إلى جانب وضوح الثبات والإطراد في السنن وحتميتها التي دلت عليها الآية الكريمة وبالخصوص ما يتعلق بنفاذ كلمة الله الحسنى وهي سنته.

ونجد في محور آخر بيان للاتجاه العكسي من هذه السنّة إذ إن إيحاءاته موجهة إلى الظلمة بأصنافهم كافة ولعل أبرز مصداق في هذا الاتجاه هو الإرهاب، فضلاً عن السلاطين والحكومات الظالمة، وإلقاء الحجة عليهم قبل استبدالهم ومن ثم جريان سنّة الاستبدال ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٤٧] مما يشير إلى عاقبة ترك الدين والابتعاد عن مبادئه بل والارتداد عنه، وكذلك قوله تبارك اسمه: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤٨]، وهنا كانت السنّة فعالّة في استبدال من يدّعي الدين ولا يؤدي ما عليه ولا ينهض للنصرة لعدم إيمانه الحقيقي، بقدر استخدامه للدين في تحقيق مصالح ذاتية، وهذا الاستبدال هو جريان للسّنة على يد المتصدين الحقيقيين، مع العلم أن أغلب الإرهابيين هم من الصنف المدّعي للدين كذبًا وزورًا.

وتتبلور هذه السنة جليَّة في سقوط الحكومات والقيادات وقيام الأخرى مقامها، وانحطاط الأمم والجماعات وحلول أخواتها محلها، فإذا عهد الله إلى أمة، أو جماعة برسالة، أو إلى حكومة أو قيادة بمسؤولية، فإن كانت تؤدي رسالتها، وتقوم بمسؤوليتها، أبقاها على منصبها، وأدام لها نعمتها التي خوَّلها، ووفَّر لها أسباب البقاء، وأفسح لها مجال العمل، وإن تهاونت في الاضطلاع بها، أو قصَّرت في أدائها، أو أعرضت عنها وتولّت، أو ظلمت وطغت، استبدل بها أخرى صالحة للقيام بالمسؤولية، نشيطة في أدائها، تختلف كلَّ الاختلاف عن سابقتها.[٤٩] وهو الأمر الذي يقوم على وراثة المستحقين العاملين من أصحاب المواجهة لكل هذه الأصناف من الانحراف.

وترتبط سنّة الاستخلاف والتمكين بنفس المسار مع سنّة الاستبدال السابقة ولا سيما بالجزء الخاص بالتجدد والحركية وبالأثر المتعلق بالتمكين والذي هو إعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع، لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة، فقد يحتاج إلى آلة، وإلى دلالة، وإلى سبب، ويحتاج إلى ارتفاع المنع، فالتمكين عبارة عن جميع ذلك،[٥٠] مما يفسر قول الباري عز وجل في هذا الإطار: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٥١] وهو إخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المؤمنين إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا[٥٢] والتمكين في البلاد إعطاء المكنة[٥٣] وفق ما يترتب من أعمال العباد واستحقاقاتهم التي تتطلب التضحيات تلو التضحيات فالتمكين لا يأتي دون عناء واجتهاد وإنما نتيجة عمل وجهاد خالص سمته الرئيسة هي النية الصادقة في التصدي للانحراف وإحقاق الحق.

(٤٧) سورة محمد: ٣٨.
(٤٨) سورة التوبة: ٣٩.

(٤٩) محمد ساجد القاسمي، استبدال الأمم والحكومات من السنن الإلهية، ص٢.
(٥٠) الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٤، ص ٢٢٢.
(٥١) الحج: ٤١.
(٥٢) النسفي، تفسير النسفي ج ٣، ص ١٠٦.
(٥٣) النسفي، تفسير النسفي ج ١، ص ٣١٣.

وقد بني هذا التمكين على الاستخلاف المسبق المعد من الله للإنسان ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[٥٤] أي أن هناك علاقة مباشرة بين الاستخلاف والتمكين تقوم على ما يأتي:

أولاً: إن الإنسان مستخلف في الأرض أصلاً، وما يأتي بعد ذلك هو سلوك متفاوت بين البشر بشكل يوظف سنّة التمكين لتتناغم مع مقام المستخلف من الله تعالى.

ثانيًا: إن الاستخلاف والتمكين يقومان بالأساس على شروط واحدة تقتضي الرعاية الإلهية إذا سارت بالمسار الإيجابي، بينما تقيد وتحدد إذا سلكت طريقًا آخر مجانب.

ثالثًا: عّد التجربة المنطلق الابتدائي في حركية السّنة التاريخية والبناء عليها، وهو الأمر الذي يفسر لنا ربطها بالعمل الصالح وفعل الخيرات بما فيها التصدي للانحراف وقطف ثمار ذلك.

النوع الآخر من السنن التي تجسد الجانب الحركي التطبيقي في التأريخ هو سنّة التدافع، والتي تعني تصدي فئة من الناس في كل زمان للشر بأنواعه كافة، بشكل يدفع هذا الشر عن الباقين، وهو عين ما أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٥٥] والصوامع هي صوامع الرهبان، وأما البيع فكنائس النصارى، وأما الصلوات فكنائس اليهود، وأما المساجد فمساجد المسلمين، والمعنى على هذا: لولا أن الله جل وعز يدفع بعض الناس ببعض، لهدم في وقت كل نبي، المصليات التي يصلى فيها.[٥٦] فالإرهاب لا ينحصر بزمان ومكان وفئة بل هو انحراف يحتاج من يتصدى له ويرده على أعقابه وهو الأمر الذي يتكفل به قوم من كل زمان ويأخذون على عاتقهم حماية الآخرين، مما يعني جريان سنة التدافع بعد ظهورهم.

والتدافع يحتمل عدة معان وهو وسيلة للحيوية والحركة والنمو وانطلاق الطاقات وله صوره ودرجاته المتعددة بداية من الحوار ومرورًا بالجدل والمناظرة والمنافسة والسباق والمواجهة والمغالبة وانتهاءً بالصراع أو القتال ... وكما نرى فإن صور التدافع مشروعة، كما أنها في نفس الوقت محكومة بضوابط من شرع الله... وحتى الصراع أو القتال فقد كتب على المسلم وهو كره له ولكنه محكوم أيضًا بضوابط[٥٧].

ويمكن أن يترجم هذا الضرر الذي يصيب الأرض في حال عدم جريان سنّة التدافع بالآية القرآنية المباشرة لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٥٨] ويعني تعالى ذكره بذلك: ولولا أن الله يدفع ببعض الناس، وهم أهل الطاعة له

(٥٤) سورة البقرة: ٣٠.

(٥٥) سورة الحج: ٤٠.
(٥٦) النحاس، معاني القرآن، ج ٤، ص ٤١٧ – ٤١٨.
(٥٧) د. مجدي قرقر، التدافع الحضاري بديلاً عن الصراع، ص٣.
(٥٨) سورة البقرة: ٢٥.

والايمان به، بعضًا وهم أهل المعصية لله، والشرك به، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له وقد أعطاهم ما سألوا ربهم ابتداءً من بعثة ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله بمن جاهد معه من أهل الايمان بالله واليقين والصبر، جالوت وجنوده، لفسدت الأرض، يعني لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض، ولكن الله ذو مَنٍّ على خلقه، وتطول عليهم بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر.[٥٩]

ولعل هذه السنّة أكثر المصاديق تطبيقًا في عصرنا الحاضر فتارةً يكون التدافع بفرد عن فرد وتارةً بمؤسسة عن أخرى وتارةً ثالثة بدولة عن دولة، وهكذا المهم في الأمر أن هذه السّنة أخذت مجالها الحيوي الحركي بفعل توافر البيئة التي لا يكاد يخلو منها زمان ومكان، مع التأكيد على تنوع المواجهة والتصدي للإرهاب فقد يكون فكري وقد يكون سياسي وربما عسكري بحسب مقتضيات المرحلة.

ومثّلت سنة الاستدراج محورًا آخر من المحاور الحيوية الحركية التطبيقية، إذ لا ننسى أنها مرتبطة أيضًا بغيرها من السّنن، ويقصد بها استدراج المنحرفين بفتح الباب أمامهم لأن الإنسان غير مجبر، وإنما هو من يسلك الطريق الذي يراه متناسبًا مع هواه أو مع عقله، وهو الأمر الذي أشارت له الآية القرآنية الكريمة بقوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.[٦٠] بمعنى أنه لا يظنن الذين كفروا بالله ورسوله، وما جاء به من عند الله، أن إملاءنا لهم خير لأنفسهم، ويعني بالإملاء: الإطالة في العمر والإنساء في الأجل،[٦١] إنما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا إثمًا، أي: يكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة مهينة مذلة.[٦٢]

وهنا بيان لعاقبتهم وهي العذاب المهين فالاستدراج سنّة تتجدد كلما وجد أمثال هؤلاء الذي طبع على قلوبهم، فيعتقدون أن الله يطيل في أعمارهم لمكانتهم ومقامهم، بينما هم يستدرجون في مسار الشر من تلقاء أنفسهم، لأن الله تعالى يتركهم وعملهم وهذا هو الإملاء، بينما يوفق الساعي في عمل الخير، وهذا السنّة فيها تعبئة ووعد للناس في مقاومة أفكار هؤلاء وعدم الركون لهم لكون أمرهم إلى الزوال.

إن نظرة سريعة وعميقة لتلك الحيوية في السنن التاريخية تضعنا أمام صور عدة تشير إلى ذلك الارتباط والتناغم بينها بشكل يؤطر تطبيقها بإطار الرعاية الإلهية، ومن هذه الصور:

الصورة الأولى: ارتباط جميع السنن المذكورة بالعمل الصالح والتقوى، وتطبيق شرع الله في أرضه.

(٥٩) الطبري، جامع البيان ج ٢، ص ٨٥٤. وقد عرف التدافع بالتنوع حسب الطرح القرآني فتارة جاء بمفهوم التعايش والتعارف لقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ (سورة المؤمنون: ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة فصلت: ٤٣) وتارة أخرى الدفع بمفهوم إزاحة الضرر والسوء لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٦٧). ينظر د. مجدي قرقر، التدافع الحضاري بديلاً عن الصراع، ص٦.

(٦٠) سورة آل عمران: ١٧٨.
(٦١) الطبري، جامع البيان ج ٤، ص ٢٤٦.
(٦٢) الطبري، جامع البيان ج ٤، ص ٢٤٨.

الصورة الثانية: وجود التكاملية بينها بشكل يضمن وجودها جميعًا وتحققها بتحقق إحداها.

الصورة الثالثة: اتضاح الفلسفة والغاية منها بشكل جلي، ونقصد الفلسفة التعبوية التثقيفية، التي تضمن البناء التربوي وتحقق التجربة ومن ثم مواجهة الانحراف.

الصورة الرابعة: تطبيقها النخبوي في صورتها العامة، أي اعتماد تطبيقها على نخبة تظهر في كل زمان وتأخذ على عاتقها الجانب الحركي.

التوصيـــات

١- توجيه الدراسات الاستراتيجية وفق فكر يعتمد على المنطق الإصلاحي الإعدادي الذي جاء به القرآن فهو تبيان لكل شيء أي أن فيه قواعد كل الأصول ومن هذه القواعد السنن التاريخية الحتمية.

٢- توطيد العلاقة بين الدراسات التاريخية من جهة والدينية والعقائدية من جهة أخرى ومحاولة التأكيد العملي على نقاط الاشتراك وأثرها في معالجة المشكلات.

٣- الدعوة لعقد مؤتمر دولي يتبنى دراسة السنن التأريخية في القرآن واعتماد الدستور الإسلامي كأساس في معالجة الأزمات عالميًا.

٤- التعامل مع الإرهاب على أسس جذرية وليس على أساس التداعيات لأن معالجة الآثار لا تحل المشكلة كما هو الحال في معالجة الأسباب.

٥- اعتماد الطرح القرآني للتاريخ كطرح موحد في التصدي للإرهاب، وعدم اعتماد الاجتهادات الموجهة أيديولوجيًا.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الجصاص، أبي بكر أحمد بن علي ت ٣٧٠هـ، أحكام القرآن، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الرازي، الفخر محمد بن عمر ت٦٠٦هـ، تفسير الرازي، ط٣، بيروت، د. ت.
- ابن زمنين، أبي عبد الله محمد بن عبد الله ت٣٩٩هـ، تفسير إبن زمنين، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، ط١، مطبعة الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة ١٤٢٣ - ٢٠٠٢م.
- السمرقندي، أبو الليث السمرقندي ت٣٨٣هـ، تفسير السمرقندي، تحقيق د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت (د. ت).
- الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ، تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ١٤١٥ – ١٩٩٥م.
- الطبري، محمد بن جرير ت٣١٠هـ، جامع البيان في تفسير القرآن، تقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
- ابن عربي، محي الدين ت٦٣٨هـ، تفسير ابن عربي، ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.
- القرطبي، ت ٦٧١هـ، تفسير القرطبي، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.
- النسفي، أبي البركات عبدالله بن احمد ت ٥٣٧هـ، تفسير النسفي، بيروت، د. ت.
- الواحدي، أبي الحسن ت٤٦٨هـ، تفسير الواحدي، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥.

البحوث والمقالات

- جابر، د. حميد سراج، حركية السنن التاريخية في الحيز التطبيقي للعلوم الإنسانية، وقائع مؤتمر، تركيا ٢٠١٧.
- زكي، رمضان خميس، مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم www.alukah.net
- القاسمي، محمد ساجد، إستبدال الأمم والحكومات من السنن الإلهية مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، العدد: ١١، السنة: ٣٨، ذو القعدة ١٤٣٥هـ، سبتمبر ٢٠١٤م. www.darululoom-deoband.com
- قرقر، د. مجدي. التدافع الحضاري بديلاً عن الصراع http://alarabnews. com/
- كهوس، رشيد، السنن الإلهية وخصائصها، تطوان، د. ت.

الرسائل الجامعية

- قيلي، حسن سليمان، السنن التاريخية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، قسم الفلسفة، كلية الاداب، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٨.

العلاقات العراقية - العبرية القديمة
(الجانب الديني أنموذجًا)

د. طعمه وهيب خزعل هتاش / العراق
دكتوراه تاريخ قديم، جامعة تكريت، كلية الآداب
6toama.com@gmail.com

خلاصة البحث

يشكل موضوع العلاقات الوسيلة الرئيسة لانتقال المؤثرات الحضارية بين شعوب العالم قديمًا وحديثًا فعندما ظهرت النواة الأولى للمجتمعات البدائية القديمة أخذت تميل مع مرور الزمن إلى تطوير إمكانتها المتواضعة عند ذلك زاد الطلب للحصول على الموارد الأولية الواجب توافرها في الأسواق المحلية وهذا بدوره قد دفع بتلك المجتمعات للاتصال فيما بينها، والاندماج في عجلة التطور الحضاري وهكذا فقد أسهمت في الارتفاع بمستوى البشرية نحو الأفضل.

يتحدد موضوع العلاقات بين المجتمعات القديمة في جانبين رئيسيين، الأول العلاقات السياسية وتشمل على الجانب العسكري والتمثيل الدبلوماسي والمعاهدات والمصاهرات السياسية والثاني العلاقات الحضارية وتشمل جوانب الحياة المختلفة لا سيما الجانب الديني منها الذي يعتبر من الموضوعات الواسعة والشائكة في الوقت نفسه.

إن الهدف الأساس من هذا البحث هو إعطاء صورة متكاملة ومفصلة عن العلاقات العراقية-العبرية القديمة في المجال الديني ومقارنتها وإبراز مواضع الاقتباس والتأثر فيما بينهما في الألف الأول قبل الميلاد، ولهذا فقد تضمن البحث على محورين، تركز **المحور الأول** على التأثر والتأثير في المعتقدات الدينية وكيفية تسربها إلى بعضهما البعض لتطور الفكر البشري، فضلاً عن التشابه والتداخل بين العلاقات العراقية-العبرية القديمة في المجال ذاته، مما يجعل أهمية المعتقدات الدينية ضرورة من أجل دراسة الفكر التوحيدي وبيان تطوره، وإن أكثر العلاقات الدينية تبدو واضحة في النصوص المسمارية العراقية القديمة والتي تسبق ما جاء في المعتقدات اليهودية العبرانية لمدة زمنية موغلة في القدم. أما **المحور الثاني** فهو دور اليهود الإرهابي في تمزيق لحمة النسيج الاجتماعي لسكان بابل والمساعدة على احتلالها من خلال وجودهم كرتل خامس فيها لبث الدعاية المغرضة وأثارت النعرات الطائفية بين صفوف الشعب فضلاً عن تعاونهم مع كورش الأخميني من أجل التخلص من السيطرة

البابلية فقد كادوا المكائد وتحالفوا مع جهات خارجية لا مصلحة لها سوى إضعاف السيطرة عليها وشل قدرتها العسكرية والاقتصادية، بالتعاون مع ضعفاء النفوس والخونة من أهل بابل كالقائد كوباروا حاكم إقليم الكوتيوم (ديالى)، وها هو الزمن يدور دورته ليعود التاريخ نفسه لنرى تآمر الفرس مع اليهود وأميركا فضلاً عن الغرب المتصهين لاحتلال العراق وتدمير منجزاته، من خلال التحالف مع من خان العراق من أبنائه سواء أكان من الداخل أو الخارج ليعملوا على زعزعة الوضع الداخلي جراء إثارة الفتنة الطائفية وإرهاب الشعب العراقي من أجل تحقيق نواياهم المنشودة خدمة لأبناء أولئك الأخمينيين والعبرانيين الذين دمروا بابل وأسقطوا حكمها الوطني.

إن أكثر المؤثرات الحضارية لا سيما في المجال الديني قد انتقلت من العراق القديم إلى العبرانيين عن طريق الاحتكاك المباشر بين الجانبين عندما أصبح العبرانيون يشكلون جزءًا من سكان بابل بعد أن رحلوا من فلسطين إبان العصر البابلي الحديث، إذ أصبحت أمامهم فرصة سانحة للتعرف على النظم الحضارية للعراق القديم وهذا ما دفع بهم إلى أن ينتهلوا الكثير من تلك النظم ويجعلوها من ضمن نتاجهم الحضاري، ومن بين الأمور التي ساعدتهم على ذلك هو الحرية التي أعطيت لهم من قبل ملوك بابل، إلا أنهم لم يتوانوا في استغلال الفرصة السانحة من أجل التخلص من حكم البابليين، والدليل على ذلك ما قام به يهود الترحيل البابلي الذي مهد إلى دخول الفرس الأخمينيين للمدينة وسقوط آخر الحكومات الوطنية في العراق القديم، ونتيجة لدورهم الخياني فقد سمح لهم الملك الإخميني بالعودة إلى فلسطين، مثلما عملت الشخصيات المحسوبة على العراق في إجادة دورهم الخياني لتدمير العراق ومنجزاته فحسب وإنما عملوا على إرجاع أبناء أولئك اليهود العبرانيين إلى عراق اليوم ليكونوا المعول الذي يدمر ليس العراق فحسب وإنما الأمة العربية والشرق برمته.

وكما سمونا من قبل الإرهابيين في حروبهم الصليبية، هاهم يسموننا اليوم الإرهابيين نفس الخطاب ونفس الشعارات، أي إن التاريخ يعيد نفسه ولكن بغير الوجوه والثياب، وهاهم اليوم يعلنون وبكل وقاحة أنهم ساندوا وعاضدوا بعضهم البعض في ذبح العراق والعراقيين جميعًا

المقدمة

تعد العلاقات الوسيلة الرئيسية لانتقال المؤثرات الحضارية بين شعوب العالم قديمًا وحديثًا، فعندما ظهرت النواة الأولى للمجتمعات البدائية القديمة أخذت تميل مع مرور الزمن إلى تطور إمكاناتها المتواضعة، عندئذ زاد الطلب للحصول على الموارد الأولية الواجب توفرها لسكان تلك المجتمعات، وهذا بدوره قد دفع بتلك المجتمعات للاتصال فيما بينهم والاندماج في عملية التطور الحضاري.

يتحدد موضوع العلاقات بين تلك المجتمعات القديمة في جانبين رئيسين الأول منها العلاقات السياسية وتمثل الجانب العسكري والمصاهرات والتمثيل الدبلوماسي والمعاهدات السياسية، أما الجانب الثاني فيشمل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتشريعية والدينية فضلاً عن جوانب الحياة المختلفة التي تنطوي تحت هذا الجانب.

إن موضوع العلاقات في المجال الديني من المواضيع الواسعة والشائكة، فعلية يجب على أي باحث يخوض في غمار هذا المجال أن يكون على علم ودراية كافية وإلمام واسع بتاريخ وحضارة أكثر من أمة أو شعب لا سيما في المجال الديني، ومقارنتها وإبراز مواضع الاقتباس والتأثر فيما بينها، وهذا يتطلب اطلاعًا واسعًا وتمحيصًا دقيقًا في جميع المصادر ذات الصلة بالموضوع مما يكلف الباحث جهدًا وعناءً كبيرين. ولهذا تناول البحث محورين كما يلي:

المحور الأول: التأثر والتأثير

من الأمور المسلم بها أن الحضارات القديمة التي نشأت بين شعوب العالم القديم وفي مناطق مختلفة منه كانت تمتاز بسمات تكاد تكون متشابهة في العديد من الجوانب الحضارية التي كانت سائدة حينذاك، كالجانب الديني وغيره من الميادين الحضارية الأخرى، وإن دل هذا التشابه على شيء فإنما يدل على مدى احتكاك تلك الحضارات فيما بينها لتعطي ذلك التشابه مع المحافظة على الأصالة الحضارية لكل حضارة من تلك الحضارات والتي أملتها عليها ظروفها البيئية التي رافقت ولادتها.[١]

إن كثرة المؤثرات العراقية القديمة في المعتقدات العبرانية قد دفع الباحثين وفي مقدمتهم الباحث الألماني فرديك ديلش (Fredric Dallies) إلى القول أن سفر التكوين «غارق في ذنوب الانتحال»[٢] وذكر جورج بويه شمار «إن الديانة اليهودية أخذت أصولها من الديانة السومرية والبابلية والآشورية» وإن مافعلته التوراة هو أنها استبدلت تعدد الآلهة بوحدانية الآلهه (يهو)[٣]، فيما أشار آخر إلى «أن كتاب التوراة كانوا يكتبون وكأن أمامهم نصوصًا ينسخون منها».[٤]

في الوقت الذي اندفع فيه أولئك الباحثون نحو التأكيد على مسألة أن التوراة قد أخذت الكثير من المقومات الحضارية للعراق القديم وجعلتها من ضمن نتاج العبرانيين الحضاري، فإن الآراء التي كانت تقف مع التوراة قد أشارت إلى أن ذلك التشابه بين المعتقدات العراقية القديمة والعبرانية هو دليل على عمق الرابطة بين الطرفين خاصة وأننا نعلم أن الآباء الأوائل جاؤوا فعلاً من العراق القديم وهذا أمر أكدته التوراة عندما أشارت إلى سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، كان من أبناء وسكان مدينة أور الكلدانية[٥]، وعلى هذا الأساس فإن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام والآباء الأوائل كانوا على علم ودراية بالموروث الحضاري العراقي باعتبارهم كانوا من سكانه قبل هجرتهم إلى فلسطين عند بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

لقد بذل أصحاب هذا الرأي كل ما بوسعهم لإثبات العلاقة بين الحضارة العراقية القديمة والتوراة فبحثوا في المفردات اللغوية للكتاب المقدس محاولة منهم لإيجاد ما يمكن أن يكون له صلة بكلمة سومر إذ حاول أولئك الباحثين إيجاد علاقة بين الاسم العبري Shem (سام) وبين كلمة Shumer (سومر) عندما ذكر أن الأول هو بالأساس مشتق من الثاني[٦]، وسرعان ما دحض هذا الرأي من الباحثين على الرغم من محاولة الباحث كريمر التلويح إلى أن ذلك يمكن أن يكون واردًا لو نظرنا له من الناحية اللغوية باعتبار أن حرف (R) في آخر كلمة (Shumer) يعد ساقطًا لغويًا كون الكلمة كانت غير متبوعة بحرف علة وعليه فإن حرف (u) سوف يتحول إلى (e) وتكون الكلمة بهذه الصيغة (Shem) والتي تعني سام إلا أن مشروعه هذا باء بالفشل عندما فشل بإقناع الباحثين بذلك[٧]، لتبقى هذه المشكلة عالقة ومعلقة على ما سيتم اكتشافه مستقبلاً من نصوص كتابية قد يكون لها دور إيجابي في التوصل إلى حلول مقنعة لها وأن كل ما يدور في أذهان الباحثين حول هذه المسألة يبقى مجرد احتمالات تبحث على دليل مقنع ليعضدها.

لقد بات من المعلوم أن للطبيعة أثرًا واضحًا في سلوك الإنسان البدائي إذ ظهرت نتائج ذلك واضحة في جوانب حياته المختلفة، ولعل أكثرها وقعًا هو ما كان يتعلق بالجانب الديني فالظواهر الطبيعية التي كانت تحيط به كانت معظمها تشكل عنصر خوف له الأمر الذي دفعه إلى عبادتها من خلال التودد لها كي يتقي شرورها وكان منها على سبيل المثال الرعد والبرق والعواصف وما إلى ذلك من الظواهر الأخرى وأما العناصر التي لم تعد تثير مخاوفه فإنه لم يتركها من دون عبادة بل عبدها هي الأخرى وتودد لها كي تزيد من بركاتها له وكان منها على سبيل المثال الأرض التي صورها على أنها الآلهة الأم وقد خلدها على هيئة تماثيل صغيرة وهي تشير إلى امرأة حبلى بارزة المفاتن للدلالة على الإخصاب وتجدد الحياة.[٨]

وعلى هذا الأساس قد ظهر الفكر الديني عند الأقوام وكان يمتاز بتعدد الآلهة وهذه الظاهرة كانت متشابهة عند الكثير من الأقوام البدائية حينذاك على الرغم من البعد الشاسع بين مراكز حضارات تلك الأقوام فمثلاً نجد هناك عدداً كبيرًا من الآلهة وفي أماكن مختلفة من العالم القديم كانت تحمل الصفات نفسها وتقوم بالعمل ذاته إلا أنها كانت تختلف في التسمية ولعل ذلك ناتج عن الاختلاف اللغوي لتلك الأقوام ونتيجة للتطور الحضاري المبني على التفكير المتأمل للطبيعة قد ظهرت خصوصية لدى بعض الأمم والمجتمعات في فكرها الديني ووظيفة آلهتها وكان ذلك مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالبيئة التي كانت تعيشها تلك الأقوام فمثلاً كان العبرانيون يتمتعون بنمط عيش يقوم على التنظيم العشائري – القبلي إذ عكست ديانتهم هذا النمط من العيش[٩]، وقد اشتركت آراء معظم الباحثين في تحديد الههم (يهو) الذي أتوا به من الصحراء وحملوه معهم إلى بابل إذ صوروه في بداية الأمر على أنه صحراوي جبلي بركاني ثائر متقلب الأهواء كتقلب مناخ الصحراء ولعله اكتسب من طبيعة حياتهم البدوية[١٠]، وبعد أن امتزج عبدته مع المتحضرين من أبناء العراق القديم أصبحت صورته إنسانية فأخذ صورة الإنسان المتحضر[١١]، وهذا يعني أن (عبادة يهو) كانت مرتبطة بطبيعة حياة عبدته أي إن تطورها كان تابع لتطور حياة العبرانيين.

يبدو أن احتكاك العبرانيين بالعراق القديم في المراحل الأولى من تاريخهم كان يقف وراء التشابه الكبير بين سمات إلههم (يهو) وسمات الآلهة العراقية القديمة ويظهر أنهم -أي العبرانيين- قد جسدوا ذلك الأمر من خلال إضفاء بعض سمات الآلهة العراقية القديمة التي كانت تتصف بالشرك على إلههم (يهو) الذي عدوه الإله الواحد الأحد الخاص بهم وكان من بين ما أشار إليه الباحثون أن هذا الإله اتخذ صفة الحيوية إبان تلك المرحلة[١٢]، وقد اعتمدوا في ذلك على ما جاء في التوراة من قدسية لبعض الأشجار الأيلونبين (بطن البلوط) وكذلك ما ظهر في تقديس للحيوانات المختلفة التي ظهرت في سفر حزقيال والصور الموجودة على جدران المعبد والتي كانت تمثل بعض أنواع الحيوانات كالزواحف مثلاً[١٣].

ومن الأمور الأخرى التي كانت تشير إلى مدى تأثر العبرانيين بالديانة العراقية القديمة هي أنهم صوروا إلههم وشبهوه بالإنسان وتخيلوا أنفسهم وكأنما خلقوا على صورته فهو يأكل ويشرب مثلهم وهو يصارع ويدفن الموتى وهو يتمشى إلى الجنة[١٤]، ولعمق هذه الصفة في الديانة العبرانية فقد دفع أحد الباحثين إلى القول (أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهود هذا)[١٥]، ويبدو أن هذه الصفة – أي صفة التشبيه بالبشر- هي تشبه تمامًا ما كان سائدًا في المعتقد الديني للعراق القديم[١٦]، ولا يستبعد أن العبرانيين قد اقتبسوها من ديانة العراقيين القدماء عند احتكاكهم بهم.

من جانب آخر فقد صور العبرانيون إلههم (يهوه) بعدة صور كان من بينها إله يثير الرعب والحزن في القلوب والنفوس وجعلوه إلهًا صارمًا ذا نزعة حربية وصعب المراس وأظهروه على أنه فخور ومعجب بنفسه كمحارب[١٧]، فيما نجدهم في جانب آخر قد وصفوه بصفات كانت تبعث بالحب وأخذوا يعلمون الناس أن (يهوه) يحب عباده وأنه يطلب منهم الحب[١٨]، وإذا وقفنا عند هذه النقطة نجدها تشبه تمامًا ما كانت عليه الحال مع بعض الآلهة العراقية القديمة وعلى وجه التحديد الآلهة عشتار التي عرفت في العراق القديم بازدواجية العبادة ففي الوقت الذي عبدت فيه على أنها آلهة الحب والخصب والجمال فإنها عبدت في أحيان أخرى على أنها آلهة الحرب[١٩]، وربما أن هذا التشابه بين الطرفين هو ناتج عن اتصال العبرانيين بالمجتمع العراقي القديم وتعرفهم على معتقدات سكانه الدينية.

ومن بين الآراء التي ذهب إليها أحد الباحثين في الحضارات القديمة، وبالتحديد ما كان يتعلق بالجانب الديني لأقوام الشرق القديم هي أن فلسفتهم الدينية كانت تقتضي أن ينعتوا آلهتهم بأسماء هي في الأصل عبارة عن جمل مثل تسمية

(ملقارت)التي كانت تعني عند الكنعانيين (ملك المدينة) وكذلك تسمية (أدون) التي كانت تعطي معنى (سيدنا)، ولعل الدافع من وراء ذلك حسب ما ذهب إليه الباحث هو اعتقادهم أن ذكرهم لاسم الإله هو استدعائهم له وربما قدومه عند استدعائه هو نوع من الطاعة، لذا أصبح بمقدور الكهنة أن يطلبوا الإله ليلبي استجاباتهم ولغرض تلافي هذا الضرر فقد تقرر إخفاء اسم هذا الإله عن طريق ذكره بألقابه[٢٠]، هذا ما فعله الآشوريون والبابليون عندما سمو آلهتهم الكبرى ب(بيل) بمعنى أوبيليت بمعنى سيده وهذا بدوره قد وجد طريقه إلى الديانة العبرانية إذ أن العبرانيين قد جروا على ما جرى عليه العراقيون القدماء من خلال ذلك عدم نطقهم باسم الإله وإنما استخدموا مصطلح الجملة للدلالة عليه[٢١]، ويبدو مما تقدم أن العقائد الدينية لدى أقوام الشرق القديم كانت متشابهة بشكل كبير ولعل ذلك ناتج عن علاقة الاتصال المباشر بين تلك الأقوام.

ومن الأمور المسلّم بها أن العراقيين القدماء عبدوا آلهة متعددة وأقاموا لكل إله تمثاله الخاص به ووضعوه في المعبد الذي أقاموه ليكون بيتًا لذلك الإله، وفي هذا الجانب يرى أحد الباحثين أن الغاية من وراء صنع ذلك التمثال هو للتقرب إلى الإله الذي جسد على هيأة ذلك التمثال وليس بمجرد تمثال ابتدعه المتعبدون في العراق القديم حسب ما كانت تقتضيه رغبتهم الدينية[٢٢]، وفي الوقت نفسه نجد أن ذلك الباحث قد نظر إلى العبرانيين بالطريقة نفسها عندما ذكر أنهم تقربوا إلى (يهو) إلههم القومي من خلال التابوت المقدس الذي وضع في الهيكل (بيت ذلك الإله)، واستنتج في النهاية أن التمثال المقدس في العراق القديم يشبه في جوهره المقدس التابوت الذي كان يمثل جوهر الإله (يهو)[٢٣]، وهذا بعني أن الصيغة التي عبد بها الإله في العراق القديم وتلك التي عبد بها (يهو) عند العبرانيين هي في الأساس كانت متشابهه وترمز بالاتصال الروحي بين المتعبد والمعبود الذي تجسد بصورة ذلك التمثال وهذا يتم عن الاتصال الدائم بين الطرفين.

يبدو أن فكرة الوحدانية الصرفة لم تكن واضحة المعالم في المراحل من معتقدات العبرانيين الدينية بدليل ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن العبرانيين لم يدركوا فكرة وحدانية التفكير (الوحدانية الصرفة) وإنما أدركوا وحدانية تغليب إله من الآلهة على سائر الأرباب الأخرى[٢٤]، أي إن العبرانيين لم يخطوا خطوة أكثر من أن لهم إلهًا يعلو على آلهة غيرهم من الأقوام وهذا ما أكدته الوصية الثانية من الوصايا العشر لسيدنا موسى عليه السلام[٢٥]، وأن هذا الإله هو إله خاص بالعبرانيين وله مواصفات محدودة وله منطقة نفوذ أيضًا[٢٦] لا تتعدى أكثر من منطقة مسكنهم الجغرافية، فيما أشار بعض الباحثين إلى أن أصح ما اتصف به العبرانيون إبان هذه الحقبة أنهم أدركوا مبدأ التفريد[٢٧]، إذ ذهب أحدهم إلى أن الديانة في العراق القديم على الرغم من تعدد آلهتها إلا أنها اتجهت إلى التفريد، فامتازت كل مدينة بإله لها يتقدم بقية الآلهة الأخرى، ويشير الباحث نفسه إلى أن (يهو) كان إلهًا قبليًا خاصًا بالعبرانيين وينافس آلهة الأقوام الأخرى، وهذا يشبه تمامًا ما كان عليه الحال في آلهة دويلات المدن في العراق القديم[٢٨]، وربما إن هذا التشابه بين الجانبين كان نتيجة لاطلاع الآباء الأوائل على ما كان موجودًا في العراق القديم في بداية الألف الثاني ق.م.

ومن بين ما امتازت به ديانة العبرانيين وجود طبقة الأنبياء، والنبي في نظرهم إنسان ينبئ عن الغيب، هذا وقد امتاز أنبياء العبرانيين بعددهم الكبير ولعل هذا ناتج عن أن بني إسرائيل كانوا بحاجة دائمة إلى نذير كونهم كانوا كثيرًا ما يخالفون وصايا الرب ويرتكبون المعاصي من خلال انخراطهم في العبادات الوثنية حينذاك[٢٩]، وفي هذا الجانب نجد أن بعض الباحثين قد أشاروا إلى أن النبوة لم تكن من اختراع العبرانيين ولا من استحداثاتهم الدينية وإنما كانت معروفة في العراق القديم قبل ذلك إذ أشاروا إلى وجودها في مدينة ماري وقد مارستها فئة أطلق عليها اسم مخوخو[٣٠]، إذ إن المنحوتات الأثرية التي اكتشفت في ماري كانت توحي في البعض منها على وجود نوع من النبوة في العراق القديم

لا سيما في الأجزاء الشمالية منه وكانوا يتلقون العلامات الخاصة بنبوتهم أو ينطقون بالأجوبة عن الأسئلة التي يسألون بها وإن هذه النبؤات تتشابه مع ما جاء في التوراة[٣١]، وبحسب ما جاء به بعض الباحثون في هذا الجانب فإن النبوة قد انتقلت من العراق القديم إلى العبرانيين في حقبة من حقبات حياتهم السياسية، ولعل ما يؤكد ذلك هو ما ذهب إليه أحد الباحثين إلى أن عقيدة العراقيين القدماء كان أساسها تراث الأنبياء وهي نقطة انطلاقهم نحو مناطق الشرق القديم.[٣٢]

انتشرت عند العبرانيين إلى جانب عبادة (يهو) عبادات أخرى، وكان من بين تلك العبادات آلهة هي بالأصل كانت ضمن مجمع الآلهة البابلية وقد انتقلت بصورة مباشرة كإله نرجال، حينما قام الملك شروكين الآشوري أو بما يعرف بشروكين الثاني (سرجون الثاني) بتهجير سكان مدينة السامرة إلى مناطق متفرقة من إمبراطوريته وأسكن بدلاً عنهم أقوامًا جلبوا من مدينة بابل[٣٣] وبالتحديد من مدينة كوثى مركز عبادة هذا الإله ويظهر أن هؤلاء قد جلبوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدوها في مناطقهم الأصلية، هذا وقد ورد اسم هذا الإله في التوراة بصيغة نركول.[٣٤]

ومن آلهة العراق القديم الأخرى التي عرفت عند العبرانيين وانتشرت طقوس عبادتها بينهم هو الإله تموز إذ أشار حزقيال إلى أن البكاء عليه كان يسمع في الهيكل[٣٥]، وكذلك عرفت عبادة الآلهة عشتار عند العبرانيين وذلك لارتباطها بعبادة الآلهة (تموز) إذ تأثرت فلسطين كغيرها من مناطق الشرق القديم بمراسيم أعياد هذا الإله[٣٦]، ومن الآلهة العراقية الأخرى التي انتشرت عبادتها في فلسطين على وجه العموم وعرفها العبرانيون هي عبادة الإله (داجون) وهو إله ذو مقام رفيع في مجمع الآلهة البابلية وهذا الإله يعد مؤلف القانون وعرف في الأساطير البابلية بأنه أول من نظم الحياة الإنسانية ويرجع إلى تعاليم أنها من مخلفات كائنات نصف بشرية ونصف سمكة[٣٧]، وقد ورد ذكره في التوراة وبالتحديد في سفر صموئيل[٣٨]، وهذا دليل على معرفة العبرانيين بهذا.

وخلال العصر الآشوري الحديث ونتيجة للاحتكاك المباشر بين الآشورين والعبرانيين والذي تولد في أعقاب دخول فلسطين ولأول مرة تحت سيادة الدولة الآشورية المباشرة في زمن الملك توكلتي أبل أشر الثالث(تجلات بليزر الثالث)[٣٩]، وبعد ذلك أخذت الصلات الدينية والحضارية تظهر بصورة واضحة بين الطرفين وذلك عندما أخذت المؤثرات الدينية الآشورية تشق طريقها إلى المعتقدات العبرانية حينذاك.

ومن بين الإشارات التي أوردتها التوراة الخاصة بهذه الفترة هي أن الملك أحاز ملك مملكة إسرائيل وفي أثناء تواجده في بلاد الشام ليقدم فروض الطاعة والولاء للملك الآشوري أعجب بالمذبح الآشوري الموجود في أحد المعابد هناك ليرسل إلى كاهن المعبد في إسرائيل آنذاك الكاهن (أوريا) يأمره فيه أن يشيد مذبحًا مشابهًا لما رآه في دمشق[٤٠]، وعندما عاد الملك من دمشق رأى المذبح فتقدم وصعد عليه وأوقد محرقته وسكب سكيبة ورش ذبيحة السلامة التي على المذبح[٤١]، وبهذا فقد اتخذ الملك الإسرائيلي مذبحًا وثنيًا واستعمله بالهيكل وقد شهدت هذه الحقبة الزمنية تشرب الديانة العبرانية بالكثير من طقوس الآلهة الأشورية وكان في مقدمتها طقس الإله آشور إله الآشوريين القومي[٤٢]، والطقوس ذات العلاقة بالشمس والكواكب مع كهنتها الآشوريين وكذلك الطقوس الخاصة بالآلهة عشتار.[٤٣]

ويذكر أن الملك (جوزايا) وهو أحد ملوك مملكة إسرائيل عند قيامه بإصلاحات عامة في الدين العبري إبان هذه المدة بضرب الرسومات وتماثيل للشمس والعربات كانت الغاية منها كلها تعظيم الشمس و(الإله شماش) وهي تأثيرات آشورية دخلت إلى الديانة العبرانية إبان العصر الآشوري الحديث، وهكذا نجد أن الدين العبراني قد تسرب إليه الكثير من المظاهر الحضارية للدولة الآشورية إبان العصر الآشوري الحديث.

وخلال الحقبة الزمنية التي تلت سقوط المملكة الآشورية عام ٦١٢ ق.م والتي تزعمت فيها الدولة البابلية الحديثة سيادة الشرق القديم دخلت فلسطين مع من دخل من الإقليم تحت سيادتها وكان من نتائج الحملات العسكرية التي أرسلوها إلى هناك أن نقلوا أعدادًا كبيرة من سكان مملكة يهوذا إلى بابل على إثر سقوط مملكتهم بيد قوات نبوكدآصر الثاني (نبوخذنصر الثاني) في عام ٥٨٦ ق.م.[٤٤]

وأثناء تواجد هؤلاء اليهود في بابل تأثرت ديانتهم بالكثير من المعتقدات البابلية إذ أعطى النفي الذي تعرض له العبرانيون إبان هذه الفترة نتائج إيجابية للدين اليهودي وقدم فرصة منقطعة النظير للقادة الدينيين بالقيام بالطقوس الدينية الصحيحة التي أخذوا يدعون إليها في بابل[٤٥]، إذ أصبح اتصال اليهود بأنبيائهم أكثر مما هو عليه في عهد ملوكيتهم ولعل هذا يرجع لسببين الأول أن الملوك في العهد السابق كانوا يتمتعون بسلطة قويه وكانوا في أغلب الأحيان يمثلون مصدر إزعاج للأنبياء بسبب سياستهم التي كانت تهدف إلى إدخال عبادات وثنية إلى البلاد والتي كان الهدف منها سياسي [٤٦]، إما في بابل أصبح بمقدور الأنبياء القيام بالطقوس الدينية بدون أي ضغوط سياسية كتلك الذي كانت تمارس ضدهم سابقًا.

والثاني كان يتعلق باليهود الموجودين داخل مدينة بابل إذ أدركوا أن ما حل بهم من شقاء هو نتيجة لما أبدوه من عدم اتباعهم لشرائع (يهو) وكان ذلك حسب رأيهم هو مدعاة لغضبه عليهم[٤٧]، وهذا بدوره قد دفعهم إلى الالتفاف حول قادتهم الدينيين في بابل لا سيما أن الوازع الديني يقوى عند الأزمات وهكذا فقد وجدت الديانة العبرية طريقها نحو الوحدانية العالمية بعد أن تحررت من قيود المشكلات السياسية الضيقة.

لقد ظل العبرانيون في بابل يحتفظون بولائهم الكامل لوطنهم ولمعتقداتهم[٤٨]، فكان ذلك عاملاً مهمًا من عوامل المقومات الحضارية من العراق القديم إلى العبرانيين وعلى الرغم من عدم تمكنهم من القيام بعباداتهم وطقوسهم في المنفى بصورة كاملة بسبب بعدهم عن الهيكل[٤٩]، إلا أن كهنتهم سعوا منذ ذلك الحين في البحث لإيجاد طريقة بديلة من ذلك، وأخيرًا فقد وجدوا الحل باستبدال تلك العبادات والطقوس التي أصبح من المتعذر عليهم القيام بها بالصلاة والأدعية[٥٠]، وهذا بدوره قد دفع علماء الدين واللاهوت الغرب إلى أن يرجعوا سبب اليسر والسهولة في الصلوات والأدعية اليهودية الواردة في التوراة إلى هذه الحقبة الزمنية التي قضاها اليهود في بابل[١٥]، وكان من بين المتغيرات التي طرأت على الديانة العبرانية إبان هذه الحقبة هي عودة العطلة الأسبوعية إلى يوم السبت إذ أصبحت أقدس الأيام وأخذت التجمعات الدينية الاعتيادية تعقد في هذا اليوم فضلاً عن يكرس للصلاة وتلاوة المخطوطات المقدسة والإصغاء لمحاضرات الأنبياء[٥٢]، كما أصبح هناك تأكيد على (الختان) الذي أخذ يقام في بناية معينة خاصة[٥٣]، نستنتج من هذا أن العبرانيين أخذوا يعودون في عباداتهم إلى ما هو متعارف بينهم أيام عهد سيدنا موسى عليه السلام ولعل هذا جاء نتيجة لتأثرهم بما يجري في العراق القديم إبان تواجدهم هناك وكان ذلك حافزًا لهم للقيام بعبادتهم الصحيحة.

إن تواجد العبرانيون في بابل قد دفع البعض منهم إلى تبني الديانة الكلدية والبعض الآخر تسمى بأسماء بابلية أو سمو ذريتهم على أسماء الآلهة الكلدية[٥٤]، ومن أهم الشخصيات العبرانية التي ظهرت تحت تسمية بابلية صرفة هو (زور-بابل) التي تعني بذرة بابل الأولى هو حفيد الملك يهويا كين الموجود في بابل ضمن مجموعة الأسرى الذي جلبهم نبوكد آصر الثاني (نبوخذنصر الثاني) إلى بابل عام ٥٩٧ ق.م[٥٥]، ولا نعرف السبب أو الدافع من وراء هذه التسمية التي أطلقت على حفيده ولكن يبدو أن الملك اليهودي أراد أن يخلد تلك الأحداث بهذه التسمية أو ربما كان القصد من وراء ذلك بعدًا سياسيًا وهو كسب ود الملك البابلي.

وإبان العهد الإخميني الذي بدأ في العراق القديم باحتلال بابل عام ٥٣٩ ق.م تمتع العبرانيون بامتيازات خاصة، فضلاً عن وضعت في هذا العصر الأسس للأعياد المهمة للعبرانيين وأوقات الصوم وظهرت طبقة المعلمين والكهنة والحاخامات[٥٦]، وربما ذلك من تأثر الديانة العبرانية بما كان شائعًا في العراق القديم إبان تلك الحقبة التي مكثوها هناك، فضلاً عن أهم حدث أرخ في هذا العهد هو اكتمال كتابة التوراة أي أسفار موسى الخمسة والتي تعد من المصادر الأربعة المهمة وهي اليهودي والمصدر الألو هيمي والتثنية والكهنوتي[٥٧]، وبعد اكتمال كتابة التوراة بدأ عصر جديد من عصور القوة في المعتقد الديني اليهودي الذي امتاز بالتشدد والتطرف الديني.

يبدو من خلال ما تقدم ذكره من العلاقات الدينية بين العبرانيين والعراق القديم إلى أن التأثر بين الإثنين كان واضحًا بشكل لا يقبل الشك وإن التشابه في المعتقد والأفكار والقصص الخاصة بهذا الجانب خير دليل على مدى ذلك التأثر، وهذا بدوره يدفعنا إلى القول أن العبرانيين لم يبرزوا في ميدان أكثر من ميدان الدين والمعتقدات الدينية، ولا غرابة في ذلك لكونهم أول من نادى بفكرة الوحدانية التي جاءت واضحة في كتابهم المقدس التوراة الذي ضم في ثناياه نصوصًا مختلفة جاءت تعبر عن لسان إلههم يهوه (الله)، وهو كتاب سماوي وهذا ما أكده القرآن الكريم إلا أن العبرانيين قد حرفوه وجعلوه يتماشى مع مصالحهم الخاصة، وما يهمنا في هذا الجانب هو أن ما حمله من قصص وأفكار دينية هي بالأساس كانت موجودة في النصوص المسمارية للعراق القديم لفترة سبقت نزوله على سيدنا موسى عليه السلام، تلك التي جاء بها السومريون منذ آلاف السنين وهذا بدوره يعطينا دليلاً قاطعًا على أن العبرانيين قد تأثروا أو اقتبسوا أفكارهم الدينية من العراق القديم نتيجة لعلاقتهم واتصالاتهم بالحضارات التي قامت فيه واطلاعهم على ما أفرزته تلك الحضارات من إنجازات في هذا الجانب والجوانب الأخرى.

المحور الثاني: دور اليهود الإرهابي ومساعدتهم لكورش في احتلال بابل

بات من المعلوم أن الحقبة الزمنية التي تلت سقوط الإمبراطورية الآشورية والتي تزعمت فيها الدوله البابلية الحديثة سيادة الشرق القديم دخلت فلسطين مع من دخل من الأقاليم تحت سيادتها وكان من نتائج الحملات العسكرية التي أرسلوها إلى هناك أن نقلوا أعدادًا كبيرة من سكان مملكة يهوذا إلى بابل على إثر سقوط مملكتهم بيد قوات نبوكدآصر الثاني في عام ٥٨٦ق.م، وبذلك انتهى استقلال مملكة يهوذا وترحيل سكانها[٥٨]، ومنذ ذلك الحين أخذ حكام يهوذا يعدون العدة لعقد الأحلاف السياسية ويكيدون المكائد ضد السلطة الجديدة على الرغم مما وفرته لهم من حماية مع المحافظة على كيانهم السياسي بالإبقاء على ملوكهم على أن يقدموا الولاء بدفع ضريبة الجزية عنوان الخضوع[٥٩]، إلا أن اليهود كانوا يتربصون بالبابليين ويتحينون الفرص من أجل التخلص من السيطرة البابلية الحديثة فقد كادوا المكائد وتحالفوا مع جهات خارجية لا مصلحة لهم في ذلك سوى التخلص من السيطرة البابلية وخير دليل هو تعاونهم مع الأخمينيين لإسقاط الحكم الوطني في بابل واحتلالها عام ٥٣٩ق.م.

تفتقر الفترة المحصورة بين تولي الأخمينيين والسيطرة على العراق إلى دخول الإسكندر المقدوني لبابل عام ٣٣١ ق.م إلى المخلفات المادية وكذلك المخطوطة بشكل ملفت للنظر[٦٠]، وتنحصر معلوماتنا في هذه الفترة في أسطوانة كورش الأخميني والتي اكتشفت من قبل هرمز رسام عام ١٨٧٩م، والكتاب الكلاسيكيين.[٦١]

بعد أن انتهى كورش الثاني من إخضاع كل المناطق المجاورة في الشرق والغرب، اتجهت أنظاره إلى بابل وأخذ يتهيأ لاحتلالها وما شجعه على ذلك الأوضاع المضطربة فيها، فلم تكن أوضاعها الداخلية تتيح لها قدرة الوقوف بوجه كورش وخاصة أن المعلومات تؤكد بأن الملك نبونائيد قفل راجعًا إلى بابل بعد أن أمضى ما يقارب عشر سنوات في واحة تيماء وكان عمره آنذاك حوالي سبعين عامًا[٦٢]،

إثر سماعه بأنباء زحف كورش عليها، فقد كانت مشاكل المملكة الاقتصادية وخلافات الملك مع كهنة مردوك تزيد في الصعوبات أمام نبونائيد وتهيئ الفرصه الجيدة لكورش كما عمل اليهود في بابل دورًا في إضعاف سلطة نبونائيد وإرباك الأوضاع الداخلية الدينية منها والاقتصادية[٦٣]. إذ كانوا قد وصلوا إلى تأثير اقتصادي كبير في بابل وتعاونوا سويًا مع كورش وقد ترك التعاون صداه في (سفر أشعيا ٤٠-٤٥) وأملوا من وراء ذلك مساعدتهم لكورش السماح لهم بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء هيكلهم هناك[٦٤]، أما الأوضاع الخارجية فكانت تتغير بسرعة عجيبة ومع أن المملكة البابلية (الكلدية) كانت على علاقات طيبة مع الدوله الأخمينية إلا أن مصالح الأخمينيين اقتضت إعلان الحرب على المملكة البابلية الحديثة وقد بدأت الحرب لشن حملة دعائية واسعه في البلاد ضد ملك بابل قادتها الأسر اليهودية الموجودة في بابل إذ ساعدوا الملك الأخميني بالتجسس وتزويده بالمعلومات وكذلك من خلال التسرب إلى أجهزة الحكم ثم قاموا بتخريب الأجهزة التي تسربوا إليها وبذلك أعانوا الملك الأخميني على احتلال بابل[٦٥].

دخل كورش الأخميني بابل غازيًا في تشرين الأول عام ٥٣٩ ق.م إذ اصطدم بالجيش البابلي الذي تقدم لصده عند مدينة أويس قرب المدائن الحالية وكان النصر فيها لكورش ومعه الخائن كوباروا الحاكم البابلي لإقليم الكوتيوم (ديالى الحالية في الجهة الشرقية من العراق) والذي خان ملكه البابلي وانضم إلى الملك الأخميني الذي استفاد كثيرًا من انضمامه له إذ عهد إليه قيادة الجيش الذي تقدم لاحتلال بابل، وتقدم الجيش الأخميني ودخل سبار في اليوم الرابع عشر من الشهر نفسه وسبار لا تبعد كثيرًا عن ميدان معركة أويس وربما فكر الملك نبونائيد بالانسحاب إلى داخل مدينة بابل ذات التحصين المنيع ثم تقدمت الجيوش المعادية إلى بابل واحتلتها في السادس عشر من تشرين الأول علمًا أن المسافة التي تفصل بين سبار وبابل يتطلب قطعها حينذاك أكثر من يومين، فمما لاشك فيه بأن الجيش الغازي لا بد وأن حصل على دعم من عناصر محلية خائنة متواجدة داخل بابل[٦٦]، إذ لم تكن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انهيار المدينة هي ضعف تحصيناتها الدفاعية فالمدينة محصنة تحصينًا منيعًا وقويًا ولا يمكن للعدو الفارسي اختراقه والدخول إليها[٦٧]، بل وجود الرتل الخامس في داخل المدينة والممثل بالمتآمرين اليهود الأثر الكبير في تفكيك النسيج المجتمعي والتمهيد لدخول الفرس إلى بابل كونهم أعداء المملكة جعلهم على استعداد تام للعمل ضد أهل بابل مع أي قوى معادية أخرى والراجح أن الملك الأخميني أنجز التحالف مع اليهود وأن هذا التحالف أدى دوره في احتلال المدينة سواء كان ذلك عن طريق العون المباشر أو غير المباشر وأقاموا به من تخريب اجتماعي واقتصادي داخل البلد وهذا بدوره قد ساعد جيش كورش على دخول بابل عام ٥٣٩ ق.م[٦٨]، ولا يعرف مصير الملك نبونائيد فربما قتل أثناء اقتحام المدينة أو أنه اقتيد أسيرًا.

أدى اليهود في بابل دورًا في تدوين قصة ترحليهم بصورة مزيفة ومغايرة للحقيقة لكسب الشفقة من الملك الأخميني إلى جانب ما أدوه من تآمر على سلامة بابل، وجراء عملهم الخياني هذا فقد كافأهم كورش على فعلتهم بعد دخوله المدينة بأن أصدر مرسومًا يسمح لكل راغب بالعودة إلى فلسطين وأعاد إليهم كنوز الهيكل في أورشليم التي نقلها الملك نبوكدآصر ملك بابل[٦٩]، ولقد أصبح اليهود في عيش رغيد لأن خلفاء كورش أطلقوا لهم الحرية الكاملة في ممارسة طقوسهم الدينية، كما منحوهم حكمًا ذاتيًا لإدارة شؤونهم وولوهم المناصب الرفيعة في البلاط الأخميني في العاصمة سوسة، ويؤكد بعض الباحثين أن الذي حصل عليه اليهود من قبل كورش لم يشمل كل المرحلين وإنما شمل اليهود ولا شك أن للملك الأخميني هدفًا آخر غير الاعتراف بفضل اليهود لمساعدتهم له، هو الاستفادة منهم للمحافظة على الهدوء والأمن في ربوع فلسطين، وتشكيل موضع قدم قوية لخطواته وأهدافه التوسعية القادمة في خططه العسكرية[٧٠]، ومن خلال أحد نصوص كورش يتبين لنا مدى التعاون القائم بين بعضًا من سكان بابل ومن المحتمل كهنة الإله مردوك في التسريع في احتلال مدينة بابل وإسقاط حكمها الوطني والتي يشير إليها

هذه النص بسبب ادعاء كورش بأنه دخل المدينة سلميًا من دون أن تكون هناك قلاقل فضلاً عن ادعائه بأن ملوك العالم القديم جاؤوا إليه في بابل وقدموا إليه الإتاوة للتأكيد على علاقة كهنة معبد الإله مردوك يشير إلى سلفه نابونائيد وغضب الإله مردوك منه إذ يقول: أنا كورش، ملك العالم، الملك العظيم، الملك القوي، ملك بابل، ملك سومر، ملك الجهات الأربعة، ابن قمبيز، الملك العظيم، ملك انشان، حفيد كورش، الملك العظيم، ملك انشان، سليل تابسبس، الملك العظيم ملك انشان (الذي) يعد (النسل) الأبدي للملكية... عندما دخلت بابل كصديق (و) أقمت وسط تهليل وفرح مقر لحكمه في قصر الحاكم. قواتي اخترقت بابل سلميًا، ولم أسمح لأحد أن يثير الفزع (في أي مكان) من بلاد سومر وأكد. سكان بابل (الذين) بعكس إرادة الآلهة (نير) (لا يليق بهم) جعلتهم يرتاحون من عنائهم. ورفعت (عنهم) السخرة. مردوك السيد العظيم سر من أعمالي الطيبة وباركني برحمة. أنا كورش الملك الذي عبده، وكذلك قمبيز ابني من صلبي، وكل قواتي (بخير)... الآلهة أعدتها إلى مساكنهم وآلهة سومر وأكد التي جلبها نبونائيد لإغضاب سيد الآلهة، بناء على مردوك السيد العظيم جعلتها تتخذ في معابدها المكان الذي يفرح قلبها... ألا تصلي كل الآلهة التي أعدتهم إلى مدنهم المقدسة... ليصلوا يومها من أجل نابو وبيل، حياة طويلة وليوصوا بي مردوك مولاي حتى كورش الملك الذي يعبدك وابنه قمبيز...[٧١]

النص أعلاه يعد بمثابة البيان السياسي للمملكة الأخمينية، إذ يتهم فيها سلفه بالظلم والاستبداد وتسخير الرعية وتهجيرهم والإساءة إلى الآلهة وهو يدعي أن الإله مردوك الذي هجر بابل مع بقية الآلهة قد دعاء لينقذ الشعب ويعيد الأمور إلى نصابها وأسلمه بابل، فضلاً عن إعلانه عن سياسته في إعادة بناء المدن المقدسة التي نقلت منها تماثيل الآلهة وإعادة المرحلين إلى أماكنهم، كما جاء في النص أعلاه، وعلى الرغم من أنه لم يذكر اليهود ولكن نستطيع أن نتبين من خلال إشارته في النص «جمعت الآهلين وأعدتهم إلى مساكنهم» إشارة إلى السماح لليهود بالعودة ولكن يجب أن لا يذهب بنا الأمر إلى تصور كورش الأخميني في حلة المنقذ الحقيقي الذي يهب الشعوب كرامتها واستقلالها، ويسمح بعودة القرى الإقليمية إلى ما كانت عليه سابقًا ذلك ما هدفت إليه السياسة الفارسية هو خلق نظام إداري ذو طابع من حيث الشكل يساعد على حكم المناطق الشاسعة للمملكة وبكفاءة عالية وبنفقات أقل، كما يساعد على فرض القوانين الفارسية بعد إعطائها طابعًا إقليميًا محليًا[٧٢].

ومما تقدم أجزم القول لولا مساعدة الفرس الأخمينيين لليهود العبريين لما استطاعوا العودة إلى فلسطين، ولعل هذا شبيه بما يدور في الوقت الحاضر إذ أن اليهود وهم أحفاد أولئك العبرانيين الذي أعادهم كورش الأخميني إلى فلسطين والذين لم يستطيعوا بناء كيانهم السياسي فيها لولا مساعدة الولايات المتحدة الأميركية، إلا أنه رغم المآسي والمحن في وطن، ها قد دار الزمن دورته ليحدث الآن بث الفتنة الطائفية من قبل إيران ومن خلفها الكيان الصهيوني والغرب المتصهين للتحالف من جديد لضرب العالم الإسلامي والأمة العربية وفي مقدمتها العراق.

لذلك يمكن القول بأن من يعتقد أن أمريكا ستضرب إيران يومًا ما فهو مخطئ جدًا إن لم أقل أنه لا يفقه شيء مما يجري، فإن التحالف اليهودي الفارسي لهو أهم من أمريكا وكل الغرب المسيحي المتصهين وكل الشيوعية والأفكار العلمانية وجميع المدارس الفلسفية الحديثة بالنسبة لليهود، فالتحالف اليهودي الفارسي لهو تحالف جدلي، تحالف روحان في جسد واحد وعلى مر التاريخ نرى هاتين الدولتين هما دائمًا وراء كل موت في هذه المعمورة.

وإن حصل مرة وبالصدفة ضربت أمريكا إيران مستقبلاً فسيكون فيلمًا أميركيًا كوميديا كما

هي عملية صحراء لوط وغيرها من الأحداث أيام الرئيس كارتر وكيف تم إخراج هذه العملية بشكل سيء وكأننا نشاهد فلما هوليوديا من الدرجة العاشرة[٧٣]، ننظر هنا الكثير من الأسماء الفارسية التي ساهمت إما بشكل مباشر أو غير مباشر أحيانًا، مع اليهود في ضرب العراق وتدمير منجزاته على مر التاريخ فمنذ أول قدوم الفرس إلى الأراضي العراقية بدأت الأقوام البربرية الهمجية بتدمير كل ما هو حضاري وإنساني وصولاً إلى كورش الأخميني وكيف حرق بابل حينما أسقط حكمها الوطني مع اليهود ثم مؤامراتهم وجرائمهم بعدم السماح لقيام أي نظام عربي مستقل وحضاري من خلال دخولهم الإسلام وضربه من الداخل، وخير دليل ما فعله الصفويين في العراق وفي الدين الإسلامي باسم الإسلام وكيف شقوا الإسلام.

وفي العصر الحديث كم من الأسماء أو الشخصيات الفارسية حاقدة لبست ثوب الإسلام بذبحهم لأمة العرب وجميع مؤامراتهم تمر في العراق وما حصل اليوم لهو خير شاهد على كل ما حصل بالأمس وعلى مر التاريخ. وهاهم اليوم نفس الأسماء أو الشخصيات الفارسية التي لبست ثوب الإسلام يدًا بيد مع أبناء القردة والخنازير اليهود والصليبية المتصهينة كيف هيؤوا الأجواء لبعضهم البعض حتى دخلوا العراق، وهاهم يذبحون العراقيين باسم الإسلام واسم الشرق الأوسط الكبير واسم الديمقراطية والحرية للجميع بهكذا شعارات دخلوا لتدمير ونهب العراق ونفس الشعارات التي رفعها كورش الأخميني وكل كسروات الفرس من بعدهم هولاكو والصليبيين.

وكما سمونا من قبل الإرهابيين في حروبهم الصليبية هاهم يسموننا الإرهابيين اليوم نفس الخطاب ونفس الشعارات، أي إن التاريخ يعيد نفسه ولكن بغير الوجوه والثياب، وهاهم اليوم يعلنون أنهم ساندوا وعاضدوا بعضهم البعض في ذبح العراق والعراقيين.

الهوامش

١- الهاشمي، رضا جواد: التجارة، موسوعة حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٦، ج٣، ص١٩٦-١٩٧.

٢- بابل والكتاب المقدس، ترجمة، أ يرينا داود، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٠.

٣- المسؤولية في الآداب الأشورية والبابلية، ترجمة، سليم الصويص، بغداد، ١٩٨١، ص١٠-١١.

٤- الفتيان، أحمد مالك: القدس في العصور القديمة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، بغداد، ٢٠٠١، ص ٢٢٣

٥- سفر نحميا ٧: ٩

٦- علي، فاضل عبد الواحد: من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٤.

٧- رشيد، عبد الوهاب حميد: حضارة بلاد الرافدين مزبوتاميا، ط١، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٨٢-٨٣.

٨- سعيد، خليل: معالم من حضارة بلاد الرافدين، الدار البيضاء، ١٩٨٤، ص ٧٩

٩- توكاريف، سرغي: الأديان في تاريخ شعوب العالم، ترجمة، أحمد فاضل، دمشق، ١٩٩٨، ص ٨٢- ٨٣

١٠- عبد الغني، عبد العزيز: أصول الحضارات، بيروت، ١١٩٧، ص ١٨٦

١١- فرح، نعيم: معالم حضارات العالم القديم وما قبل التاريخ، دمشق، ١٩٧٥، ص ١٢٠-١٢١

١٢- الأحمد، سامي سعيد وأحمد، جمال رشيد: الشرق الأدنى القديم، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣١٨

١٣- المصدر نفسه، ص ٣١٩.

١٤- طعيمه، صابر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية، ط١، بيروت، ١٩٨٥، ص١٤٥

١٥- ديورانت، ول: قصة الحضارة، ترجمة، محمد بدران، ط٢، القاهرة، ١٩٦١، ص ٣٤٠

١٦- سليمان، عامر: جوانب من حضارة العراق القديم، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٢، ص٢١١.

١٧- إبراهيم، نجيب: مصر والشرق الأدنى، القاهرة، ١٩٦١، ج٣، ص ١٩٧.

١٨- المصدر نفسه، ص ١٩٨.

١٩- فون زودون، ف: مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة، فاروق إسماعيل، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٩٨.
٢٠- كونتنيو، ج: الحضارة الفينيقية، ترجمة، محمد عبد الهادي، سلسلة الألف الأول، كتاب الثاني، ٢٦٣، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٣٣.
٢١- المصدر نفسه، ص ١٣٤- ١٣٥.
٢٢- ساكز، هاري: قوة أشور، (لندن- ١٩٦٤)، ترجمة، عامر سليمان، بغداد، ١٩٩٩، ص٢٨٥.
٢٣ - المصدر نفسه، ص ٢٨٦.
٢٤- طعيمه، صابر: الأسفار المقدسة، ص ١٢٠-١٢١.
٢٥- جلال، ألفت محمد: العقيده الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٢٦.
٢٦- عبد العليم مصطفى كمال وراشد، سيد فرج: اليهود في العالم القديم، ط١، بيروت، ١٩٩٥، ص١٩١.
٢٧- مبدأ التفريد: هو مبدأ ديني كان سائدًا في حضارة بلاد الرافدين وفي بعض الحضارات الأخرى كالحضارة المصرية وحضارة الشرق القديم ويعني هذا المبدأ أن تخص إلهًا واحدًا من مجموعة آلهة بالتعظيم والتقريب من دون نبذ عبادة الآلهة الأخرى في البلاد، ينظر، باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٥٩، ج٢، ص٣٠٣
٢٨- المصدر نفسة، ص٣٠٣.
٢٩- جلال، ألفت محمد: العقيدة الدبنية والنظم التشريعية، ص ٣٨- ٤٦.
٣٠- فون زودون، ف: مدخل إلى حضارات الشرق، ص ٢٤١.
٣١- المصدرنفسه، ص ٢٤١-٢٥١.
٣٢- حول انتقال الأنبياء من العراق إلى جميع مناطق الشرق بما في ذلك بيت المقدس، ينظر، الكيلاني: رعد شمس الدين: الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، ط١، بغداد، ٢٠٠١، ص ٥٣-٦٧.
٣٣- باقر، طه: مقدمة، ج٢، ص٢٩٣.
٣٤- حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ط٢، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٠٥.
٣٥- إبراهيم، نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى، ج٣، ص ١٩٧.
٣٦- تقام احتفالات مراسيم أعياد هذا الإله في الاعتدال الربيعي من كل سنه وهي الحقبة التي كانت تشتهر خروج الإله تموز من العالم الأسفل في بلد الرافدين وكان الاحتفال يستغرق حوالي سبعة أيام كانت من شعائره أن تسعى النساء وراء البحث عن الإله المختفي كانت تصطحب الاحتمالات بالعيد نغمات الناي ودق الطبول الممتزجه بعويل النساء على الإله الميت وكان الكهنة يرقصون رقصًا عنيفًا عندما يضربون أنفسهم بالسكاكين. ينظر: سفر الملوك الأول ١٨: ٢٨، وكانت تصل الحماسة ببعضهم إلى أن يخلعوا ملابسهم ويخصون أنفسهم ليهبوا ذواتهم طوال حياتهم لخدمة الإله، ينظر: إبراهيم: نجيب ميخائيل: مصر والشرق القديم، ط١، القاهرة، ١٩٦١، ج٣، ص٥٨- ٥٩.
٣٧- المصدر نفسه، ج٣، ص ٦١.
٣٨- سفر صموئيل ٥: ٣ -٤.
٣٩- سفر الملوك ١٥: ١٩- ٢٠.
٤٠- سفر الملوك الرابع ١٦: ١٠-١٣.
٤١- الأحمد، سامي سعيد: تاريخ الشرق القديم، بغداد، (ب، ت)، ص ٣١٩.
٤٢ – المصدر نفسه، ص ٣١٩-٣٢٠.
٤٣- الأحمد، سامي سعيد: الأسس التاريخية لعقيدة اليهود، بغداد، ١٩٦٩، ص٢٢.
٤٤- سوسه، أحمد: حضارة العرب ومراحل تطورها غبر العصور، بغداد، ١٩٧٩، ص ١٦١-١٨٣.
45-Glover,T.Ancient,world,London,1948,p,104.
٤٦- راشد، سيد فرج: القدس عربية إسلامية، الرياض، ١٩٨٦، ص٨٣.
٤٧- المصدر نفسة، ص٨٤.
48- Dubnov,S,History of jews from the Beginning to Early Christianity, vol 1, New york and London, 1967, p. 318.
49- lbid, p. 319.
50- lbid, p. 319-320.
٥١- طعيمه، صابر: الأسفار المقدسة، ص١٤٩.
٥٢- سفر حزقيال ٢٠: ١٣- ١٤.

٥٣- الأحمد، سامي سعيد: الأسس الدينية، ص٢٩.

54- Hines. R. “the Hebrews in the world civilization” London,1999, p. 320

55- lbid, p. 77.

56- Ackroyed, p, two old testament Historical problems of the Early period. In JNES, vol 17, Num 1, 1958, p. 168 – 171

٥٧- المصدر اليهودي وهذا المصدر يحمل اسم «يهوه» وقد كتب في حوالي ٩٥٠ ق.م وكان رواته من المملكة الجنوبية أما المصدر الألوهيمي وهو مصدر يحمل «الوهيم» وكتب في حدود سنة ٧٣٠ ق.م ورواته كانوا من شمال المملكة أما المصدر التثنية فهو مصدر تشريعي يرجع إلى عام ٦٢١ ق.م، وهو الأساس الذي بنى عليه الملك يوشيا هو إصلاحاته الدينية في عام ٦٢٢ ق.م أما المصدر الرابع فهو المصدر الكهنوتي وهو عبارة عن حواشي الكهنه وقد كتب في سنة ٥٨٧ ق.م وقد أضيف هذا النص إلى التوراة على عهد عزرا ونحميا، ينظر: عبد العليم، مصطفى كمال وآخر: اليهود في العالم القديم، ص ١٨٧.

58- Thompson, T, L.,The Bible in History, London, 2000, p. 77.

59- Hines. R. op. cit., p.1214.

٦٠- رو، جورج: العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤، ص٥٤٩.

61- Haerinck, E., “Babylonian under Achaemenid rule”, in: Mcsopotamin and lran in peraian pcriod Conqucat and Imperinlism 539-331 B.C., ed. Curtis, J., London, 1997, p.2.

٦٢- غزالة، هديب حياوي: الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونائيد في قيادتها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٠٣.

٦٣- إبراهيم، جابرخليل: «الأخطار الخارجية: اليهود والفرس» في كتاب العراق قديمه وحديثه، ١٩٩٨، ص ١٩٢.

٦٤- مرعي، عيد: «دمشق القديمة»، دراسات تاريخية، العدد ٥٥-٥٦، دمشق، ص٩- ٣٨.

٦٥- علي، فاضل عبد الواحد والراوي، فاروق ناصر: «دراسة مركزة في نقاط الفكر العسكري العراقي القديم عبر ألفي عام قبل الميلاد ٢٥٠٠- ٥٣٩ ق.م»، المؤرخ العربي، العدد ٣٧، بغداد، ١٩٨٨، ص١٨٩-١٩٦.

٦٦- الأحمد، سامي سعيد: الصراع خلال الألف الأول ٩٣٣-٣٣١ ق.م في الصراع العراقي الفارسي، بغداد، ١٩٨٣، ص٨٠- ٨١.

٦٧- غزالة، هديب حياوي: الدولة البابلية، ص١٩٧٠ – ١٩٨، ٢٥٥.

٦٨- الزرفي، محسن أحمد: العدوان الفارسي على العراق في العصر الأخميني، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٩.

٦٩- عبد الإله، فاضل: «أهم الشخصيات ودورها في تاريخ العراق» في كتاب العراق قديمه وحديثه، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٤٠.

٧٠ – المصدر نفسه، ١٥١.

٧١- نص باللغة الآكدية مدون على اسطوانة طينية تعرف باسطوانة كورش نشرها ولنسون، وترجمها Weissbach, F. 11 in Die keilinschriflen dcr Achamcniden (VAB, 111) 2ff، وترجمتها أيضًا AOT, 368ff في Ebcling وكذلك ANI,1: pp. 313- 16

٧٢- السواح، فراس: آرام، دمشق، إسرائيل في التاريخ التوراتي، ط٥، دمشق، ١٩٩٩، ص ٢٧٧- ٢٧٨.

٧٣- شبكة البصرة: الأحد ١٩ شعبان ١٤٢٥ - ٣ تشرين الأول ٢٠٠٤.

المصادر العربية

١- إبراهيم، جابر خليل: الأخطار الخارجية: اليهود والفرس في كتاب العراق قديمه وحديثه، ١٩٩٨.

٢- إبراهيم، نجيب ميخائيل: مصر والشرق القديم، القاهرة، ١٩٦١، ج٣.

٣- الأحمد، سامي سعيد: الأسس التاريخية لعقيدة اليهود، بغداد، ١٩٦٩.

٤-الصراع خلال الألف الأول ٩٣٣-٣٣١ ق.م في الصراع العراقي الفارسي، بغداد، ١٩٨٣.

٥-أحمد، جمال رشيد: الشرق الأدنى القديم، بغداد، ١٩٨٨.

٦- بابل والكتاب المقدس، ترجمة، ايرينا داود، دمشق، ١٩٨٧.

٧- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١، بغداد، ١٩٥٩، ج٢.

٨- توكاريف، سرغي: الأديان في تاريخ شعوب العالم، ترجمة، أحمد فاضل، دمشق، ١٩٩٨.

٩- جلال، ألفت محمد: العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود وكما يصورها العهد القديم، القاهرة، ١٩٧٤.

١٠- حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة، بغداد، ١٩٨٦.

١١- ديورانت، ول: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط٢، القاهرة، ١٩٦١.
١٢- راشد، سعيد فرج: القدس عربية إسلامية، الرياض، ١٩٨٦.
١٣- رشيد، عبد الوهاب حميد: حضارة بلاد الرافدين موبوتاميا، ط١، دمشق، ٢٠٠٤.
١٤- رو، جورج: العراق القديم، ترجمة، حسين علوان، بغداد، ٥٤٩.
١٥- الزرفي: محسن أحمد: العدوان الفارسي على العراق في العصر الأخميني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل.
١٦- ساكز، هاري: قوة اشور، (لندن، ١٩٦٤)، ترجمة، عامر سليمان، بغداد، ١٩٩٩.
١٧- سفر حزقيال ٢: ١٣- ١٤.
١٨-سفر صموئيل ٥: ٣-٤.
١٩سفر الملوك ١٥: ١٩-٢٠.
٢٠- سفر نحميا ٧: ٩.
٢١- سعيد، خليل، معالم من حضارة بلاد الرافدين، الدار البيضاء، ١٩٨٤.
٢٢- سليمان، عامر: جوانب من حضارة العراق، العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٢.
٢٣- السواح، فراس: ارام، دمشق، إسرائيل في التاريخ التوراتي، ط٥، دمشق، ١٩٩٩
٢٤- سوسه، أحمد: حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، بغداد، ١٩٧٩.
٢٥- شبكة البصرة، الأحد ١٤ شعبان ١٤٣٥/٣ تشرين الأول ٢٠٠٤.
٢٦- طعيمه، صابر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية، ط١، بيروت، ١٩٨٥.
٢٧- عبد الحليم، مصطفى كمال وراشد، سيد فرج: اليهود في العالم القديم، ط١، بيروت، ١٩٩٥.
٢٨- عبد الغني، عبد العزيز: أصول الحضارات، بيروت، ١٩٧١.
٢٩- علي، فاضل عبد الواحد: من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد، ١٩٨٩.
٣٠- الراوي، فاروق ناصر: «دراسة مركزة في نقاط الفكر العسكري العراقي القديم عبر ألفي عام قبل الميلاد ٢٥٠٠-٥٣٩ ق.م» المؤرخ العربي، العدد٣٧، بغداد، ١٩٨٨.
٣١- غزاله: هديب حياوي: الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نابونائيد في قيادتها رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٨.
٣٢- الفتيان، أحمد مالك: القدس في العصور القديمة، مجلة دراسات تاريخية في التاريخ والآثار، بغداد، ٢٠٠١.
٣٤- فرح، نعيم: معالم حضارات العالم القديم وما قبل التاريخ، دمشق، ١٩٧٥.
٣٥- كونتنيو، ج: الحضارة الفينيقية، ترجمة، محمد عبد الوهاب شعيرة، القاهرة، ١٩٩٧.
٣٦- الكيلاني، رعد شمس الدين: الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، ط١، بغداد،٢٠٠١.
٣٧- المسؤولية في الآداب الآشورية والبابلية، ترجمة سليم الصويص، بغداد، ١٩٨١.
٣٨- الهاشمي، رضا جواد: التجارة، موسوعة حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٦، ج٣.

المصادر الأجنبية

1- Glover, T., Ancient, world, London, 1948.
2- Dubnov, S, history of jews from the Beginning to EarLy chritianity, vol 1, new york and London, 1967.
3- Hines,R, the Hebrews in world civilization, London, 1999.
4- Ackroyed,p, two old tesorcal problems of the period, in JNES 17. Num 1, 1958.
5- Thompson,T,L., The Bible in History, London, 2000.
6- Haerinck, E, Babylonian under Achaemenid ruld in: Mesopotamin And Iran in peraian pcriod Conqucat and imperinlism, 539-331 BC.ed curtis. J. London, 1997.

ABSTRACT

The relations is considered as the main means of transferring cultural influences between the peoples of the world whether ancient or modern. When the first nucleus of ancient primitive societies emerged over time to develop its modest potential, the demand for primary resources in local markets increased and integration in the civilization development and thus it has contributed to the rise of the human level for the better. The relationship between the ancient societies is determined in two main aspects. The first is the political relations, which include the military, diplomatic representation, treaties, political and cultural relations, and the different aspects of life, especially the religious aspect, which is one of the broad and thorny issues at the same time. The main objective of this research is to give an integrated and detailed picture of the ancient Iraqi-Hebrew relations in the field of religious and compare them and highlight the places of citation and influence between them in the first millennium BC, so the research included two sections, the first focus on the impact and influence on religious beliefs and how and the similarity and overlap between the old Iraqi-Hebrew relations in the same field, which makes the importance of religious beliefs necessary for the study of monotheistic thought and its development, and that the most religious relations appear clear in the Old Iraqi cuneiform thieves, which precedes what came in the Hebrew Jewish beliefs for a period of time far from that in Hebrew The second section is the role of the Jewish terrorist in tearing the fabric of the social fabric of the Babylonian population and helping to occupy it through their presence as a fifth cartel to spread the biased propaganda and stir sectarian strife among the people as well as their cooperation with the Assyrian Korsh in order to get rid of the Babylonian control which has no interest but to weaken its control and paralyze its military and economic ability, in cooperation with the weak souls and traitors of the people of Babylon, such as Commander Kubarwa governor of the province of Kutium (Diyala), and now is the time goes back to the same history to see the conspiracy Persians with the Jews and Americans Not by the West, who are contemplating the occupation of Iraq and the destruction of its achievements, through the alliance with the Khan of Iraq from its sons, whether from the inside or outside to work to destabilize the internal

situation by provoking sectarian strife and terror of the Iraqi people in order to achieve their intentions desired to serve the sons of the brothers of the Akhmans and Hebrews who destroyed Babylon and overthrew its national rule. The most cultural influences, especially in the field of religion have moved from ancient Iraq to the Hebrews through direct contact between the two sides when the Hebrews become part of the population of Babylon after they left Palestine during the modern Babylonian era, becoming their Imam an opportunity to identify the civilized systems of ancient Iraq This led them to start many of these systems and make them part of their civilizational output. One of the things that helped them in this was the freedom given to them by the kings of Babylon, but they did not hesitate to exploit his ribbons in order to get rid of the rule of the Babylonians, On y As the Jews of the Babylonian deportation, which paved the way for the entry of the Persian Persians to the city and the fall of the last national governments in the old Iraq, and as a result of their fictitious role, the king allowed them to return to Palestine, as did the figures attributed to Iraq to take advantage of their treacherous role to destroy Iraq and its achievements, To return the sons of the Hebrew Jews to today's Iraq to be the dependents who destroy not only Iraq, but its Arab and the entire Middle East. As we have been called by the terrorists in their crusades, today terrorists call us the same rhetoric and slogans, that is, history repeats itself but without faces and clothes. Today, they declare brazenly that they supported and supported each other in slaughtering Iraq and all Iraqis.

دراسة بعنوان

نماذج من التعايش في العصر النبوي جذور العيش المشترك: دراسة تاريخية في الرد على التطرف

د.سماهر محي موسى

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية/
قسم التاريخ/تاريخ الاقتصاد الإسلامي
samahiribraheem@gmail.com

د. ظافر أكرم قدوري

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية/
قسم التاريخ / تاريخ الفكر الإسلامي
dhafer.akram@gmail.com

الملخّص

تزداد العلاقات والصلات بين أبناء المجتمع وتتعمق إذا بنيت على استمرار التعايش السلمي في بقعة جغرافية واحدة وخضوع الأفراد في مجموعهم لنفس الميول والعادات والتقاليد المشتركة التي تؤثر على سلوكهم وتاريخهم، وبالتالي ترسم أهدافهم وأمانيهم العامة. وربما التعايش السلمي لم يتهيأ لأحد على الصورة التي تهيأت للعرب حين ارتبط تاريخهم بالإسلام فأعطاهم الهدف في هذه الحياة وجمعهم على عقيدة التوحيد ونشر تعاليم الرسالة التي قامت على مبادئ الحق والعدالة والمساواة واتسمت بسمات الإخاء والتسامح.

ويعتبر التسامح صفة إنسانية حضارية، وقد تمثلت هذه الصفة بأحلى مظاهرها في النبي محمد ﷺ، لا سيما في مجتمع المدينة الذي كان يموج بالتنوع الديني والإثني من اليهود إلى المسيح إلى الديانات الأخرى التي سكنت قديماً قبل العرب أنفسهم. لهذا نجد أن الرسول ﷺ عند قدومه للمدينة أعدّ وثيقة المدينة التي حملت في طياتها إقرار بحقوق الجميع بدون تميز أو تفرقة. وعن طريق الوثيقة يمكن معرفة حقيقة التعايش وطبيعة التعامل الذي قامت عليه أسس العلاقة وقد خصصت الدراسة العهد النبوي بشيء من التفصيل.

ومع أن الإسلام قد حمل معه مبادئ الحق والعدل والسلام، فقد كان العدل أساس الملك هذا الشعار لم يوحد العرب فقط بل جعل الشعوب الأخرى المحرومة من العدالة تواقة لحكم العرب المسلمين.

ABSTRACT

The relations and the links between the members of society grow and deepen, if built on the continuation of peaceful coexistence in a geographical one spot and subordination of individuals in the total for the same tendencies and habits and common traditions that affect their behavior and their history, and thus draw their goals and aspirations of the public. Perhaps peaceful coexistence did not prepare himself for the one image that appeared to Arabs while history has been associated with Islam gave them the goal in this life and putting them on the doctrine of Tawhid and spread the teachings of the message is built on the principles of truth, justice, equality and fraternity marked by smiles and tolerance.

And tolerance recipe civilized humanity can not afford a denial has this trait represented Baahaly manifestations in the Prophet Muhammad (PBUH), especially in the city community that was welling up religious and ethnic diversity of the Jews to Christ to other religions who lived in ancient times by the Arabs themselves. For this, we find that the Apostle (PBUH) and coming to the city prepared a document the city which carried with it the approval of the rights of everyone without excellence or distinction, and through the document can know the truth of existence and the nature of the deal upon which the foundations of the relationship The study devoted Testament prophetic in some detail.

Although Islam has carried with him the principles of truth, justice and peace was the basis of the Justice King this slogan Arabs not only unites but to make other people disadvantaged justice eager to rule the Muslim Arabs.

المقدمة

يعيش أبناء البشرية في هذه الحياة الدنيا، على تنوعهم وتمايزهم ضمن حياة مشتركة متداخلة المصالح والمنافع ولا يمكن لأي نوع من أنواع البشر أن يختاروا لأنفسهم زاوية من زوايا الدنيا فيعشون بعيداً عن الآخرين دون أي تأثر أو تأثير.

لذا أصبح التعايش ضرورة لازمة لاستمرار الحياة ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ غير أن حكمة الله في التنوع ليكون في التعايش طعم متجدد لهذا التنوع. فكانت قيم الإسلام ومفاهيمه وتعاليمه ذات أفق إنساني عالمي تستوعب كل القوميات والأعراق والشعوب، فكانت نواة وأرضية لبناء المجتمع الإسلامي على أساس من التنوع العرقي والقومي.

فالتسامح كان ركيزة الإسلام في مرحلة الدعوة باعتراف جميع المؤرخين وهذه المرحلة تمثل أسس الإسلام ومبادئه الأساسية. ولو استثنينا سنوات القتال التي دارت بين الدعوة وأعدائها والتي بنيت عليها أحكام التعامل بالقوة والسيف، لوجدنا أنّ أغلب التعامل دون تلك الفترة كان يقوم على أسس التسامح مع الآخرين ومع معتقداتهم، ولا ريب أن سنوات القتال في كل زمان ومكان تكون فيها الأحداث والقوانين طارئة.

أكدت الدراسة على علاقة الرسول ﷺ مع الآخر المختلف دينياً، نحن بأشد الحاجة لدراسة مثل هذه المواضيع في وقتٍ تفشى فيه العنف باسم الدين والإسلام والشريعة، وصار مألوفاً حزّ الرؤوس وتقطيع الأوصال والتمثيل بجثث القتلى حتى مع المسلم البريء، لمجرد اختلافه مذهبياً أو سياسياً بل أصبح يعرف الإسلام بهذه الممارسات اللاإنسانية فضلاً عن إسلاميتها.

مفهوم التطرف

يقصد بالتطرف بالمفهوم اللغوي هو «من تطرف: أصبح طرفًا، أي جاوز حد الاعتدال، ومنه تطرف في آرائه فهو متطرف أي جاوز حد الاعتدال فيها»[١]. ويقال أيضاً: «رجل طرف ومتطرف ومستطرف وهو الذي لا يثبت على أمر، ورجل طرف وامرأة طرفة إذا كانا لا يثبتان على عهد»[٢].

هذا يعني أن المتطرف المتجاوز للحد قد بلغ رأياً أو عملاً إلى حدِّ الإفراط، وبذلك وصل للنهاية إلى حد السقوط فهو غير ثابت ولا مستقر، وغالباً ما تحدث هذه الظاهرة المرضية عند فقدان القيادة المبدئية الحكيمة التي تمسك بزمام الأمور، وتسير بالأمة باتجاه الرشد والتكامل الحركي في بناء حياتها الثقافية والسياسية الجديدة[٣].

إن من أسباب ظهور ظاهرة التطرف هو الجهل ونقصد به الجهل المركب الذي يصور صاحبه أنه يعلم وهو يجهل أنه يجهل وهذا السبب هو أقوى الأسباب وأخطرها، إذ منه يحصل الانحراف المبدئي، ومنه تتشكل قوة المعارضة الجاهلية لخط الإسلام الأصيل كما هو شأن كثير من الفرق الإسلامية المنحرفة كالخوارج ومن على شاكلتهم.

فعلاج ظاهرة التطرف يكمن في إرشاد العناصر المصابة به إلى خطر ما هم فيه، ويجب أن يكون العلاج كعلاج الطبيب للمريض مليئاً بالعطف صبوراً على ما يصدر منه حسناً كان أو قبيحاً، وفي قول الإمام علي عليه السلام إشارة إلى ذلك: «المسلم مرآة أخيه فإذا رأيتم من أخيكم هفوة فلا تكونوا عليه إلباً وكونوا له كنفسه، وأرشدوه وأوضحوا، وترفقوا به»[٤]. حتى إذا رأينا الداء قد بلغ مداده الذي لابد فيه من الحجر وقطع دابر الجزء الفاسد منه، ويبرز هنا بشكل أساسي دور القيادة الرشيدة في العلاج وحسم الموقف وإدارة دفة الواقع باتجاه التكامل على صعيدي الوعي والرشد التطبيقي وتبقى الرسالة الحقيقة القرآنية الخالدة درساً وضابطاً لعملية الوعي والرشد والبناء في منهج التغيير للأمة: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٥].

لقد اجتاز الإسلام فترتين حاسمتين في تاريخه التأسيسي في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي الفترة المكية عندما كانت التعاليم ترتبط بالعقيدة وبالوعد والوعيد لكنها تنحو اجتماعياً منحى المسالمة والموادعة حيث لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي سلطة سوى مساندة قومه من بني هاشم له ضد أعدائه، أما الفترة الأخرى وهي الفترة المدنية حيث صار الإسلام دولة وتوحدت فيه السلطتان الزمنية والروحية في يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخذت التعاليم الدينية منحىً دنيوياً وهنا يتساءل صاحب هذا الرأي هل هو تحول في بنية الدين ذاته أم هو تحول تاريخي؟[٦] إن صاحب هذا الرأي يطرح تساؤلاً مهماً وله علاقة وثيقة بموضوع التسامح الديني والعيش مع الآخر بوئام، حيث أنهُ يوعز ما حدث في المدينة في فترة تاريخية، كان مرحلة اضطرت المسلمين للوقوف بحزم وقوة ضد من حاول القضاء على دعوة الإسلام وليس ضد تعدد الأفكار، وحتى التي كانت تناصب النبي عدوانها، فهذا القرآن الكريم يخاطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المدينة بين اليهود بالقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[٧]، وآيات أخرى لا مجال لذكرها لأن البحث لا يسعها، وهو يمثل قمة في احترام معتقدات الآخر إذا ما التزم الآخر باحترام المواثيق والعهود.

إن المذاهب الإسلامية على تعددها تستقي من ينبوع واحد، هو الكتاب والسنة، وتتفق على أصول واحدة مشتركة هو الإيمان بالله والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالآخرة، ويتجهون إلى قبلة واحدة هي الكعبة وكذلك الصلاة والصوم والزكاة والحج، وورثوا هذا التعدد المذهبي من أسلافهم ولم يخترعونه. فما هو إذاً مبرر التنافر والصراع؟

هذا الصراع ناتج عن الجهل بالإسلام وتعاليمه وجهود الأعداء الخارجيين الذين يزرعون الفتن ويبثون الاختلاف. إذ يتحصن أتباع كل مذهب

في خندق مذهبهم ويعبئون أفرادهم تجاه المذهب الآخر وتسود حالة التشنج والعداء، وهكذا يدخل المجتمع في نفق الصراع الداخلي والذي ينتهي إلى حرب أهلية، وهنا يخسر الجميع وتكون الفرصة مؤاتية للأعداء، لينفذوا من خلال هذا الصراع مخططاتهم ومؤامراتهم.

إذن لم يبق سوى خيار واحد وهو التعايش بأن يعترف كل طرف للآخر بحقه في التمسك بقناعاته ومعتقداته، وممارسة شعائره الدينية، وهذا ما يأمر به الإسلام وما يدعو إليه العقل والمنطق، وتفرضه طبيعة الاشتراك في ظروف حياتية واحدة وضمن وطن واحد وكما يقول الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: ((صلاح شأن الناس التعايش))[٨].

- السنة النبوية وصور من التعايش السلمي:

من ركائز الإسلام الأساسية مصدرين مهمين هما القرآن وهو كلام الله والسنة النبوية، وهي أحاديث الرسول وممارساته اليومية وقد دون القرآن وكما هو معروف في وقت مبكر، أما السنة فقد بقيت تتناقلها الألسن شفوياً إلى ما بعد الخلفاء الراشدين[٩]، فالسنة إنما خضعت على تاريخها الطويل للنقل شفاهاً وعلى ألسنة الرواة، ولابد من أنها تعرضت في ذلك التاريخ الطويل لما تتعرض له الروايات عند النقل الشفهي، إلا أن الأعم الأغلب فيما وصل إلينا إنما يمثل حالات التعايش السلمي مع الآخر والسماح له بممارسة شعائره دون التعرض لها.

وجاء الإسلام ينظر باحترام إلى تعاليم التوراة الأصلية ومما جاء به ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[١٠] ويذكر بدور موسى لبني إسرائيل[١١]، ويشير إلى وجود وفاق بين تعاليم القرآن والتوراة الأصلية[١٢].

وكان الرسول يتوقع ترحيب اليهود، ومساعدتهم للمسلمين لأنهم أهل كتاب فعاملهم بانفتاح ووضع كتاباً بين الجماعة الإسلامية وبينهم في المدينة «كتاباً بين المهاجرين والأنصار ودعا فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم»[١٣] وينظم الكتاب الشؤون المشتركة بينهم ويوجب التساند في وجه الخطر الخارجي خاصة ولكنهم سرعان ما وقفوا منه موقفًا اتسم بالسلبية وتدرج إلى المقاومة والتأليب مما اضطر الرسول صلى الله عليه وآله إلى إجلائهم[١٤].

إذ يذكر الواقدي «فلما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله أصحاب بدر، وقدم المدينة بغت يهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله من العهد»[١٥].

كان النبي صلى الله عليه وآله حريصاً على التزام التسامح الديني مع اليهود كونهم أهل كتاب سماوي امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[١٦] وكتأكيد على التسامح الديني يذكر البخاري «حين حدث تشاد بين مسلم ويهودي فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين وقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم اليهودي فشكى إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله فدعى المسلم ونهره قائلاً «لا تخيروني على موسى»[١٧].

لقد اعترفت الصحيفة لليهود ومواليهم بحرية ممارسة عقيدتهم فقررت أن «لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم»[١٨] كما ضمنت لهم الحماية والمساواة في المعاملة، فنصت على أنه «من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم»[١٩].

وقررت الصحيفة مبدأ المسؤولية الفردية بالنسبة لليهود فإذا ارتكب أحدهم جريمة أو عدواناً على أحد، فإن مسؤولية ذلك العمل تقع على عاتقه وحده «...إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ- أي يهلك- إلا نفسه، وأهل بيته»[٢٠]. وأجبت الصحيفة على اليهود بعض الواجبات فنصت على وجوب معاونة اليهود للمسلمين ضد من يحاربهم: «وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من

حارب أهل هذه الصحيفة... وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين»[٢١] ولأن مشركي قبيلة قريش كانوا في حالة حرب مع المسلمين فقد أوجبت الصحيفة على اليهود عدم منح الجوار لقريش ولا من نصرها. كما أن من واجبهم مناصرة المسلمين في محاربة من دم يثرب[٢٢].

ولكن بعد خيبر لم يبق لهم خطراً وأمر الرسول ﷺ بمعاملتهم في خيبر والقرى الشمالية معاملة حسنة، كأهل ذمة وروي عنه ﷺ قوله: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة»[٢٣].

وقد تجلت روح التسامح الديني بصفة خاصة بعد أن أظهر الله نبيه على اليهود وانتصر عليهم في خيبر فقد كان مما في أيدي المسلمين من الغنائم صحائف متعددة من التوراة فلما طلبها اليهود أمر الرسول ﷺ بتسليمها إليهم في حين لما احتل الغزاة من الأمم ومنهم الرومان مدينة القدس (أورشليم) قبل الإسلام داسوا كتب اليهود المقدسة بالنعال وأشعلوا فيها النيران[٢٤].

وفكرة التسامح الديني نجدها واضحة متكررة بالسلوك الأخلاقي للنبي العظيم ومتجسدة في وصيته لعامله معاذ بن جبل وذلك بعد هزيمة اليهود في معركة خيبر حيث قال له «أن لا يفتن اليهود عن يهوديتهم»[٢٥] وبناءً على ذلك ظل يهود البحرين على ديانتهم.

وحين أصلح النبي ﷺ يهود وادي القرى بعد انتصاره عليهم وإقامتهم على أراضيهم وذراريهم وأموالهم، وفعل مثل ذلك مع يهود منطقة الكتبة وغيرهم من اليهود حيث صالحهم من غير قتال (ولم يكلفهم سوى الجزية)[٢٦].

يتضح مما تقدم أن الهدف من هذا الإجراء الذي اتخذه الرسول ﷺ في حق اليهود من قتل وإجلاء هو إجراء سياسي وأمني اقتضته ضرورة أمن مجتمع الإسلام في المدينة ولم يكن دافعها تعصب ديني أو عرقي. فقد كفل الرسول ﷺ لليهود حريتهم[٢٧]. وعاملهم كأي طبقة في المجتمع ارتبطت مع المسلمين بالمصاهرة أحياناً[٢٨] كما أن ذلك الإجراء لم يشمل بقية العناصر اليهودية في المدينة والتي دخل بعضها في الإسلام أو التي ظل بعضها الآخر على دينه.

وبالنسبة لليهود كعنصر بارز في مجتمع المدينة أكثر من غيره من العناصر غير الإسلامية نجد أن الرسول ﷺ منذ بدء هجرته إلى المدينة عمل على جذب اليهود إلى دين الإسلام، وهم الذين كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج بمحمد قبل بعثته[٢٩]، فكان الرسول ﷺ يبعث لهم جماعة من المسلمين منهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة، لمجادلتهم بالتي هي أحسن بغية إدخالهم في الإسلام[٣٠].

وقد تفاوت اليهود في مدى الاستجابة لدعوة الرسول ﷺ فقلة منهم استجابوا لدعوة الإسلام عن إيمان صادق[٣١].

ويشكل بنو قريظة أعلى نسبة في اعتناق الإسلام بين اليهود وذلك بحكم وجودهم كسبي في أيدي المسلمين[٣٢]. وكانت غالبيتهم من الشباب الصغار ممن شمله عفو الرسول ﷺ، ولم يقتلوا[٣٣]. وقد ذكر ابن حجر أكثر من اثني عشر قريظيًا مسلمًا ممن كانت له صحبة أو رواية عن النبي ﷺ[٣٤].

وعلى الرسول ﷺ كان يوجد في المدينة عناصر يهودية كبيرة بقيت على دينها مثل عبدالله بن صائد، كان أبوه من اليهود ولا يدري من أي قبيلة هو، ولد على عهد رسول الله ﷺ وعاش مع أهله في المدينة طوال عهد النبي ﷺ[٣٥]، إذ أن النبي ﷺ حين مر به يلعب مع الصبيان، كان غلاماً لم يحتلم[٣٦] ولأنه ولد على عهد رسول الله ﷺ، فهو ربما كان يناهز العاشرة من عمره وهي مدة حياة الرسول ﷺ بالمدينة.

وقد أعطيت تلك العناصر حرية ممارسة ديانتها وطقوسها الخاصة بها[٣٧]. كما استعان الرسول ﷺ ببعض هؤلاء اليهود واتخذ منهم أدلاء له لمعرفتهم بعض الطرق حول المدينة، ولم يجبر أحدهم على ترك دينه[٣٨]. ويذكر أن بعضهم قد أسلم على عهد أبي بكر الصديق[٣٩].

ومن غلمانهم من كان يخدمه ﷺ وكان يعودهم في مرضهم[٤٠] وكان ينظر إلى اليهود في المدينة على أنهم معاهدون لهم حقهم من العدل والإنصاف[٤١] وقد تمتعوا بمركز مالي واقتصادي مرموق[٤٢]. فقد اقترض الرسول ﷺ من يهودي طعاماً ورهنه درعه[٤٣].

أما ما تمثل في أحد المواقف وهو في موقعة مؤتة فإن الرسول ﷺ قد خرج مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ «ثنية الوداع، فوقف ووقفوا حوله فقال: «اغزوا بسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين للناس، فلا تعرضوا لهم،... ولا يقتلن امرأةً ولا صغيراً ولا مرضعاً ولا كبيراً فانياً، لا تغرقنَّ نخلاً ولا تقطعن شجراً، ولا تهدموا بيتاً»[٤٤]. ورغم أن الجهة التي أرسلها لهم الرسول ﷺ كانت جهة الروم وهم نصارى وفيهم أديان أخرى، إلا أن الملاحظ أن الرسول ﷺ يأمر جنوده بعدم قتل الناس أو قطع الشجر أو إغراق النخيل أو التعرض لمن هم بالصوامع لغرض التعبد وهم يخالفون دين الإسلام، وهو يمثل ولا شك قمة فيما نسعى إليه للتوصل في بحثنا هذا.

وهكذا ظلت طوائف يهودية كبيرة في بلاد الحجاز وفي المدينة المنورة ذاتها طوال عهد النبي ﷺ تنظم علاقتها بالمسلمين مصالحات وعهوداً أبرمها النبي ﷺ واستمرت نافذة بعد وفاته.

إن العناصر غير المسلمة في المدينة لم يقتصر وجودها على اليهود فحسب، حيث يبدو أنه كان يوجد إلى جانب المؤمنين واليهود بعض الصابئة والنصارى والمجوس. وقد جمعتهم آية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٤٥].

كانت الحجاز عامة على صلة بالنصرانية عن طريق اليمن في العهد[٤٦] وكذلك عن طريق العلاقات التجارية مع الشام قبيل وبعد البعثة النبوية[٤٧] وقد استمرت صلة التجار النصارى بالمدينة على عهد النبي ﷺ وأسلم بعضهم بالمدينة حين قدومهم بتجارتهم[٤٨] وللتجار النصارى الذين كانوا يقدمون من الشام بتجاراتهم تأثير كبير في نشر النصرانية بيثرب وقد استهوت بعض شباب الأوس والخزرج فاعتنقوها[٤٩] ومن هؤلاء شابان من بنى سالم بن عوف تنصرا قبل أن يبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة في نفر من الأنصار بتجارة طعام فأتاهما أبوهما، ويقال له أبو الحصين وطلب منهما أن يسلما فأبيا[٥٠] وقد ساء أبا الحصين أن يتنصر ولداه فأتى النبي ﷺ، فذكر فقال له: لا إكراه في الدين[٥١].

ويوجد في المدينة على عهد النبي ﷺ بعض النصارى بقوا على دينهم، وكان الرسول ﷺ قد عرض على بعضهم الإسلام ولم يفرضه فإن أبوا قسمت أموالهم نصفين وتركت لهم حريتهم الدينية[٥٢] وذلك فيما يبدو كان جارياً على النصارى المقيمين في المدينة وقد حدث جعدة بن هاني الحضرمي «أن النبي بعثه إلى رجل نصراني بالمدينة يدعوه إلى الإسلام وقال له: فإن أبى اقسم ماله نصفين»[٥٣]. وظل بعض هؤلاء متردداً بين الاسلام والنصرانية ثم أسلموا على عهد أبي بكر[٥٤].

ويبدو أن معظم أولئك النصارى لم يستقروا بصفة دائمة في المدينة، وإنما كانوا يغشونها لإنجاز بعض شؤونهم التجارية، فقد ذكر كعب بن عدي التنوخي أقبل في وفد من أهل الحيرة إلى النبي ﷺ ثم وقع له ولأصحابه تردد وخصوصاً بعد وفاة النبي ﷺ، وكان الذي يربطه بالمدينة حينذاك ما كان بينه وبين عمر بن الخطاب من شراكة في تجارة البز (الثياب)، وكان يقول: كنت شريكاً لعمر بن الخطاب فلما فرض الديوان فرض لي في بني عدي بن كعب[٥٥]. وذكر أنه أقام لا مسلماً ولا نصرانياً ثم حسن إسلامه على عهد أبي بكر[٥٦].

كما ذكر أن الغلام الذي أهدي مع ماريا واسمه مابور القبطي ظل على نصرانيته ولم يسلم[٥٧].

ولا يستبعد أن يكون للمجوس، وهم عبدة النار من الفرس[٥٨]، وجود في المدينة على عهد النبي ﷺ وقد نستدل على وجودهم من حديث لعبيد الله بن

عبدالله قال: جاء مجوسي إلى رسول الله ﷺ قد أعفى شاربه وأحفى لحيته[٥٩]. كما ذكر أن مولى لرسول الله ﷺ اسمه «ماناهيه»، وكان مجوسياً تاجراً، سمع بذكر الرسول ﷺ فخرج بتجارة معه من مرو (من بلاد خراسان) حتى قدم المدينة فأسلم[٦٠].

وكانت المدينة تستقبل قبل الهجرة كثيراً من الموالي الفرس، وهم في غالبيتهم من المجوس مثل سلمان الفارسي الذي كان مجتهداً في المجوسية ثم قدم الجزيرة العربية عبداً فابتاعه رجل من بني قريظة فاحتمله إلى المدينة[٦١].

ويذكر أن للمجوس وجوداً في اليمن، وأن الرسول ﷺ أخذ منهم الجزية[٦٢]. ويبدو أن كثرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى جعل من الطبيعي أن ترتبط مصالحهم مع مصالح المسلمين في المدينة بشكل كبير فاستوجب ذلك تنظيماً لبعض الامور والحقائق ضمن تلك العلاقات وخاصة في مجال الأطعمة وما أحل منها وما حرم، فقال تعالى: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾[٦٣].

ويذكر أيضاً أن زيد بن ثابت الأنصاري النجاري، ترجمان الرسول ﷺ بالسريانية والفارسية والرومية والقبطية والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن[٦٤]. ونستدل من هذا النص على أن الأجناس كان لها وجود بارز في المدينة مكن أفرادها من حفظ ألسنتهم وتعليمها لمن أراد تعلمها من أهل المدينة[٦٥].

إن علينا أن لا ننسى أن كل طائفة من الناس تعتقد أن ثقافتها هي الصحيحة وأن قيمتها الاجتماعية هي المعيار الثابت الذي يمتاز به الحق عن الباطل، والإنسان الذي ينشأ في مجتمع معين لابد أن يتأثر بمقاييس ذلك المجتمع من حيث يشعر أو لا يشعر[٦٦]. إن الانعزال هو الذي يخلق إيمان الفرد ويقينهُ بمسلمات تربى وترعرع عليها واعتقاده الجازم أن ما نشأ وتربى عليه هو الأصح وأن الآخرين هم المخطئين ولو في الأغلب، فيذهب البعض إلى أن الآخر وهو المخطئ يجب قتالهُ أو محاربتهُ، وتختلف طرق القتال وأشكالها، وأن علينا أن لا ننسى أن لكل مشترك بهذه الصفة والفرق بين البشر في هذه الصفة، هو نسبي تلعب الحضارة والانفتاح على الآخر، دورها في التقليل منه.

إن التسامح مع الآخر والقبول به أمرٌ لا مناص منهُ ولولاه لتفانت الإنسانية بعضها ببعض «فالمجتمع البشري لا يمكن توحيده على رأي واحد... والتنازع البشري طبيعة اجتماعية لا مناص منها... ومن يحاول توحيد الناس على رأي واحد هو كالذي يريد صد تيار المياه الدافعة عن المسير»[٦٧]. وهكذا فإن المجتمع لن يكون شكلاً واحداً فهو أمرٌ محال أقرهُ الله ورسوله واعترفت به الأديان وأقرتهُ التجارب البشرية جمعاء، ونحن لسنا بحاجة إلى تجارب أخرى تفرض فيها الآراء والمعتقدات قسراً فالحكيم من اتعظ بخطأ غيره، والسعيد من وعظ بغيره ونجا بنفسه.

الخاتمة

نستنتج من البحث ضرورة الاقتداء بسيرة الرسول الأعظم ﷺ لإشاعة روح مبدأ التعايش السلمي والعدل والمساواة وعدم التطرف بين أطياف الشعب العراقي خاصة في ظل ما يخوضه العراقيون اليوم من حروب ضد عصابات داعش الإجرامية، والعمل على نشر ثقافة الحوار وتقبل الآخر بين أبناء الشعب الواحد.

وكذلك نشر ثقافة التسامح والاعتدال والتعايش السلمي كونها من مبادئ الدين لتصحيح الصورة التي حاول بعض المندسين على الدين الاسلامي تشويه الإسلام. وأيضاً الإفادة من سيرة الرسول ﷺ بإدراج نصوص تدل على التعايش السلمي والأخلاق الإسلامية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية السمحاء في المناهج الدراسية لخلق جيل ينعم بسلامة العيش، وحث وسائل الإعلام على بث برامج التوعية التي تؤكد على أهمية مبادئ الشريعة الإسلامية الصحيحة البعيدة عن الصورة المشوهة التي حاول البعض إلصاقها بالدين الإسلامي من أنه دين عنف وإرهاب بين أبناء المجتمع كافة على اختلاف أطيافهم ودياناتهم وأجناسهم.

الهوامش

(١) الهنائي، علي بن الحسين (ت ٣٠٩هـ)، المنجد في اللغة والإعلام، ط٢٦، دار المشرق، (بيروت-١٩٨٢)، كلمة طرف.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، دار صادر، (بيروت-١٩٥٥)، طرف.

(٣) المقدادي، فؤاد كاظم، الإسلام بين الأصالة والتغريب، الناشر مجمع الثقلين العلمي، ط٢، (بغداد-١٤٢٧هـ)، ص٢٣٧.

(٤) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ط٥، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-١٩٧٤)، ص٢٩٣.

(٥) سورة الأنفال، آيه ٢٥.

(٦) أبو زيد، نصر حامد، التفكير في زمن التكفير، ط٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة – ١٩٩٥)، ص٨٨-٨٩.

(٧) سورة المائدة الآية: ٤٣.

(٨) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار أحياء التراث العربي، (بيروت-١٩٨٣)، ج٧١، ص١٦٧.

(٩) العلوي، من قاموس التراث، ص١٦.

(١٠) سورة الأعلى، الآية ١٨-١٩.

(١١) سورة الشعراء، الآية ١٠ -١١؛ سورة السجدة، الآية ٢٣-٢٤.

(١٢) سورة الأحقاف، الآية ١٢؛ سورة الشعراء، الآية ١٩٢-٧؛ سورة البقرة الآية ٤١.

(١٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٧٤، ١٩٤.

(١٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٧٤، ١٩٤؛ السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد (ت٥٨١هـ)، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، (القاهرة-١٩٧١)، ج٢، ص١٦-١٧؛ الدوري، عبدالعزيز، أوراق في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، (بيروت -٢٠٠٧)، ج٢، ص٩٠-٩٣.

(١٥) الواقدي، المغازي، ص١٧٦.

(١٦) سورة البقرة، من الاية ٢٥٦.

(١٧) البخاري، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة البخاري، (مصر -١٩٧٩)، ج١، ص٢٢٧. ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص١٤٣.

(١٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٩٤.

(١٩) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٤.

(٢١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٤-١٩٥

(٢٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٥.

(٢٣) أبو يوسف، يعقوب بن أبراهيم (ت١٨٢هـ)، كتاب الخراج، ط٢، دار الحداثة، (بيروت-١٩٩٠) ص٧١.

(٢٤) الديار بكري، حسين بن محمد (ت٩٩٦هـ)، تاريخ الخميس في أحوال النفيس، مؤسسة شعبان، (بيروت-د.ت)، ج٢، ص٦٠.

(٢٥) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق محمد رضوان، مطبعة السعادة، (بيروت-١٩٥٩)، ص٧١.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٧١.

(٢٧) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١، ص٣٥٣.

(٢٨) الواقدي، المغازي، ج١، ص٤١٠-٤١٢.

(٢٩) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة-١٣٢٨هـ)، ج١، ص٤٧٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ج١، ص٤٧٣.

(٣١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٢-٢٣١.

(٣٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥١٩، ج٣، ص٢٩٧.

(٣٣) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٢٣.

(٣٤) ابن حجر، الاصابة، ج١، ص٢٠١، ٥٠١، ٥١٨، ٥١٨، ٥٨٤، ج٢، ٢٩٧، ج٤، ص٣٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ج٣، ص١٣٣-١٣٥.

(٣٦) المصدر نفسه ج٣، ص١٣٣-١٣٥.

(٣٧) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، (القاهرة-١٣٧٤هـ)، ج٢، ص٦٤٣.

(٣٨) ابن حجر، الاصابة، ج٢، ص٤٣٠.

(٣٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣٠.

(٤٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣٠.

(٤١) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٦.

(٤٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٦-٤٨٣.

(٤٣) مسلم، صحيح، ج٣، ص١٢٢٦.

(٤٤) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٠٨.

(٤٥) سورة الحج، الآية ١٧.

(٤٦) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٥١٢.

(٤٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٥-٣-٥٠٤.

(٤٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٦٧.

(٤٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٠-٣٤١.

(٥٠) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٠-٣٤١.

(٥١) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٤.

(٥٢) المصدر نفسه ج١، ص٢٣٦.

(٥٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٦.

(٥٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩٨-٢٠٠.

(٥٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩٨-٣٠٠.

(٥٦) المصدر نفسه ج٣، ص٢٩٨-٣٠٠.

(٥٧) الدياربكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص٣٨.

(٥٨) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط٥، دار الفكر، (بيروت-١٩٧٣)، ج٢، ص٢٢٨. الدياربكري، تاريخ الخميس، ج١، ص٣٥١.

(٥٩) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت-د.ت)، ج١، ص٤٤٩.

(٦٠) ابن حجر، الاصابة، ج٣، ص٣٨٥.

(٦١) ابن اسحاق، أبو عبدالله محمد بن اسحاق (ت١٥١هـ)، سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة-١٩٦٣)، ج١، ١٣٩-١٤٢. الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١، ص٣٥١-٣٥٢.

(٦٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٨٦.

(٦٣) سورة المائدة، الآية ٥.

(٦٤) الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود الخزاعي (ت ٧٨٩هـ)، تخريج الدلالات السمعية، تحقيق إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت -١٤١٩ هـ)، ج ١، ص٢١٨-٢١٩.

(٦٥) ابن إدريس، عبد الله عبد العزيز، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، (الرياض – ١٩٩٩م)، ص٥٥.

(٦٦) الوردي، علي، مهزلة العقل البشري، دار الوراق، (لبنان-١٩٩٦)، ص١٠٠.

(٦٧) المصدر نفسه، ص١٨٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولاً: المصادر الاصلية:

١- ابن اسحاق، أبو عبدالله محمد بن اسحاق (ت١٥١هـ)، سيرة النبيﷺ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة-١٩٦٣).

٢- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ). صحيح البخاري، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة البخاري، (مصر -١٩٧٩).

٣- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ). فتوح البلدان، تحقيق محمد رضوان، مطبعة السعادة، (بيروت-١٩٥٩).

٤- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ). الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة-١٣٢٨هـ).

٥- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية، (القاهرة – د.ت)

٦- الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود الخزاعي (ت ٧٨٩هـ)، تخريج الدلالات السمعية، تحقيق إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت -١٤١٩ هـ).

٧- الديار بكري، حسين بن محمد (ت٩٩٦هـ). تاريخ الخميس في أحوال النفيس، مؤسسة شعبان، (بيروت-د.ت).

٨- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ). الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت-د.ت).

٩- السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد (ت٥٨١هـ). الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، (القاهرة-١٩٧١).

١٠- الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، دار صادر، (بيروت- ١٩٨٠)،

١١- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط٥، دار الفكر، (بيروت-١٩٧٣).

١٢- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ). صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، (القاهرة-١٣٧٤هـ).

١٣- ابن هشام، محمد بن عبدالملك(ت٢١٣هـ).السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، (مصر-د.ت).

١٤- الواقدي، محمد بن عمرو بن واقد (٢٠٧هـ). المغازي، تح مايدن جونسن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت – ١٩٦٦).

١٥- أبو يوسف، يعقوب بن أبراهيم (ت١٨٢هـ). كتاب الخراج، ط٢، دار الحداثة، (بيروت-١٩٩٠).

ثانياً: المراجع الحديثة

١- أحمد، حسن عبد الفتاح، عناية المسلمين بأسرار وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د.مط، (المغرب-د.ت).

٢- الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول، ط٥، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-١٩٧٤).

٣- الدوري، عبدالعزيز، أوراق في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، (بيروت -٢٠٠٧).

٤- دروزه، محمد عزة، عصر النبي، (د.م-د.ت).

٥-الدهلوي، ولي الله، الفوز الكبير في أحوال التفسير، دار الجيل، (بيروت – ١٩٧٥).

٦-أبو زيد، نصر حامد. التفكير في زمن التكفير، ط٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة – ١٩٩٥).

٧-صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب، ط٢، دار القلم، (بيروت – د.ت).

٨- العلوي، هادي. من قاموس التراث، الأهالي للطباعة والنشر، (دمشق – ١٩٨٨م).

٩-العيثاوي، داود سلمان. مقالات إسلامية، الدار العربية للطباعة (بغداد-١٩٧٨).

١٠- القمني، سيد محمود. حروب دولة الرسول، ط٤، مطبوعات مدبولي الصغير، (القاهرة – د.ت).

١١-الوردي، علي، مهزلة العقل البشري، دار الوراق، (لبنان-١٩٩٦).

الرسائل الجامعية

- ابن إدريس، عبد الله عبد العزيز. مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، (الرياض – ١٩٩٩م).

دراسة بعنوان

مواقع التواصل الاجتماعي وتوظيفها في الترويج لقضايا الإرهاب

(دراسة مسحية لعينة من مستخدمي المواقع)

د. عبد الملك ردمان الدناني د. محمد شرف محمد هاشم

أستاذ الإعلام المشارك، جامعة الإمارات للتكنولوجيا (أبو ظبي)
d-aldanani@yahoo.com

أستاذ الإعلام المشارك، جامعة الكويت
sharaf2007@hotmail.com

ملخص

تؤكد نتائج العديد من الدراسات العلمية أن استخدام مواقع التواصل يزيد من تشكيل التفاعل الاجتماعي، وبما أن فضاء الاتصال يمثل مجالاً مفتوحًا فإن المتغيرات في استخدام المواقع الاجتماعية ترتبط باستمرارية عامة للمجتمعات، كونها ليست ساكنة بطبيعتها، أي أن الأشكال الاجتماعية عرضة للتغير باستمرار.

وساهمت تقنيات التواصل الحديثة في ظهور الإعلام الاجتماعي Social Media، مما سهل نقل المعلومات والأفكار والآراء، وتشكيل جماعات من ذوي الاهتمامات المشتركة، بعيدًا عن سيطرة الإعلام التقليدي. وأتاحت مواقع التواصل الاجتماعي مجالاً خصبًا لمجموعات لا تنتمي لدولة بذاتها، ويمثل الإرهاب أحد أهم مجسداتها.

وقد تم الاستفادة من نظرية سيسيولوجيا الاستخدام، التي تتمحور حول كيفية إدراك فعل ودلالات المبتكرات التقنية في المجتمع، والتي اهتمت بشخصنة الاتصال، بدل جماهيريته. وقد أدى استخدام التقنيات الحديثة إلى تغيير معايير إدراكنا للعالم المحيط بنا ولعوالمنا الذاتية. فهل توجد علاقة ضمنية بين التقنيات الحديثة والتأثير الاجتماعي على المستخدمين؟

أهمية الدراسة

سعت هذه الدراسة العلمية إلى التعرف على حدود وطبيعة توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب، وتأثيرها في تشكيل معارف أفراد المجتمع واتجاهاتهم تجاه القضايا الإرهابية، كما تكمن أهمية الدراسة في أنها تسلط الضوء على أحد أهم موضوعات الساعة الساخنة، وأكثرها تداولاً، حيث تُعد قضايا الإرهاب والصراعات الدامية من أخطر القضايا المطروحة وأوسعها انتشارًا من خلال وسائل الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، الوطنية والعربية والدولية.

هدف الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب، الذي أصبح يشكل واقعًا خطيرًا ومفروضًا على أفراد المجتمعات في دول العالم، وذلك من

خلال التعرف على توظيف تقنيات مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب، والمجالات والأبعاد المختلفة لهذه العلاقة، وكذلك التعرف على الرؤية التي يحملها مستخدمي المواقع الاجتماعية لقضايا الإرهاب، وكيف يتم توظيفها والاستفادة من إمكانياتها المشاعة من جهة الجماعات الإرهابية.

المبحث الأول: الإطار المنهجي للبحث

المقدمة

يعيش المجتمع المعاصر تطورات متسارعة في مجال الاتصال Communication، صاحبها تغييرات في أساليب إنتاج وتوزيع وتلقي المعلومات Informations، بفعل التقنيات Technologyis، والوسائط المتعددة Multimedia، وأدى ذلك إلى بروز خصائص ووظائف جديدة، من أهمها التفاعلية والمضامين المتعددة.

وتعّد مواقع التواصل الاجتماعي من أبرز الوسائط الاتصالية التي تجمع بين هذه الخصائص، بعد أن انتشرت بشكل واسع على شبكة المعلومات الدولية- الإنترنت Internet، وتضاعف عدد مستخدميها في كافة دول العالم، فموقع واحد مثل الفيس بوك Facebook، الذي يستخدمه أكثر من مليار مستخدم حول العالم، وفق إحصائية حديثة نشرت في عام ٢٠١٦، [١] وأصبحت مثل هذه المواقع تروج للغث والسمين من المعلومات والأفكار المفيدة والضارة.

وأصبحت قضايا الإرهاب تفرض نفسها بقوة على واقع المجتمعات المحلية والدولية، وتهدد الأمن والاستقرار الداخلي للدول، وتحد من فاعلية خطط التنمية بمختلف مجالاتها. وتم استغلال تقنيات مواقع التواصل الاجتماعي للترويج لقضايا الإرهاب وتدجين العقول بالأفكار المنحرفة الهدامة والمتطرفة، لإقناع المتابعين والمتصفحين لهذه المواقع بالأفكار التي يتبناها من يروج لها.

وأتاحت مواقع التواصل الاجتماعي للإرهابيين مجالاً مفتوحًا من الحرية للترويج لأفكارهم، والقضايا الإرهابية التي يتبنونها في أيديولوجيتهم الفكرية ويدعون إلى تنفيذها، مثل استقطاب مقاتلين إلى صفوفهم من كافة دول العالم للانضمام إلى صفوفهم، تحت مزاعم إقامة الدولة الإسلامية، والجهاد، وغير ذلك من المزاعم.

مشكلة الدراسة

بينت الدراسات العلمية السابقة أن استخدام مواقع التواصل يزيد من تشكيل التفاعل الاجتماعي، وبما أن فضاء الاتصال يمثل مجالاً «مفتوحًا» فإن المتغيرات في استخدام المواقع الاجتماعية ترتبط باستمرارية عامة للمجتمعات، كونها ليست ساكنة بطبيعتها، أي أن الاشكال الاجتماعية عرضة للتغير باستمرار.

وقد ساهمت وسائط الاتصال الحديثة في ظهور الإعلام الاجتماعي Social Media، مما سهل نقل المعلومات والأفكار والآراء، وتشكيل جماعات من ذوي الاهتمامات المشتركة، بعيدًا عن سيطرة الإعلام التقليدي. وأصبحت مواقع التواصل الاجتماعي مجالاً خصبًا لمجموعات لا تنتمي لدولة بذاتها، ويمثل الإرهاب أحد أهم مجسداتها. من هنا جاء الدافع الأساس من تنفيذنا لهذه الدراسة، وهو الإجابة عن الأسئلة الرئيسة الآتية: ما حدود وطبيعة توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب؟ وهل تم توظيف إمكانية هذه المواقع في نشر أفكار الإرهابيين؟ وهل ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي بشكل إيجابي في معالجة قضايا الإرهاب؟

أهمية الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على حدود وطبيعة توظيف إمكانية مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب، وتأثيرها في تشكيل معارف أفراد المجتمع واتجاهاتهم تجاه القضايا الإرهابية، كما تكمن أهمية الدراسة في أنها تلقي الضوء على أهم موضوعات الساعة الساخنة، وأكثرها تداولاً،

حيث تُعد قضايا الإرهاب والصراعات الدامية من أخطر القضايا المطروحة وأوسعها انتشارًا من خلال وسائل الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، الوطنية والعربية والدولية.

ويمكن تلخيص الأهمية من خلال الآتي:

- تركز الدراسة على محور توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في عملية التواصل، والترويج لقضايا الإرهاب وتأثير ذلك على أفراد المجتمع وكيفية معالجتها لقضايا الإرهاب.
- تسلط الضوء على أحد موضوعات الساعة الساخنة والأكثر تداولاً، إذ تقوم مواقع التواصل الاجتماعي بدورٍ خطيرٍ في الترويج لقضايا الإرهاب وإثارة الصراعات الدامية، بحكم أنها تجمع بين خاصيتي الاتصال الشخصي والجماهيري في الوصول إلى أفراد المجتمع، وتروج للقضايا التي تتبناها.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن توظيف إمكانية مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب، والذي أصبح يشكل واقعًا خطيرًا ومفروضًا على أفراد المجتمعات في كافة دول العالم، وذلك من خلال التعرف على توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب، والمجالات والأبعاد المختلفة لهذه العلاقة، فضلاً عن التعرف على الرؤية التي تحملها المواقع الاجتماعية لقضايا الإرهاب، وكيف يتم توظيفها والاستفادة من إمكانياتها من جهة الجماعات الإرهابية في نشر الفكر المنحرف؟ وهل يمكن أن تساهم مواقع التواصل الاجتماعي بشكل إيجابي في معالجة قضايا الإرهاب؟

تساؤلات الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن العديد من التساؤلات التي تتصل بالدور الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب ونشر الأفكار المنحرفة، ومن هذه التساؤلات:

١- ما مدى استخدام جمهور عينة الدراسة لمواقع التواصل الاجتماعي؟

٢-إلى أي درجة تهتم مواقع التواصل الاجتماعي بتغطية قضايا الإرهاب؟

٣- ما المواقع الاجتماعية الأكثر ترويجًا للقضايا الإرهابية؟

٤- هل تقدم المواقع الاجتماعية قضايا الإرهاب كما هي أم أنها تتلاعب بها، وترسم لها صورة أخرى؟

٥-هل تختلف تغطية مواقع التواصل الاجتماعي للقضايا الإرهابية تبعًا لاتجاه الموقع الاجتماعي وميوله؟

٦-إلى أي درجة تلتزم مواقع التواصل الاجتماعي في تغطيتها للقضايا الإرهابية بالأخلاقيات المهنية؟

منهج الدراسة

تعّد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية، استُخدم في تنفيذها منهج المسح من خلال أخذ آراء عينة من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي باستخدام الاستقصاء أو ما يسمى بالاستبانة، والتي يقصد بها «مجموعة من الأسئلة المصممة لجمع البيانات اللازمة عن المشكلة قيد الدراسة» (الصيرفي، ٢٠٠٢، ص١١٥)[٢].

حدود الدراسة

- الإطار الجغرافي: اقتصر حدود الدراسة المكانية على دولتي اليمن الكويت.
- الإطار العمري: تشمل الفئة العمرية من (٢٥ – ٥٥) عامًا.
- الإطار الموضوعي: تكمن في وظيفة مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب.
- الإطار الزمني: انحصرت الحدود الزمانية في عام ٢٠١٧، حيث ارتفعت حدة الأعمال الإرهابية.

مجتمع الدراسة

مجتمع الدراسة، هم عينة عشوائية من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي في الجمهورية اليمنية ودولة الكويت، واختار الباحثان عينة عشوائية قوامها (١٤٠) فرد من الجنسين، وسوف يتم شرح أسلوب كيفية سحبها.

تعّد الاستبانة، أداة لجمع البيانات من المبحوثين، وتحتوي على مجموعة من الأسئلة المصممة لجمع البيانات اللازمة عن المشكلة البحثية قيد الدراسة[٣]، وتهدف إلى الحصول على إجابات عن الأسئلة المكتوبة في أنموذج يعّد لهذا الغرض، ويقوم المبحوث بالإجابة عليه بنفسه[٤].

أداة جمع بيانات الدراسة

بعد تحديد المشكلة البحثية وصياغتها على ضوء التساؤلات التي تسعى الدراسة في الإجابة عنها، قام الباحثان بتصميم الاستبيان وتوزيعه على أفراد العينة «إلكترونيًا»، بعد أن تم عرضه على مجموعة من الزملاء بهدف التحكيم العلمي لمضمونه. وقاما بإرسال الرابط لأفراد العينة ليتمكنوا من خلاله الدخول على الصفحة والمشاركة إلكترونيًا؛ وبهذا الأسلوب الإلكتروني استطاع الباحثان تجاوز عائق البعد الجغرافي من خلال المراسلة الإلكترونية، وتفاعل مع تعبئة الاستبيان والرد عليها عدد (١٤٠) استمارة، تضمنت محورين:

المحور الأول: البيانات الأساسية التي توضح خصائص أفراد العينة من حيث الجنس والعمر والمهنة والمستوى التعليمي.

والمحور الثاني: المعلومات الأساسية عن توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب.

الدراسات السابقة

اطلع الباحثان على العديد من الدراسات السابقة، التي تتصل بمواقع التواصل الاجتماعي وتأثيراتها المتعددة، منها دراسات تناولت مواقع التواصل الاجتماعي وتطبيقاتها، بعضها أعدها باحثون في الدراسات العليا، وبعضها الآخر دراسات منشورة في مجلات علمية محكمة. ولوحظ أن بعض الدراسات السابقة تناولت أفكارًا بحثية قريبة من دراستنا أو أنها تناولت أجزاءً منها، ومن هذه الدراسات[٥]:

دراسة رضا عبد الواجد أمين (٢٠١٦)[٦].
هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دور حملات التغريد والتدوين من خلال مواقع التواصل الاجتماعي في عمليات الإنماء الثقافي، وعن مدى توظيف شبكات التواصل الاجتماعي لإحداث تأثيرات إيجابية لدى المستخدمين تجاه سنة نبي الإسلام محمد ﷺ، وأسلوب التفاعل مع موضوعاته. وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، أبرزها: إن أكثر من نصف العينة من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي تحرص على توظيف تلك المواقع دعويًا من خلال التعريف بالنبي ﷺ أو تقيم حوارًا مع الأصدقاء والمتابعين، ومتابعي صفحاتهم وحساباتهم الخاصة، حول

الرسول وسيرته وأخلاقه وفضائله. وإن لكل موقع من مواقع التواصل الاجتماعي ميزة تفاضلية عن المواقع الأخرى، فبعضها يهتم بتبادل النصوص وأخرى تركز على الصورة وثالثة تركز على ملفات الفيديو، ومنها ما يجمع بين أشكال الوسائط المتعددة، لتوصيل الرسالة الإعلامية، كما أن أكثر مواقع التواصل الاجتماعي استخدامًا بالتعريف بالرسول محمد ﷺ، كان موقع الفيس بوك، الذي جاء بالمرتبة الأولى.

دراسة الصادق رابح، (٢٠١٦)[٧]. هدفت هذه الدراسة إلى تبيان أهمية التفكير النقدي في ترشيد التعامل مع الإشاعات على شبكات التواصل الاجتماعي، وتقصي انعكاسات ممارسة التفكير النقدي على عقلنة التعامل مع الإشاعة في شبكات التواصل الاجتماعي. وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج، منها: تواجد آلية تقنية «تكنولوجية» واجتماعية تقوم على تعزيز وترسيخ التفكير النقدي لمستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي، يساعد على تجاوز الكثير من التضليل والتلاعب، لا سيما خلال الأزمات والكوارث، فالإشاعات تتكاثر بشكل أكبر خلال هذه الأحداث، وتتسرب إلى حياة الأفراد بسهولة ويسر. وتقوم المقاربة الثانية على فكرة تمكين المستخدمين من التفكير بشكل جماعي، بهدف فهم ومعالجة قضايا مفاهيمية وخلافية، مثل صناعة القرارات، وإدارة بيئية، وقضايا اجتماعية متنوعة، مثل الكشف عن الإشاعات.

دراسة (فاتن عبد الرحمن، عام ٢٠١٥)[٨]. هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة استخدامات المصريين المغتربين لمواقع التواصل الاجتماعي وحجمها، وتأثير العوامل الديموغرافية على ذلك. والتعرف على أهداف وأسباب استخدام المبحوثين لمواقع التواصل الاجتماعي. فضلاً عن التعرف على مدى اعتماد أفراد عينة البحث على مواقع التواصل الاجتماعي مصدرًا للمعلومات عن قضايا الإرهاب. وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج، منها: ارتفاع معدل استخدام عينة الدراسة، من المغتربين المصريين لمواقع التواصل الاجتماعي، حيث أشارت النتائج إلى اتجاه أفراد العينة تجاه استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، وربما يرجع سبب ذلك إلى انتشارها وسهولة استخدامها ومن دون تعقيدات. وأكدت النتائج على أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تؤثر على المجالات المعرفية والوجدانية والسلوكية لأفراد العينة، وتمثلت التأثيرات في كافة بنود المجالات بدرجة كبيرة، بمتوسطات تتراوح ما بين ٢٠٣ و٢٩٢، وبنسبة تتراوح ما بين ٤٦,٣٪ و٩٤,٢٪.

دراسة (كافي، محمد عبد الوهاب الفقيه، والصالحي، حاتم علي حيدر)[٩]. هدفت هذه الدراسة إلى معرفة المعلومات التي يلتمسها الشباب العربي من شبكات التواصل الاجتماعي حول ظاهرة الإرهاب. وكذلك رصد العوامل المؤثرة على التماس الشباب العربي للأخبار والمعلومات من شبكات التواصل الاجتماعي حول ظاهرة الإرهاب، فضلاً عن معرفة تأثير اعتماد الشباب العربي على شبكات التواصل الاجتماعي في الحصول على الأخبار والمعلومات حول ظاهرة الإرهاب. وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج، منها: إن الأفراد يسعون بالدرجة الأولى لالتماس معلومات وتفاصيل محددة حول القضايا والحوادث الإرهابية التي تحدث في بلدانهم أكثر من سعيهم لالتماس معلومات عامة حول الإرهاب. ويرتفع معدل تأثير الاعتماد على وسائل الإعلام خلال الأزمات والتحولات التي تمر بها المجتمعات، على اعتبار أن الحوادث الإرهابية إحدى الأزمات المتفاقمة.

دراسة (حسن المطيري، ٢٠١٢)[١٠]: هدفت هذه الدراسة الكشف عن طبيعة الاستخدامات السياسية لموقع تويتر وأغراضها ومضامينها المختلفة من جهة الشباب الكويتي، واستخدم الباحث المنهج الوصفي المسحي في الدراسة وأداة الاستبانة التي طبقت على عينة من ٤٠٤ مستجيبين جرى اختيارهم بأسلوب عشوائي بسيط من شرائح

متنوعة من الشباب الكويتي. وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، أهمها: أن الاستخدامات المتنوعة لموقع تويتر، تبين أن الاستخدامات التي تتصل بطبيعة العمل الذي أقوم به حلت في المرتبة الأولى، تلاها الاستخدامات التي تتصل بصداقات جديدة من الجنسين، بينما جاء الاستخدام من أجل الترفيه والتسلية وقضاء الوقت في المرتبة الأخيرة من تلك الاستخدامات.

دراسة حسني عوض، (٢٠١٢): هدفت هذه الدراسة إلى فحص أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى فئة الشباب، وذلك من خلال تطبيق برنامج تدريبي على مجموعة من شباب «مجلس شبابي علار» بفلسطين. كما أشار الباحث من خلال تطبيق مقياس المسؤولية الاجتماعية على المبحوثين، الذين تم تدريبهم على إنشاء عدة صفحات لكل مجموعة من المبحوثين بعد حضورهم لعدد من المحاضرات وحوارات النقاش عن المسؤولية الاجتماعية. وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج، منها: وجود تغيير واضح في إدراك العينة لمفاهيم وتفاصيل المسؤولية الاجتماعية بعد إنشاء الصفحات على الفيس بوك وتفاعلهم معها.

دراسة (مبارك زودة، ٢٠١١)[١١]: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الاجتماعي في تشكيل الرأي العام التونسي، والدور الذي لعبته هذه الوسائل في التعبئة الافتراضية للرأي العام التونسي وصناعة الثورة التونسية، كما سعت الدراسة إلى معرفة عادات وأنماط مستخدمي مواقع الإعلام الاجتماعي، وآثار استخدامها. ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة: أن الفيس بوك هو الأكثر استخدامًا لدى المبحوثين بنسبة ٧٩,٦٨٪، في حين كان التصفح اليومي لمواقع التواصل الاجتماعي هو الصفة الأكثر استخدامًا لدى المبحوثين بنسبة ٧١,٨٧٪.

دراسة (حاتم علاونة، ٢٠١١)[١٢]: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة الدور الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي، في تحفيز المواطنين الأردنيين للمشاركة في الحراك الجماهيري المطالب بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي من خلال النقابيين الأردنيين، باستخدام منهج المسح الإعلامي بشقيه الوصفي والتحليلي. ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة: قامت مواقع التواصل الاجتماعي بدور متوسط في تحفيزها للنقابيين للمشاركة في الحراك الجماهيري، كما أن ١٩,٩٪ من النقابيين يشاركون في الحراك الجماهيري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي بصفة دائمة.

دراسة (نصر الدين العاضي، ٢٠١١)[١٣]: سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن التوافق والاختلاف في استخدام الإنترنت انطلاقًا من افتراض أن امتلاك التقنية لا يؤدي بالضرورة إلى توحيد استخدامها وتنميطه، ومعرفة أشكال الاتصال الجديدة للشباب من خلال استخدامهم للإنترنت، واستخدمت الدراسة المنهج المسحي الوصفي بالاعتماد على الاستبانة. ومن النتائج التي توصلت لها الدراسة: أن استخدام الشباب في الإمارات للإنترنت يتباين وفق بعض المتغيرات مثل الجنس والعمر، وأن استخدامه أدى إلى تعزيز العلاقات الاجتماعية.

دراسة (طاهر أبو زيد، ٢٠١١)[١٤]: سعت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تأثير المواقع الاجتماعية على الرأي العام، وتفسير انعكاساتها على المشاركة السياسية من خلال تأثيرها على الرأي العام، واعتمدت الدراسة في إثبات فرضيتها على المقاربة المنهجية الوصفية التحليلية معتمدة على أداة الاستبيان والمقابلة كإحدى أدوات المسح الاجتماعي. ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة: مساهمة المواقع الاجتماعية التفاعلية بشكل واضح في التأثير على توجيهات الرأي العام في المجتمع الفلسطيني.

دراسة (فايز الشهري، ٢٠١٤)[١٥]، حول التطرف والإرهاب الإلكتروني، كشفت عن أن المواقع المتطرفة تتراوح بين ٢٤٠ و٣٠٠ موقع إلكتروني، إذ تزيد وتنقص حسب سخونة الأحداث في الساحة العربية والدولية. وأكدت الدراسة على أن الإحصائيات العربية والغربية حول عدد المواقع المتطرفة لا تخلو في معظمها من المبالغة وعدم المنهجية؛ لأن بعضها تعتبر كل من يؤصل للجهاد متطرفًا، فيما يقحم باحثون آخرون كل موقع يدعو لطرد ومقاومة الاحتلال في باب التطرف ولو كان طابع طرحها قوميًا أو شعبيًا أو إسلاميًا معتدلاً.

ما يميز دراستنا عن الدراسات السابقة:

بعد عرض مختصر للعديد من الدراسات، لعل أبرز ما يميز دراستنا عن الدراسات السابقة:

١- تركيزها على توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب.

٢- توضح الدراسة مدى استغلال الإرهابيين لمواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لأفكارهم ومعتقداتهم.

٣- تنفيذها خلال فترة اشتداد حدة العنف التي تعيشها المنطقة، لا سيما منها العربية خلال عام ٢٠١٧.

٤- ركزت الدراسات السابقة على ربط دراسة مواقع التواصل الاجتماعي بقضايا أخرى تختلف عن القضية التي حددتها دراستنا، مثل دراسة (رضا عبد الواجد، ٢٠١٥)، أو دراسة (فاتن عبد الرحمن، ٢٠١٥).

٥- نأمل أن تكون هذه الدراسة إسهامًا وإضافة علمية مفيدة للجهود العلمية السابقة في مجال توظيف إمكانية مواقع التواصل الاجتماعي في التوعية والإرشاد بمخاطر الفكر المنحرف والمتطرف للجماعات الإرهابية.

المبحث الثاني: مواقع التواصل الاجتماعي وتوظيفها في الترويج لقضايا الإرهاب

خصائص التواصل من خلال مواقع التواصل الاجتماعي

اكتسبت شبكة المعلومات الدولية - الإنترنت Internet، شهرة عالمية عالية، وسعة انتشار واسعة في مدة زمنية أقل بكثير من المدة التي رافقت انتشار الوسائل الأخرى، فالإذاعة ظلت أكثر ٣٨ عامًا لتصل إلى ما يقارب ٥٠ مليون مستمع حول العالم، واستغرق التلفاز ١٣ عامًا لكي يصل إلى العدد نفسه، في حين أن شبكة الإنترنت وصلت إلى هذا العدد في غضون أربعة أعوام، ويقدر عدد مستخدمي موقع الفيس بوك ١,٤ بليون مستخدم و٤٧٪ من مستخدميها لديهم تواجد على المواقع الاجتماعية[١٦]. وفي ظل التنامي المتسارع والمستمر في عدد المستخدمين لها، تعددت أهدافها وتنوعت استخداماتها.

وتشير الدراسات العلمية السابقة إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي احتلت ترتيب متقدم مقارنة بالقنوات الفضائية، في الاعتماد عليها من جهة الجمهور المستخدم، كمصدر للحصول على المعلومات المتصلة بقضايا الإرهاب، إذ إنها تقدمت على وسائل الإعلام التقليدية كالصحف والإذاعات والتلفزيون، بما يعكس أهمية مصادر المعلومات التي تروج لها مواقع التواصل الاجتماعي في متابعة الأحداث والقضايا الإرهابية لدى الجمهور المستخدم لها بالنظر لما تتميز به من سرعة انتشار في مواكبة الأخبار ومن خلال التحديث المستمر والسريع لما تنشره[١٧].

ويطلق مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي، والتطبيقات التفاعلية العامة التي تعمل من خلال شبكة الإنترنت، مثل مواقع الأخبار الإلكترونية Online News، وتطبيقات الإرسال الإذاعي والبث التلفزيوني، مثل البودكاست Podcast، واليوتيوب YouTube، والمنتديات، ومجموعات النقاش، واستخدام محركات البحث، والفيس

بـوك Facebook، وتـويـتـر Twitter، فضلاً عن المواقع الإلكترونية الجماعية. وتتميز هذه المـواقـع بـأنـهـا تـجـمـع بـيـن خاصيتي الاتـصـال الشخصي والجماهيري، Personal Media، وتتيح للمستخدم القدرة على السيطرة والتحكم في شكل ونوعية ومحتوى وتوقيت الاتصال الذي يرغب المشاركة بها[١٨]. ويمكن حصر خصائص مواقع التواصل الاجتماعي في الآتي[١٩]:

١- **تجمع بين الاتصال الشخصي** Interpersonal Communication Media: والاتصال الجماهيري، وتشمل البريد الإلكتروني E-mail، الذي يتميز بخاصيتي التواصل العام والخاص، والهاتف المحمول Mobil.

٢- **وسائل بحث عن المعلومات:** Information Search Media: إذ تعّد مصدرًا للمعلومات والمعرفة من جهة، وسهولة وسرعة الوصول إليها، من جهة أخرى.

٣- **وسائل مشاركة جماعية** Collective Participatory Medium: تطورت هذه الخاصية مع ظهور الجيل الثاني من الإنترنت web 2.0، والمواقع الاجتماعية Social Networks، والإعلام الاجتماعي Social Media، وتتيح لأي مستخدم بأن يكون ناشرًا يرسل رسالته إلى الآخرين.

٤- **وسائل تفاعلية** Interactive Play Medium: تـبـرز هـذه الـخـاصـيـة فـي الـواقـع الافتراضي Virtual Reality، وتتميز بالتفاعلية Interactivity، بين المستخدمين، وتركز على الاستمتاع بالمشاركة والأداء، أكثر من إشباع المحتوى Content Jratification. فيتبادل المرسل والمتلقي الأدوار، ويكون الاتصال ثنائي الاتجاه وتبادلي، وليس في اتجاه أحادي، بل هناك مشاركة حوار بين الطرفين. وهذه الميزة استغلها الإرهابيون في عملية الإقناع.

٥- **الاستبدال أو الإحلال للوسائل الأخرى** Substitution: إذ يمكن للمستخدم تصفح الصحف الورقية والإلكترونية، ومتابعة المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية، وتقديم البرامج المسموعة وتنزيلها بالصوت، وعرض الأفلام ومقاطع الفيديو المتنوعة، ومن أشهرها موقع اليوتيوب YouTube، للمشاركة بمقاطع الفيديو.

مما تقدم يتضح أن مواقع التواصل الاجتماعي تجمع عدة وسائل ووظائف في وسيلة واحدة. كما أن خصائصها ليست منفصلة عن دور وسائل الإعلام الأخرى، بل توجد العديد من الخصائص المشتركة والمكملة لبعضها البعض. ويتميز الاتصال من خلال مواقع التواصل الاجتماعي بالعديد من الميزات، منها[٢٠]:

١- **اللاتزامنية:** تتيح التفاعل مع العملية الاتصالية في الوقت المناسب للفرد، سواءً كان مستقبلاً أو مرسلاً.

٢- **الحركة والمرونة:** حيث يمكن نقل الوسائل الحديثة مع المتلقي أو المرسل، مثل الحاسب المحمول، والهاتف المحمول، والأجهزة الأخرى، للاستفادة منها.

٣- **اندماج الوسائط:** استخدام أساليب الاتصال المتعددة، مثل النص، والصوت، والصورة الثابتة، والصورة المتحركة، والرسوم البيانية ثنائية وثلاثية الأبعاد، وغير ذلك من الاستخدامات.

٤- **الانتباه والتركيز:** المستخدم للمواقع يقوم بنشاط فاعل في اختيار المحتوى، والتفاعل معه، ويتميز بدرجة عالية من الانتباه والتركيز.

٥- **التخزين والحفظ:** يسهل على المستخدم تـخـزيـن وحـفـظ الـرسـائـل الاتـصـالـيـة واسترجاعها، كجزء من قدرات وخصائص الوسيلة بذاتها.

ويرى الباحثان (لايفرو وليفنجستون)، أن الاتصال من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، يتميز بالآتي[٢١]:

١- **التواصل الشبكي المتداخل:** Intercon-nectedness، حيث يسمح بالتواصل من عدة نقاط إلى عدة نقاط أخرى، وليس من نقطة واحدة إلى عدة نقاط.

٢- **سهولة الوصول والدخول:** Access، من جهة المستخدمين ليقوموا بنشاطهم كمرسلين ومستقبلين ومنتجين.

٣- **التنوع في المحتوى:** من حيث المضامين الإعلامية السياسية والاجتماعية والثقافية، وفي الأخبار والمعلومات والأفلام والمسلسلات، ومختلف المجالات الأخرى.

٤- **تعدد الاستخدامات والانفتاح:** Open-ended، على ما هو حديث، من حيث محتوى المواد الإعلامية.

وحدد «مكويل» مجالات تميز المواقع الاجتماعية في التأثير على الجمهور المستهدف بالآتي[٢٢]:

١- **قوة النفوذ:** Bower and inequality: حيث إنها تتميز بقدرتها العالية على التأثير في المستخدمين.

٢- **إحداث التغيرات الاجتماعية:** Social change and development: قدرتها العالية في إحداث التغيرات الاجتماعية، بحكم جاذبيتها لدى الجمهور وخواصها التفاعلية. كما أن الجمهور المستخدم يتفاعل معها بأساليب اختيارية أو طوعية، وهو الأكثر فاعلية من أسلوب الإلقاء من طرف واحد.

٣- **تجاوز تحديات المكان والزمان:** Space and time: تحررت المواقع الاجتماعية من قيود المكان والزمان، وأصبحت الرسائل الإعلامية المرسلة بالمواقع تصدر من أي مكان في العالم، وتصل إلى أي مكان آخر في العالم بسرعة فائقة، وبأساليب متعددة، منها الأخبار والمعلومات، فضلاً عن غرف المحادثات والدردشة. وسعة الانتشار والتحرر من المكان Delocatedness، جعلها لا ترتبط بمنطقة جغرافية محددة.

٤- **تسمح المواقع الاجتماعية:** Social Networks، لمستخدميها بإنشاء صفحات ومساحات خاصة ضمن الموقع نفسه، ومن ثم التواصل مع المستخدمين الآخرين ومشاركتهم المحتويات والاتصال[٢٣]. وهذا ما جعل الإرهابيين يوظفونها للنفوذ وللترويج لأفكارهم، والتأثير على مستخدمي المواقع (موقع الفيس بوك، ويوتيوب، وتويتر) وغير ذلك من المواقع.

توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج لقضايا الإرهاب

جاء مفهوم «الإرهاب» من الأصول اللاتينية Terror, Terroris ويعني الخوف[٢٤]، وعلى الرغم من تعدد تعريفات الإرهاب، إلاّ أن هناك اجتهاد من بعض القوى والمنظمات الدولية في تعريفه وتفسيره من وجهة نظرها وبما يخدم أهدافها ومصالحها، ووفقًا للاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب عام ١٩٩٨، بأنه كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيًا كان نوعه أو أغراضه يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الخطر بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر[٢٥].

وتعرف الموسوعات والمعاجم العربية «الإرهاب» لغة، بأنه كلمة مشتقة من فعل مزيد «أرهب» ويقال أرهب فلانًا أي خوفه وأفزعه، وهو المعنى الذي يدل عليه الفعل المضعف «رهب». أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو رَهب – يرهب فيعني خاف وفزع. «مجلة البحوث الإسلامية، ٢٠١٢» (طه، ٢٠١٥، ص٦)[٢٦]، و(العاني، ٢٠١٣، ص٧٩)، وعرف قاموس روبير الإرهاب: بأنه الاستخدام المنظم لوسائل تستخدم العنف من أجل تحقيق هدف سياسي[٢٧].

ولا يوجد اتفاق على تحديد مفهوم محدد للإرهاب لأسباب تمليها الظروف السياسية والفكرية «الأيديولوجية»، للنظم السائدة في المجتمعات المعاصرة (الدليمي، ٢٠١٠، ص١٨٠)، [٢٨] فما يراه أهل ثقافة وبلد ما إرهابًا قد يعده آخرون بطولة وشجاعة ومقاومة وتحررًا لذلك ساهم هذا الإشكال في الالتباس والتداخل والفوضى في الطرح والمعالجة والتحليل. (قيراط، ٢٠١٤، ص١٠)[٢٩].

وقد تعددت تعريفات الإرهاب وتشعبت ووصلت إلى حد التباين نذكر منها أن الإرهاب: نوع خاص من الاستبداد غير مقيد بقانون وقاعدة ولا يعير اهتمامًا لضحاياه وهو يوجه ضرباته التي لا تأخذ نمطًا محددًا تجاه أهدافه المقصودة بهدف خلق جو من الرعب والخوف وشل فاعلية الضحايا (الدليمي، ٢٠٠٢، ص٨٠)[٣٠].

وفي هذه الدراسة نتبنى تعريف المرصد العربي للتطرف والإرهاب، لما لمسنا به من وضوح وإيجاز وشمولية. والذي يشير إلى أن الإرهاب «هو أي عمل يهدف إلى ترويع فرد أو جماعة أو دولة بغية تحقيق أهداف ومصالح لا تجيزها القوانين المحلية أو الدولية «– Arab Observatory.com 2014»[٣١].

وتسمح مواقع التواصل الاجتماعي: Social Networks، لمستخدميها بإنشاء صفحات ومساحات خاصة ضمن الموقع نفسه، ومن ثم توظيفها للتواصل مع المستخدمين الآخرين ومشاركتهم المحتويات والاتصال[٣٢]. وهذه الخاصية أتاحت للجماعات الإرهابية توظيفها في مجالات عديدة، لخدمة مصالحها، ومن أبرزها:

١- **الدعاية** Propaganda: تعتبر أحد الوظائف الأساسية لمواقع التواصل الاجتماعي، من جهة الجماعات الإرهابية، وتكون على هيئة نصوص وصور ومقاطع فيديو، تقدم شرح لأهدافهم وأفكارهم.

٢-**التعاطف والتجنيد** Recruitment: توظف الجماعات الإرهابية مواقع التواصل الاجتماعي في بناء العلاقات وطلب الدعم من الجماهير المتعاطفة معها، فضلاً عن الدردشة الخاصة من خلال هذه المواقع.

ومن الوظائف الإعلامية التي تتميز بها مواقع التواصل الاجتماعي، سرعة نقل الأحداث بالصور أكثر من الكلمات، مثل ما يقوم به موقع اليوتيوب، وتحولت الوظيفة الإعلامية من الترويج للكلمة إلى الترويج للصورة. تلك الوظيفة التي تميزت بها مواقع التواصل الاجتماعي جعلتها الخيار الأفضل والأكثر أمانًا والأسرع انتشارًا للمجموعات الإرهابية ومن خلالها يَنفُذُون للمجتمع ويكثفون جهودهم للترويج والاستقطاب لتحقيق أهدافهم، وبالمقابل هناك جهودٌ تبذل على مستوى الأفراد والمنظمات في معالجة قضايا الإرهاب ومحاربته وأصبح الصراع المحتدم واضحًا بين من يروج للإرهاب ومن يعالج قضاياه وآثاره، ويظهر ذلك من خلال الاطلاع والمتابعة لمواقع التواصل الاجتماعي.

وتتراوح روابط مواقع التواصل الاجتماعي التي تروج للقضايا الإرهابية بين ٢٤٠ و٣٠٠ موقع إلكتروني، وتزيد أو تنقص حسب سخونة الأحداث في الساحة العربية والدولية. ولا يخلو في معظمها من المبالغة وعدم المنهجية؛ لأن بعضها تعتبر كل من يؤصل للجهاد متطرفا، فيما يقحم باحثون آخرون كل موقع يدعو لطرد ومقاومة الاحتلال في باب التطرف ولو كان طابع طرحها قوميًا أو شعبيًا أو إسلاميًا معتدلاً. وشهدت الأعوام العشرة الماضية إنشاء كيانات افتراضية تحت مسمى مراكز أو مؤسسات إعلامية لا يكلف تأسيسها سوى إعلان جذاب يقود متصفح الإنترنت إلى موقع أنشأه صاحبه لإعادة بث وترويج المواد والفتاوى التي تحمل فكر الغلو والتطرف، مشيرًا إلى أن مجموعات التطرف الإلكتروني تتميز بالحيوية الفائقة في النشر والتخفي والظهور. ولم تكتف الجماعات المتطرفة بالبريد الإلكتروني، فصارت تتغلغل في مواقع المنتديات البعيدة عن الشبهة كالمواقع الرياضية، النسائية، الجنسية، والشبابية العامة، بهدف تبادل المعلومات والصور الخاصة بالمواقع المستهدفة[٣٣]. وهناك قضايا إلكترونية خطيرة في تفشي ظاهرة الفتاوى الإلكترونية التي تمرر من خلال مواقع التواصل الاجتماعي منذ عام ٢٠٠١، ويجب التحذير من خطورة ما تحويه هذه المواقع والمنتديات من حوارات إلكترونية، وأخبار مغلوطة وشائعات مضللة وإساءات للدين والمعتقد والعلماء والأحكام الشرعية.

لقد قدم التطور التقني في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي خدمة غير مقصودة للتنظيمات الإرهابية التي تستغلها في إتمام عملياتها ضد أمن وسلامة الشعوب والمجتمعات، وأعمالها الإجرامية التي تستهدف البنى التحتية للدول، ووفرت أساليب سهلة ومتعددة، لنقل الأفكار والبيانات والمعلومات إلى الجماعات الإرهابية في غفلة من أجهزة الأمن في بداية الأمر، وهو ما حقق لها انتشارًا واسعًا واجتذابًا لعناصر من الشباب للوقوع في براثن الجماعات الإرهابية من أجل القيام بممارسات إرهابية، كما أن هذه المواقع حققت لتلك التنظيمات تدفقًا غير محدود للمعلومات والبيانات التي يمكنها أن توظفها في تجنيد الإرهابيين لتنفيذ عملياتها الإرهابية[٣٤].

كما يتم توظيف إمكانية مواقع التواصل الاجتماعي من جهة الجماعات الإرهابية، للتواصل مع بعض الشباب، واستمالتهم تحت مبررات شتى للقيام بتنفيذ عمليات إجرامية أو أعمال إرهابية، يتم الترويج لها وغرسها في نفوس وعقول الشباب المتهورين، لا سيما المحتاجين منهم إلى المال. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر تراجع الشاب الجامعي المصري والطالب بكلية الهندسة، الذي كان يعتزم القيام بتنفيذ عملية إرهابية في إحدى الأسواق الشعبية المكتظة بالسكان بالمعادي، خلال شهر أكتوبر ٢٠١٧، وتراجع عن الإقدام على تنفيذ جريمته في اللحظات الأخيرة، وسلم نفسه وسيارته إلى قسم شرطة البساتين، التي كانت محملة بعشرة كيلو من المتفجرات، واعتراف هذا الشاب في التحقيق بأنه تلقى معلومات مضللة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي لتنفيذ عملية إجرامية ضد السكان في حي المعادي[٣٥]. وكذلك البث الحي والمباشر لإحراق الطيار الأردني من جهة جماعات داعش في العراق، من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

وتقوم بعض مواقع التواصل الاجتماعي بالترويج للأفكار الهدامة، من خلال المضامين التي تحملها وتروج لها في عقول الشباب العربي، ومنها ظهور حادثة «عبدة الشيطان»[٣٦]، التي أثارت مشاعر الغضب والاستياء في الشارع المصري والعربي، من خطورة هذه المواقع على شباب المسلمين والمساس بعقيدتهم السمحاء[٣٧].

ويستخدم الإرهابيون مواقع التواصل الاجتماعي لما تتيحه لهم من قدرة على التواصل مع الآخرين، لا سيما من جهة فئة الشباب لبث أفكارهم، بأساليب مدروسة بشكل دقيق، لإقناع هؤلاء الشباب بالفكر المتطرف سواءً من خلال الدين أو المبادئ

التي يروجون لها أو الأفكار المتطرفة التي تتسم بالعنف في منهجها.

ويمكن الحد من مثل هذه المخاطر في حدود الممكن والمتاح، من خلال تتبع ما ينشر في مواقع التواصل الاجتماعي، وعدم استقبال بث جهة محددة أو مركز محدد وحجب السلبيات، من خلال المتابعة المستمرة لمصادر الترويج المختلفة، حتى يمكن تحديد ما يمثل مصدر المخاطر، وتطبيق أسلوب المرشحات عليه، لا سيما أن هناك أجهزة وبرامج تكفل تحقيق مراقبة شبكة الاتصالات وتتبع الرسائل المتبادلة، وهذه الإجراءات تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية حاليًا، في تصفح ومتابعة بعض المواقع التي تشك بمضمونها. ونسعى في الدراسة الميدانية إلى التعرف على آراء عينة من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي حول ظاهرة الإرهاب.

المبحث الثالث: نتائج الدراسة الميدانية – التحليلية

أولاً: تحليل البيانات الشخصية للمبحوثين:

الجدول رقم (١) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب الجنس

النوع الاجتماعي	النسبة٪
الذكور	٩٣,٤٪
الإناث	٦,٦٪
الإجمالي	١٠٠٪

تشير نتائج الجدول رقم (١) إلى أن معظم أفراد عينة الدراسة كانوا من الذكور بنسبة ٩٣,٤٪، بينما كانت نسبة الإناث ٦,٦٪ وفي ذلك إشارة إلى قلة نسبة المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي من فئة الإناث لا سيما في اليمن. وحرص الباحثان على الوصول إلى عدد أكبر من عينة الإناث بحيث تكون النسبة مقاربة في العدد للذكور، لكن هذا أقصى ما استطاعاه، ويمكن أن يعود ذلك إلى سببين: الأول: قلة الإناث اللاتي يستخدمن مواقع التواصل الاجتماعي في مجتمع البحث. والثاني: صعوبة التواصل مع فئة الإناث، كون المجتمع مجتمعًا محافظًا فلم يتمكن الباحثان من التواصل المباشر معهن كما هو متاح لهما مع الذكور.

الجدول رقم (٢) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب العمر

الفئة العمرية	النسبة٪
من ١٨ إلى أقل من ٣٥ عام	٤٦,٧٪
من ٣٥ إلى أقل من ٤٥ عام	٤٨,١٪
من ٤٥ إلى أقل من ٥٥ عام	٤,٤٪
أكثر من ٥٥ عام	٠,٧٪
الإجمالي	١٠٠٪

تشير نتائج الجدول رقم (٢) إلى أن معظم عينة الدراسة كانت من الفئة العمرية التي تتراوح أعمارهم بين ٣٦–٤٥ عامًا، حيث بلغت ٤٨٪، يليهم من تتراوح أعمارهم بين ١٨–٣٥ بنسبة ٤٧٪، وهي نسبة طبيعية كون المرحلتين هما مرحلة التفاعل والنشاط في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، ومتابعة ما ينشر فيها.

الجدول رقم (٣)، يوضح المؤهلات العلمية لعينة الدراسة

مؤهلات عينة الدراسة	النسبة٪
ثانوية عامة	١٣,٣٪
دبلوم عالي	٣٪
بكالوريوس	٤٢,٢٪
دراسات عليا	٤١,٥٪
الإجمالي	١٠٠٪

تشير نتائج الجدول رقم (٣) إلى أن معظم المبحوثين من عينة الدراسة ذو مستوى جامعي بنسبة ٤٢٪، تلتها الحاصلين على دراسات عليا بنسبة ٤١٪، ثم الحاصلين على ثانوية عامة بنسبة ١٣٪، ونسبة الحاصلين على دبلوم عالي ٣٪. وهذا يعني أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة متعلمون وفي مرحلة متقدمة من التعليم، ويمكن الاعتماد على إجاباتهم، بمعنى أنهم قادرون على استيعاب وفهم توظيف مواقع التواصل الاجتماعي، وبالتالي التجاوب مع فقرات الاستبانة، والإجابة على مفرداتها بدقة وموضوعية.

الجدول رقم (٤) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية لعينة الدراسة	النسبة٪
أعزب	٪١٨,٢
متزوج	٪٨١,٨
مطلق	٪٠
منفصل	٪٠
الإجمالي	٪١٠٠

تشير نتائج الجدول رقم (٤) إلى أن معظم المبحوثين من عينة الدراسة متزوجون، بنسبة ٨١,٨٪، أما العازبين فقد جاءت نسبتهم ١٨,٢٪، وهذه النتيجة تتناسب مع عمر العينة، وتعطي مؤشرًا واضحًا بأن عينة الدراسة تعيش استقرارًا أسريًا وعاطفيًا، قد لا تتأثر بمزاعم وادعاءات الجماعات التي تروج لقضايا الإرهاب.

الجدول رقم (٥) يوضح معدل الإنفاق الشهري لعينة الدراسة

معدل الإنفاق الشهري	النسبة٪
أقل من ٥٠٠ دولار	٪٤١,٤
من ٥٠٠ دولار إلى أقل من ١٠٠٠ دولار	٪ ٢٤,٨
من ١٠٠٠ دولار–٣٠٠٠ دولار	٪٢٤,٨
أكثر من ثلاثة آلاف دولار	٪٩
الإجمالي	٪١٠٠

تشير نتائج الجدول رقم (٥) إلى تفاوت مستوى الإنفاق الشهري للعينة، حيث أن النسبة الأعلى تنفق أقل من ٥٠٠ دولار شهريًا، وهذا يعني تدني مستوى الدخل لأكبر عدد من عينة الدراسة. والحالة الاقتصادية يمكن أن تؤثر على الفرد في أي مجتمع من المجتمعات.

الجدول رقم (٦) يوضح جهة عمل عينة الدراسة

جهة العمل	النسبة٪
حكومي	٪٤٥,٩
أهلي (خاص)	٪ ٣٢,٦
مختلط	٪٧,٤
عاطل	٪١٤,١
الإجمالي	٪١٠٠

تشير نتائج الجدول رقم (٦) إلى أن معظم أفراد عينة الدراسة يعملون في جهات حكومية عامة، حيث بلغت النسبة ٤٦٪ بينما ٣٣٪ من أفراد العينة يعملون في القطاع الأهلي الخاص، فيما ١٤٪ عاطلين، وليس لديهم فرصة عمل، ويمكن أن تكون هذه النسبة هم الأكثر استخدامًا لمواقع التواصل الاجتماعي. وكذلك يمكن أن يكون التأثير عليهم تحت إغراء توفير فرص عمل لهم.

الجدول رقم (٧) يوضح الانتماء السياسي والحزبي لعينة الدراسة

الانتماء السياسي والحزبي	النسبة٪
حزبي (ينتمي إلى حزب سياسي)	٪٦٩,٢
مستقل	٪ ٣٠,٨
الإجمالي	٪١٠٠

تشير نتائج الجدول رقم (٧) إلى أن معظم أفراد عينة الدراسة ينتمون إلى أحزاب أو تنظيمات سياسية، وبنسبة ٦٩,٢٪، فيما ٣٠,٨٪ من أفراد عينة الدراسة قالوا بأنهم مستقلين عن الأحزاب والتنظيمات السياسية. وهذه النتيجة متوقعة نظرًا للمناخ السياسي المتاح في اليمن والكويت، فضلاً عن أنه يمكن أن يستغلوا مواقع التواصل الاجتماعي للتعبير عن آرائهم واتجاهاتهم الفكرية.

الجدول رقم (٨) يوضح مدة استخدام عينة الدراسة لمواقع الاجتماعي التواصل خلال اليوم:

مدة الاستخدام	النسبة٪
أقل من ساعة	٪٥,٨
من ساعة إلى أقل من ساعتين	٪٢٧,٧
من ساعتين إلى أقل من ثلاث ساعات	٪٣٢,١
من ثلاث ساعات إلى أقل من أربع ساعات	٪١٦,١
أربع ساعات فأكثر	٪١٨,٢
الإجمالي	٪١٠٠

تشير نتائج الجدول رقم (٨) أن معظم أفراد العينة لا يقل استخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي عن ساعة في اليوم الواحد، حيث أن ٣٢٪ من العينة يصل استخدامهم اليومي إلى ثلاث ساعات يوميًا، ونسبة ١٨٪ من أفراد العينة يتجاوز استخدامهم

اليومي أربع ساعات، وهذه النتائج تؤكد أن أفراد العينة هم من نشطاء استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

الجدول رقم (٩) يوضح تسلسل مواقع التواصل الاجتماعي الأكثر استخدامًا من جهة عينة الدراسة:

اسم الموقع	النسبة
الواتساب	٨٣,٦٪
الفيس بوك	٦٨,٧٪
يوتيوب	٢٤,٦٪
تويتر	٢٢,٤٪
انستغرام	١٤,٩٪
تليجرام	١٣,٤٪
سناب شات	٦,٧٪
غير ذلك من المواقع	٢,٢٪
الإجمالي	١٠٠٪

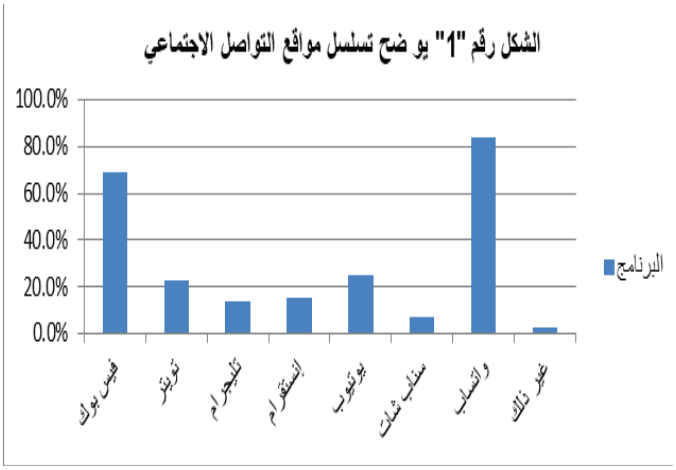

تشير نتائج الجدول رقم (٩) والشكل البياني رقم (١)، إلى أن معظم أفراد عينة الدراسة يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي بدرجة عالية، وجاء موقع الواتساب في المرتبة الأولى من حيث الاستخدام بنسبة ٨٤٪، يليه في الترتيب موقع الفيس بوك بنسبة ٦٩٪، ثم يوتيوب بنسبة ٢٤٪، ثم تويتر بنسبة ٢٢٪، ثم انستغرام بنسبة ١٤٪، ثم التيليجرام بنسبة ١٣٪، ثم السناب شات بنسبة ٦٪، وتوزعت نسبة ٢٪، بين مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى، مثل اللينكد إن، والمدونات وغير ذلك من المواقع.

المواقع الاجتماعية التي تنشط فيها الجماعات الإرهابية:

الجدول رقم (١٠) يوضح المواقع الاجتماعية التي تنشط فيها الجماعات الإرهابية، من وجهة نظر عينة الدراسة، من مستخدمي المواقع الاجتماعية.

اسم الموقع	النسبة
الفيس بوك	٦٦,٤٪
تويتر	٤٠,٧٪
يوتيوب	٣٧,٢٪
واتساب	٣١٪
تليجرام	١٦,٨٪
إنستقرام	٨٪
سناب شات	٧,١٪
غير ذلك من المواقع	١٨,٦٪
الإجمالي	١٠٠٪

تشير نتائج الجدول رقم (١٠) والشكل البياني رقم (٢)، أن معظم أفراد العينة يرون أن موقع الفيس بوك هو الأكثر استخدامًا من جهة الجماعات الإرهابية، وبنسبة ٦٦٪، ثم يليه تويتر بنسبة ٤١٪، ثم اليوتيوب بنسبة ٣٧٪، ثم الواتساب بنسبة ٣١٪، ثم التليجرام بنسبة ١٦٪، ثم الإنستغرام بنسبة ٨٪، وتوزعت نسبة ١٨٪، بين مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى، مثل مواقع اللينكد إن والمدونات والمواقع الخاصة والصفحات الشخصية، وغير ذلك من المواقع. ويمكن أن تكون هذه النتيجة طبيعية، بحكم أنها تعود لعدة أسباب منها، أن موقع الفيس بوك يعد من أوائل المواقع الاجتماعية ظهورًا على شبكة الإنترنت، وثانيهما أن نتائج الدراسات السابقة أثبتت أن هذا الموقع من بين أهم المواقع الاجتماعية استخدامًا في العديد من الدول العربية ودول العالم، وكما تؤكد الدراسات السابقة.

قضايا الإرهاب من أولويات اهتمام مواقع التواصل الاجتماعي:

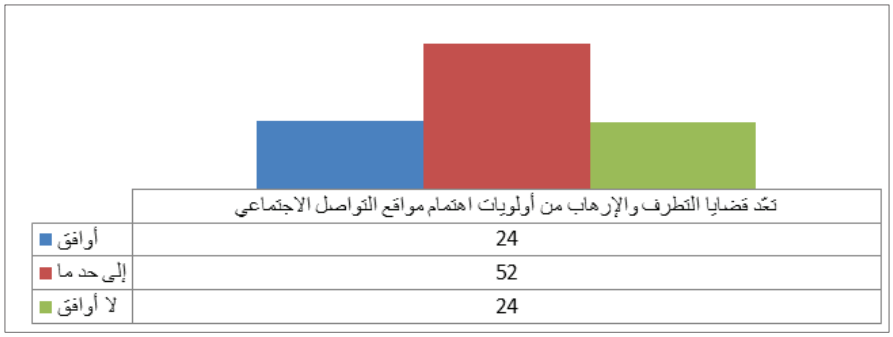

	تعّد قضايا التطرف والإرهاب من أولويات اهتمام مواقع التواصل الاجتماعي
أوافق	24
إلى حد ما	52
لا أوافق	24

تشير نتائج الشكل البياني رقم (٣) إلى أن ٥٢٪ من أفراد العينة يرون أن قضايا الإرهاب تعّد من أولويات اهتمام مواقع التواصل الاجتماعي إلى حد ما، فيما ٢٤٪ وافقوا على أن قضايا الإرهاب تعّد من أولويات اهتمام مواقع التواصل الاجتماعي، فيما ٢٤٪ لم يوافقوا على أن قضايا الإرهاب تعّد من أولويات اهتمام مواقع التواصل الاجتماعي. وهذا يعني أن قضايا الإرهاب تنتشر من خلال المواقع ويمكن أن تؤثر على المستخدمين بشكل واسع، وتعاني دول العالم بشكل عام والدول العربية والإسلامية على وجه التحديد من أحداث الإرهاب، وصارت مثار اهتمام المستخدمين، مما جعلها من أولويات الوظائف الإعلامية لمواقع التواصل الاجتماعي، كما يؤكد على ذلك أكثر من نصف أفراد عينة الدراسة.

التزام مواقع التواصل الاجتماعي بالموضوعية في تغطيتها لقضايا الإرهاب:

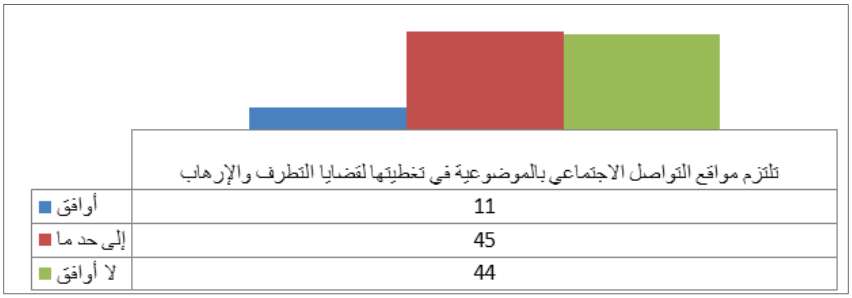

	تلتزم مواقع التواصل الاجتماعي بالموضوعية في تغطيتها لقضايا التطرف والإرهاب
أوافق	11
إلى حد ما	45
لا أوافق	44

يظهر من الشكل البياني رقم (٤) أن نسبة ١١٪ من أفراد العينة يوافقون على أن مواقع التواصل الاجتماعي تلتزم بالموضوعية في تغطيتها للقضايا الإرهابية، بينما ٤٤٪ من أفراد العينة لا يوافقون على هذا الرأي، فيما ٤٥٪ من أفراد العينة موافقون إلى حد ما على أن المواقع تلتزم بالموضوعية في تغطيتها للإرهاب.

مواقع التواصل الاجتماعي تنقل الحقيقة بتجرد:

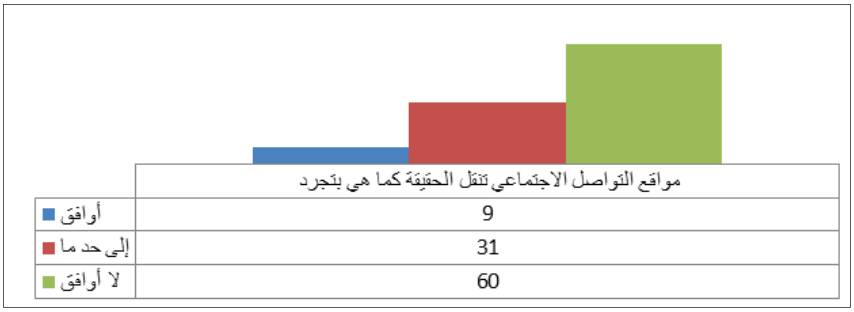

	مواقع التواصل الاجتماعي تنقل الحقيقة كما هي بتجرد
أوافق	9
إلى حد ما	31
لا أوافق	60

يظهر من الشكل البياني رقم (٥) أن ٦٠٪ من أفراد العينة لا يوفقون بأن مواقع التواصل الاجتماعي تنقل الحقيقة بتجرد، وهذه النسبة تمثل رأي أكثر من نصف عينة الدراسة، فيما ٩٪ من أفراد العينة، وافقوا على أن مواقع التواصل الاجتماعي تنقل الحقيقة كما هي. وهذه النتيجة تعطي مؤشرًا واضحًا للتلاعب بالمعلومات التي تنشرها المواقع الاجتماعية، ويمكن أن يتم استغلالها من جهة الجماعات الإرهابية.

تصنيف قضايا الإرهاب يخضع لاتجاهات وقناعات من يدير ويشرف على موقع التواصل الاجتماعي:

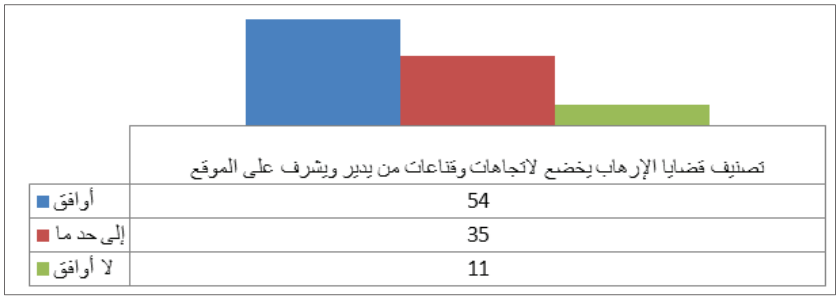

	تصنيف قضايا الإرهاب يخضع لاتجاهات وقناعات من يدير ويشرف على الموقع
أوافق	54
إلى حد ما	35
لا أوافق	11

تشير نتائج الشكل البياني رقم (٦) بأن هذه النتيجة تعّد تفسيرًا لسابقاتها، حيث يرى أكثر من نصف العينة أن الاتجاهات والقناعات الشخصية تؤثر على نشطاء ومستخدمي التواصل الاجتماعي في تصنيف قضايا الإرهاب وهذه من أبرز التحديات التي تواجه الموضوعية والتجرد وهذا يؤكد ما توصلت إليه دراسات سابقة أن الموضوعية على إطلاقها غير ممكنة لأسباب كثيرة أهمها الاتجاهات والقناعات الشخصية.

قضايا الإرهاب متفق عليها في مواقع التواصل الاجتماعي:

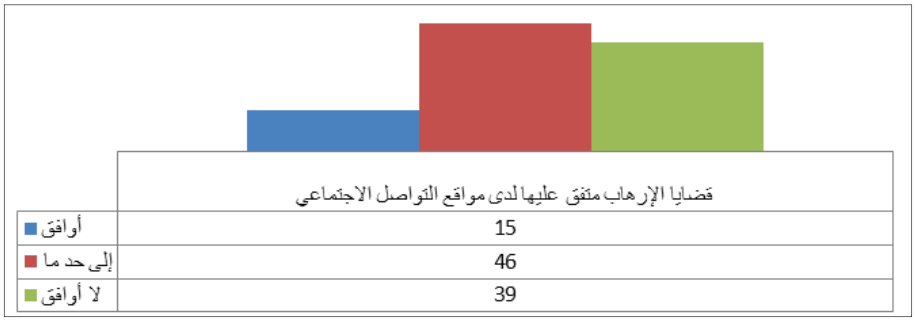

	قضايا الإرهاب متفق عليها لدى مواقع التواصل الاجتماعي
أوافق	15
إلى حد ما	46
لا أوافق	39

تشير نتائج الشكل البياني رقم (٧) إلى تفاوت في آراء العينة حول قضايا الإرهاب، ويعود ذلك إلى التباين في وجهات النظر حول تحديد مفهوم الإرهاب، وغالبًا ما يحصل الخلاف في تفسير قضايا الإرهاب المحلية، بسبب التمترس خلف طرف ضد آخر، فعلى سبيل المثال لا الحصر في الحالة اليمنية الحالية يوجد طرفان كل طرف يتهم الآخر بالإرهاب، ويرى نفسه بريء ويظهر ذلك بوضوح من خلال متابعة حسابات الطرفين على مواقع التواصل الاجتماعي.

مواقع التواصل الاجتماعي تساهم في تشويه الحقائق:

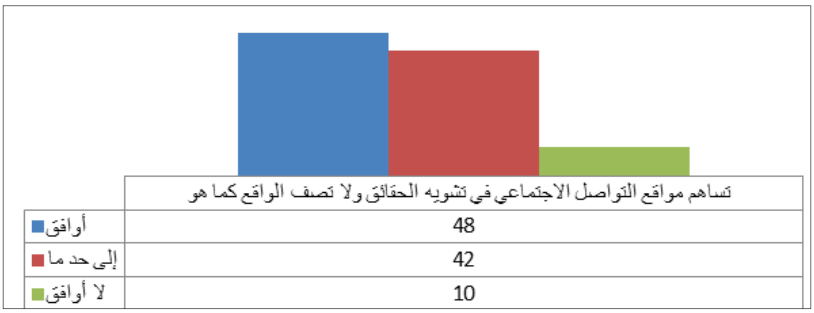

	تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في تشويه الحقائق ولا تصف الواقع كما هو
أوافق	48
إلى حد ما	42
لا أوافق	10

تشير نتائج الشكل البياني رقم (٨)، بأنه عندما تكون هناك قضية إرهابية ترتكبها جماعة أو جهة محددة، ثم تظهر مواقع التواصل الاجتماعي تبرر لها وتضعها في السياق الطبيعي خارج دائرة الإرهاب، فإنها بذلك تساهم في تشويه الحقائق ولا تصف الواقع كما هو وهو ما يتفق عليه أفراد العينة.

لدى القائمين على مواقع التواصل الاجتماعي محددات يلتزمون بها:

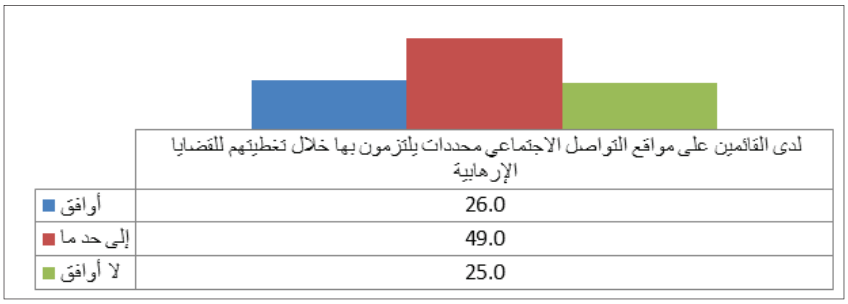

	لدى القائمين على مواقع التواصل الاجتماعي محددات يلتزمون بها خلال تغطيتهم للقضايا الإرهابية
أوافق	26.0
إلى حد ما	49.0
لا أوافق	25.0

تشير نتائج الشكل البياني رقم (٩) إلى أن أكثر من نصف العينة ترى بأن القائمين على مواقع التواصل الاجتماعي لديهم محددات يلتزمون بها خلال تغطيتهم للقضايا الإرهابية.

اهتمام مواقع التواصل الاجتماعي بقضايا الإرهاب لأنها تتسم بالإثارة وتلفت الانتباه:

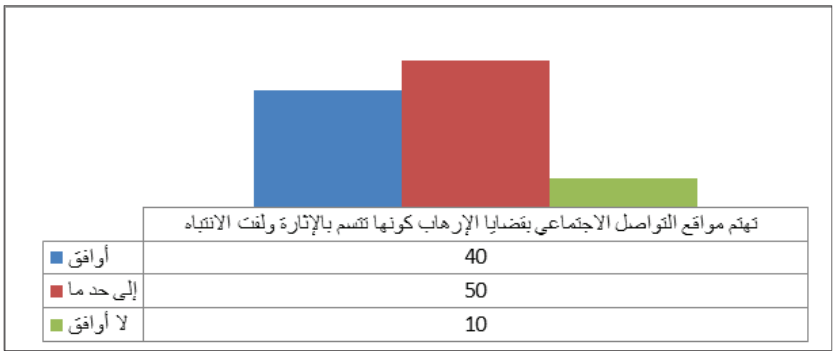

	تهتم مواقع التواصل الاجتماعي بقضايا الإرهاب كونها تتسم بالإثارة ولفت الانتباه
أوافق	40
إلى حد ما	50
لا أوافق	10

تشير نتائج الشكل البياني رقم (١٠) بأن قضايا الإرهاب تعّد الأكثر إثارة ولفتًا للانتباه وأكثر متابعة من الجمهور لذلك تنال النصيب الأكبر من اهتمام مواقع التواصل الاجتماعي، فحسابات التواصل الاجتماعي بحاجة إلى جمهور أكثر من المتابعين والمتفاعلين الذين تثيرهم وتلفت انتباههم قضايا الإرهاب وهو ما وافقت عليه النسبة الأكبر من العينة. ومن هذه الجهة تجد الجماعات الإرهابية مدخلاً لنشر موادها وجلب متابعيها وجمهورها

وأنصارها ويقوم المغرمون بزيادة المتابعين والمعجبين بنشر تلك المواد فيساهمون بعلم أو بغير علم في تحقيق أهداف الجماعات الإرهابية.

يوجد تباين حول قضايا الإرهاب لدى مواقع التواصل الاجتماعي:

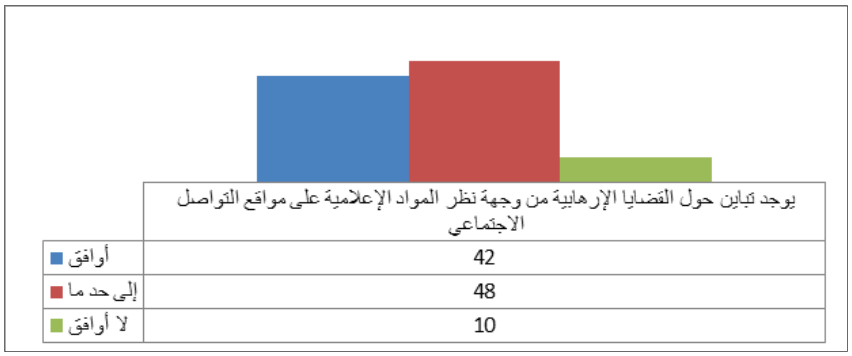

تشير نتائج الشكل البياني رقم (١١) بأن أكثر من نصف عينة الدراسة ترى أنه يوجد تباين في محتوى المواد الإعلامية المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي حول القضايا الإرهابية، ويرجع ذلك إلى أسباب أهمها عدم الاتفاق على تعريف موحد للإرهاب والخلفية الفكرية والثقافية والاتجاهات والقناعات لدى مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي.

تتأثر المواد المنشورة على حسابات مواقع التواصل الاجتماعي بسياسة الموقع الاجتماعي:

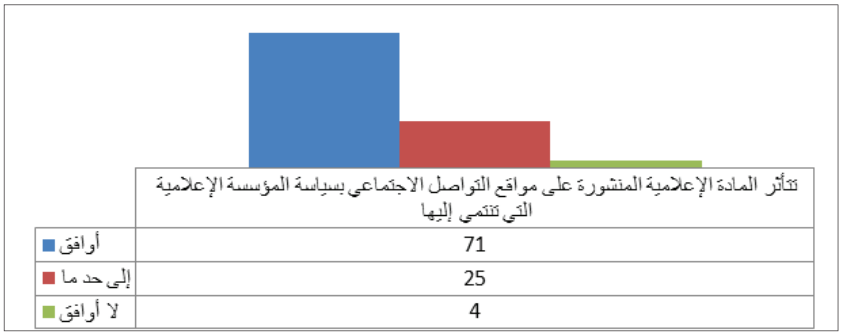

تشير نتائج الشكل البياني رقم (١٢) إلى أن سياسة المؤسسات الإعلامية تعّد أحد أهم العوامل الضاغطة والمؤثر على مضمون مواقع التواصل الاجتماعي التي تتبعها وهي حقيقة يكاد أن يكون رأي العينة حولها إجماعًا. وهذه الفقرة تخص حسابات مواقع التواصل الاجتماعي التابعة للمؤسسات الإعلامية، فهي اللسان الناطق للجماعات وسياساتها وتتناول قضايا الإرهاب وفق ما تراه هي.

تأثير الاتجاه الفكري على تغطية مواقع التواصل الاجتماعي للقضايا الإرهابية:

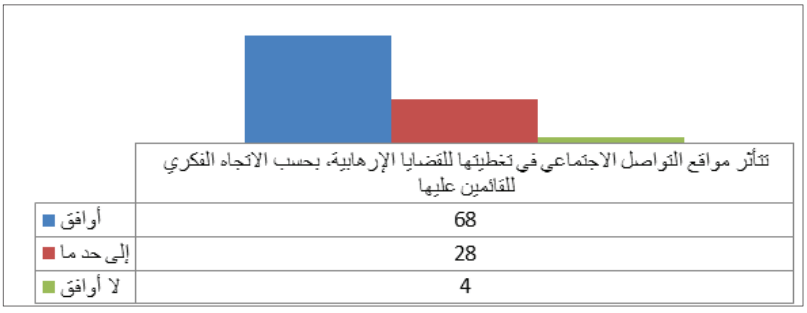

تشير نتائج الشكل البياني رقم (١٣) إلى أن معظم أفراد عينة الدراسة يؤكدون أن من أقوى العوامل المؤثرة على نوعية المضمون المنشور على مواقع التواصل الاجتماعي عند تغطيته للقضايا الإرهابية الاتجاه الفكري والخلفية الأيديولوجية للقائمين عليها.

تأثير تصنيف الإعلام الدولي لقضايا الإرهاب:

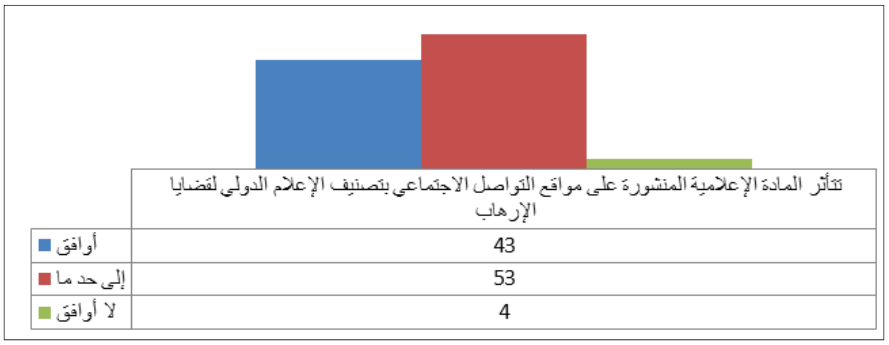

تشير نتائج الشكل البياني رقم (١٤) إلى أن أكثر من نصف العينة يؤكدون أن المواد الإعلامية المنشورة عبر مواقع التواصل الاجتماعي تتأثر بتصنيف الإعلام الدولي لقضايا الإرهاب فالعالم العربي كغيره من دول العالم يتأثر ويلتزم بسياسات الدول العظمى التي تتحكم في القرار الدولي وينسحب ذلك على المؤسسات الإعلامية وحسابات مواقع التواصل الاجتماعي فلا يتجاوزونها في الغالب.

مواقع التواصل الاجتماعي جزء مهم ومكمل للعمليات الإرهابية:

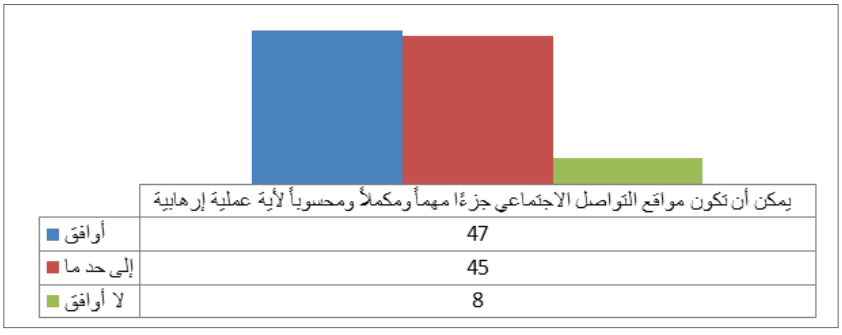

تشير نتائج الشكل البياني رقم (١٥) إلى أن ٤٧٪ من أفراد عينة الدراسة، يرون أن مواقع التواصل الاجتماعي تقوم بدور مهم ومكمل ومحسوب لأية عملية إرهابية، وهي تؤكد ما أشارت إليه الكثير من الدراسات والمختصين وفسروا ذلك بأن أي عملية إرهابية يهدف منفذوها لتحقيق أهداف كثيرة أبرزها نشر الرعب والخوف في نفوس أفراد المجتمع وقد حققت لهم ذلك مواقع التواصل الاجتماعي وفيها وجدوا مكانًا آمنًا يقومون بتغطية إعلامية لكل أنشطتهم وأعمالهم ويسلطون الضوء على الحدث العنيف ومنها تقتبس وسائل الإعلام أخبارهم فأصبحت مواقع التواصل الاجتماعي متهمة بشراكتها مع الإرهابيين في عملياتهم.

حرص الجماعات الإرهابية على الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي:

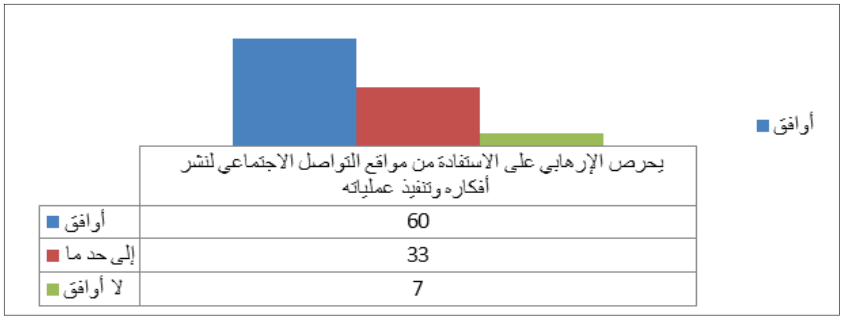

تشير نتائج الشكل البياني رقم (١٦) إلى أن هذه الفقرة تؤكد وتتطابق نتيجتها مع الفقرة السابقة، فالإرهابي حريص على الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي ليحقق أهدافه وينشر أفكاره، وهو يؤكد التهمة السابقة له بأنه شريك للإرهابيين.

مساهمة مواقع التواصل الاجتماعي في انتشار وشهرة عمليات الجماعات الإرهابية:

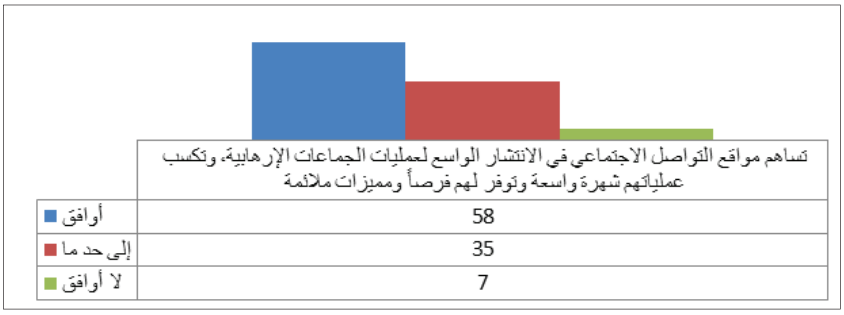

تشير نتائج الشكل البياني رقم (١٧) إلى تطابق آراء أفراد العينة مع الفقرتين السابقتين حول مساهمة مواقع التواصل الاجتماعي في الانتشار الواسع لعمليات الجماعات الإرهابية، فالعديد من العمليات الإرهابية تظل محدودة التأثير لا تتجاوز الإطار الزمني والجغرافي لها إلى أن تتناولها مواقع التواصل الاجتماعي وتتناقلها، وتفرد لها مساحة من الخبر والتحليل والنقل الحي فتتعدى الزمان والمكان وتسري كالنار في الهشيم.

مناقشة نتائج الدراسة النظرية والميدانية

في ضوء ما تم توضيحه في المجال النظري للدراسة، فإن مواقع التواصل الاجتماعي لها وظائف إعلامية متعددة، وتتميز بخصائص متطورة للتواصل بين المستخدمين، منها:

١- قدم التطور التقني خدمة غير مقصودة للتنظيمات والجماعات الإرهابية، وظفتها في تنفيذ وإتمام عملياتها الإرهابية ضد أمن وسلامة الشعوب والمجتمعات.

٢- تروج للغث والسمين في مضامينها الإعلامية في المجالات الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وغير ذلك من المجالات، فهي سلاح ذو حدين يمكن توظيف إمكانياتها في المجالات المفيدة أو الضارة.

٣- تم توظيف قدراتها المتميزة في قوة التأثير، وسعة الانتشار، وأساليب الإقناع والنفوذ، من جهة الجماعات أو التنظيمات الإرهابية للترويج الإلكتروني لأفكارها المتطرفة.

٤- تتضح معالم التطرف الإلكتروني بشكل واضح بتوظيفها في الدعاية Propaganda، وهي إحدى وظائفها الأساسية، وفي التعاطف والتجنيد Recruitment، لبناء علاقات مع المستخدمين للمواقع.

٥-تعّد الجماعات الإرهابية، الأكثر نشرًا وترويجًا وتواصلاً مع المستخدمين للمواقع الاجتماعية المتعددة، وبرز ذلك من خلال ما تقوم به تنظيمات داعش والقاعدة، باستخدام أساليب إعلامية متطورة بهدف التأثير.

وتوصلت الدراسة المسحية الميدانية إلى العديد من النتائج، التي يمكن أن تكون قد حققت أهدافها، منها:

١- إن معظم أفراد العينة لا يقل استخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي عن ساعة في اليوم، حيث أن ٣٢٪ من العينة يصل استخدامهم اليومي إلى ثلاث ساعات يوميًا، ونسبة ١٨٪ من أفراد العينة يتجاوز استخدامهم اليومي أربع ساعات، وهذه النتائج تؤكد بأن أفراد العينة هم من نشطاء استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

٢- إن معظم أفراد عينة الدراسة يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي بدرجة عالية، وجاء الواتساب في المرتبة الأولى من حيث الاستخدام بنسبة ٨٤٪، يليه في الترتيب الفيس بوك بنسبة ٦٩٪، ثم يوتيوب بنسبة ٢٤٪، ثم تويتر بنسة ٢٢٪، ثم انستيجرام بنسبة ١٤٪، ثم التيليجرام بنسبة ١٣٪، ثم السناب شات بنسبة ٦٪، وتوزعت نسبة ٢٪، بين مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى، مثل اللنكد إن والمدونات والمواقع الأخرى.

٣- يرى معظم أفراد عينة الدراسة أن موقع الفيس بوك هو الأكثر استخدامًا من جهة الجماعات الإرهابية، وبنسبة ٦٦٪، ثم يليه تويتر بنسبة ٤١٪، ثم اليوتيوب بنسبة ٣٧٪، ثم الواتساب بنسبة ٣١٪، ثم التليجرام بنسبة ١٦٪، ثم الانستغرام بنسبة ٨٪، وتوزعت نسبة ١٨٪، بين مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى، مثل مواقع اللينكد إن والمدونات والمواقع الخاصة والصفحات الشخصية، وغير ذلك من المواقع. ويمكن أن تكون هذه النتيجة طبيعية، بحكم أنها تعود لعدة أسباب منها، أن موقع الفيس بوك يعّد من أوائل المواقع الاجتماعية ظهورًا على شبكة الإنترنت، وثانيهما أن العديد من نتائج الدراسات السابقة أثبتت أن هذا الموقع من بين أكثر المواقع الاجتماعية استخدامًا في العديد من الدول العربية ودول العالم، وكما تؤكد الدراسات السابقة.

٤- تعدّ قضايا الإرهاب من أولويات الوظائف الإعلامية لمواقع التواصل الاجتماعي، وهذا ما أكد عليه ٥٢٪ من أفراد عينة الدراسة، وذلك للمزايا التي تتميز بها، من حيث التحديث الفوري للأخبار والمعلومات في كافة المجالات. وهذا يعني أن قضايا الإرهاب تنتشر من خلال المواقع ويمكن أن تؤثر على المستخدمين بشكل واسع، وتعاني دول العالم بشكل عام والدول العربية على وجه التحديد، من أحداث الإرهاب، وصارت مثار اهتمام الجمهور مما جعلها من أولويات الوظائف الإعلامية لمواقع التواصل الاجتماعي، كما تؤكد على ذلك النسبة الغالبة من أفراد العينة.

٥- معظم أفراد عينة الدراسة ليسوا مع الرأي الذي يشير أن مواقع التواصل الاجتماعي تلتزم بالموضوعية في تغطيتها للقضايا الإرهابية، بينما ١١٪ من أفراد العينة يوافقون على هذا الرأي، وهذا يؤكد إمكانية الدور الذي يمكن أن تقوم الجماعات الإرهابية باستغلالها في الترويج لأفكارها المضللة للمستخدمين.

٦- زيادة المتابعين والمتفاعلين مع مواقع التواصل الاجتماعي جعلها تنشر وتشارك المحتويات التي تنشرها الجماعات الإرهابية، كونها تتسم بالإثارة ولفت الانتباه، وبذلك أوجدت مجالاً لنشر أفكارها وجلب متابعيها وجمهورها، وساهمت تلك الحسابات بعلم أو بغير علم في تحقيق أهداف الجماعات الإرهابية والترويج لها.

٧- ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في الانتشار الواسع لعمليات الجماعات الإرهابية، فالعمليات الإرهابية تظل محدودة التأثير إلى أن تتناولها مواقع التواصل الاجتماعي وتتناقلها وتفرد لها مساحة من الخبر والتحليل والنقل الحي فتتعدى الزمان والمكان، وتجعل المعلومة تسري كالنار في الهشيم بين أفراد المجتمع.

التوصيات

بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة الميدانية التي أجريت على عينة من مستخدمي ونشطاء مواقع التواصل الاجتماعي، فإن الباحثين يضعان مجموعة من التوصيات:

١- الاستفادة من توظيف الإمكانيات التفاعلية المتاحة في مواقع التواصل الاجتماعي، من جهة المنظمات الحكومية والأهلية، لا سيما فيما يتصل بالتوعية من مخاطر القضايا التي تروج لها الجماعات الإرهابية.

٢- ربط حسابات مواقع التواصل الاجتماعي بالبيانات الحقيقية للمشتركين، والتأكد من الهويات بربطها من خلال الجهات الرسمية ذات العلاقة بتزويد خدمة الاتصال بمواقع الاتصال أو أجهزة الرقابة.

٣- تحديد جهات متخصصة في الدول العربية والإسلامية تهتم بالتحليل الأمني للمواقع الاجتماعية، ومتابعة الحسابات التابعة للجماعات الإرهابية والعمل على إقفالها والتحذير من خطورتها.

٤- قيام الحكومات وبمساهمة مجتمعية بوضع برامج تستوعب الشباب، وتسعى لاستغلال طاقاتهم فيما ينفع أنفسهم وأوطانهم وحمايتهم فكريًا ونفسيًا واقتصاديًا، حتى لا يكونوا فريسة سهلة للجماعات الإرهابية المتطرفة.

٥- اهتمام مجتمعي فاعل للحد من تفشي ظاهرة الإرهاب، فهي ليست مسؤولية جهة بذاتها بل ينبغي أن يساهم الجميع أفرادًا ومنظمات وحكومات، كل من موقعه في محاربة الإرهاب وتجفيف منابعه.

٦- تصميم مواقع عربية تضم محتويات إعلامية هادفة ونافعة، وتركز على التوعية والتوجيه والإرشاد، بهدف الحد من الأفكار الهدامة التي تحملها وتروج لها المواقع الاجتماعية المتطرفة في عقول الشباب العربي.

٧- تحديد تعريف الإرهاب من قبل الأمم المتحدة تساهم فيه كافة الدول، ويتم إقراره كقانون دولي متفق عليه حتى لا يبقى الإرهاب مفهومًا مطاطيًا كل يفسره حسب هواه ويستخدمه سيفًا مسلطًا ضد كل مخالف لرأيه.

المراجع والهوامش

١- http://www.socialbakers.com، ٢٠١٦/١/٣. تاريخ الدخول للموقع ٢٠١٧/٥/١.

٢- الصيرفي، محمد عبد الفتاح. (٢٠٠٢)، **البحث العلمي الدليل التطبيقي للباحثين**، ط١، الأردن، عمان، دار وائل للنشر، ص١١٥.

٣- محمد عبد الفتاح الصيرفي، **الدليل التطبيقي للباحثين**، مرجع سابق، ص١١٥.

٤- جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيري كاظم، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨، ص٢٥٤. وعبد الله محمد الشريف، **مناهج البحث العلمي**، مكتبة الإشعاع، ط١، ١٩٩٦، ص١٢٣.

٥- لم يستطع الباحثان عرض كافة الدراسات العلمية السابقة، بسبب الالتزام بالشروط المحددة للمشاركة، وهناك العديد من الدراسات السابقة في هذا المجال.

٦- أمين، رضا عبد الواجد، **مواقع التواصل الاجتماعي وتوظيفها في التعريف بالنبي محمد ﷺ: دراسة ميدانية باعتماد على نظرية الإنماء الثقافي**، المجلة **العربية للإعلام والاتصال**، الرياض، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، العدد١٧، مايو ٢٠١٧، ص٦١.

٧- رابح، الصادق، **دور التفكير النقدي في عقلنة التعامل مع الإشاعات على شبكات التواصل الاجتماعي**، المجلة العربية للإعلام والاتصال، الرياض، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، العدد١٧، مايو ٢٠١٧، ص٩٩.

٨- عبد الرحمن، فاتن، المجلة **العربية للإعلام والاتصال**، الرياض، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، العدد١٧، مايو ٢٠١٧، ص١٥٩.

٩- كافي، محمد عبد الوهاب الفقيه، والصالحي، حاتم علي، المجلة **العربية للإعلام والاتصال**، الرياض، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، العدد١٧، مايو٢٠١٧، ص٢٧٣.

١٠- حسن قطيم طماح المطيري، **الاستخدامات السياسية لموقع التواصل الاجتماعي «تويتر» من جهة الشباب الكويتي**، رسالة ماجستير، غير منشورة، عمان، جامعة الشرق الأوسط، إبريل ٢٠١٣.

١١- مبارك زودة، **دور الإعلام الاجتماعي في صناعة الرأي العام: الثورة التونسية أنموذجًا**، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١٢.

١٢- حاتم سليم العلاونة، **دور مواقع التواصل الاجتماعي في تحفيز المواطنين الأردنيين على المشاركة في الحراك الجماهيري: دراسة ميدانية**، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العلمي السابع عشر بعنوان: ثقافة التغيير، عمان، جامعة فيلادلفيا، تشرين الثاني ٢٠١٢.

١٣- نصر الدين لعياضي، **الشباب في دولة الإمارات والشبكات الافتراضية مقاربة للتمثّلات والاستخدامات: دراسة مسحية**، مجلة **أفكار وآفاق**، جامعة الجزائر، العدد٢، ٢٠١١، ص٦٥.

١٤- طاهر حسن أبو زيد، **دور المواقع الاجتماعية التفاعلية في توجيه الرأي العام الفلسطيني وأثرها على المشاركة السياسية: دراسة ميدانية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، غزة، جامعة الأزهر، ٢٠١٢.

١٥- رابط الموضوع: http://www.assakina.com/news/news2/35942.html#ixzz4MDRuiToU والدخول عليه في ٢٠١٧/٧/١م.

١٦- Bullas, J.: 33 Social Media Facts and Statistics You Should Know in 2015، تم الوصول إليه في ٢٠١٦/٩/١٠، من:

http://www.jeffbullas.com/2015/04/08/33-social-media-facts-and-statistics-you-should-know-in-2015/#iGlDfYyGfhb4RdEb.99

١٧- هبة شاهين، (٢٠١٤)، **المسؤولية الاجتماعية والأمنية لوسائل الإعلام في تناول قضايا الإرهاب: دراسة تطبيقية على الجمهورية والصفوة الإعلامية والآمنة**، ورقة بحثية مقدمة إلى مؤتمر دور الإعلام في التصدي لظاهرة الإرهاب، الرياض، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ص١٤.

١٨- عبد الحميد، محمد، **الاتصال والإعلام على شبكة الإنترنت**، ط٢، القاهرة، عالم المعرفة، ٢٠١٧، ص٢٠٦.

١٩- إيمان بخوش، حسام الدين مرزوقي: الويب ٢,٠ **الشبكات الاجتماعية والإعلام الجديد**، مذكرة مقدمة مكملة لنيل شهادة الليسانس، عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال، تخصص سمعي بصري، جامعة باجي مختار، ٢٠٠٩، ص٣٥-٣٦.

٢٠- خالد بن عبد الله الحلوة، **الإعلام الجديد وتأثيراته في تشكيل الرأي العام**، مرجع سابق، ص١٢-١٣.

٢١- فهد عبد الرحمن الشميري، **التربية الإعلامية: كيف نتعامل مع الإعلام؟** مرجع سابق، ص١٨٣.

٢٢- المقدادي، كاظم، **الإعلام الدولي والجديد وتصدع السلطة الرابعة**، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣، ص٢٢٦.

٢٣- الدناني، عبد الملك، **تطور تقنيات الاتصال وعولمة الإعلام والمعلومات**، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٧، ص٧٥.

24- Rothenberger, Liane, (2012), Terroist Groups: Using Intemet and Social Media eor Dissemi-nang Ideas, New Tools eor Promoting Political Change, Romanian Journal Of Communication an Public Relation,Vol.14, No.3,12, P.8.

٢٥- تركي بن صالح عبد الله الحقباني، (٢٠٠٦)، **مدى إسهام الإعلام الأمني في معالجة الظاهرة الإرهابية: دراسة تحليل**، محتوى لعدد من الصحف المحلية اليومية السعودية خلال المدة من ١٤٢٥/١/١هـ إلى ٦/١/ ١٤٢٥هـ، جامعة نايف للعلوم الأمنية، كليات الدراسات العليا، ص٥٧.

٢٦- طه، نجلاء عبد الفتاح (٢٠١٥). **دور الإعلام في حل القضايا المعاصرة (الإرهاب-جرائم الإنترنت- قضايا العولمة)**، مصر، الإسكندرية، دار التعليم الجامعي.

٢٧ - العاني، عامر وهاب. (٢٠١٣) **الإعلام ودوره في معالجة ظاهرة الإرهاب والموقف من المقاومة**، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع: عمّان.

٢٨- الدليمي، عبد الرزاق (٢٠١٠)، **الدعاية والإرهاب**، الأردن، عمان: دار ابن جرير للنشر والتوزيع، ص١٨٠.

٢٩- قيراط، محمد(٢٠١٤)، **شاهد أم متواطئ تعاطي الإعلام مع الإرهاب**، بحث منشور في مجلة اتحاد الإذاعات العربية، العدد٤.

٣٠- نفل، نزهت محمود (٢٠٠٢)، **اتجاهات الدعاية الأمريكية إزاء الإرهاب الدولي**، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة بغداد: كلية الإعلام، ص٨٠.

٣١- **المرصد العربي للتطرف والإرهاب**، الموقع الإلكتروني: http://arabobservatory.com، تاريخ الدخول على الموقع: ٢٠١٧/٧/١.

٣٢- خالد بن عبد الله الحلوة، **الإعلام الجديد وتأثيراته في تشكيل الرأي العام**، مرجع سابق، ص٤.

٣٣- رابط المادة المنشورة: http://www.assakina.com/news/news2/35942.html والدخول عليه بتاريخ: ٢٠١٧/٧/١م.

٣٤- حسان، أيمن، **التطرف الإلكتروني عبر مواقع التواصل الاجتماعي**، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب.

٣٥- **إرهابي يتراجع عن تفجير نفسه في مول شهير بالمعادي**، صحيفة الوطن الإماراتية، العدد ٢٢٠١، يوم السبت ٢٠١٧/١٠/٧، الصفحة الأولى.

٣٦- قام مائة شاب مصري ومن الجنسين، بالترويج لأفكار مضللة بعيدة التدين والإيمان، واعترفوا بعد القبض عليهم بأن مصدر معلوماتهم الرئيس لهذه الممارسات هي الإنترنت.

٣٧- الدناني، عبد الملك، **الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت**، ط١، بيروت: دار الراتب الجامعية، للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص٢١١.

دراسة بعنوان

الإرهاب الإسرائيلي وتداعياته على الفلسطينيين في الأراضي المحتلة

Israeli terrorism and its repercussions on the Palestinians in the occupied territories

أ.د.عدنان إبراهيم الحجار

رئيس جامعة الإسراء (غزة / فلسطين)

د. أحمد جواد الوادية

أستاذ مساعد في العلوم السياسية وعميد كلية العلوم الإنسانية جامعة الإسراء (غزة / فلسطين)

ah_wadeya@hotmail.com

ملخص

تواصل إسرائيل إرهابها بحق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة ولا زال هذا الإرهاب مدعوماً بشكل رسمي من الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، كان هدف هذا السلوك الإرهابي هو تهجير الفلسطينيين وإجبارهم على التخلي عن أراضيهم وممتلكاتهم.

تعددت وسائل الإرهاب الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين، على اختلاف أماكن سكناهم في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ وفي الضفة الغربية وفي قطاع غزة.

وكان من الممارسات الإرهابية التي تمارسها إسرائيل بحق الفلسطينيين بناء جدار الفصل العنصري الذي أقامته في عمق أراضي الضفة الغربية.

إضافة إلى إقدامها على حصار قطاع غزة، والتحكم التام فيما يدخل إليه، كما شنت عدة حروب على قطاع غزة، وكان لهذه الإجراءات الإرهابية الآثار السلبية على مجمل حياة الفلسطينيين لا سيما الاقتصادية والاجتماعية.

وخلصت هذه الدراسة إلى أن أفعال الفلسطينيين ضد الجيش الإسرائيلي والمستوطنات، والمصالح المادية لدولة إسرائيل تعد مشروعة ومباحة قانوناً حسب أحكام القانون الدولي العام، وقرارات الأمم المتحدة حتى ولو قالت الولايات المتحدة الأمريكية -راعية عملية السلام بين فلسطين وإسرائيل- أن كفاح الفلسطينيين ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي إرهاب، وأن عملية القمع الإسرائيلية ضد الأبرياء من شعب فلسطين الأعزل دفاع شرعي عن النفس.

وأوصت الدراسة إلى ضرورة قيام السلطة الوطنية الفلسطينية بالتقدم بطلب لمحكمة الجنايات الدولية لمحاكمة إسرائيل على جرائمها الإرهابية بحق الفلسطينيين.

Israeli Terrorism and its Repercussions on the Palestinians in the Occupied Territories

Abstract

Israel is still pursuing its policy of terrorism against the Palestinians in the occupied territories which is supported officially by successive Israeli governments. The aim of such terrorist conduct was to displace the Palestinians and force them to abandon their lands and properties.

There have been numerous forms of Israeli terrorism against the Palestinians which all the Palestinians in the territories of ١٩٤٨, the West Bank and the Gaza Strip had experienced.

Apartheid Wall which was erected in the core of the lands of west bank is one of the terrorist acts that Israel has carried out against the Palestinians in the occupied territories

Israel has also imposed a siege on Gaza Strip and has taken full control of everything being entered to Gaza. It also launched several wars against Gaza strip. Consequently, Palestinians life, economic life and social life in particular, has been affected negatively by all of these terrorist conducts.

This study concluded that the Palestinian acts against the Israeli army and settlement and material interests of Israel state are considered legitimate and legally permitted according to the provisions of general international law and the decisions of the United Nations, which is the sponsor of peace process between Palestine and Israel, regardless to the United states of America declaration that the Palestinian struggle against the Israeli Occupation Forces is considered as a terrorism, and the Israeli repression against innocent defenseless Palestinian people are legitimate self- defense.

The study recommended that the Palestinian National Authority should apply to the International Criminal Court in order to prosecute Israel for its terrorist crimes against the Palestinians.

مقدمة

مارست الحركة الصهيونية بمنظماتها وأجهزتها السرية قبل قيام دولة (إسرائيل) عام (١٩٤٨)، إرهاباً منظماً تجاه السكان الفلسطينيين، وتواصل هذا الإرهاب بعد ذلك مدعوماً بشكل رسمي من الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وكان هدف هذا السلوك الإرهابي هو تهجير الفلسطينيين، وإجبارهم على التخلي عن أراضيهم وممتلكاتهم.

وتعددت وسائل الإرهاب الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، والضفة الغربية وقطاع غزة، ولكن أشكاله اختلفت من منطقة إلى أخرى، وهي تستخدم أدوات جديدة ومحترفة في ممارسة إرهابها.

ومن الممارسات الإرهابية التي تمارسها (إسرائيل) بحق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، جدار الفصل العنصري الذي أقامته في عمق أراضي الضفة الغربية، الأمر الذي أحدث تغييرات ديمغرافية، وخلق صعوبات اقتصادية واجتماعية ونفسية، وفصل السكان عن بعضهم البعض.

ومنها إقدام (إسرائيل) على حصار قطاع غزة، والتحكم التام فيما يدخل إلى هذا القطاع، كما شنت عليه عدة اعتداءات، وكان لهذه الإجراءات الإرهابية الآثار السلبية على مجمل حياة الفلسطينيين لا سيما الاقتصادية منها التي أوصلت حجم البطالة إلى ٥٠٪، وارتفعت نسبة الفقر إلى ٨٠٪.

وفي إطار استهداف (إسرائيل) للفلسطينيين اتخذت مجموعة من الإجراءات تجاه الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام (١٩٤٨م)، حيث تصادر أراضيهم، وتمنعهم من البناء، ولا تقوم بتطوير مدنهم وقراهم، وتتحيز ضدهم وذلك لإجبارهم على ترك بلدهم، كما تقدم المشاريع السياسية التي تنادي علانيةً بالتخلص منهم وطردهم من وطنهم الأصلي (فلسطين).

وبعد قيام دولة (إسرائيل) واصلت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة -ذات الأفكار والبرامج والنهج- ممارساتها الإرهابية، بشكل أوسع وأرسخ وأخطر وأكثر قدرة على التطبيق، حيث امتلكت هذه الدولة إمكانيات هائلة - مالية وعسكرية وإعلامية؛ فشنت الاعتداءات الإرهابية التدميرية، ومارست أبشع أشكال الممارسات العنصرية الغاشمة ضد سكان فلسطين الذين هجرتهم من ديارهم عام (١٩٤٨م)؛ فاقترفت -وما تزال- سلسة غير منتهية من الجرائم الحربية مستخدِمة في ذلك أجهزة وأدواتٍ محترفة للإرهاب.

ومن الممارسات الإرهابية التي تمارسها (إسرائيل) بحق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، جدار الفصل العنصري الذي أقامته في عمق أراضي الضفة الغربية، وهو إساءة إضافية بحقوق الإنسان لمئات الآلاف من السكان الفلسطينيين، وهو إرهاب له تداعيات اقتصادية واجتماعية ونفسية سلبية على حياة الفلسطينيين الذين يسكنون بمحاذاة ذلك الجدار، لما يفرضه من قيود جديدة على الحركة والتنقل، بالإضافة إلى القيود الواسعة المفروضة عليهم منذ اندلاع انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠.

ونتيجة لذلك: يواجه الفلسطينيون صعوبة في الوصول إلى أراضيهم الزراعية، وفي تسويق منتوجاتهم الزراعية في باقي أراضي الضفة الغربية. وبالتالي: يتضرر قطاع الزراعة، ويمنع الدخل الإضافي عن المزارعين، ولا يتيح الزيادة في عدد العاملين في القطاع الزراعي الذي يعتبر قطاعاً أساسياً في الاقتصاد الفلسطيني، وتسيء القيود على حرية الحركة والتنقل على إمكانية وصول السكان القرويين إلى المستشفيات الموجودة في المدن المجاورة. كما يتأثر جهاز التعليم الفلسطيني لأن الكثير من المدارس خصوصاً في القرى تعتمد على المعلمين الذين يأتون من خارجها، كما تؤثر هذه القيود على علاقات الفلسطينيين الأسرية والاجتماعية.

إن تشديد الحصار على قطاع غزة والاعتداءات الحربية المتتالية عليه، يسير جنباً إلى جنب مع تصاعد الإرهاب الإسرائيلي بهدف زيادة معاناة المزارعين، حيث تسببت الاعتداءات الإسرائيلية

على قطاع غزة بمقتل العديد من المزارعين، وأدت إلى تجريف الأراضي الزراعية، واقتلاع الأشجار وارتفاع مستوى البطالة.

كما أدى الحظر الإسرائيلي على تصدير السلع إلى انهيار أسعار المنتجات الزراعية في قطاع غزة، ما اضطر عدد كبير من المزارعين إلى وقف العمل في مزارعهم بعد فرض الحصار منذ عام (٢٠٠٧م) لأنه لم يعد بإمكانهم المحافظة عليها. وكانت أسعار المنتجات الزراعية مثل: المحاصيل والأسمدة أعلى بأكثر من عشرة أضعاف ما كانت عليه قبل عام (٢٠٠٦م).

إن أعمال «إسرائيل» الإرهابية التي حرمت الفلسطينيين من وسائل العيش والعمل والسكن والمياه النظيفة وحرية التنقل، جديرة بأن تجعل سلطات الاحتلال الإسرائيلي التي قامت بها عرضة للاتهام وللإدانة بأنها مارست جرائم ضد الانسانية. ولم تكن «إسرائيل» غافلة عندما مارست هذه الأعمال الإرهابية على الفلسطينيين؛ فالحكومات الإسرائيلية بما قامت به من أعمال تؤهل «إسرائيل» بجدارة وامتياز لاكتساب صفة «الدولة الإرهابية».

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من خطورة الممارسات الإرهابية الإسرائيلية ضد السكان الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام (١٩٦٧م)، وتداعيات تلك الممارسات على طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية للفلسطينيين على اختلاف مشاربهم، الأمر الذي يصنف «إسرائيل» كدولة إرهابية بامتياز.

إنَّ الدراسة التي بين أيدينا تخدم صنّاع القرار الفلسطينيين والعرب، في إيجاد آليات سياسية وقانونية لتفادي خطر الإرهاب الإسرائيلي ضد المواطنين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. كما تساعد الباحثين في حقول: العلوم السياسية والقانون، في القيام بإجراء دراسات مستقبلية تخصُّ هذه المسألة المهمّة والحسّاسة للفلسطينيين.

مشكلة الدراسة

بناء على ما تقدم ورغبة في الإحاطة بمختلف الجوانب المتعلقة بالموضوع، تتمحور مشكلة الدراسة حول سؤالٍ رئيس مفاده: ما تداعيات الإرهاب الإسرائيلي على السكان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة؟

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على ثلاثة مناهج رئيسية، هي:

١- **المنهج التاريخي:** الذي يسعفنا في التنقيب عن المعلومات الأوليّة لموضوع الدراسة.

٢- **المنهج الوصفي التحليلي:** وذلك لتفسير المعلومات الخاصة بالإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، وتحليلها، وبيان أهميتها وقيمتها العلمية. وقد سعت الدراسة إلى كشف اتجاهات الإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وبيان أن العمليات الإرهابية التي تمارسها «إسرائيل»، تؤثر في المسار الاقتصادي والاجتماعي على الفلسطينيين.

٣- **المنهج القانوني:** من خلال بيان الموقف القانوني من تصرفات الإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين.

تقسيم البحث

تماشياً مع إشكالية البحث تم تقسيم الموضوع إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين منذ إنشاء دولة «إسرائيل".

المبحث الثاني: الإرهاب الإسرائيلي وجدار الفصل العنصري.

المبحث الثالث: الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة.

المبحث الأول

الإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين منذ إنشاء دولة «إسرائيل»

ثمة عامل محوري يتم التغاضي عنه عند التصدي لظاهرة الإرهاب، برغم وضوحه، وهو التلازم بين استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وفشل الجهود الغربية في إطار الحرب ضد الإرهاب.

وفي ضوء هذا العامل: نتناول هذا المبحث من خلال تقسيمه إلى مطلبين؛ نتناول في المطلب الأول جذور الإرهاب الإسرائيلي، ثم نبين وسائل الإرهاب الإسرائيلي في المطلب الثاني.

المطلب الأول

جذور الإرهاب الإسرائيلي

ما إن أعلنت الأمم المتحدة عن قرارها رقم (١٨١) لعام (١٩٤٧م) الذي يقسم فلسطين بين العرب واليهود، حتى تصاعدت موجات الإرهاب والعنف والبطش والقتل الذي أسفر عن قتل عشرات الآلاف من الشعب الفلسطيني، وتشريد مئات الآلاف أيضاً، إضافة إلى ارتكاب المجازر الجماعية الدموية، وتصاعدت أعمال الإرهاب والقتل مع إعلان الصهاينة عن قيام كيانهم الغاصب، حيث شرعت المنظمات الإرهابية الصهيونية العسكرية والسياسية، بالاندماج من أجل تأسيس أطر الكيان ومؤسساته الحزبية والعسكرية، حتى يتمكن الصهاينة من تنفيذ مشروعهم الاستعماري الاستيطاني الإحلالي بشكل أكثر تنظيماً، ويأتي في مقدمة أهداف هذا المشروع تفريغ فلسطين العربية من المواطنين الفلسطينيين أصحاب الأرض الشرعيين، عن طريق طردهم وترحيلهم القسري المنظم بشتى الوسائل وبخاصة الإرهابية منها عبر ارتكاب المجازر الدموية الجماعية؛ وذلك لاستيعاب المهاجرين اليهود القادمين من مختلف دول العالم، من أجل استكمال بناء الكيان الصهيوني وتقويته ومده بالقوة البشرية والعسكرية لتنفيذ المشروع الصهيوني الاستعماري التوسعي الاستيطاني[١].

ففي ١٤ مايو (١٩٤٨م)، قبل انتهاء الانتداب البريطاني أُعلن رسمياً عن قيام دولة «إسرائيل» دون أن تُعلن حدودها بالضبط، وخاضت خمس دول عربية بالإضافة إلى السكان الفلسطينيين الحرب مع الدولة المنشأة حديثاً (إسرائيل)، وكانت محصّلة الحرب أن استولت العصابات الصهيونية على ٧٨٪ تقريباً من فلسطين الانتدابية، فبقي من بقي من العرب داخل «إسرائيل»، وتشرّد الكثير إمّا في مخيمات في الأردن التي ضمت الضفة الغربية إليها رسمياً، وإما إلى مصر التي وضعت قطاع غزة تحت إدارتها العسكرية، وذلك بعد استيلاء اليهود على غالبية فلسطين، كما تشردوا في لبنان وغيرها من البلدان العربية بعد أن طردهم اليهود من بيوتهم[٢].

و«إسرائيل» حالها حال أي بلد آخر تحتوي على مجموعات عرقية مختلفة، والأقلية من هذه العرقيات قد لا تشعر أنها تنتمي انتماءً كلياً للدولة بالرغم من حصولهم على حق المُواطنة، ومن أشهر هذه العرقيات: الإسرائيليون من أصل عربي، ويشعر هؤلاء بالانتماء إلى أصولهم العربية.

---

(١) منصور معاضة سعد العمري، الإرهاب الصهيوني في فلسطين، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٣٦٨هـ-١٩٤٨م / ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ص ٥٣.

(٢) من هم الإرهابيون؟ حقائق عن الإرهاب الصهيوني والإسرائيلي، ط(١)، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٨.

تبقى هذه المشكلة أحد المشاكل التي تواجه «إسرائيل»، حيث تتمثل في التوفيق بين هوية الدولة اليهودية والعرب المقيمين بها بصورة رسمية وانتماؤهم لهويتهم العربية[٣].

ومن الملاحظ أن «إسرائيل» بعدما أجبرت بريطانيا على التخلي عن الانتداب، نشأت كدولة بواسطة الرعب والإرهاب اللذين مارسهما رجال على غرار ديفيد بن غوريون واسحق شامير من عصابة «شترن»، ومناحيم بيغن من جماعة «آرغون»، ومن ثم أرئيل شارون وغيرهم، الذين أصبحوا فيما بعد من رؤساء حكومات «إسرائيل» المتعاقبة، وهللت لهم الولايات المتحدة الأمريكية كأبطال وطنيين.

إن الممارسات الإرهابية للدولة الإسرائيلية المستمدة من تصريح بلفور في عام (١٩١٧م)، والتي تمت ترجمتها واقعيا عبر منظمات إرهابية يهودية، كانت المؤسسة لما سمي لاحقاً بجيش الدفاع الإسرائيلي.

وفي ذات النطاق: يمكن اعتبار منظمتي «الهاغاناه» و«الآرغون» الأكثر تنظيماً، وكمثال على ذلك: فإن دستور منظمة «الهاغانا» الذي عدل عام (١٩٤٣م)، اعتمد فيما بعد كأساس لتنظيم الجيش الإسرائيلي[٤].

نلاحظ أن الإرهاب الإسرائيلي اتخذ -ويتخذ- عدة أشكال منها: الابتزاز، المجازر، خطف الطائرات، الاغتيالات، والتجسس، ولكن هذه الأعمال لم توجه فقط ضد الإنسان العربي، بل طالت أيضاً الدول التي حالفتها أو ناصرتها.

ولا نغالي إذا قلنا: إن أنظار المجتمع الدولي تتابع وتحشد قوتها في دك معاقل الإرهاب، ومتابعة ما يقوم به سواء أكان في الدول الغربية أم الدول العربية، والتنسيق لمواجهة هذا الإرهاب إلاّ في فلسطين تتغير رؤية المجتمع الدولي تجاه الإرهاب الإسرائيلي، وما يقوم به تجاه أبناء الشعب الفلسطيني، أو حتى اعتداءاته على الدول العربية.

ربما لا يريد المجتمع الدولي مشاهدة الإرهاب الإسرائيلي مستخدماً برؤيته لهذا الإرهاب عينه العمياء التي لا ترغب برؤية هذا النوع من الجرائم الإسرائيلية التي مارستها الحركة الصهيونية بمنظماتها وأجهزتها وقيادتها الإرهابية، فهذا الإرهاب الذي لم يشهد له التاريخ على مر العصور وتجلى ذلك بأبشع الأشكال والصور، سواء أكان قبل النكبة أم بعد ذلك والذي تمارسه الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على مدى العقود الماضية التي أعقبت قيام الكيان الإسرائيلي.

ومن الملاحظ أنه لم تسجل حالات إرهابية مماثلة لممارسات الحركة الصهيونية على كافة الصعد بشتى وسائل الإرهاب، وبأبشع الأشكال والصور على مدى زمني متصل تجاوز تسعة وستون عاماً، سواء أكان إلقاء الصواريخ على المنازل، أم الاغتيالات، وفرض العقوبات الجماعية، وتعذيب الأسرى، واعتقال الأطفال والنساء، وارتكاب المجازر.

وإذا أردنا إحصاء هذه الجرائم فإنها لا تعدّ ولا تحصى بحق شعب أعزل لا يملك إلاَّ عزيمة وإرادة واحدة، تتمثل في طرد هذا المحتل من أرض فلسطين.

(٣) منتصر سعيد حمودة، الإرهاب الدولي جوانبه القانونية ووسائل مكافحته في القانون الدولي العام والفقه الاسلامي، ط(١)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ١٠٩.

(٤) عادل حامد الجادر، أثر قوانين الانتداب في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، د.ت، ص ١٨٧.

المطلب الثاني

وسائل الإرهاب الإسرائيلي

مما لا ريب فيه: أن الإرهاب على اختلاف أهدافه ووسائله، هو نتيجة لأسباب مختلفة متعددة منها أسباب سياسية وأخرى اقتصادية واجتماعية ونفسية وأيديولوجية... إلخ[٥]. ومن المتفق عليه: أن دراسة هذه الأسباب مهمة صعبة لأنها تستلزم الغور في معظم المشكلات المعقدة التي تواجه الأفراد والمجتمع الدولي على حد سواء، والتي تكمن فيها أسباب الإرهاب.

وقد تذرع البعض بهذه الصعوبة ورأى من الأصوب التركيز أولاً على اتخاذ تدابير عملية عاجلة لمكافحة الإرهاب، دون الانغمار في محاولة تحديد أسبابه المتعددة والمعقدة. ولكن هناك من رأى أن تحديد أسباب الإرهاب وإزالتها يجب أن يسبقا العمل على اتخاذ أية تدابير لمنع الإرهاب[٦].

ونحن نرى أن تشخيص أسباب الإرهاب، ولا سيما بعد توسعه في الفترة الأخيرة، لا بد منه قبل الإقدام على أية إجراءات فعالة لاستئصاله في المدى البعيد، ولكن هذا لا يعني بأن العمل على اتخاذ تدابير لمنع الإرهاب، يجب أن ينتظر تحديد أسباب الإرهاب وإزالته، ذلك أن مقاومة حالة من حالات الإرهاب يمكن أن تتزامن والمساعي المبذولة لاستئصال جذورها.

ونرى كذلك: أن الإصرار على أولوية ما في معالجة مشكلة الإرهاب قد يؤدي إلى تجزيئية لا تفيد هذه المعالجة في شيء، وبصورة عامة يمكننا القول: بأن تشخيص أسباب الإرهاب يساعد على إيضاح مفهوم الإرهاب الدولي ذاته، وإثارة مزيدٍ من الاهتمام بمكافحته.

إنّ الإرهاب باعتباره ظاهرة إجرامية أو سلوك منحرف عن قواعد السلوك الاجتماعي السائدة في المجتمع، ليس محض واقعة يجرمها القانون، ولكنه سلوك يصدر من إنسان يعيش في بيئة معينة ووسط مجتمع معين، ومن ثم فهو سلوك اجتماعي منحرف؛ لذلك: فإن دراسة أسباب ودوافع الإرهاب يعطي التفسير لهذه الظاهرة؛ وبالتالي: فإن تفسير هذه الظاهرة ينطبق عليه ما يقال عن تفسير الظاهرة الإجرامية بصفة عامة، حيث يقرر علماء الجريمة أنها لا ترجع إلى مصدر واحد أو مصدرين، بل تنبع عن مصادر عديدة متنوعة ومتشابكة ومعقدة، وبالمثل فالإرهاب كظاهرة إجرامية لها خصوصيتها بين غيرها من الظواهر الإجرامية الأخرى، ليس فعلاً منعزلاً أو عرضياً ولكنه ثمرة تضافر عوامل عديدة تحركه وتحدد تكوينه وهيئته وظهوره[٧].

لقد مضى تسعة وستون عاماً من الإرهاب الصهيوني المنظم، حيث ارتكب الصهاينة جرائم

---

(٥) الإرهاب الصهيوني للجماعات اليهودية أوضح مثال على مدى تأثير الأيديولوجية على تحفيز الفكر الإرهابي ونشر مفاهيمه، فالمجازر الإرهابية التي ارتكبت ضد العرب في فلسطين، مبعثها الاعتقادات الكامنة في العقلية اليهودية بأنهم أبناء الحرب، والشعب المختار، وفوقيتهم العنصرية وغيرها من المقولات.
عبد المجيد همو، المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، ط(١)، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، ٢٠٠٣، ص ١١؛ عمر سعد الهويدي، مكافحة جرائم الإرهاب في التشريعات الجزائية دراسة مقارنة، ط(١)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١، ص ٥٠.
Schmid, AIex Peter,. Political terrorism: a new guide to actors, authors, authors, concepts, data bases, theories, & literature, New Brunswisck, N.J.: Transaction Publishers, 2005, p. 38.

(٦) هاتف محسن الركابي، مفهوم الإرهاب في القانون الدولي والداخلي، كلية القانون والسياسة، الأكاديمية العربية، كوبنهاغن، ٢٠٠٧، ص ٢٣.

(7) http://roayacenter.ps.

حرب خطيرة -وما زالوا -ضد الشعب العربي في فلسطين وأقطار عربية أخرى وبخاصة المجاورة لفلسطين منها، مثل: القتل العمد، والاغتيال، والاعتقال، والتعذيب، وتدمير المنازل، واقتلاع الأشجار، وإتلاف المزروعات، والاعتداء على المقدسات الدينية الإسلامية منها والمسيحية، وإلحاق الأذى والضرر بالإنسان، وإيقاعه تحت الأذى الجسدي والنفسي وخاصة ضد الأسرى والمعتقلين في محاولة للنيل من صمودهم وشل إرادتهم، كل هذا يتم بدعم وإسناد وحماية من الإدارات الأمريكية المتعاقبة بشكل عام والإدارة الحالية بشكل خاص، وتحت سمع وبصر الأمم المتحدة والهيئات الدولية وأنظمة عربية، مع علم ومعرفة جميع العرب أن المشروع الصهيوني الاستعماري التوسعي الهادف إلى إقامة «إسرائيل الكبرى» أو «العظمى» لا ينحصر في فلسطين وحدها، إنما يمتد ليشمل أراضي عربية أخرى في سورية ولبنان ومصر والأردن والعراق والسعودية وحتى جزيرة قبرص، وفق ما جاء في رسالة ثيودور هرتزل المؤرخة في ١٢ يوليو ١٩٠٢، والمرسلة إلى اللورد روتشيلد، حيث طالب بإسكان اليهود في هذه الجزيرة، كما يظهر من أهداف الحروب والاعتداءات الصهيونية التي طالت العديد من أقطار العالم العربي، وأسفرت عن احتلال أراض عربية، والسيطرة على مصادر مياه عربية، وحالت فعلاً دون تحقيق أية خطوة وحدوية عربية، ومنعت قيام تنسيق عربي حقيقي في مواجهة العدوان الإسرائيلي، وأطماع الصهيونية والإمبريالية في الثروة العربية[٨].

كان الإرهاب الإسرائيلي على مدى أكثر من نصف قرن أحد المكونات الرئيسية للسياسة الصهيونية.

وقد اقترن قيام الكيان الإسرائيلي كدولة بأبشع أشكال الإرهاب الذي مارسته الحركة الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية المجاورة، وضد كل من حاول ويحاول أن يعرقل تحقيق أهدافها، وكان إرهاباً مدروساً ومنظماً، مارسته المنظمات الإرهابية الصهيونية في البداية، ثم مارسه الكيان الإسرائيلي بعد زرعه في فلسطين[٩].

وسجل الحركة الصهيونية حافل بسلسلة طويلة من جرائم الإرهاب والقتل الجماعي ضد الشعب الفلسطيني بشكل خاص، والأمة العربية بشكل عام، على امتداد عشرات السنين الماضية، فالصهيونية والإرهاب متلازمان، ووجهان لحقيقة واحدة.

الإرهاب بالنسبة للحركة الصهيونية أسلوب عمل، إضافة إلى كونه من مقومات أيديولوجيتها. فالأيديولوجية الصهيونية التي تحمل في ثناياها كل مبررات العدوان والإرهاب، تتمحور حول الزعم بأن خلاص اليهود يكمن في هجرتهم إلى فلسطين واغتصابها، وإقامة وطنهم القومي فيها على حساب شعبها العربي وحقوقه، وليس لدى الحركة الصهيونية ما تقوله لأتباعها سوى الأفكار التي تستهدف تعبئتهم تعبئة عدوانية، وتقول لهم بأنهم مكروهون ومهددون بالإبادة، وليس لهم من سبيل للدفاع عن أنفسهم سوى قتل الآخرين، والاعتداء على حقوقهم، وسلبها[١٠].

(٨) https://nawarshash.wordpress.com/2008/05/10/ فلسطين-ستون-عامًا-من-الإرهاب-الصهيوني.

(٩) الهويدي، مرجع سابق، ص ٥٠.

(١٠) منصور معاضة سعد العمري، الإرهاب الصهيوني في فلسطين، ص ٦٦.

المبحث الثاني

الإرهاب الإسرائيلي وجدار الفصل العنصري

قامت إسرائيل ببناء جدار فوق الأراضي الفلسطينية المحتلة، ضاربة عرض الحائط حقوق الشعب الفلسطيني التي كفلتها القوانين الدولية إذ تواجه الأراضي الفلسطينية المحتلة أحد أخطر ممارسات الاحتلال الإسرائيلي ومحاولاته لضم أراضٍ فلسطينية إلى إسرائيل، فارضة وقائع غير شرعية بواسطة هذا الجدار لتكريس الاحتلال والاستيطان.

إذ لا يمكن الحديث عن جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية بعيداً عن الإجراءات الإسرائيلية التي مورست بحق الفلسطينيين في الضفة الغربية خلال العقود الماضية، لأن بناء الجدار جاء مكملاً لهذه الإجراءات التي لها انعكاسات سياسية واجتماعية واقتصادية على الضفة الغربية، لذا نتناول تداعيات الإرهاب الإسرائيلي في إطار جدار الفصل العنصري.

المطلب الأول

تداعيات الإرهاب الإسرائيلي

في إطار جدار الفصل العنصري

إن فكرة الجدار محفورة عميقاً داخل الفكر الصهيوني وهي تزامن هذا الفكر منذ نشأة الصهيونية، وقد كتب (ثيودور هرتسل) في كتابه «دولة اليهود» الذي كان حجراً للصهيونية المعاصرة أن دولة اليهود في فلسطين ستشكل جزءاً من السور الأوروبي أمام آسيا، وهي نقطة انطلاق ضد البربرية.

وبعد أكثر من مئة عام يجسد جدار شارون هذه الرؤيا تجسيداً كاملاً، وما كلمة «الجيتو» إلا تطبيق عملي لفكرة العزل في الجيتو أو «حارة اليهود»، وفي مجتمعنا العربي هي المكان الذي اختاره اليهودي ليعزل نفسه في محيطه، وهي عقيدة لا تزال تسيطر على اليهودي أينما حلّ، لأن هاجس العزلة والبعد عن الآخر أكثر ما يميز اليهودي على مر التاريخ[١١].

إن فكرة جدار الفصل وبنائه فكرة قديمة حديثة، ليست وليدة اليوم كما تدعي القيادات الإسرائيلية، حيث ترجع فكرة بناء جدار فاصل إلى عام (١٩٣٧م)، حين طلب من «تشارلز بتهارك» الخبير البريطاني لشؤون الإرهاب، بوضع خطة لإقامة جدار على محاور الطرق الرئيسية من الحدود اللبنانية في الشمال وحتى بئر السبع، وقام الخبير البريطاني المذكور برسم المرحلة الأولى من عملية إقامة الجدار حسب الحاجات الاستراتيجية العاجلة، وهو جدار من أربع طبقات وبارتفاع مترين يتم بناؤه على طول ٨٠كم من طبريا في الشمال الشرقي وحتى رأس الناقورة في الشمال الغربي بالقرب من محاور الطرق المركزية، وأوكلت بريطانيا إلى شركة «سوليل بونيه» مهمة بنائه، ولمجموعات الهاجاناه حراسته، وقد هدم الجدار من قبل سكان القرى العرب على جانبي الجدار[١٢].

---

(١١) ريم تيسير خليل العارضة، جدار الفصل الإسرائيلي في القانون الدولي، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة النجاح، نابلس، ٢٠٠٧، ص ٤.

(١٢) عليان الهندي، الجدار الفاصل وجهات نظر إسرائيلية في الفصل أحادي الجانب، حشد، رام الله. ٢٠٠٤، ص٧.

ومع استمرار الانتفاضة الأولى وتصاعدها وتحولها إلى الطابع العسكري، وبعد أن أصبحت عبئاً كبيراً على المؤسسة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية، بدأت أول خطوات الفصل بين سكان الضفة الغربية ومناطق الـ (٤٨) عبر المباشرة بإصدار تصاريح خاصة لكل فلسطيني، وفكرة التصاريح تعتبر الفكرة الأولى في طريق ما يسمى التطبيق العملي والفعلي لفكرة الفصل. وبعد ذلك اقترح رابين إنشاء ما يسمى بالجدار الأمني العازل، وكانت البدايات الحقيقية في إقامة سياج أمني حول قطاع غزة من الناحية الشمالية والشرقية على امتداد الأراضي المحتلة عام (١٩٦٧م)، أو ما يعرف بالخط الأخضر فيما يزيد عن ٥٥كم، وحول المستوطنات في قطاع غزة وخاصة المنعزلة منها، وكان الجدار سياجاً بسيطاً عبارة عن أسلاك كهربائية بارتفاع مترين وله عدة بوابات ترتبط مع قطاع غزة لاستخدامها في ملاحقة رجال المقاومة[١٣].

أما في عهد شارون فتعود فكرة الجدار عند رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون إلى عام (١٩٧٣) وكانت الخطة موجودة عام (١٩٧٦م) في مكتبه الذي كان يكرر دوماً أنه سيكون مثل «سور الصين العظيم» ومنذ ذلك الحين يحاول شارون إيجاد الفرصة المناسبة للانطلاق حول التنفيذ، وقد انتعشت الفكرة عام (١٩٩٤م)، من خلال مشروع «قدمه موشيه شاحال» الذي كان وزير الشرطة من خلال خطة للفصل، وحماية المستوطنات في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، وأعقبه خطط طرحها كل من «حاييم رامون ودان ميردور» لإقامة جدار يرسم حدوداً ويحمي «الديمغرافيا والجغرافيا».[١٤]

(١٣) هذا في عهد رئيس الحكومة الإسرائيلية الاسبق رابين. عليان الهندي، الجدار الفاصل وجهات نظر إسرائيلية في الفصل أحادي الجانب، حشد، رام الله. ٢٠٠٤، ص١٠.

(١٤) مركز التخطيط الفلسطيني: الجدار الفاصل في الفكر الصهيوني. net.pna.appc.www://htpp

وقد شكل جدار الفصل العنصري الذي شرعت قوات الاحتلال الإسرائيلي في إنشائه على حساب مساحات شاسعة من أراضي الضفة الغربية بغية ضمها إلى «الخط الأخضر»، خطورة كبيرة من النواحي الإنسانية والاقتصادية والسياسية على أبناء الشعب الفلسطيني وممتلكاته، في ظل سعي قوات الاحتلال لفرض أمر واقع جديد على الأرض.

وأكدت وزارة الزراعة الفلسطينية في تقارير عدة أن الجدار العنصري أدى إلى خسائر كبيرة في القطاع الزراعي، إضافة إلى تهديد البيئة الفلسطينية وعزل عدد كبير من القرى والبلدات الفلسطينية، وخصوصاً قرب طولكرم وجنين وقلقيلية.

واستعرض تقرير صادر عن الإدارة العامة للتربة والري في الوزارة، أبرز انتهاكات قوات الاحتلال الناجمة عن الجدار الفاصل، إضافة إلى شرح مواصفاته الفنية، وآثاره على المياه والتربة والقطاع الزراعي بشكل عام[١٥].

وأظهر التقرير أرقاماً وإحصاءات مذهلة تتحدث عن الخسائر الناجمة عن هذا المخطط الخطير، حيث تبين أن إنتاج الزيتون سينخفض بسبب تقطيع آلاف الأشجار المثمرة والمعمرة بمعدل ٢٢٠٠ طن من الزيت في الأعوام المقبلة، إضافة إلى انخفاض إنتاج ثمار الفواكه بمعدل (٥٠) ألف طن، والخضروات بمعدل (١٠٠) ألف طن سنوياً[١٦].

كما سيفقد حوالي (١٠) آلاف رأس من الماشية مناطق رعيها، إضافة إلى تدمير المئات من البيوت البلاستيكية ومزارع الطيور وحظائر

(15) https://ar.wikipedia.org/wiki

(١٦) «جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام»؛ https://www.palinfo.com/news/2015/12/20

الحيوانات، مما سيؤدي إلى أضرار بالغة وتراكمية على الاقتصاد الفلسطيني.

وأوضح التقرير: أن نسبة الأراضي المروية تعادل ٥٪ من مساحة الضفة الغربية، ولكن مساهمة هذه النسبة المتواضعة في الإنتاج الزراعي للضفة تساوي ٥٢٪، في وقت تعتبر مناطق شمال الضفة من أهم المناطق المروية والحيوية والتي أقيم الجدار الفاصل العنصري على أراضيها، مما جعل قلقيلية وحدها تخسر (٨٦٠٠) دونم بنسبة ٧٢٪ من أراضيها المروية، وكذلك سبع آبار للري الزراعي.

وستؤدي إقامة الجدار الفاصل إلى مصادرة ١٠٪ من أراضي الضفة، حيث تمت مصادرة (١٦٠-١٨٠) ألف دونم في المرحلة الأولى منه فقط، وهي تعادل ٢٪ من أراضي الضفة الغربية، بسبب امتداده إلى عمق ٦ كم داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام (١٩٦٧م)، وإجراء تعديلات في المرحلة الأولى لضم (١٠) مستوطنات و(١٧) قرية فلسطينية إلى داخل المناطق المحتلة منذ عام (١٩٤٨م).

وأضاف التقرير: أن المرحلة الثانية منه والتي تمتد من قلقيلية في الشمال إلى مدينة القدس، ستضم عدداً آخر من المستوطنات والقرى الفلسطينية والأراضي الزراعية الخصبة. وعند الانتهاء من هذا الجدار، سيصل العدد الكلي للمستوطنين إلى (٣٤٣) ألف مستوطن، موضحاً في الوقت ذاته أن قوات الاحتلال جرفت ما مساحته (١١٥٠٠) دونم، وقلعت (٨٣) ألف شجرة فقط من أجل عمل ما تسمى المنطقة الأمنية العازلة.

وصادر هذا المخطط (٣٠) بئر مياه في محافظتي قلقيلية وطولكرم بطاقة تصريفية عالية، والتي تم حفرها قبل عام (١٩٦٧م) وتقع على الحوض الجوفي الغربي، مما سيفقد الفلسطينيين ١٨٪ من حصتهم في هذا الحوض والتي هي(٢٢) مليون متر مكعب سنوياً من أصل (٣٦٢) مليون متر مكعب حسب اتفاقات أوسلو، إضافة إلى أنه دمر البنية التحتية لقطاع المياه من مضخات وشبكات الأنابيب الخاصة لمياه الشرب والري الزراعي، مما سيعمل على فقدان بعض القرى الفلسطينية لمصادرها المائية بالكامل[١٧].

وتبدو مخاطر الجدار على البيئة الفلسطينية لكونه عمل على اقتلاع الآلاف من الأشجار المثمرة وخصوصاً الزيتون، حيث وصل عدد الأشجار التي اقتلعت منذ بداية انتفاضة الأقصى إلى مليون شجرة منها (٣٠٠) ألف شجرة زيتون.

وبين أن أهمية هذه الأشجار تكمن في كونها تعمل على تحسين نوعية الهواء من خلال التقاط حبيبات الغبار واستهلاك ثاني أكسيد الكربون وإطلاق الأوكسجين في الجو، والتقليل من جريان المياه وانجراف التربة، وزيادة الفرصة أمام تغذية الخزان الجوفي، إضافة إلى مساهمتها في استدامة الحياة البرية من خلال توفير الملاذ الآمن للطيور والحيوانات الأخرى؛ وبالتالي: الحفاظ على التنوع البيئي.

وحول آثار الجدار من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية للمواطن الفلسطيني، فإن (١٧) قرية فلسطينية باتت داخل أراضي السور. كما يشكل الجدار خطورة ضم أراضي (٢٥) قرية فلسطينية بعد تدمير اقتصادها بالكامل وفصلها عن بعضها البعض، إضافة إلى أنَّ الجدار عائق أمام

(17) http://www.wafainfo.ps/atemplate.asp

تنقل المواطنين بشكل عام والمزارعين خصوصاً، بسبب الخنادق ومنع التجول بالقرب من السور، إضافة إلى منع الرعاة والمواشي من الاستفادة من الأراضي القريبة من الجدار.

كما أن الجدار سيعزل القدس عن الضفة الغربية، إضافة إلى عزل (٢٠٠) ألف فلسطيني داخل الأراضي المحتلة عام (١٩٤٨م)، وحرمان آلاف المسلمين والمسيحيين من الصلاة في الأماكن المقدسة في القدس، وستجني الحكومة الإسرائيلية من خلال الجدار، ضم مزيد من الأراضي والمياه في محاولة لتحسين الوضع الاقتصادي المتردي في الكيان الإسرائيلي[١٨].

وأشارت جمعية الإغاثة الزراعية في تقاريرها إلى أن هذا الجدار سيعمل على فصل (١٤) ألف نسمة يقطنون مناطق سلفيت وقلقيلية، وعزلهم بشكل تام عن المحيط الخارجي، لكونهم سيعيشون بين «الخط الأخضر» والجدار. وحذرت من أن بناء الجدار سيؤدي إلى فقدان (٦٥٠٠) فرصة عمل في الزراعة ومرافقها المختلفة حتى الآن، في حين أن العدد قابل للزيادة، إضافة إلى أنه سيعمل على تدمير مساحات واسعة من حقول الزيتون والتي كانت تأتي بـ (٢٢) ألف طن من الزيتون سنوياً، إضافة إلى خسارة ما مقداره (٥٠) ألف طن من ثمار الحمضيات نتيجة تدمير البيارات، وتدمير(١٠٠) منزل وفقاً للإحصاءات المتوفرة لديها[١٩].

إن هذا الجدار الذي تقيمه قوات الاحتلال، يتكون من سلسلة من الحواجز المكونة من الخنادق والقنوات العميقة والجدران الإسمنتية المرتفعة والأسلاك الشائكة المكهربة وأجهزة المراقبة الإلكترونية، بالإضافة إلى منطقة عازلة تفصل بين هذه الحواجز.

وحسب الإحصاءات الصادرة عن المؤسسات الزراعية ومركز الإحصاء الفلسطيني، سيلتهم هذا الجدار مساحة (١٣٢٨) كم مربعاً، أي بنسبة ٢٣,٤ ٪ من مساحة الضفة الغربية، وتشمل هذه المساحة غلاف القدس الذي تصل مساحته (١٧٠) كم مربعاً، كما تضم هذه المساحة عشرات القرى والبلدات الفلسطينية التي يسكنها (٧٠٠) ألف نسمة منهم حوالي (٣٠٠) ألف في منطقة القدس. إن هذا العدد الذي يشكل ٢٥٪ من عدد سكان الضفة سيجعل هؤلاء المواطنين يخضعون لسياسة التمييز العنصري، كما أنه سيخضع سكان هذه المناطق إلى مراقبة شديدة تجعل من حياتهم جحيماً لا يطاق ليلاً، أما نهاراً فسيجعلهم مقيدي الحركة إلاَّ ضمن تصاريح تصدرها الإدارة المدنية التابعة للقوات الإسرائيلية[٢٠].

(18) http:// www. Qeocities.com.

(١٩) مركز بتسليم، ترسيم العائق حول القدس الشرقية، نشرة صدرت عن المركز بعد عام من قرار محكمة العدل العليا الإسرائيلية بخصوص الجدار الفاصل في بيت سوريك، ٢٠٠٤/٦/٣٠.

(٢٠) شحادة رجا، قانون المحتل: إسرائيل والضفة الغربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٣٣.

المبحث الثاني

الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة

أدت سياسة الحصار الشامل الذي شددت سلطات الاحتلال الإسرائيلي إجراءاته على قطاع غزة منذ منتصف يونيو من عام (٢٠٠٧م)، إلى نتائج وخيمة ألقت بظلالها على مختلف النواحي سواء الاجتماعية أو الاقتصادية.

والحصار الإسرائيلي على قطاع غزة، غايته كسر المقاومة ووصفها بالإرهاب، وفي ضوء ذلك: نتناول هذا المطلب من خلال تقسيمه إلى التداعيات الاقتصادية والاجتماعية للإرهاب الإسرائيلي بفعل الحصار في المطلب الأول، ثم نتحدث عن محاولات «إسرائيل» الخلط بين المقاومة والإرهاب، وأثر ذلك على المقاومة الفلسطينية في المطلب الثاني.

المطلب الأول

التداعيات الاقتصادية والاجتماعية للإرهـاب الإسـرائيلي بفعل الحصار

لقد كان من أخطر الأحداث التي شهدتها القضية الفلسطينية في المرحلة الأخيرة، سياسة الحصار المفروض على قطاع غزة. هذه السياسة التي تبنّتها ومارستها «إسرائيل» رغم كلّ التنديدات والمناشدات العربية والدولية، تحت ذرائع عديدة منها: «الإجراءات الأمنية»، و«سلطة حماس على قطاع غزة»، وغيرها التي تقضي بمنع دخول الفلسطينيين إلى «إسرائيل» دون رقابة.

ورغم أن سياسة «الحصار» هي فكرة قديمة وردت على لسان بن غوريون، كما وضع موشيه شاحاك خطّة لتنفيذها أثناء تقلّده منصب وزير الأمن الداخلي في مطلع عام (١٩٩٤م)، بعدما قال رئيس الوزراء الأسبق إسحاق رابين: «أخرجوا غزّة من تل أبيب»، إلاّ أن رئيس وزراء الكيان أريئيل شارون هو أوّل من وضع هذه الخطّة قيد التنفيذ.

وبسبب هذه الإجراءات الإسرائيلية، ومنذ ذلك الحين، يتعرّض الشعب الفلسطيني لأبشع أساليب القمع والاضطّهاد من قبل الاحتلال الإسرائيلي، المتمثّلة في الاعتداءات المنظّمة والمستمرّة على الأراضي الفلسطينية، وما يتبعها من إجراءات انتهت بالحصار الاقتصادي على قطاع غزّة من خلال إغلاق المعابر التجارية ومعابر السفر للخارج (معبريّ رفح وبيت حانون)[٢١].

وقد تعدّى الأمر ليصل حدّ انتهاج «إسرائيل» لسياسة الإبادة الجماعية والتطهير العرقي، بالترافق مع قيامها بحرمان الإنسان الفلسطيني من أبسط حقوقه الإنسانية كالحرّية والاستقلال، وحتّى من أبسط الخدمات الأساسية كالتعليم والصحّة وحقّ العمل وحقّ الحياة، مع حرمانه من شعوره بإنسانيته ومن حرّية الحركة في وطنه وأرضه المقطّعة الأوصال.

ومع اندلاع انتفاضة الأقصى عام (٢٠٠٠م)، وصولاً إلى إجراء الانتخابات الرئاسية والتشريعية وما تمخّض عنها من نتائج لم تقنع الدول المهيمنة في منطقة الشرق الأوسط والعالم، قامت إسرائيل –وبدعم دولي– بتشديد الخناق على قطاع غزة من خلال إحكام سيطرتها على جميع منافذ ومعابر القطاع، الأمر الذي ترك آثاراً مدمّرة على مناحي الحياة للفلسطينيين فيه، وتدهورت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، ما وضع مصير الشعب الفلسطيني على حافّة الانهيار بمستويات لم تعهدها الشعوب من قبل. لقد شكّل هذا الحصار شكلاً من أشكال العقوبات الجماعية وأعمال الانتقام التي تقترفها قوّات الاحتلال الإسرائيلي ضدّ الفلسطينيين، وانتهاكاً صارخاً لقواعد القانون الدولي الإنساني والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

---

(٢١) تقرير المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان –٢٠٠٧، «سياسة الحصار الشامل وإغلاق المعابر الحدودية وأثرها على حياة السكّان المدنيين في قطاع غزة». المنشور على الموقع الإلكتروني: http://pchrgaza.org/ar/?

وقد لوحظت بعض التغيّرات النفسية والاجتماعية على أطفال فلسطين من جميع الأعمار والفئات جرّاء الحصار، ما اضطرّ العديد من المتخصّصين والباحثين إلى دراسة نفسية وعقليّة الطفل الفلسطيني وأنماط تنشئته ومظاهر نموّه المختلفة في ظلّ مثل هذه الظروف الصعبة، خاصّة وأن الإسرائيليين لم يبقوا وسيلة إلاّ واستخدموها ضدّ الفلسطينيين. فهم استخدموا الأسلحة الفتّاكة وأساليب الحصار وقطع الطرق وسياسات الحرمان والتجويع ومنع التجوال وغير ذلك، ممّا كان له الأثر البليغ على مظاهر الحياة المدنية المعتادة في الأراضي الفلسطينية، وبشكلٍ خاصٍ في قطاع غزة.

هذا إلى جانب المضايقات والممارسات التي أحدثت آثاراً سلبية في نفسية المواطن، وتحديداً نفسية الطفل الفلسطيني في قطاع غزة والتي من أهمّها[٢٢]:

١- الحرمان من الحقّ في التعليم:

مع أن المواثيق والأعراف الدولية تنادي أو تنصّ على حقّ الطفل في التعلّم والتعليم، إلاّ أنه ونتيجة لسياسة الاضطهاد والعقاب الجماعي التي مارستها وما زالت تمارسها «إسرائيل»، حرِم العديد من الأطفال الفلسطينيين من نصيبهم من الحدّ الأدنى في التعليم؛ وذلك جرّاء عدم تمكّن العديد من الطلبة والمعلّمين من الوصول إلى مدارسهم، بسبب الحصار المفروض على القرى والمخيّمات والمدن تارة، وبسبب فرض نظام منع التجوال تارة أخرى، أو جرّاء قيام سلطات الاحتلال باستباحة حرمات الصروح التربوية والتعليمية متّخذة منها مقرّات عسكرية.

فقد تكرّرت مثل هذه الأعمال مرّات عدّة خلال العام الدراسي الواحد، مع ما كان يترافق مع كلّ اجتياح من مظاهر العنف والترهيب الموجّهة ضدّ الأطفال[٢٣].

(٢٢) رياض العيلة؛ جهاد جميل حمد، تأثير الحصار الإسرائيلي على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والنفسي للفلسطينيّين في قطاع غزة، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٧. المنشور على الموقع الإلكتروني: http://www.bahethcenter.net/essaydetails.php
(23) http://www.wafainfo.ps/atemplate.asp

٢- صعوبة الوضع الاقتصادي:

تأثّر الوضع الاقتصادي للمواطن الفلسطيني كثيراً؛ بسبب الإجراءات الإسرائيلية التعسفيّة والقمعيّة، حيث ارتفع عدد الذين يعيشون تحت خطّ الفقر؛ ومع الأخذ بالاعتبار أن ٥٠٪ من أبناء المجتمع الفلسطيني هم أطفال دون سنّ السادسة عشر عاماً؛ ندرك حجم المأساة. إضافة تزايد إجراءات التضييق على الشعب الفلسطيني، يتبيّن لنا بوضوح حجم تلك الآثار السلبية المترتّبة على تردّي الأوضاع الاقتصادية على نفسية المواطن والطفل الفلسطيني، بحيث باتت الكثير من العائلات الفلسطينية غير قادرة على تأمين لقمة العيش الكريم[٢٤].

٣- الحرمان من الرعاية الصحّية والاجتماعية وتدمير المنازل:

لجأت سلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى سياستها القديمة الجديدة، والمتمثّلة في هدم وتدمير المنازل، مستخدِمة في ذلك أصابع الديناميت والطائرات والدبّابات والجرّافات الحديثة المتطوّرة، ما اضطرّ آلاف العائلات الفلسطينية لتغيير أماكن سكنها.

وبالتالي: أثّر ذلك على الحالة النفسية والاجتماعية التي تعيشها مثل هذه الأسر والعائلات المنكوبة وبالأخصّ منها الأطفال، ما أدّى إلى نوع من عدم الاستقرار المعيشي والسكني، وبالتالي: خلق حالات من التصرّف والسلوك غير الطبيعي وغير المسؤول من جانب الطفل الفلسطيني[٢٥].

وإذا ما نظرنا إلى تلك الإجراءات التعسفية، والوضع الاقتصادي السيّء المفروض على الشعب الفلسطيني، ندرك نوعية تلك الخدمات المتعلّقة بالرعاية الصحّية والاجتماعية التي يتلقّاها أطفال فلسطين، ضمن أجواء الجرح والقتل وسياسات التشريد والحصار.

(٢٤) رامون أمنون، السياسة الإسرائيلية في القدس الشرقية، مركز القدس للدراسات الإسرائيلية، القدس، ١٩٩٣، ص ١٣.
(25) http://www.wafainfo atemplate.asp.ps/

المطلب الثاني

المقاومة الفلسطينية والإرهاب الإسرائيلي

على الرغم من التداخل المثار بين المقاومة والإرهاب إلاّ أن الحدود الفاصلة واضحة والفصل يكاد يكون كاملاً بينهما، برغم الإصرار الواضح على الخلط في أكثر المحاور المتعلقة بهذا الموضوع من خلال بعض الأطراف.

ويبدو أن لغة المصالح التي تتفق أحياناً، وتتعارض في كثير من الأحيان بين مختلف الدول والأنظمة السياسية في العالم، هي التي تفرض حالة من الخلط التعريفي والعملي بين ما يعد إرهاباً وما قد يعد مقاومة، وخصوصاً من تلك الدول الاستعمارية التي عمدت إلى تغذية مصالحها الخاصة من خلال الخلط بين الإرهاب والمقاومة، وسحق كل الأصوات التي تناهض تحقيق ذلك، سواء كانت أصواتاً عرضية مصلحية تبتغي المقايضة والاكتساب المصلحي، أو كانت مظلومة تبتغي وراء الإنصاف سبيلاً.

يحظر القانون الدولي نوعين من الإرهاب:

أولاً: إرهاب الأفراد لدى ارتكابهم جرائم حرب وجرائم ضد السلام وضد الإنسانية وضد الأبرياء من المدنيين.

ثانياً: إرهاب الدولة عندما تمارس الحروب والإرهاب والعنصرية كسياسة رسمية.

ويميز القانون الدولي بين المقاومة والإرهاب، وينص على تجريم الإرهاب ويعترف بشرعية المقاومة المسلحة ضد الاحتلال. وميزت الأمم المتحدة بين الأعمال الإرهابية والنضال العادل للشعوب الذي تخوضه حركات المقاومة ضد الاحتلال والاستعمار الاستيطاني والعنصرية، وذلك في القرار الذي اتخذته في ديسمبر عام ١٩٧٢ [٢٦].

وعلى الرغم من توقيع منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاق أوسلو، لا تزال الإبادة والترحيل والاستعمار الاستيطاني المسيطر على مواقف وممارسات الحكومة والجيش والمجتمع الإسرائيلي في التعامل مع الشعب الفلسطيني الرافض للاحتلال والتهويد والترحيل، وتتخذ «إسرائيل» من الإرهاب والعنصرية والإبادة الجماعية سياسة رسمية وعلنية[٢٧].

في ضوء ذلك: نتناول المحاولات الإسرائيلية للخلط بين الإرهاب والمقاومة المشروعة في الفرع الأول، ثم أثر الخلط بين المقاومة والإرهاب على المقاومة الفلسطينية في الفرع الثاني، وذلك على النحو التالي:

الفرع الأول

المحاولات الإسرائيلية للخلط بين الإرهاب والمقاومة المشروعة

تعمدت «إسرائيل» القيام بالخلط المفاهيمي والعملي بين الإرهاب والمقاومة، بين ما هو مشروع وما هو غير مشروع، والذي سبقه الخلط الفعلي بين ما هو مدني وما هو غير ذلك، وبين ما هو مبرر وما هو غير مبرر، في قائمة طويلة من الأحداث التي وثّقت عبر العشرات أو المئات من المؤلفات التي عنيت برصد ذلك والتي لا مجال لذكرها الآن.

ونحن لا نقول هذا للاعتراف بأن هناك أفعالاً شرعية أو مبررة للاحتلال أو الاستعمار، وإنما للتدليل على عمق الأبعاد التي أسس الإسرائيليون عليها نظريتهم في الخلط المتعمد بين المفاهيم التي خدمت رؤيتهم الاستراتيجية في تمييع هذه المفاهيم وجعلها دون أية ضوابط.

«كان الأسلوب المستخدم والمتبع هو أسلوب الترهيب والتخويف، والمثل الصارخ على ذلك هو

(٢٦) منتصر سعيد حمودة، مرجع سابق، ص ١٠٩.
Cobban Alfred, National self Determination London 1944, p.

(٢٧) فقد قامت «إسرائيل» بعمليات عسكرية ضد لبنان سنوات ١٩٦٨، ١٩٨٢، ١٩٨٦، وضد تونس سنة ١٩٨٥ عندما قصفت مقر منظمة التحرير الفلسطينية، كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بعمليات عسكرية ضد نيكاراغوا وليبيا وإيران. إسماعيل الغزال، الإرهاب والقانون الدولي، ط(١)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠، ص ٦١؛ مهيوب يزيد، مشكلة المعيارية في تعريف الإرهاب الدولي، ط(١)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١١، ص ١٤٨.

مجزرة دير ياسين، ففي التاسع من إبريل (١٩٤٨م)، قتل أهالي هذه القرية البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة (الرجال والنساء والأطفال والشيوخ) على أيدي قوات الأرجون التي كان يرأسها مناحيم بيجين، ويقول الأخير أنه بدون الانتصار في دير ياسين ما قامت دولة «إسرائيل». فقد قامت الهاجاناه بهجمات مظفرة على جبهات أخرى. من هنا: فقد اعتمد الإرهاب الصهيوني على الترويع الذي مورس من خلال التهجير والقتل.

وفي أعقاب حرب (١٩٦٧م) وقع أمر مماثل لما حصل في عام (١٩٤٨م)، حينما استولت قوات الاحتلال الإسرائيلية على ما تبقى من فلسطين الانتدابية، أي على قطاع غزة والضفة الغربية. بذلك نزح -كرهاً عن الضفة الغربية - ما يزيد عن ثلاثمائة ألف مدني فلسطيني[٢٨].

كان طرد الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم عملية متعمدة ومنظمة، فالصهاينة أيام تصريح بلفور في عام (١٩١٧م)، كانوا لا يملكون سوى ٢,٥٪ من مساحة فلسطين، ولدى صدور قرار تقسيم فلسطين في عام (١٩٤٧م)، ٦,٥ ٪، أما في عام (١٩٨٢م)، فأصبحوا يملكون ٩٣ ٪ من الأراضي[٢٩].

لم يقتصر الإرهاب الصهيوني على فلسطين وحدها، بل كان إرهاباً عابراً للحدود، وصل إلى لبنان وسورية ومصر والأردن؛ فقد سقط في مصر المئات من المدنيين المصريين في السويس وبور توفيق والإسماعيلية، وكذلك الأمر بالنسبة للمدنيين الأردنيين الذين سقط منهم المئات نتيجة للغارات التي شنها جيش الاحتلال الإسرائيلي.

إن الأعمال الإرهابية التي قامت بها «إسرائيل» ضد المدنيين تعد غير قابلة للإحصاء، تضمنت هذه الأعمال قصف المدن والبلدات والقرى والمخيمات على الأرض اللبنانية بزعم ضرب معاقل الإرهابيين، مع العلم بأن معظم الضحايا من المدنيين.

هنا تقف المؤشرات بشكل واضح على حقيقة الموقف الإسرائيلي القاضي بتغليف أي عملية إرهابية يقوم بها جيشها المحتل على أنه حرب ضد الإرهاب، أو ضرب لقواعد المخربين.

وعليه: يُعد ما تقدم جزء لا يتجزأ من خلط مبرمج بين ما يقومون به من ادعاءات الدفاع عن أرض «إسرائيل» ومواطنيها، تلك الأرض التي اغتصبت أصلاً من أولئك المدنيين اللاجئين الذين يشكلون الجزء الأكبر من أصحابها، أو من المتعاطفين معهم من أولئك الذين قد تتعرض أرضهم لخطر الاغتصاب والاحتلال.

إن المسألة ليست مسألة رصد متسلسل للوقائع والأحداث كحقيقة سردية متتالية، فهذا من اختصاص المؤرخين والموثقين، وإنما تتلخص الحاجة في دلالات هذه الحوادث والوقائع في خدمة الوجهة العامة التي يبرز من خلالها مدى الخلط بين ما هو مقاومة ضد الاحتلال وبطشه وقهره، وبين ما هو عنف احتلالي يحاول تسمية الأمور بغير مسمياتها، في حركة تضليلية مراوغة باتت شبه مكشوفة لقطاعات سياسية وإنسانية واسعة على امتداد العالم[٣٠].

وهنا نسجل بعض الحقائق الواقعية التي تمخضت عن ذلك، مثل:

- إن إسرائيل عملت بشكل كبير على إلباس أعمالها بلباس الدفاع عما تسميه أرضها ومواطنيها، من خلال الحملات الإعلامية الضخمة التي روّجت لذلك في كل وسائل الإعلام الدولية.

- عملت إسرائيل على الخلط الدائم بين الإرهاب والمقاومة من خلال ما ركزت عليه في دعايتها وترويجها الدبلوماسي.

(٢٨) دان ياهف، طهارة السلاح، أخلاق وأسطورة وواقع، ص ٨٩.
(٢٩) روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص ١٦٠.
(٣٠) جارودي، المرجع السابق، ص ٨٢.

- تميزت الدبلوماسية الصهيونية في تشويه نضال الشعب الفلسطيني من أجل استقلاله وطرد الغرباء من فلسطين، بوصف هذا النضال بالمحدودية والوحشية والإجرام. فقد قال بن غوريون عن ثورة عام (١٩٣٦م)، «إنها لم تكن انتفاضة، ولم يشارك الشعب الفلسطيني كله فيها. فهذا الشعب يفتقر إلى الإدارة والقوة لأن يثور، أقلية ضئيلة تحارب حتى الموت وتستخدم في قتالها أي وسيلة وترتكب أبشع الجرائم»[٣١].

ونؤكد على أن «إسرائيل» قد قامت في وقت مبكر جداً بالخلط المفاهيمي بين الإرهاب والمقاومة، وعلى الصعيد الرسمي ورد في إعلان قيام دولة «إسرائيل» في ١٤ مايو (١٩٤٨م)، ما نصه: «ساهمت الجالية اليهودية في هذه البلاد خلال الحرب العالمية الثانية بقسطها الكامل في الكفاح، من أجل حرية وسلام الأمم المحبة للحرية والسلام وضد قوى الشر والباطل والنازية، ونالت بدماء جنودها ومجهودها في الحرب حقها في الاعتبار ضمن مصاف الشعوب التي أسست الأمم المتحدة»[٣٢].

بذلك؛ اعتبر الخطاب الرسمي الإسرائيلي أن المساهمة بتدمير الشعوب واحتلال أراضيها، إنما هو كفاح من أجل الحرية ونشر السلام.

ويأتي المجهود الإسرائيلي المبرمج في هذا السياق، عبر لغة مشوهة حولت الإرهاب الاحتلالي إلى مساهمة في بناء الحرية ودعم الشعوب المحبة للسلام. هذا على الرغم من المذابح والمجازر التي يطول ذكرها وشرح ظروفها، مما قامت به عصابات وقوات الاحتلال الإسرائيلي.

يقودنا الغوص العميق في مجموعة ما قام به الإسرائيليون على امتداد التاريخ الطويل، إلى تحديد علامات بارزة تدل على حجم التضليل الإسرائيلي الهادف إلى الخلط بين الإرهاب والمقاومة، من خلال عدد كبير من المجازر والمذابح التي بُرِّرَت دائماً على أنها دفاع عن النفس، على الرغم من أن المعادلة بكافة تفاصيلها كانت مقلوبة بشكل كبير[٣٣].

كانت «إسرائيل» تقوم بهجماتها على الشعب الذي اغتصبت أرضه وشرّدته وقتلت أبناءه بدعاوى مختلفة، يقف على رأسها القتال في سبيل الحفاظ على أمن الدولة، والدفاع عن أبنائها. جاء ذلك في مقابل وصف المشردين الذين يقاتلون في سبيل حرية وطنهم وأبنائه ضد إجرام المحتلين بأنهم إرهابيون أو مخربون، وفي ذلك أساس متطابق مع الأساس الذي قامت عليه الولايات المتحدة التي استندت عبر تاريخها الطويل على نفس الأرضية المشتركة التي تهدف إلى الخلط المفاهيمي ما بين الإرهاب والمقاومة، وفقاً لما يتناسب مع منهجها وتطلعاتها في السيطرة على ما تريد في هذا العالم[٣٤].

من كل ما تقدم: نخلص إلى أن الخلط الإسرائيلي المتعمد على الصعيدين العملي والمفاهيمي بين إرهاب المحتل وكفاح الشعوب امتد عبر مراحل طويلة، بدأت قبل الإعلان عن دولة إسرائيل واستمرت حتى الآن. وهذا الخلط من شأنه التأثير على المقاومة الفلسطينية، وهذا ما سنراه في الفرع التالي.

(٣١) طلال أبو عفيفة، الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية ١٨٩٧-١٩٩٧، ط(١)، ١٩٩٨، ص ١١٩.
(٣٢) المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٣٣) ولقد استندت «إسرائيل» في العمليات العسكرية التي قامت بها إلى عدة حجج أهمها: حجة الدفاع المشروع والدفاع الاستباقي (الوقائي)، وأيضاً إلى فكرة الانتقام أو الثأر.
محمد عزيز شكري، الإرهاب الدولي-دراسة قانونية ناقدة، ط(١)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢، ص١١٢؛ مهيوب يزيد، مرجع سابق، ص ١٤٨.
(34) Benjamin Netanyahu, ed, Terrorism: How the west can win (New York: Farrar, Straus PP. 11-13) & James, The financing of terror (New York: Simon and Schuster, 1986) pp.83: 92. Benjamin Netanyahu, ed, Terrorism: How the west can win (New York: Farrar, Straus PP. 11-13) & James, The finanancing of terror(New York: Simon and Schuster, 1986) pp.83: 92.

الفرع الثاني

آثـــار الخلط بين المقـــاومة والإرهـــاب على المقاومة الفلسطينية

أثار الخلط بين الإرهاب والمقاومة عدداً من الأمور التي ألقت بظلالها التأثيرية على المقاومة الفلسطينية. فقد عملت إسرائيل على تشويه المقاومة وتحويل التعاطي معها ومع مفاهيمها إلى عنف لا مشروع، وقولبة الإرهاب إلى دفاع مدعوم بعنف مشروع. ونرى أن التحالف العضوي الذي جمع بين كل من الولايات المتحدة و«إسرائيل» جعلهما يتبادلان نفس الخطوات التي تظهر وحدة الموقف وتآلف الهدف. ويبدو للمتابع أو المراقب بأن الوحدة العضوية قد امتدت ليتم تفعيلها وتمتين أواصرها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، جاءت هذه الأحداث لتقلب الأمور رأساً على عقب. فقد اعتبرت -على الرغم من إيلامها للقوة الأكبر على مستوى العالم- وكأنها عصر جديد متغير نحو استراتيجيات وعناوين تقودها وترسخ أساساتها، تلك المفاهيم الجديدة التي بلورتها الولايات المتحدة في قلب واضح لكل معادلات القوة الدولية. بما أن الضربة جاءت قوية وغير مسبوقة، وعلى غير العادة. فقد صممت الولايات المتحدة على استغلالها بطريقة إخضاعية للعالم، ولكن وفق مقاييسها الخاصة التي طالما استخدمتها للسيطرة على المناطق التي لم تكن قد امتدت إليها السيطرة الأمريكية بشكل كامل على وجه الأرض. وبالتأكيد فإن الأولويات التي كانت ثابتة في الرؤى والتصورات الأمريكية، وضعت المنطقة الشرق أوسطية في حسبانها الذي لا يفارق خيالها السياسي ونفوذها العسكري، والمتمثل بطبيعة الوجود الإسرائيلي النافذ والحليف للولايات المتحدة الذي يعد أهم الأوراق الاستراتيجية لها على الإطلاق في تلك المنطقة[٣٥].

ويأتي الحديث عن تلك الآثار الدامغة التي وضعت المقاومة الفلسطينية كمفهوم انتفاضي على محك التعريف الإسرائيلي والدولي، والذي جاء تفسيره من خلال السلوك العسكري لجيش الاحتلال الإسرائيلي. ذلك ما ينقلنا إلى تشخيص الهجمة الإسرائيلية التي دفعت بكل ثقلها للإضرار بصورة المقاومة الفلسطينية، وبأهلية القيادة السياسية للشعب الفلسطيني من باب ضرب معاقل المقاومة تحت ساتر محاربة الإرهاب، وبشراكة ومباركة أمريكية صدرت على لسان العديد من المسئولين في الإدارة الأمريكية. هذا أتاح لجيش الاحتلال الإسرائيلي وحكومته، التحرك بحرية واسعة وعنيفة على كافة المستويات. فقد سبق أن صدر على لسان موشيه يعلون رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي في مؤتمر هرتزيليا المنعقد في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢ ما فحواه، بأن الرد الأمريكي على هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، جعل إسرائيل تتحرك بحرية في مكافحة النشطاء الفلسطينيين خلال الانتفاضة، حيث إن هذه الهجمات جعلت الولايات المتحدة أكثر تفهماً لسياسة القتل المستهدف – الاغتيال- الإسرائيلي، فهناك شعوراً في «إسرائيل» والولايات المتحدة بأننا نكافح الإرهاب معاً. وكانت «إسرائيل» قد استفادت من هجمات ١١ سبتمبر، عندما صرح رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون بأن «عرفات هو بن لادن فلسطين الخاص»[٣٦].

وصلت ذروة الآثار السلبية التي انعكست على المقاومة الفلسطينية وصورتها، حينما أعلن الرئيس الأمريكي بوش الابن في شهر يونيو ٢٠٠٢ طلبه من الفلسطينيين تقديم قيادة بديلة لعرفات لا يشينها الإرهاب.

هذا بالإضافة إلى التعليقات والتصريحات التي جاءت مراراً على لسان موشي يعلون، عندما قال مثلاً في مؤتمر هرتزيليا الآنف الذكر، بأن الفكرة أنه يتعين عليك أن تضرب الإرهابيين قبل أن يتحركوا، مانحاً جيشه أبعاداً أكثر سعة في التحرك ضد المقاومة الفلسطينية التي عدّها الإسرائيليون إرهاباً

(٣٥) نهاد عبد الإله عبد الحميد خنفر، التمييز بين الإرهاب والمقاومة وأثر ذلك على المقاومة الفلسطينية بين عامي ٢٠٠١-٢٠٠٤، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، ٢٠٠٥، ص ١٠٢.

(٣٦) صحيفة القدس الفلسطينية، ٢٠٠٢/٩/١٢، ص ١ و٢٢.

يجب القضاء عليه في مهده، وقبل أن تتحرك عناصره، وذلك تعاطياً مع الموقف الأمريكي الذي قلّص الانتقادات للجيش الإسرائيلي على عملياته التي تمس وتدمر كل ما هو فلسطيني[٣٧].

جاء شارون ليؤكد على ذلك من خلال تصريحه المنقول في جريدة القدس بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢، والذي شبّه فيه هجمات الحادي عشر من سبتمبر التي نفذت في نيويورك.

من هنا: نجد بأن مجمل المحاولات الإسرائيلية للخلط بين الإرهاب والمقاومة، ومحو الخطوط الفاصلة بينهما قد أضر بصورة المقاومة الفلسطينية، ودفعها إلى دوائر النقاش والجدل الداخلي حول جدوى استمرار العمل العسكري من خلال الانتفاضة، أو حتى عدم جدوى الانتفاضة نفسها، لذا: فإن التدقيق في هذا الجانب جعل من المقاومة الفلسطينية عرضة للاستنكار والنكران والمهاجمة التي ركنتها في زاوية الإرهاب.

الخاتمة

بعد عرضنا التفصيلي لمختلف معطيات بحثنا الذي مكننا من الإجابة على التساؤل الرئيس الذي طرحناه في إشكالية البحث، خلصنا إلى أهم نتائج البحث، وأهم توصياته على النحو التالي:

أولاً: النتائج

١- إن الإرهاب ظاهرة لازمت البشر منذ العصور القديمة، غير أنه في هذه الآونة أكثر تنظيماً وأشد خطورة على حياة الإنسان في كل مكان في العالم.

٢- الإرهاب الإسرائيلي اتخذ ويتخذ عدة أشكال منها: الابتزاز، المجازر، خطف الطائرات، الاغتيالات، والتجسس. ولكن هذه الأعمال لم توجه ضد الإنسان العربي فحسب، بل طالت أيضاً العديد من الدول.

٣- شكل جدار الفصل العنصري الذي شرعت قوات الاحتلال الإسرائيلي في إنشائه على حساب مساحات شاسعة من أراض الضفة الغربية، بغية ضمها إلى «الخط الأخضر» خطورة كبيرة من النواحي الإنسانية والاقتصادية والسياسية على أبناء الشعب الفلسطيني، وممتلكاتهم في ظل سعي قوات الاحتلال لفرض أمر واقع جديد على الأرض.

٤- الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة غايته كسر المقاومة ووصفها بالإرهاب.

٥- أفعال العنف المستخدم في جرائم الإرهاب الدولي تختلف تماماً عن هذه الافعال المستخدمة في الكفاح المسلح من أجل الحصول على تقرير المصير، وبذلك: فإن أفعال الفلسطينيين ضد الجيش الإسرائيلي والمستوطنات، والمصالح المادية لدولة «إسرائيل» تعد مشروعة ومباحة قانوناً حسب أحكام القانون الدولي العام، وقرارات الأمم المتحدة حتى ولو قالت الولايات المتحدة -راعية عملية السلام بين الفلسطينيين و«إسرائيل»- أن كفاح الفلسطينيين ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي إرهاب، وأن عملية القمع الإسرائيلية ضد الأبرياء من شعب فلسطين الأعزل دفاع شرعي عن النفس!!.

ثانياً: التوصيات

١- عقد مؤتمر دولي تحضره كافة دول العالم تحت مظلة الأمم المتحدة لتعريف الإرهاب، والاتفاق على مفهوم واحد له بين كل دول العالم بحيث يخرجه ويبعده عن كافة أشكال العنف الأخرى. وذلك عن طريق اتفاقية شارعة ملزمة لكافة الدول.

٢- دعوى السلطة الفلسطينية بضرورة التقدم بطلب لمحكمة الجنايات الدولية لمحاكمة «إسرائيل» عن جرائمها الإرهابية بحق الفلسطينيين.

٣- القيام بدراسات عن طريق مراكز بحثية متخصصة لمعرفة أسباب وجذور الإرهاب في المناطق التي ينتشر فيها الإرهاب في العالم، والعمل على الحل السلمي لهذه الأسباب، لأن هناك العديد من الأسباب والدوافع لارتكاب جرائم الإرهاب الدولي تكون عادلة وشريفة. وأبرز مثال على ذلك هو القضية الفلسطينية.

٤- على الصعيد الوطني نقترح إنشاء مركز وطني لمكافحة الإرهاب يعمل على حماية فلسطين من خطر الإرهاب الإسرائيلي.

(٣٧) نهاد عبد الإله عبد الحميد خنفر، مرجع سابق، ص ١٠٣.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

- إسماعيل الغزال، الإرهاب والقانون الدولي، ط(١)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠.
- شحادة رجا، قانون المحتل: إسرائيل والضفة الغربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٨.
- طلال أبو عفيفة، الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية ١٨٩٧-١٩٩٧، ط(١)، ١٩٩٨.
- عادل حامد الجادر، أثر قوانين الانتداب في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، د.ت.
- عبد المجيد همو، المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، ط(١)، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، ٢٠٠٣.
- عمر سعد الهويدي، مكافحة جرائم الإرهاب في التشريعات الجزائية دراسة مقارنة، ط(١)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١.
- محمد عزيز شكري، الإرهاب الدولي-دراسة قانونية ناقدة، ط(١)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢.
- منتصر سعيد حمودة، الإرهاب الدولي جوانبه القانونية ووسائل مكافحته في القانون الدولي العام والفقه الاسلامي، ط(١)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٨.
- مهيوب يزيد، مشكلة المعيارية في تعريف الإرهاب الدولي، ط(١)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١١.

ثانياً: المراجع المترجمة

- دان ياهف، طهارة السلاح، أخلاق وأسطورة وواقع. (بقية البيانات)
- رامون أمنون، السياسة الإسرائيلية في القدس الشرقية، مركز القدس للدراسات الإسرائيلية، القدس، ١٩٩٣.
- روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. (بقية البيانات)

ثالثاً: الرسائل العلمية غير المنشورة

- منصور معاضة سعد العمري، الإرهاب الصهيوني في فلسطين، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٣٦٨هـ-١٩٤٨م / ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- نهاد عبد الإله عبد الحميد خنفر، التمييز بين الإرهاب والمقاومة وأثر ذلك على المقاومة الفلسطينية بين عامي ٢٠٠١-٢٠٠٤، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، ٢٠٠٥.

رابعاً: الدوريات والصحف

- صحيفة القدس الفلسطينية، ٢٠٠٢/٩/١٢.
- مركز بتسليم، ترسيم العائق حول القدس الشرقية، نشرة صدرت عن المركز بعد عام من قرار محكمة العدل العليا الإسرائيلية بخصوص الجدار الفاصل في بيت سوريك، ٢٠٠٤/٦/٣٠.
- من هم الإرهابيون؟ حقائق عن الإرهاب الصهيوني والإسرائيلي، ط(١)، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣.
- هاتف محسن الركابي، مفهوم الإرهاب في القانون الدولي والداخلي، كلية القانون والسياسة، الأكاديمية العربية، كوبنهاغن، ٢٠٠٧.

خامساً: المراجع الأجنبية

- Benjamin Netanyahu, ed, Terrorism: How the west can win (New York: Farrar, Straus) & James, The financing of terror (New York: Simon and Schuster, 1986).

سادساً: المواقع الإلكترونية

- تقرير المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان-٢٠٠٧، «سياسة الحصار الشامل وإغلاق المعابر الحدودية وأثرها على حياة السكّان المدنيين في قطاع غزة». المنشور على الموقع الإلكتروني؛ http://pchrgaza.org/ar/?
- «جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام»؛ https://www.palinfo.com/news/2015/12/20
- رياض العيلة؛ جهاد جميل حمد، تأثير الحصار الإسرائيلي على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والنفسي للفلسطينيّين في قطاع غزة، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٧. المنشور على الموقع الإلكتروني؛ http://www.bahethcenter.net/essaydetails.php
- https://nawarshash.wordpress.com/2008/05/10/فلسطين-ستون-عامًا-من-الإرهاب-الصهيوني
- http:// www.Qeocities.com
- http://roayacenter.ps
- http://www.wafainfo.ps/atemplate.asp
- https://ar.wikipedia.org/wiki

دراسة بعنوان

أثر الإرهاب على الأوضاع الاقتصادية في العراق وانعكاساته الاجتماعية... الأسباب والمعالجات

د. عماد جاسم حسن

رئيس قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي ذي قار/العراق

dr.amadgulf@gamil.com

المقدمة

أصبحت ظاهرة الإرهاب وباءً يهدد العالم بأسره وهي من أخطر الظواهر والمشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية في الوقت الحالي ولم يعد يستهدف منطقة معينة أو دولـــة محددة ولا فئة أو شريحة دون أخرى ولا جنس معين بل أصبح الكل مستهدف من قبل الإرهاب، وبسبب ذلك تكون جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية مهددة ومتأثرة بذلك المرض الخطير الذي استشرى في جسد الإنسانية لا سيما للبلد الذي تصيبه تلك الآفة الخطيرة.

وعلى هذا الأساس يحاول بحثنا المعنون (أثر الإرهاب على الأوضاع الاقتصادية في العراق وانعكاساته الاجتماعية...دراسة في الأسباب والمعالجات) التعرف من خلاله على الأسباب التي أدت إلى ظهور الإرهاب في العراق بأنواعه المختلفة كالعقائدي والطائفي والذي يمكن أن يصطلح عليه بالديني، أيضًا العنصري الذي يستخدم تجاه قوميات محددة أو الاقتصادي نتيجة لأسباب عدة يأتي في مقدمتها تبدل النظام السياسي في العراق والآثار التي نجمت عن ذلك. وبغض النظر عن الأسباب التي أدت إلى ظهور الإرهاب في العراق فقد أصبح امرًا واقعًا كان له الأثر الكبير في الجانب الاقتصادي، بل تدهور الاقتصاد العراقي ولم يسلم أي مجال أو نشاط اقتصادي من الإرهاب، فقد ساهم الإرهاب بشكل كبير في توقف ضخ النفط أو تعرض أنابيب نقل النفط في كثير من المرات إلى هجمات إرهابية أدت إلى قطع تصدير النفط لا سيما في الأقسام الشمالية من العراق، فضلاً عن ذلك فقد أثرت العمليات الإرهابية على التجارة، إذ تعرضت بعض الطرق الرابطة بين العراق والدول المجاورة إلى الإغلاق بسبب العمليات الإرهابية لا سيما مع سورية والأردن وبالتالي فقد العراق موارد مهمة جراء ذلك، وأيضًا ساهم الإرهاب في قلة الاستثمارات وعدم دخول الشركات الأجنبية للعراق، إذ إنّ رأس المال يحتاج إلى أوضاع آمنة، بل إن بعض العراقيين قاموا بتوظيف أموالهم خارج العراق، يضاف إلى ذلك أثر الإرهاب على قطاع السياحة التي أصبحت وفق

المفاهيم الاقتصادية الحديثة موردًا مهما بل إن بعض الدول أصبحت تعتمد عليها بشكل رئيس في ناتجها القومي، وفوق ذلك أدت العمليات الإرهابية إلى خسائر مادية جسيمة في البنايات والجسور والسيارات وغيرها من البنى التحتية التي تضررت كثيرًا بفعل العمليات الإرهابية، وكل تلك الأمور ساعدت على تفشي حالة البطالة وبخاصة بعد أن وجهت الدولة جل اهتمامها نحو محاربة الإرهاب حيث وجهت قدراتها المالية نحو التسليح لمواجهة التنظيمات الإرهابية ونتيجة لذلك أصبح الوضع الاقتصادي في العراق سيئًا.

وإلى جانب الآثار الاقتصادية للإرهاب فإن الأوضاع الاجتماعية قد تضررت كثيرًا، حيث تسبب الإرهاب بانتشار حالات الجريمة والسرقة والفساد المالي والإداري وأيضًا شيوع حالة من القلق والخوف وتفكك النسيج الاجتماعي من خلال عمليات الهجرة والتهجير، كذلك تدني مستوى التعليم والصحة، وأيضًا تسبب الإرهاب بكثرة الأرامل والأيتام في العراق ذلك الأمر الذي أصبح يهدد أعدادًا كبيرة بكونهم لم يتوفر لهم العيش الكريم لفقدانهم من كانوا يعملون على إعالتهم، كذلك خلف الإرهاب أمراضًا نفسيةً لدى العديد من الأشخاص ممن تعرضوا أو شاهدوا حالة معينة وبالتالي فإن هؤلاء أصبحوا عرضة لمخاطر كبيرة تهدد حياتهم وربما تمنعهم من الاندماج مع المجتمع.

ووفقًا لما جاء أعلاه يحاول البحث إعطاء مجموعة من الاقتراحات لمعالجة تلك الحالة وتصب تلك المعالجات أساسًا في التوجه نحو دراسة الأسباب التي أدت إلى ظهور الإرهاب ومحاولة وضع الحلول الناجعة لتلك المشكلات التي عانى منها العراق بعد ٢٠٠٣ والتي تتعلق بالمشاركة السياسية من خلال تنظيم قانون انتخابي يضمن للجميع المشاركة وأيضًا تقسيم الثروات بشكل عادل بين أفراد المجتمع وإزالة الفوارق الطبقية بين أفراد المجتمع وكذلك النهوض بالواقع التعليمي الذي هو الأساس في بناء مجتمع متعايش متسامح بعيدًا عن التطرف والتعصب وإزالة الأفكار المتولدة من الفهم الخاطئ للدين وكذلك اعتماد سياسة خارجية متوازنة مع دول العالم على أساس احترام سيادة البلد ووضع مصلحة العراق أولاً دون أي اعتبارات أخرى، فضلاً عن الاهتمام بتطوير علاقات العراق مع الدول العربية.

تعريف الإرهاب

الإرهاب لغة مأخوذ من رهب بالكسر أو يرهب، رهبة، رهبا بمعنى خاف واضطرب[١] أما اصطلاحًا ففي المعجم الوسيط فإن الإرهابيون وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية[٢] والإرهاب في النجد هو من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطة والحكم الإرهابي هو نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف الذي تعمد إليه حكومات أو جماعات ثورية[٣] والإرهاب في الرائد هو رعب تحدثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب والإرهاب هو من يلجأ إلى الإرهاب بالقتل او إلقاء المتفجرات أو التخريب لإقامة سلطة أو تقويض أخرى[٤].

ولا يوجد اتفاق دولي على تعريف الإرهاب وهذا يعود دون شك إلى العامل السياسي والأيدلوجي، ويوجد خلاف كبير في تحديد معناه وتتحكم في ذلك عدة أمور، لكن هنالك تعريف يمكن الاستناد إليه منها أن الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب والجريمة الإرهابية عرفته بأنه (كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيًا كان بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس وترويعهم بإيذائهم أو

تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو التعرض إلى الموارد الوطنية للخطر)[٥].

فضلاً عن ذلك، هناك تعريفات أخرى أشارت إلى معنى الإرهاب منها ((أنه يمثل استراتيجية أو طريقة تحاول عن طريقها جماعة منظمة أو حزب من أجل جلب الانتباه لأهداف أو فرض التنازلات لأغراض من خلال الاستعمال المنظم للعنف))[٦]. كما يعرف الإرهاب أنه أية أعمال عنف أو تخريب يقوم بها أفراد أو جماعات أو منظمات أو دول لتحقيق أهداف سياسية تؤدي إلى إثارة الرعب في نفوس المدنيين وعادة ماتكون ضحايا الإرهاب عشوائية دون أن تكون طرفًا في الصراع أو تمتلك أية فرصة للرد))[٧] وفي الموسوعة السياسية يعني الإرهاب((استخدام العنف أو التهديد به بكافة أشكاله المختلفة كالاغتيال والتسوية والتعذيب والتخريب والنسف بغية تحقيق هدف سياسي معين مثل كسر روح المقاومة وهدم معنويات الأفراد والمؤسسات أو كوسيلة للحصول على معلومات أو مكاسب مادية أو لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية))[٨]. وعلى الرغم من الاختلاف في تقديم تعريف محدد للإرهاب إلا أن التعاريف أعلاه تشير إلى أن أعمال الإرهاب تهدد الاستقرار السياسي والاقتصادي والمجتمعي عن طريق استخدام العنف على وجه غير مشروع لتحقيق أهداف ومكاسب مرسومه.

وفي ضوء ذلك نلاحظ أن الإرهاب يتصف بعدة صفات أو خصائص هي:

١- **العنف الذي هو كل سلوك فعلي أو قولي:** يتضمن استخدامًا أو تهديدًا باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالذات أو الآخرين أو إتلاف الممتلكات لتحقيق أهداف معينة[٩]. وبذلك فإن العنف عامل أساس في عملية الإرهاب بل هو قطب الرحى فيها أو هو السمة الغالبة على الإرهاب كالقتل والتفجير والتدمير، والمقصود بالعنف هو الذي يؤدي إلى إثارة الرعب والذعر من أجل تخفيف مأرب الإرهابين، فالعنف وسيلة وليست غاية كما أن ذلك يشمل العنف بشقيه المادي والمعنوي[١٠].

٢- **الرمزية في الإرهاب:** إن حقيقة العمليات الإرهابية ليست الأهداف التي تقوم بها فحسب بل هي رسالة موجهة إلى من يهمه الأمر من أجل ثنيهم عن اتخاذ قرار أو إجبارهم على اتخاذ قرار معين، فاغتيال الشخصيات الدبلوماسية أو أعضاء حكومة، أو نسف بناء، وغيرهما من الأعمال هي ليست مقصودة بالذات وإنما وسيلة للضغط وعليه كلما كان العمل رمزيًا أكثر كان أثره في بث المخاوف أكبر[١١].

٣- **اتصاف الإرهاب بالسياسة:** إن الإرهابيين غالبًا مايكونوا غير راضين ورافضين لتلك الأنظمة التي تحكم بلدانهم[١٢] ومن ثم يلاحظ أنهم يسوقون مبررات باسم الدين والجهاد للتخلص من تلك الأنظمة أو الضغط عليها للاستجابة لمطالبهم أو أهدافهم.

٤- **التنظيم:** إن الإرهاب أصبح نشاطًا بالغ التعقيد والترتيب، لذا فقد أصبحت لديه قيادة تمتلك القدرة والخبرة على إدارة مثل تلك العمليات، إذ هي بحاجة إلى التخطيط والتمويل والتسليح وإلى الخبرات والمهارات ذات التخصص الدقيق في المجالات العسكرية لا سيما وأن وسائل الحياة وتقدمها في عصرنا الحاضر أصبحت من الصعوبة بمكان خرقها من أجل تحقيق الأهداف التي يتوخاها الإرهابيون لذلك تتطلب خبرات

وتنظيم دقيق حتى يتمكنوا من خلق حالة من الذعر والرعب بين أفراد المجتمع[١٣].

٥-**القهر والإكراه:** المقصود به استعمال العنف أو التهديد باستعماله كأسلوب ووسيلة للضغط على المرهوبين بحيث يكون من الشدة والقوة مالا يمكن مقاومته ومجابهته ومن ثم لايسع الطرف الآخر أمام هذا القهر أو الضغط المتولد من العنف إلا الإذعان والرضوخ والرضا والقبول وتحمل النتائج[١٤].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الإرهاب لم يكن حديث النشأة أو أنه حالة طارئة على المجتمعات الإنسانية بل إن هناك جذورًا تاريخية للإرهاب، إذ إن العنف والإرهاب وجد منذ أن وجدت البشرية إذ كانت الحادثة الأولى التي حصلت مع آدم، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٥]. وهذه إشارة واضحة على أن سفك الدماء يدل على العنف والإرهاب والبطش والقهر.

كذلك أشار القرآن الكريم إلى وجود هذه الظاهرة لدى الأمم السابقة في القدم ومن ذلك قصة النبي إبراهيم عندما ألقي في النار لاشك أن في ذلك العمل كان تنكيلاً بإبراهيم وإرهابًا لغيره[١٦]. كذلك قصة النبي موسى وما فعله فرعون مصر عندما ذبح أبناء المصريين حتى لايبقى طفلاً قد يكون هو الذي ينافسه في حكمه فانتشر الذعر والرعب في المجتمع وأصابهم الهلع من هذه الأفعال كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٧].

الواقع أن هذه الظاهرة التي عانت منها شعوب العالم أجمع لم تأت من فراغ بل جاءت نتيجة لعدة أسباب يأتي في مقدمتها البعد عن شريعة الله سبحانه وتعالى وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[١٨]. إذًا فالبعد عن تطبيق القواعد المتوافقة مع الشريعة الإسلامية في شؤون الحياة كلها سبب للشقاء ومن أنواع الشقاء الإرهاب، كذلك من الأسباب الأخرى للإرهاب هو الاعتماد على مصادر مغايرة للتشريع الإسلامي وأكثرها غير معتبرة مما تسبب في إفساد عقول الكثيرين الذين أخذوا يؤمنون بها[١٩]. أما بالنسبة للعراق فإن هنالك أسبابًا عدة أدت إلى ظهور الإرهاب سوف نبينها بتفاصيلها.

أسباب ظهور الإرهاب في العراق

عانى العراق بعد عام ٢٠٠٣، من ظاهرة خطيرة استشرت في جسد البلاد وهي ظاهرة الإرهاب التي كان لظهورها عدة أسباب تختلف في متبنياتها فبعضها سياسية وأخرى اقتصادية وبعضها فكرية (دينية)، يأتي في مقدمتها الجانب التعليمي والفكري حيث اتسمت مؤسسات التنشئة الاجتماعية المتمثلة بـ (الأسرة، المدرسة، الجامعة، دور العبادة، وسائل الإعلام، الأحزاب السياسية، منظمات المجتمع المدني)[٢٠] اتسمت بالتراجع في أداء أدوارها لا سيما بعد عام ٢٠٠٣ وذلك بسبب الانفتاح الذي حصل في العراق بعد التغيير في النظام السياسي، ولم تعدّ تلك المؤسسات قادرة على استيعاب المتغيرات الجديدة في الفكر والسلوك وبخاصة دخول عادات وأفكار جديدة لم يألفها المجتمع العراقي سابقًا مثال ذلك تطور وسائل الاتصال، أيضًا فسح الحرية في التعبير عن الرأي

وظهور عدد كبير من الصحف والمجلات وإفساح المجال أمام الطقوس والشعائر الدينية لجميع الطوائف. كل ذلك ساعد على وجود خلل وارتباك بل ساهم بشكل كبير في استشراء ظاهرة الإرهاب لا سيما بخروج بعض منها عن الأطر الموضوعية الصحيحة لأداء أدوارها، بوصفها منظومة اجتماعية توعوية لتعزيز الوعي الجمعي للمجتمعات، وبما يقوي الأواصر الاجتماعية بين أبناء البلد الواحد وتفعيل عناصر الممانعة الفكرية والثقافية تجاه الأفكار الهدامة الداعية للإرهاب والمروجة له، وتحول بعض وسائل الإعلام وبعض دور العبادة وبعض الأحزاب والتنظيمات السياسية إلى حواضن فكرية داعمة للإرهاب[٢١].

وبذلك فإن الانحراف والقصور الذي اتسم به أداء مؤسسات التنشئة الاجتماعية العراقية قد ولد الشرارة الأولى التي انطلق منها الغلو والتطرف من الجماعات الإرهابية التي تدفقت على العراق من الخارج بعد عام ٢٠٠٣ ووجهت أعمالها الإرهابية نحو شرائح وفئات اجتماعية متعددة لا سيما وأن الفهم الخاطئ للدين خلق صورة من الجهل المركب مما جعل الفرد العراقي عرضة للانحراف الفكري والتطرف في السلوك في ضوء وجود بيئة اجتماعية تميزت بسيادة الولاءات الطائفية والعرقية الضيقة في العراق مما حفز المناخ الملائم لبث السموم الفكرية من الجهات التي تحاول زعزعة الأمن والاستقرار في العراق[٢٢].

ومن جانب آخر، فإن النوازع النفسية هي من الأسباب التي تؤدي إلى الإرهاب، حيث يوجد بعض الأشخاص لديهم ميول إجرامية تجعلهم يستحسنون ارتكاب الجرائم بصفة عامة وجرائم الإرهاب بصفة خاصة، ونتيجة لعوامل نفسية كامنة في داخلهم تدفعهم أحيانًا إلى التجرد من الرحمة والشفقة وتخلف منهم أفرادًا يستمتعون بارتكاب تلك الأعمال والجرائم الإرهابية.[٢٣]

فضلاً عن ذلك، فإن الإخفاق في التعليم يعد واحدً من الأسباب التي تؤدي إلى جنوح الأفراد واكتسابهم بعض الصفات السيئة وقد يكون الإخفاق في الحياة سببًا مباشرًا في خلق نوع من الشعور بالإحباط لدى الفرد يدفعه للقيام بأعمال إرهابية بدافع التخلص من ذلك الشعور[٢٤] لا سيما وأن العراق يعاني من كثرة نسبة الأمية فيه الأمر الذي جعل هؤلاء عرضة للاستغلال من قبل الإرهابين لتجنيدهم إلى صفوفهم.

بالإضافة إلى الأسباب أعلاه، فإن حل الجيش العراقي السابق ووزارة الإعلام وبعض دوائر وشركات التصنيع العسكري أدى إلى فقدان مئات العوائل مصادر معيشتها، علاوة على تراجع فرص العمل المتاحة للعراقيين، كل ذلك مهد الأرضية المناسبة لتزايد استياء العراقيين وسخطهم من النظام السياسي القائم الأمر الذي جعل العديد من أولئك ينساقون وراء الإرهاب هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الظروف التي مر بها العراق والحروب التي خاضها أدت إلى تزايد أعداد الأرامل واليتامى، وأيضًا كان لعمليات التهجير القسري المنظم الداخلي والخارجي وما تبعه من عمليات تغيير ديموغرافي متعمد أدت إلى تفكك الأسر وتمزق النسيج الاجتماعي العراقي تمهيدًا لتحويله إلى واقع متصارع في ضوء تراجع وعرقلة خطط الاستثمار الخاصة بالشركات التابعة للقطاع الخاص والعام في الدول الأجنبية لإعادة إعمار العراق، علاوة على تردد الدول والشركات الأجنبية في المشاركة ببرامج

إعادة إعمار العراق بسبب حالات القتل والاختطاف وأيضًا التفجيرات المستمرة بداعي المقاومة[٢٥] في بعض الأحيان، فانعكس ذلك بشكل سلبي على فرص العمل المتاحة للعراقيين.

ويأتي عدم رضا وقبول بعض التنظيمات والأحزاب بالعملية السياسية الجديدة في العراق والذين عدوا أنفسهم أنهم معارضة للنظام الجديد في العراق متسلحين بدعم ومساندة من بعض الدول التي لم تؤمن بالنهج الديمقراطي الذي حصل في العراق بعد عام ٢٠٠٣.[٢٦]

وكان للعامل الاقتصادي أثره الكبير في تسهيل عملية ظهور الإرهاب، إذ إن عدم وجود توزيع عادل للثروة في العراق إضافة إلى استحواذ مجموعات معينة بفعل وجودها في مؤسسات الدولة أدى إلى وجود طبقتين في العراق إحداهما ثرية والأخرى فقيرة وهذا ماتسبب بوجود فروقات أدت إلى تدني مستوى المعيشة والمسكن والتعليم والصحة. وغيرها من الخدمات الضرورية التي يفترض أن تقدمها الدولة التي تلكأت في تقديمها بسبب استشراء حالات الفساد الإداري وأصبح العراق يأتي في المراتب الأولى من حيث ارتفاع مستويات الفساد فيه[٢٧] وتزامن ذلك الفساد مع تشريع العديد من القوانين والتشريعات البرلمانية التي عالجت الامتيازات المالية والاعتبارية لأعضاء البرلمان العراقي والوزراء وغيرهم من موظفي الدرجات الخاصة وأيضًا الرئاسات الثلاث والمنافع المخصصة لها والتي لاتخضع لضوابط معينة لصرفها مما أرهق الميزانية التشغيلية العراقية على حساب الميزانية الاستثمارية فانعكس ذلك سلبًا على فرص العمل المتوفرة وأدى إلى خلق طبقة مترفة على حساب الطبقة الفقيرة التي تضم أكثر من تسعة ملايين عراقي يعيشون تحت خط الفقر وفقًا لإحصائية وزارة التخطيط العراقية لعام ٢٠٠٧[٢٨] مما أدى إلى أن تتسع دائرة الفجوة بين الفقراء والأغنياء ذلك الأمر الذي ساهم في إيجاد شعور عام بانعدام الشعور بالانتماء الوطني والمسؤولية الوطنية ليستثمر هذا الشعور الإرهابيين المتطرفين فيحسنون لذلك المحبط قدرتهم على تحسين وضعه الاقتصادي مستغلين ارتفاع نسبة البطالة في العراق والتي قدرت بنحو ٣٠٪ من القوة العاملة العراقية طبقًا للإحصاءات الحكومية لعام ٢٠٠٤[٢٩] كل تلك الأمور ساهمت في أن يكون الفرد العراقي وممن لايجدون فرص عمل مناسبة لهم أن يكونوا أهدافًا سهلة لمختلف الاتجاهات المتطرفة دينيًا أو سياسيًا أو عصابات النصب والاحتيال والسطو المسلح[٣٠].

ومن جهة أخرى فإن وجود خلل واضح في توزيع الثروة والمشاركة السياسية لكافة شرائح المجتمع العراقي في القرار السياسي بين العراقيين رتب اختلالاً واضحًا يعد واحدًا من أهم الأزمات التي واجهها النظام السياسي العراقي الجديد لما بعد التغيير فولد قدرًا متعاظمًا من الشعور بالظلم والإجحاف بحقوق شرائح اجتماعية كثيرة من المجتمع، بالإضافة إلى الشرائح التي كانت مستأثرة بكل الموارد المادية والمعنوية في عهد النظام السابق وأصبحت بعد التغيير تشعر بالتهميش أو الدونية من قبل الدولة[٣١] ومن هنا يتحول شعور أولئك بالإقصاء والتهميش دافعًا لممارسة الإرهاب سواء ضد أفراد المجتمع نفسه أو ضد السلطة القائمة كوسيلة لإثبات هذا الطرف لوجوده للطرف الآخر وانتزاع حقوقه منه ولو بالقوة واستخدامها كهدف أساس لانتهاجه طريق ممارسة الإرهاب[٣٢]. وولد ذلك حالة من الغضب والنقمة لدى فئة معينة تجاه فئات أخرى ورد فعل متطرف مصحوب بعمل إرهابي، حيث يحاولون الانتقام بالطريقة التي يروها مناسبة لرد ما يتصورون أنه سلب منهم[٣٣]. ونستنتج من ذلك أن الإرهاب ظاهرة خطيرة في حياة المجتمعات الإنسانية وهو أسلوب متدن للوصول إلى أهدافه فالإرهاب ليس له هوية ولاينتمي إلى بلد وليس له عقيدة إذ أنه يوجد عندما توجد أسبابه مبرراته ودواعيه في كل زمان ومكان وبأي لغة وفي كل حضارة.

أثر الإرهاب على الأوضاع الاقتصادية في العراق

مما لا شك فيه أن الإرهاب يعمل على تدمير الاقتصاد الوطني الذي هو شريان الحياة للمجتمعات ويؤدي إلى انخفاضه، حيث أدت ظاهرة الإرهاب إلى التأثير على اقتصاديات دول العالم كافة دون استثناء، وبما أن العراق تعرض لأشرس هجمة إرهابية وربما تكون أقواها من حيث العدد في العمليات الإرهابية والأضرار التي نتجت عنها فكان لتلك الظاهرة تأثيرها الكبير على الأوضاع الاقتصادية في العراق بمختلف مفاصلها ومجالاتها.

الواقع أن المرتكز الأساس الذي يعتمد عليه الاقتصاد العراقي هو النفط الذي تحتل عائداته المالية أهمية خاصة بالنسبة للوضع المالي في العراق، حيث تشكل العائدات النفطية نسبة كبيرة في تمويل الميزانية العامة للدولة لا سيما وأن الاقتصاد العراقي أحادي الجانب ويعتبر النفط المصدر الرئيس له وبالتالي فإن تحسن أوضاعه وأسعاره يساعد على تحسن الوضع الإقتصادي وفي حالة العكس، أي في حالة تعرضه لأي انتكاسة فإن ذلك يؤثر على اقتصاد البلد.

وعلى هذا الأساس فإن العراق تعرض إلى الهجمات الإرهابية بدءًا من عام ٢٠٠٣ ساهم بشكل كبير في التأثير على القطاع النفطي، حيث شهد العراق وباستمرار عمليات تدمير الأنابيب الناقلة للنفط وعلى سبيل المثال أنها تعرضت في عام ٢٠١٣ إلى ثلاث وخمسون عملية إرهابية وهذه الأعمال بطبيعة الحال تؤثر على تصدير النفط العراقي[٣٤] ومن ثم قلة أو تناقص العوائد المالية الناتجة عن تصدير النفط.

وعندما سيطر تنظيم داعش الإرهابي على بعض المدن العراقية لا سيما في الشمال الغربي من العراق (نينوى، صلاح الدين، الأنبار) عام ٢٠١٤ فإنه استطاع أن يستولي على عدة حقول نفطية منها عين زاله وبطمة الذي تبلغ طاقتهما الإنتاجية ثلاثون ألف برميل يوميًا وحقل القيارة الذي تبلغ إنتاجيته اليومية سبعة آلاف برميل وكذلك حقل الدجيل والحقول الموجودة جنوب تكريت وحقل حمرين الذي يبلغ إنتاجه خمسة آلاف برميل يوميًا وحقل عجيل الذي ينتج خمسة وعشرون ألف برميل[٣٥] فضلاً عن ذلك فقد سيطر التنظيم الإرهابي على مصفى بيجي التي كانت صادراتها تصل إلى ٣٠٠ ألف برميل يوميًا وتلبي نصف حاجة العراق من المشتقات النفطية الأمر الذي اضطر الحكومة القيام باستيراد الوقود من الخارج[٣٦].

إن تلك الأعمال الإرهابية التي ظهرت في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ولا سيما في الأقسام الشمالية والوسطى من العراق أدت إلى تعرض خط الأنابيب الناقل للنفط من العراق إلى ميناء جيهان التركي[٣٧] تعرضه لعمليات تخريبية مما يؤدي إلى انخفاض تصدير النفط من خلال ذلك الأنبوب أو توقفه في بعض الأحيان وعلى سبيل المثال كانت كميات النفط المصدرة خلال عام ٢٠٠٩ قد بلغت ٤٧٠ ألف برميل يوميًا فقد تناقص عام ٢٠١٣ إلى ٢٦٤ ألف برميل ومن ثم توقف نهائيًا في عام ٢٠١٤[٣٨].

بالإضافة إلى ذلك، توقف مصفى بيجي، وأيضًا مصفى صلاح الدين حيث يؤلف مجموع الطاقة الإنتاجية لهما بـ (٣٧٪) من طاقة تكرير النفط في العراق والتي بلغت ٨٣٠ ألف برميل يوميًا حسب تقرير منظمة أوبك عام ٢٠١٤[٣٩].

إلى جانب ذلك فقد ساهم سيطرة التنظيمات الإرهابية على تلك الحقول النفطية باستنزاف الثروة النفطية للعراق من خلال القيام بتهريب تصدير النفط إلى خارج العراق عن طريق عملاء بأسعار رخيصة وهذا ماأشارت إليه صحيفة الغارديان البريطانية[٤٠] بالقول ((أخذ الإرهابيون يقومون بتصدير النفط العراقي وبيعه خارج العراق بأسعار

رخيصة وصلت مابين ١٠-٢٠ دولار للبرميل)) وذكرت وكالة اسوشيدبرس الأمريكية في تقرير لها ((أن تنظيم داعش يجني من بيع النفط العراقي الذي سيطر عليه في العراق وسورية بلغ نحو خمسون مليون دولارًا شهريًا ويحصل التنظيم ما بين ١٠-٢٠ ألف برميل من النفط العراقي))[٤١] كل ذلك ساهم بشكل كبير في أن يتعرض العمود الفقري للاقتصاد العراقي (النفط)إلى ضربة كبيرة أثرت على الحياة الاقتصادية في العراق وساهمت في توقف العديد من المشاريع لا سيما وأن تلك الانتكاسة قد تزامنت مع هبوط أسعار النفط على المستوى العالمي لتكون عاملاً أخر مضافًا إلى ما كان يعانيه العراق من أزمة مالية بسبب الإرهاب وعدم استقرار الوضع الأمني في البلاد.

الواقع أن هنالك ترابط وثيق بين الوضع الأمني (الاستقرار) والنمو الاقتصادي، فكلما كان الوضع الأمني متدهورًا انعكس سلبًا على الاقتصاد ككل بسبب توقف العجلة الاستثمارية للبلد وتدني الثقة بالاقتصاد سواء من قبل المستثمر الوطني أو الأجنبي، وعليه ومع تصاعد العمليات العسكرية ضد التنظيمات الإرهابية نجد انكماش الاقتصاد العراقي بسبب توقف النشاطات الاقتصادية كافة وتوقف العمل الكامل في المحافظات التي شهدت عمليات عسكرية، وفي تقرير أصدره صندوق النقد الدولي في تشرين الأول ٢٠١٤ أكد انكماش الاقتصاد العراقي بنسبة ٢،٧٪ وذلك للمرة الأولى منذ عام ٢٠١٣ وشهد عام ٢٠١٥ مزيدًا من الانخفاض في معدل نمو الاقتصاد العراقي إذ أشر معدل نمو سالب بلغ (-١,٢)حسب إحصاءات صندوق النقد الدولي[٤٢].

وإلى جانب النفط تعد السياحة وفق المفاهيم الاقتصادية الحديثة من المصادر الاقتصادية المهمة لأي بلد، وبما أن العراق من الدول التي تمتلك إرثًا سياحيًا كبيرًا بما يمتلكه من مرافق سياحية مختلفة دينية وأثرية ممكن الاستفادة منها في توفير موارد مالية للبلد لكن تعرض العراق إلى الإرهاب أدى إلى تدهور السياحة فيه، حيث أثر الإرهاب سلبًا على كل المتغيرات السياحية (الطلب والعرض السياحي)وأثرها السلبي على الدخل السياحي والعوائد السياحية والتوظيف وفرص العمل وتنمية الصناعات المرتبطة بالسياحة وفرص الاستثمار السياحي المحلي والأجنبي والتنمية المستدامة[٤٣] وكان الانخفاض الكبير في نسبة مساهمة الدخل السياحي في الدخل القومي للأعوام أكثر سوءًا وتدهورًا أمنيًا ٢٠٠٥-٢٠٠٦ وبلغت ٠,٠٥٪، و٠,٠٧٪على التوالي وكذلك انخفاض نسبة مساهمة السياحة في ميزان المدفوعات لنفس الأعوام بنسبة ٣٪ لعام ٢٠٠٥ وأصبح الميزان السياحي سالبًا بنسبة ٠,٥٤٪ لعام ٢٠٠٦ وتدهور بنسبة أكبر لعام ٢٠٠٧ حيث بلغ -٠,٠٠٤ وكذلك فقدان أكثر من ٤٠٢٩ فرصة عمل للمدة من ٢٠٠٣-٢٠٠٦[٤٤].

ومن الآثار السلبية للإرهاب على الاستثمار الأجنبي أنه يؤدي إلى هروب رؤوس الأموال التي تحتاج إلى ملاذ آمن وأدى ذلك الأمر إلى هبوط في الأسواق المالية والاستثمارية، حيث انسحبت العديد من الشركات نتيجة تعرضها لخطر الإرهاب، فضلا عن تعرض بعض المشاريع والمعامل إلى التفجير والتدمير مما تسبب بتعرض العراق إلى خسائر اقتصادية كبيرة بلغت ذروتها بعد سيطرة تنظيم داعش على مدينة الموصل عام ٢٠١٤، إذ قدرت الحكومة العراقية الخسائر الاقتصادية بخمسة وثلاثين مليار دولار، حيث توقفت جميع الخدمات الاقتصادية في تلك المحافظة وعلقت الشركات أعمالها واستثماراتها وأصبح هنالك آلاف العمال عاطلين عن العمل[٤٥]. ومن جهة أخرى ساهم الإرهاب في العراق إلى تأثر حركة الطيران الدولية

الجوية بل وارتفاع تكاليف النقل والتأمين، إذ قاد الوضع المتوتر في البلاد إلى تجنب شركات الطيران من الهبوط والإقلاع من العراق لا بل إن العديد من تلك الشركات أخذت تتجنب المجال الجوي العراقي في رحلاتها إلى بلدان أخرى يقع العراق في طريقها وذلك لخشيتها من التعرض لخطر الإرهاب لا سيما بعد تعرض بعض المطارات العراقية لهجمات إرهابية، وحتى الطائرات التي استمرت في الهبوط والإقلاع فإن رسوم التأمين قد ترتفع لتزيد كلفة السفر، وهذا بالتأكيد يؤثر على المواطن العراقي وأيضًا يؤثر على اقتصاد البلد الذي أصبح يعاني عزلة دولية[٤٦].

ومما تجدر الإشارة، أن الإرهاب في العراق قد تسبب في تدمير البنى التحتية في البلاد، حيث دمرت عشرات الجسور والبنايات وكانت الخسائر الأكثر التي تعرض لها العراق بعد عام ٢٠١٤ بعد أن سيطر الإرهاب على مايقارب من ٣٥٪ من الأراضي العراقية حيث تكبد الاقتصاد العراقي خسائر جسيمة، إذ تم تدمير ٢١٨ جسر وتدمير ١٤ نفقًا مروريًا ونحو ٣٠٠ كم من شبكة السكك الحديدية إضافة إلى ٨٧٠ مبنى حكومي مابين مبان خدمية وأخرى سيادية أو تنفيذية كمقرات الحكم في المحافظات والمدن ومراكز الشرطة ودوائر البلدية والضريبة وعشرات المباني التابعة للبنوك والمصارف و٥٤٣ مشروعًا صناعيًا مملوكًا للحكومة أو القطاع الخاص، فضلاً عن عشرات آلاف من المنازل والمتاجر والمجمعات السكنية[٤٧] إن ذلك التدمير في البنى التحتية أصبح بحاجة إلى إعادة بنائه وهذا يكلف الحكومة أموالاً طائلة تستنزفها على إعادة الإعمار بدلاً من توجيهها إلى مشاريع واستثمارات جديدة.

وإلى جانب الخسائر والتدمير الذي أصاب البنى التحتية بفعل الإرهاب، فإن عام ٢٠١٤ شهد خسائر كبيرة في المعدات والتجهيزات العسكرية بعد سيطرة تنظيم داعش على محافظة نينوى، إذ قدرت وزارة الدفاع الخسائر التي لحقت بالجيش العراقي بنصف مليار دولار وفقدان المئات من الآليات والدبابات والأسلحة والذخائر وبسبب ذلك ولأجل محاربة الإرهاب فإن التخصيصات المالية أصبحت تذهب للمجهود الحربي مما أثر على بقية المجالات الاقتصادية الأخرى بل وتسبب في ضعف النمو الاقتصادي العراقي حيث أن مايقارب من ٢٥ مليار دولار تم تخصيصها لمواجهة الإرهاب حسب التقارير الحكومية[٤٨]. بالإضافة إلى ذلك أشار تقرير نشره معهد الاقتصاديات والسلام بعنوان (القيمة الاقتصادية للسلام) أن ١٣,٦ تريليون دولار فقدها العالم ليس على التنمية أو تنفيذ مشاريع أو إيجاد فرص العمل بل على الحروب والصراعات التي تعيشها العديد من الدول بخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وبحسب التقرير حل العراق بالمرتبة الثانية بعد سورية، فقد ارتفع معدل الانكماش الاقتصادي الناجم عن الحروب وعدم الاستقرار بالمقابل ارتفع حجم الإنفاق العسكري لما يقارب من نصف حجم اقتصاديات بعض دول المنطقة (٤٩,١٪) بينما بلغ الإنفاق على الأمن الداخلي بين ١٤-٢٣٪ مشيرًا إلى أن الحروب كلفت نحو ٨٤ مليار دولار حتى عام ٢٠١٦ وبذلك فقد تصدر العراق قائمة الدول الأكثر تضررًا بالعالم من الإرهاب على الصعيدين البشري والاقتصادي[٤٩].

وبذلك فقد أدت الحرب التي خاضها العراق مع الإرهاب لا سيما مع تنظيم داعش الإرهابي إلى خلق أزمة كبيرة في البلاد ووضع ضغوط على إنفاق الموازنة العامة وحدوث ركود اقتصادي كبير في القطاعات غير النفطية، كذلك وجود أكثر من ثلاثة ملايين مشرد داخليًا إلى ضغوط هائلة في تقديم

الخدمات العامة التي تعاني من ضعف، كما أن الحرب مع تنظيم داعش تحتاج إلى نفقات كبيرة تصل إلى ١٤ مليار دولار في عام ٢٠١٦ حسب ما أشارت إليه تقارير دولية أي ٨٪ من إجمالي الناتج المحلي و١٨٪ من إجمالي الإنفاق الحكومي، علاوة على ذلك تأثر النشاط الاقتصادي غير النفطي تأثرًا سلبيًا جراء العمليات الإرهابية حيث انكمش بصورة تراكمية بنسبة بلغت ٣٠٪ خلال الأعوام ٢٠١٤-٢٠١٦[٥٠] وفوق ذلك فقد استولى على ٤٣٠ مليون دولار من فرع البنك المركزي بالموصل بالإضافة إلى ملياري دينار من المصارف الخاصة وفروعها[٥١]. أضف إلى ذلك أن تصاعد العمليات الإرهابية وسيطرة تنظيم داعش على مدن عدة من العراق ساهم بشكل كبير في انقطاع التجارة الخارجية للعراق مع عدة بلدان حيث توقفت تجارة العراق عبر المنافذ الحدودية في محافظتي نينوى والأنبار واللتين كانتا يعتمد عليهما العراق في تجارته البرية وبالتالي تسبب ذلك الأمر بقلة المواد المستوردة والاعتماد على منافذ أخرى الأمر الذي أدى إلى ارتفاع في الأسعار.[٥٢]

الانعكاسات الاجتماعية للإرهاب في العراق

لم يكن تأثير الإرهاب على الواقع الاقتصادي فحسب بل كان له أثر سلبي على الواقع الاجتماعي في العالم بأسره حيث تحولت تلك الحالة إلى ظاهرة عالمية تمس وتؤثر في جميع نواحي الحياة لشعوب العالم المختلفة، فالإرهاب لم يعد يخص طرفًا أو شعبًا أو دولة دون أخرى فالكل مهدد بخطر الإرهاب بغض النظر عن أسبابه وإشكاله وأهدافه وحتى طبيعة الجهات التي تقف وراءه، وكان للعراق نصيب كبير من الآثار السلبية التي ألقت بظلالها على الواقع الاجتماعي في البلاد لا سيما وأن العراق من البلدان التي تتميز بالتنوع الاجتماعي ومن ثم فإنه عرضة لاستغلاله من قبل الإرهاب لوجود التناقضات والاختلافات الدينية والمذهبية والقومية وبخاصة بعد عام ٢٠٠٣ وبروزها بشكل كبير.

إن من أبرز الانعكاسات والآثار التي سببها الإرهاب في الجانب الاجتماعي هي عمليات الهجرة أو التهجير القسري الذي أثر حتى على التغير الديمغرافي لبعض المدن، وكان للإرهاب أثر كبير في نزوح وهجرة أعدادٍ كبيرة من السكان من مدنها إلى مناطق أخرى سواء داخل العراق أو خارجه فخلال المدة ٢٠١٣-٢٠١٤ اضطر ما يقارب من مليون مسيحي و١٢٠٠٠ صابئي و٥٠٠٠٠٠ أيزيدي و٣٠٠٠٠٠ من الشبك بالهجرة وترك مدنهم بسبب العمليات الإرهابية، فضلاً عن ذلك فقد بلغ عدد النازحين من مناطقهم إلى مناطق أخرى خلال عام ٢٠١٤ أكثر من مليوني شخص وفق تقارير وإحصائيات المنظمات الدولية والإنسانية ووكالات الأمم المتحدة كمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة ومكتب الأمم المتحدة في العراق يونامي والمفوضية السامية لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة وبلغ قرابة المليون قد نزحوا إلى إقليم كردستان[٥٣] إن هؤلاء المهجرين والنازحين أصبحوا بلا مأوى وبالتالي فإنهم تعرضوا لضغوطات نفسية كبيرة جراء تلك العملية.

الواقع أن الفرد العراقي أخذ يعاني من ضغوطات إضافية لم تتضمنها المقاييس المعدة للضغوط النفسية، ومن تلك الضغوطات الإضافية هو ماتثيره الجماعات المسلحة من تهديد واستفزاز وقتل واستيلاء على الممتلكات والخطف والتعذيب على أساس طائفي أو قومي عند سيطرتها على المدن والقرى أو عند القيام بعمليات انتحارية أو تفجير السيارات المفخخة أو العبوات الناسفة مما

يؤدي إلى الشعور بعدم الأمان نتيجة توقع الفرد بأن حياته وأهله وممتلكاته عرضه للاقتحام في أية لحظة وأنه معرض للقتل والأسر والتعذيب في أي وقت، فضلاً عمّا ترمي إليه المجموعات الإرهابية من بث العزلة بين طوائف ومذاهب المجتمع، فتجعل طائفة ما تشعر بالغبن والانتقاص من بعض حقوقها ولهذا يسخر الفرد كل طاقاته ويوجهها لصيانة كيانه وكيان طائفته متناسيًا دوره الوطني وانتمائه الأول، وخلال سيطرة تنظيم داعش على مساحات واسعة من محافظات العراق الثلاث (نينوى-صلاح الدين –الأنبار)قام بشن حملة تطهير عرقي وتنفيذ إعدامات جماعية وخطف وبيع النساء لا سيما مع الأقليات (المسيحيون –الإيزيديون-التركمان)، وأن تلك الأعمال قد تركت آثار نفسية وجسدية على السكان الذين نجوا من تلك المذابح والذين فقدوا أهلهم وبخاصة النساء والأطفال، إذ لايمكن لهم أن يعيشوا بوضع نفسي متزن بعد أن شاهدوا تلك الجرائم، وبالتالي فإنها تنمي لديهم الحقد والثأر والانتقام مما يتسبب في زعزعة السلم المجتمعي في العراق[٥٤].

ومن الآثار الأخرى التي أحدثتها عمليات الهجرة تأثيرها على التعليم، حيث أدت عمليات التهجير إلى ترك العديد من الطلبة مدارسهم وتعرض العديد من المدارس للتفجير والتدمير وهذا ماتسبب في ارتفاع نسبة الأمية في المجتمع العراقي وانخفاض نسبة المتعلمين حيث بلغت نسبة الأمية ٢٨٪ من إجمالي السكان وبعمر عشر سنوات.[٥٥]

ومما تجدر الإشارة إليه، أن ازدياد الهجمات الإرهابية في العراق عامي ٢٠٠٧-٢٠٠٨ أدى إلى انخفاض أعداد الطلبة في عموم العراق من (٤٣٣٤٦٠٩) ألف طالب خلال العام الدراسي ٢٠٠٣-٢٠٠٤ إلى نحو (٣٧٦٧٣٦٩) طالبًا للعام الدراسي ٢٠٠٤-٢٠٠٥، كما يوجد مايقارب أكثر من مليون طفل هم خارج الدراسة، كما يجابه الأشخاص النازحون في الداخل من صعوبات عدة في إلحاق أطفالهم بسبب تركهم منازلهم دون أخذ وثائقهم[٥٦].

أما التعليم العالي فقد عانت الكليات والجامعات من ضعف الاهتمام وأصبح الأكاديميون والطلاب هدفًا للإرهاب وتعين على الكثير منهم الهجرة إلى خارج العراق[٥٧] فخلال العام الدراسي ٢٠٠٦-٢٠٠٧ نجد أن ٥٠ ٪ من طلبة جامعة بغداد تمكنوا من الالتحاق بشكل منتظم بمقاعد الدراسة بسبب المخاوف الأمنية[٥٨].وبسبب الإرهاب فقد تعرض أكثر من ٣٠٠ مدرس إلى القتل وجرح (١١٥٨) في عام ٢٠٠٦، كذلك اغتيال (١٥٦) أستاذًا جامعيًا خلال المدة ٢٠٠٣-٢٠٠٦ [٥٩].

ومن المخاطر والأضرار التي تعرض لها التعليم بسبب الإرهاب شيوع ظاهرة التسرب من الدراسة، حيث أكد تقرير صادر عن منظمة الأمم المتحدة للأمومة والطفولة في أيلول عام ٢٠١٥ بعنوان (التعليم تحت النار)بأن الصراعات الداخلية في سورية والعراق واليمن وليبيا وجنوب السودان منعت مالا يقل عن ١٣,٤ مليون طفل من تلقي التعليم، وأشار التقرير أن ثلاثة ملايين طفل عراقي متسربين عن التعليم بفعل الإرهاب، والواقع أن الإرهاب ساهم بشكل كبير في عرقلة مسيرة الحركة العلمية وعلى سبيل المثال تسبب في فقدان بعض الطلبة لحياتهم ومنه ما حصل في عام ٢٠٠٨ عندما سقط مالا يقل عن ٧٠٠ طفل بمختلف مراحل التعليم الابتدائي ضحية الإرهاب وإصابة مالا يقل عن ٥٠٠ تلميذ خلال عمليات إرهابية، فضلاً عن ذلك أدى الإرهاب إلى تدمير بعض المنشآت التعليمية كالمدارس والجامعات بل واستخدامها في بعض الأحيان كمواقع تمركز عسكرية لمواجهة الإرهابيين

وأيضًا تخصيص بعض المدارس والجامعات لإقامة النازحين من المناطق المضطربة وغير المستقرة والتي تشهد عمليات عسكرية وهذا ما أدى إلى الضغط على المنشآت التعليمية المتبقية، حيث أشار تقرير لمنظمة اليونيسيف عام ٢٠١٥ إلى تدمير ما لايقل عن (٨٨٥٠) مدرسة ومنشأة تعليمية في سورية والعراق واليمن وليبيا[٦٠].

إن تسرب الأطفال من الدراسة يؤثر على عدة نواحي في المجتمع، فهي تزيد معدلات الأمية والجهل والبطالة وتضعف البنية الاقتصادية للمجتمع وتزيد الاتكالية وطول أمد الإعالة الأسرية والاعتماد على الغير، كما تفرز في المجتمع ظواهر خطيرة كعمالة الأطفال واستغلالهم وظاهرة الزواج المبكر، كما يؤدي إلى زيادة حجم المشكلات الاجتماعية كانحراف الأحداث وانتشار السرقات والاعتداء على ممتلكات الآخرين مما يؤدي إلى ضعف المجتمع وانتشار الفساد فيه[٦١].

وإلى جانب الأساتذة والمدرسين والطلبة الذين أصبحوا مهددين بخطر الإرهاب أيضًا كان للأطباء نصيب من ذلك التهديد والخطر، فبعد ظهور الإرهاب في العراق أصبحت أغلب شرائح المجتمع العراقي مهددة مما اضطرها بالهجرة ولا سيما الشخصيات العلمية والكفاءات، وأكدت دراسة لمنظمة اليونسكو أن العراق من ضمن سبعة بلدان يهاجر منها كل عام عشرة آلاف من المتخصصين كالمهندسين والأطباء والعلماء ونقل تقرير نشره موقع (الخليج أونلاين)، ((إن الإحصائيات تشير إلى أن عدد من هاجروا أو هجروا بفعل الإرهاب بعد عام ٢٠٠٣ بلغ عشرون ألفًا بينما يقارب العدد الكلي للأطباء العراقيين المقيمين في الخارج ثلاثون ألفًا))[٦٢].

إن تصاعد العمليات الإرهابية في البلاد لم ينعكس سلبًا على الطاقات العلمية أو الكفاءات والخبرات التدريسية فحسب بل شمل جميع أفراد المجتمع بكل أطيافه وفئاته فلم يسلم الصغير أو الشاب أو الشيخ الكبير ولا المرأة فالكل كان مستهدفًا من قبل الإرهاب وهذا ماتسبب بأن يكون عدد القتلى العراقيين في تصاعد مستمر حيث ذكرت تقارير أممية (بعثة يونامي في العراق) إن عدد القتلى بسبب الإرهاب في العراق منذ عام ٢٠٠٣ ولغاية عام ٢٠١٦ قد بلغ (٣٥٩٥٤٩) وهذا عدد كبير تسبب في فقدان الكثير من الأفراد لمعيليهم مما أدى بتلك العائلات أن تكون مهددة بخطر التشرد والفقر ورافق زيادة أعداد القتلى أيضًا زيادة أعداد المعاقين من العمليات الإرهابية، حيث بلغ عدد المعاقين حتى عام ٢٠١٥ مايقارب ثلاثة ملايين شخص[٦٣] ونتيجة لذلك بلغ عدد الأرامل في العراق ما يقارب مليون أرملة حسب المعلومات التي كشفتها عضو لجنة المرأة والأسرة والطفولة النيابية في مجلس النواب العراقي النائبة ريزان شيخ دلير، فضلاً عن ذلك فقد أكد الجهاز المركزي للإحصاء لعام ٢٠١٦ أن نسبة الأيتام قد بلغت ٦٠٠ ألف يتيم، علمًا أن تلك الإحصائية لم تشمل محافظتي نينوى والأنبار وبعض مدن صلاح الدين بسبب العمليات العسكرية فيها[٦٤]، وعلى هذا الأساس فإن تلك الأعداد من الأرامل واليتامى أصبحت تعاني حياة معيشية صعبة، إذ أشار تقرير لوزارة حقوق الإنسان أن عدد الأطفال الذين يقومون بالعمل ببيع المناديل الورقية أو الحلويات أو تنظيف السيارات قد بلغ في محافظة بغداد وحدها مئة ألف طفل كما أن بعضهم أصبح متسولاً أو يعملون في مهن لاتتناسب مع أعمارهم، والحقيقة أن وجود هؤلاء الأطفال بهذا الوضع دفعهم إلى ترك مقاعد الدراسة والتسرب منها، إذ إشارت تقارير إلى أن عدد الطلبة المتسربين من الدراسة الابتدائية في محافظة ذي قار بلغ ثمانية آلاف من مجموع ثلاثون ألفًا في المدارس الابتدائية في المحافظة لعام ٢٠٠٧[٦٥].

وفوق ذلك كله تسبب الإرهاب بتدمير عدد كبير من المنازل ومن ثم أصبحت آلاف العوائل تعاني من

فقدانها للمسكن الملائم واضطرارها للإقـامة إما في مخيمات النازحين أو الهروب إلى الدول المجاورة وهذا بطبيعة الحال كانت له آثار نفسية لأولئك الأشخاص الذين فقدوا منازلهم وديارهم[٦٦] وهنا لا بد من القول أن انتشار العمليات الإرهابية وتفاقمها أدى إلى أن تكون الأجواء مشحونة بين أفراد المجتمع الذي أصبح يغلي من سببها وازدياد حالات القتل والخطف وشيوع الجريمة بأشكالها كافة، بل والتفنن في تنفيذها وهذا ناتج بطبيعة الأمر عمّا ترسب لدى المجتمع من سلوكيات ومشاهدات للعمليات الإرهابية التي انتشرت في العراق، حيث ظهرت في السنوات الأخيرة سلوكيات لم يألفها المجتمع العراقي سابقًا منها على سبيل المثال الخطف والقتل والتمثيل بالجثث من خلال قطع الرأس وهذا الأسلوب أصبح مستوردًا من سلوكيات المجاميع الإرهابية التي أخذت تقوم بهكذا عمليات وتقوم بتصويرها وبثها على القنوات الفضائية أو من خلال الإنترنت وبذلك أخذت مظاهر العنف والإرهاب تنتشر بشكل واسع ويكون لها انعكاساتها السلبية على تكوين الطفل النفسي مستقبلاً[٦٧].

ومن الآثار الاجتماعية الأخرى التي أحدثها الإرهاب ارتفاع نسبة الفقر في العراق نتيجة إلى زيادة البطالة، فبسبب النزوح والهجرة والتهجير فقد العديد من الأفراد مصادر عملهم وأصبحوا يعانون من صعوبة في توفير لقمة العيش، وأصبحت هناك أعدادًا كبيرة من السكان تعاني الفقر، حيث ارتفعت نسبة الفقر من ٩٪ قبل عام ٢٠١٤ إلى ٣٠ ٪ بعد سيطرة تنظيم داعش على بعض المدن العراقية[٦٨].

المعالجات: وفي ختام البحث نود أن نقدم بعض المقترحات والحلول لمعالجة المشاكل الناجمة عن الإرهاب في العراق وهي:

(١) على مراجع الأمة الإسلامية بكل توجهاتها وأطيافها أن تعلن عن تحريم القتل والعدوان، إذ إن الإسلام حرم قتل الأبرياء من الناس سواء كانوا مسلمين أم من غيرهم وهذا امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ وكذلك فرض عقوبات صارمة ضد كل من يعتدي على الناس بالقتل أو العدوان أو السرقة أو الغصب أو النصب وذلك من أجل فرض الأمن والأمان وضمان حقوق الناس من الاعتداء والتجاوز والدعوة لتطبيق العدل وهذا ماأشار إليه القرآن الكريم بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

(٢) من أبرز الحلول والمقترحات الخاصة بمعالجة المشاكل الاقتصادية، المساواة بين طبقات المجتمع كافة، ومعالجة ظاهرتي التخلف والبطالة اللتين تعدان من مخلفات الحرمان الاقتصادي المزمن وتداعيات القهر الاجتماعي المتواصل وإعادة توزيع الثروة وموارد التنمية وتلبية مختلف الحاجات الأساسية للفرد وعلى نحو متوازن تجعله يمتلك القدرة على العطاء والبناء والابتعاد عن السلوك والأعمال العدوانية الملازمة لظاهرة الإرهاب، وبالشكل الذي يخلق حالة من الثقة المتبادلة بين المواطن والدولة من جهة والمواطن وأفراد المجتمع المحيطين به من جهة أخرى، وبناء قاعدة اقتصادية متطورة، ومكافحة عمليات الفساد الإداري والرشوة في جميع مرافق وإدارات الدولة تؤمن الحاجات الأساسية الضرورية للمواطنين.

(٣) توفير مجال واسع من الحرية والتعبير عن الرأي لفئات مختلفة من الشباب تجنبًا لحالة التهميش وفتح مراكز تدريب وتأهيل خاصة بالشباب تنمي قدراتهم وتعزز مواهبهم، وإعادة تأهيل قطاع الاتصالات والمعلومات في جميع مفاصل الدولة

لكي يتسنى لطبقات واسعة من المجتمع الاطلاع على المستجدات العلمية والتقنية وكسر حالة الكبت والجمود لديهم.

(٤) الأسرة أساس المجتمع ويجب على الدولة أن تحافظ عليها وعلى كيانها وقيمها الدينية والأخلاقية والوطنية من خلال ما وضع من تشريعات في الدستور العراقي الذي أكد في المادة ٢٤ على أن تتحمل الدولة المسؤولية الكاملة عن توفير الحماية للمواطن من خلال الضمانات التشريعية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا للأسف الشديد غير موجود اليوم بحكم الصراع الداخلي وحالة عدم الاستقرار الأمر الذي أعطى للإرهاب أن يستغل تلك الثغرات ويعمل على استقطاب من يشعرون بأنهم محرومون.

(٥) تبني استراتيجية نموذجية لمواجهة أزمة الإرهاب وتداعياته من خلال تبادل المعلومات وتوفير نظم معلومات متطورة والاستفادة من التقنيات الحديثة لاستباق العمليات الإرهابية ووأدها قبل حدوثها وأيضًا التخطيط الممنهج في الاستجابة للحالات الطارئة والمتوقعة وأيضًا العمل على سن القوانيين الرادعة لمرتكبي العمليات والجرائم الإرهابية.

(٦) فتح جميع قنوات الاتصال الجماهيري (تلفاز، صحف، محاضرات عامة، دروس في المساجد والمؤسسات الفكرية والثقافية من أجل نشر أفكار التسامح والتعايش السلمي بين أبناء البلد الواحد بغض النظر عن العنصر واللون والجنس والطائفة والدين وكذلك العمل على نشر الفكر الإسلامي الصحيح والمعتدل وتضييق الخناق على الفكر الديني الذي يتبنى التطرف والتكفير للآخر واعتماد مبدأ الحوار واحترام الآخر.

(٧) معالجة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعد دافعًا قويًا للعنف والإرهاب وهي(الفقر، البطالة، الأمراض، تدهور الخدمات، المشاركة السياسية) كلها أمور تجعل المحرومين بيئة صالحة للإرهاب.

(٨) إعادة النظر الجذرية بالمناهج الدراسية من رياض الأطفال إلى الجامعات من أجل توعية الطفل والشاب بأهمية الوطن والمواطنة وأهمية التعايش السلمي والمشاركة الإنسانية ومعرفة الحقوق والواجبات والانتماء الحقيقي من أجل استقرار البلد وأن يكون الولاء للوطن وليس للطائفة أو العنصر والقومية.

(٩) مراقبة ومنع وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمطبوعة وشبكات الإنترنت من دعم المنظمات الإرهابية وتهيئة الوسائل اللازمة للرد عليها من خلال تجنيد الأدوات القادرة على التعامل مع تلك الأفكار.

(١٠) عقد المؤتمرات والندوات ولا سيما الدولية للاتفاق على آلية عمل مشتركة للوقاية ومكافحة الإرهاب وما هي سبل تفعيل الإجراءات لمواجهته وكذلك التعريف بمخاطر الإرهاب وأبعاده وآثاره المتنوعة على الأمن المجتمعي مع أعداد النشرات والمطبوعات اللازمة لذلك.

(١١) وضع برامج حكومية ومشاريع وطنية لتحقيق العدالة من خلال استراتيجية طويلة الأمد لمعالجة الأوضاع السيئة وظروف القهر والعوز التي يعاني منها النازحون والمهجرون بسبب الإرهاب وتقديم الرعاية والدعم لهم لإعادة تأهيلهم واندماجهم بالمجتمع وتقديم المنح والمساعدات وتسهيل طرق تقديمها بعيدًا عن الإجراءات المعقدة وتأمين عودتهم إلى مناطق مساكنهم وديارهم وحمايتهم من أي تهديد أو ابتزاز من الآخرين.

(١٢) إن التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية الحادة والمتسارعة، التي

يشهدها العالم حاليًا، وما تتركه من تأثيرات إيجابية وسلبية على ظواهر الأمن والاستقرار على الصعيد العالمي والمحلي، تتطلب بلورة رؤى وأفكار أمنية جدية، تكون أكثر قدرة على الاستجابة للتحديات الأمنية المثارة حاليًا وخلال المستقبل المنظور، وقد أصبح من المؤكد، أن قدرة الدول على المواجهة الفردية لتلك المشكلات محدودة تتناقص يومًا بعد يوم. وهو ما يحتم التعاون الإقليمي والدولي في مختلف المجالات الأمنية. ومن المهم في هذا السياق التركيز على تفعيل آليات وأساليب هذا التعاون، وبخاصة فيما يتعلق بتبادل الخبرات والمعلومات وتنسيق البرامج والسياسات، ومن المهم إدراك أنّ شكل الصراع الذي يأخذ طابعًا طائفيًا أو عقائديًا، إنما المسبب الرئيس له هو سوء تدبير سياسي اقتصادي واجتماعي، وهو مالم تأخذه الحكومة العراقية بعين الاعتبار، بل إنها بدت عاجزة عن تفكيك وعي الانتقام في ظل تصاعد الإحساس بالكراهية والتنافر داخل أبناء الوطن الواحد، وانحسار رأس المال الاجتماعي، فضلاً عن انعدام التنمية جعل العقد الاجتماعي مهترئًا، وهذا كله يتطلب شجاعة الاعتراف، وتدارك الأمر، تجاوزًا لإشكالات خطرة.

هوامش البحث

(١) محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٧، ص١١٨.
(٢) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ط٤، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٢، ص٣٧٦.
(٣) المنجد في اللغة، دار الشروق، بيروت، ط٢، ١٩٨٦، ص٢٨٢.
(٤) مسعود حيران، الرائد معجم لغوي عصري، دار الملاين للعلم، بيروت، ط١، ١٩٦٧، ص٨٨.
(٥) صبحي سلوم، الإرهاب أسبابه ودوافعه، المؤتمر العربي الأول للمسؤولين على مكافحة الإرهاب، جامعة الدول العربية، تونس، ١٩٩٨، ص٤.
(٦) هيفاء أحمد محمد، ظاهرة العنف السياسي في الوطن العربي، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص٨.
(٧) عبد الغني سلامة، كيف يصنعون الظلام الطائفية التكفير الإرهاب فكر وممارسة قوى الإسلام السياسي، على الموقع www.alkotob.com. ص١٥٨.
(٨) عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسة، ج١، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٤.
(٩) حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٢، ص٤٥.
(١٠) هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٤٨.
(١١) عبد الرحمن بكر ياسين، الإرهاب باستخدام المتفجرات، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٩٩٢، ص٢٧.
(١٢) سيمون سيرفاني، وسائل الإعلام والسياسة، ترجمة محمد مصطفى غنيم، الجمعية المصرية العامة للنشر والثقافة، القاهرة، د.ت، ص١٣١.
(١٣) هيثم عبد السلام، المصدر السابق، ص٥١.
(١٤) المصدر نفسه، ص٥٢.
(١٥) سورة البقرة، آية ٣٠.
(١٦) هيثم عبد السلام، المصدر السابق، ص٦٦.
(١٧) سورة القصص، آيه ٤.
(١٨) سورة طه، آية١٢٤.
(١٩) صالح بن غانم، أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، ص٦، على الموقع www.alkotob.com Accssedin 22/8/2017.
(٢٠) حمد صالح العساف، المدخل إلى البحوث في العلوم السلوكية، الرياض، العبيكان للطباعة والنشر، ١٩٩٥، ص٢٢.
(٢١) دنيا جواد، الإرهاب في العراق دراسة في الأسباب الحقيقية، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد٤٣، ص١٣٢.
(٢٢) هيفاء أحمد، ظاهرة العنف السياسي في الوطن العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص٣-٥.
(٢٣) المصدر نفسه، ص٤.
(٢٤) سعد الدين إبراهيم وآخرون، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، عمان، منتدى الفكر العربي، ١٩٨٨، ص٣٤٣-٣٤٤.
(٢٥) سامية عزيز محمد خسرو، ظاهرة الإرهاب وتأثيرها على الدول الأخرى، صحيفة الاتحاد، بغداد، العدد ٣٢٢٣ في ٢٠٠٥/٢/١٢.
(٢٦) دهام محمد العزاوي، الاحتلال الأمريكي وأبعاد الموقف الإقليمي في العراق، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، على الموقع www: //http:Iraqi center strategy students.org.16l /12/2010
(٢٧) هبة الله أحمد خميس، الإرهاب الدولي، منشورات الجامعة الإسكندرية، ٢٠١٠، ص٦٤.

(٢٨) مجموعة باحثين، إحصائية عن ارتفاع مستويات البطالة والفقر في العراق، بغداد، وزارة التخطيط، ٢٠٠٧، ص٣٢.
(٢٩) صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي، ٢٠٠٤، أبو ظبي، ص٤٣.
(٣٠) فارس كريم، البطالة وسبل معالجتها في العراق، لندن، جريدة الزمان، العدد ٢١٠٧ في ٢٠٠٥/٥/١
(٣١) دنيا جواد، المصدر السابق، ص١٣٧.
(٣٢) المصدر نفسه، ص١٦٧.
(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٣٧.
(٣٤) السومرية على الموقع، http://www.alsumaria.tv.news/9888 Accessed-in 8/9/2017
(٣٥) هيثم كريم صيوان، تقييم الكلف الاقتصادية لتنظيم داعش، مركز المستقبل للدراسات الستراتيجية، على الموقع .http://www mcsr.net/news123 Accssed in 8/9/2017
(٣٦) شذى خليل، تداعيات الإرهاب على الاقتصاد العراقي، مركز روابط للدراسات الاستراتيجية والسياسية على الموقع -http://web cache.googel.user.Accssed in 6/9/2017
(٣٧) هاشم كوجرآثار الإرهاب على الاقتصاد، الحوار المتمدن، العدد ٢٨٦٤، ٢٠٠٩
(٣٨) علي ميرزا، آثار اقتصادية لوضع جيوسياسي متغير في العراق، شبكة الاقتصاديين العراقيين، ٢٠١٥، ص٣.
(٣٩) المصدر نفسه، ص٤.
(٤٠) شذى خليل، المصدر السابق.
(٤١) السومرية نيوز على الموقع http://sumera.news/ar/news/3985 Accssed in8/9/2017
(٤٢) هيثم كريم صيوان، المصدر السابق، ص٤.
(٤٣) إلهام خضير شبر، أزمة الإرهاب ومستقبل السياحة الأسباب الآثار سبل المواجهة، بغداد ٢٠١٦، ص٣
(٤٤) ماجد حميد ناصر العوادي، تحليل الآثار الاقتصادية للتنمية السياحية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠١١، ص١٠٨.
(٤٥) هيثم كريم صيوان، المصدر السابق، ص٥.
(٤٦) مصباح كمال، آثار داعش على قطاع التأمين العراقي، على الموقع http://iraqieconomists.net/ar/2014/10/20 Accssed in 8/9/2017
(٤٧) مجلة العربي الجديد، بغداد، على الموقع http://www.alaraby.co.uk/economy/2015/4/29
(٤٨) شذى خليل، المصدر السابق.
(٤٩) المصدر نفسه.
(٥٠) البنك الدولي للإنشاء والتعمير، وثيقة برنامج لقرض مقترح لجمهورية العراق، تقرير رقم ١٠٨٧١٤، ٢٠١٦، ص٤.
(٥١) مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، على الموقع http://kitabat.com/cultural Accssed in 3/9/2017 /
(٥٢) المعوقات في تجارة العراق الخارجية http://www.ar.uk.irq
(٥٣) التهجير القسري في الأدب السياسي العراقي الراهن، صحيفة الحقيقية، على الموقع .www.factiniraq.com/mod php?mod=articies2678 Accssed in 4/9/2017
(٥٤) حمد جاسم محمد، الآثار النفسية للتهجير القسري في العراق، شبكة النبأ، الموقع -http://annabaa.orq/arabic/psychol ogy/2623 Accssed in 10/9/2017
(٥٥) جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، خطة التنمية الوطنية للأعوام ٢٠١٠-٢٠١٤، بغداد، ٢٠٠٩.
(٥٦) جمهورية العراق ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة، استراتيجية اليونسكو لدعم التعليم الوطني في العراق ٢٠١٠-٢٠١٤، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢٧.
(٥٧) المصدر نفسه، ص١٠.
(٥٨) المصدر نفسه، ص٣٠.
(٥٩) التعليم في العراق بين الماضي والحاضر http://www.ir.fad.orq/ar Accssed in 10/9/2017
(٦٠) أثر الحروب على العملية التعليمية في البلاد العربية، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، -http://www.alsouria.net/con tent/2015 Accssed in 8/9/2017
(٦١) ملف حقوق الطفل واستمرار انتهاكها في العراق الجديد، الحوار المتمدن، العدد ٤٦٢٤ في ٢٠١٤/٤/١١.
(٦٢) الحزب الشيوعي، http://www.iraqicp.com/index.php/sections/object/23356 Accsed in 9/9/2017
(٦٣) جمهورية العراق، وزارة التخطيط، تقرير بعثة يونامي لعام ٢٠١٦، على الموقع /http://www.rudaw.net/arabic/middleeast iraq/29072016 Accssed in 10/9/2017
(٦٤) العرب اليوم، http://www.arabstoday. net/219/05/233 Accssed in 6/9/2017
(٦٥) الحوار المتمدن، العدد ٤٦٢٤ في ٢٠١٤/٤/١١.
(٦٦) أثر الحروب على الحياة الاجتماعية، http://www.alghad.com/articles/911915 Accssed in 2/9/2017
(٦٧) الحوار المتمدن، العدد ٤٦٢٤ في ٢٠١٤/٤/١١.
(٦٨) هيثم كريم صيوان، المصدر السابق، ص٤.

دراسة بعنوان

مهددات الأمن الإنساني لعودة النازحين إلى المناطق المحررة من الإرهاب
(دراسة سوسيولوجية)

أ. د. فهيمة كريم رزيج - العراق

جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع

dr.amadgulf@gamil.com

مقدمة

يواجه الأمن الإنساني (Human Security) في المناطق المحررة من تنظيم داعش الإرهابي مهددات تقوّض عودة النازحين وتحول دون استقرارهم في مناطقهم.

إن مفهوم الأمن (Security) بمعناه العام يعني أن يكون الإنسان آمنًا مستقرًا على جميع الأصعدة الحياتية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ...إلخ، بعيدًا عن العنف والتطرف والتعصب والاقتتال، أو هو إحساس الأفراد والجماعات التي يتشكل منها المجتمع بالطمأنينة والشعور بالأمن والاستقرار، وهو ما يحفّزهم على العمل والإنتاج.

أما مفهوم الأمن الإنساني فيعني: حماية الناس من الأوضاع والأخطار الحرجة والأخطار العامة وبناء قواهم وطموحاتهم وحماية الحريات، كما يعني بناء النظم السياسية والعسكرية والثقافية التي تمنح الناس أسس بقائهم وكرامتهم ومعيشتهم، ويركز هذا المفهوم على أمن الإنسان الفرد وليس أمن الدولة كجهة منفصلة، وعلى أن أمن الدولة يجب أن يكون الهدف الأساسي منه هو تحقيق أمن الفرد.

وتعاني المناطق المحررة من الإرهاب الداعشي من مهددات شتى منها البيئية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ترتبط بالمناطق ومهددات ترتبط بالنازحين أنفسهم كالبطالة والفقر وانعدام التعليم وغيرها. إن المناطق المحررة تعاني أوضاعًا صعبة اجتماعية واقتصادية وبيئية، تحول دون إمكانية عودة النازحين إلى ديارهم ومناطقهم واستقرارهم الاجتماعي والنفسي، مما يزيد من معاناتهم وتفاقم مشكلاتهم التي يعانون منها لا سيما في ظل الأوضاع الصعبة في مخيمات النزوح، مما يتطلب اعتماد سياسة اجتماعية واقتصادية على المستويين القريب والبعيد لمعالجة تلك المهددات، وضمان عودة النازحين إلى مناطقهم المحررة. علمًا أن هنالك حوالي (٥) ملايين نازح يحتاجون إلى عودة سريعة لديارهم.

ويمكن إثارة التساؤلات التالية: ما هي الخطط والبرامج التي من المفترض صياغتها ووضعها حيز التطبيق لتوفير الأمن الإنساني في تلك المناطق؟

وما هي الجهات المسؤولة عن تنفيذ تلك الخطط؟ وهل خصائص الأمن الإنساني متفردة في هذه المناطق أم أغلب مناطق العراق تتميز بها؟ هذه التساؤلات نحاول الإجابة عنها في طيات هذا البحث.

ونحاول في هذه الورقة البحثية التطرق إلى أبرز المهددات التي تواجه الأمن الإنساني في المناطق المحررة، فضلاً عن ذلك فإن البحث سيتضمن ما يلي:

أولاً: الإطار المنهجي للبحث.

ثانيًا: الإطار المفاهيمي للبحث.

ثالثًا: بيانات عامة عن النازحين.

رابعًا: مهددات الأمن الإنساني في المناطق المحررة من الإرهاب.

خامسًا: التوصيات.

سادسًا: المصادر.

أولاً: الإطار المنهجي للبحث

مشكلة البحث

منذ أكثر من سنتين يعاني نحو (٣٠٢٠٦٠٧٣٦) شخصًا من مآسي تهدد كيانهم وأمنهم الإنساني واستقرارهم، فالنازحون من محافظات (الأنبار، صلاح الدين، ديالى، نينوى) إلى محافظات الشمال والوسط والجنوب يمرون بأوضاع اجتماعية واقتصادية وصحيّة تشكل خطرًا على حياتهم، فنقص الغذاء والدواء وعدم التحاق الأطفال بمدارسهم، والشباب بجامعاتهم، وبطالة أرباب الأسر، وعدم توفر فرص للعمل في المناطق التي نزحوا إليها، فضلاً عن سكنهم في مخيمات لا تقيهم حرّ الصيف وبرد الشتاء، وتفتقر إلى أبسط الاحتياجات الحياتية، كل ذلك يؤشر إلى أن النازحين مهددون في حياتهم من الجوع والخوف.

لقد أوقد الجيش العراقي الباسل والتشكيلات العسكرية المتجحفلة معه شمعة الأمل عندما حرر محافظات الأنبار وصلاح الدين وديالى والموصل من قبضة داعش الإرهابي، وابتهج النازحون للعودة لمناطقهم، إلا أن هذا الأمل لم يكتمل بزوغه، فالمناطق المحررة مدمرة تعاني من إشكالات في البنى التحتية وتوفير الخدمات وكثرة الألغام وتفخيخ المنازل، وأغلب المنازل والمدارس والمستشفيات ودور العبادة مهدمة... إلخ، هذه الأوضاع أصبحت عائقًا يهدد عودة النازحين لمناطقهم.

أهمية البحث

تكمن الأهمية العلمية للبحث في أنه محاولة لسبر غور مشكلة عودة النازحين إلى مناطقهم المحررة من تنظيم داعش الإرهابي، والمهددات التي قد تواجههم في تلك المناطق لو أنهم عادوا إليها. وهم سيواجهون مصيرًا محفوفًا بالمخاطر وبلا أمن إنساني، فمنذ احتلال الموصل من قبل تنظيم داعش في العاشر من حزيران ٢٠١٤ وما تبعه من احتلال لمناطق أخرى من العراق، والنازحون يتطلعون إلى العودة إلى مناطقهم بالرغم من معرفتهم بالتهديدات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

إن تحديد تلك المهددات سيسهم في وضع البرامج والسياسات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية لمعالجتها وتأمين عودة النازحين. وتحاول هذه الورقة جاهدة – بالرغم من عدم توافر البيانات والإحصائيات الكافية عن المناطق المحررة – تحديد ماهية مهددات الأمن الإنساني في تلك المناطق.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

١. التعرف على أعداد النازحين في محافظات الشمال والوسط والجنوب.
٢. التعرف على المتغيرات القومية والدينية للنازحين.
٣. التعرف على أعداد النازحين الذين لم يلتحقوا بالتعليم نتيجة النزوح.
٤. التعرف على الأضرار المادية التي تعرض لها النازحون في مناطقهم التي نزحوا منها.
٥. التعرف على مهددات الأمن الإنساني في المناطق المحررة من الإرهاب.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على البيانات ويحللها لغرض الوصول إلى النتائج.

ثانيًا: الإطار المفاهيمي للبحث

يحتوي البحث على مجموعة مفاتيح تكوّن إطاره المفاهيمي، وتعدّ مداخل لفهم متضمنات البحث العلمية. ويمثل المفهوم (Concept) خلاصة أو إيجازًا لمجموعة من الصفات، وكما أشارت سللتز وزملاؤها إلى أن المفهوم هو تجريد من حوادث خضعت للملاحظة[١]. وفي هذا البحث استعملنا عددًا من المفاهيم الأساسية التي تحتاج إلى تعريف دقيق منها:

- المهددات Threats

يمكن القول إن المهدد هو الشيء الذي يهدف إلى إزالة أو تقويض أو إضعاف أو إرباك الموضوع الذي ينافسه أو يتضارب ويتقاطع معه في المصالح والأهداف أو يغار منه أو يحسده على ما يملك من ماديات ومعنويات[٢]. والمهددات في هذا البحث كل ما يربك أو يقوّض عودة النازحين إلى المناطق المحررة. ومن أبرز مهددات الأمن الإنساني العوز وتدمير البنى التحتية... إلخ.

- الأمن Security

الحاجة إلى الأمن تعادل الحاجة الطبيعية للحياة. والأمن يقابل الخوف أي هو نقيضه. وتوحي لفظة الأمن بالأمانة – نقيض الخيانة، والإيمان – نقيض الكفر، والأمين هو الحافظ. ورجل آمنة: يأمن كل واحد. وقيل يأمنه الناس ولا يخافون غائلته[٣]. والأمن ضد الخوف ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾[٤].

والأمن اصطلاحًا هو: مجموعة الإجراءات الخاصة بتأمين الأفراد داخل الدولة ضد الأخطار المحتملة التي تمس أنفسهم وأموالهم، ووضع القوانين التي تكفل هذه الحماية بواسطة سلطات تنفيذية خاصة بذلك[٥]. وأبرز معاني الأمن بالمفهوم العام هو ما ورد في القاموس العالمي الجديد بأنه: التحرر من الخطر، ويعني التحرر من الخوف والقلق، وعدم اليقين أو الشك أو الضمان والحماية ضد التقلبات المتنوعة وأهمها الاقتصادية ... أما الثانية فتشير إلى مجتمع سياسي[٦]. والأمن عبارة عن الممارسات التي تضمن التخلص من المخاطر التي تهدد السلامة. ويعدّ الأمن مسؤولية اجتماعية وعملية مقصودة يقوم بها الأشخاص لتوفير الحماية لأنفسهم وغيرهم، إذ يبعثون الراحة والطمأنينة في نفوسهم وقلوبهم وقلوب الآخرين، مما يوفر لهم بيئة من الاستقرار المطلوب لضمان استمرار وديمومة عمليات التنمية والتطور والعمل والإنتاج عن طريق اتباع سبل وطرق وإجراءات الأمن والسلامة في الحياة لحماية الأنفس والأرواح والأملاك وغيرها[٧].

ويمكن تقسيم الأمن إلى: الأمن العسكري، الأمن السياسي، الأمن الاقتصادي، الأمن الاجتماعي، والأمن البيئي.

(1) Selltiz Claire and others، Research Methods in Social Relation, N. Y, Holt, Rinehart, 19, p. 70.

(٢) د. يوسف عناد، الأمن الوطني: جدل التحدي والاستجابة بعد عام ٢٠٠٣ في العراق، ضمن كتاب (الأمن الإنساني: جدل الإقناع والإخضاع)، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، العدد ١، ٢٠١٥، ص٢١٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٥، ص١٦٣.

(٤) القرآن الكريم، سورة قريش، آية ٤.

(٥) د. فريد جاسم القيسي، الأمن الوطني والحصانة المجتمعية، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، سلسلة كتاب النهرين، العدد ١، ٢٠١٥، ص١٨٢.

(٦) محمد سيد فهمي، الرعاية الاجتماعية والأمن الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص٢٣٣.

(٧) رزان صلاح، الفرق بين الأمن والأمان، على الموقع: www. mawdoo3.com بتاريخ ٢٠١٦/٥/١١.

-الأمن الإنساني Human Security

كانت علوم الإنسان والمجتمع تستعمل مفهوم الأمن بإضافة صفة تجزيئية لكنها مميزة (أمن اقتصادي، أمن عسكري، وغيرها)، وكان المعنى يرتكز في الغالب على أمن الدول وليس أمن الناس حتى عام ١٩٩٠، ففي أجواء تلك التغيرات العميقة التي شهدها العالم ممثلة في انهيار أحد قطبي النظام العالمي وهو الاتحاد السوفيتي وسقوط جدار برلين وتوقف الحرب الباردة، اجتمع عدد من رؤساء الدول حول دائرة مستديرة في كوستاريكا للبحث فيما سمي (اقتصاديات السلم)، وتلقفت الأمم المتحدة مفهوم الأمن الإنساني الذي ناقشه المؤتمرون لعام ١٩٩٤. وتشير لجنة الأمن الإنساني إلى أن هذا المفهوم يعني: حماية الجوهر الحيوي لحياة جميع البشر بطرائق تعزز حريات الإنسان وتحقيق الإنسان لذاته. كما يعني بناء النظم السياسية والعسكرية والثقافية التي تمنح الناس أسس لبناء بقائهم وكرامتهم ومعيشتهم[٨].

كما يقصد بالأمن الإنساني: أمن الإنسان من الخوف (القهر، العنف، التهميش)، والحاجة (الحرمان وعدم التمكين الاجتماعي)، أي محاولة خلق ديناميكية تدمج الإنسان في الأولويات التنموية والسياسية بدل التركيز على استقرار النظام السياسي وبيئته[٩]. وطبقًا لتقرير الحكومة الكندية، الأمن الإنساني يعني: توفير الأمان للناس من العنف والتهديدات الناجمة عن حالات اللاعنف (Violent Threat - NON) إنها الحالة التي تتخذ فيها الدول سلسلة من الإجراءات التي تخفف من التهديدات التي تستهدف حقوق الناس، أمانهم وحتى حياتهم[١٠].

على صعيد آخر، تضمن إعلان وزارة الخارجية اليابانية دعوة جميع الدول والمنظمات الدولية، ومنظمات المجتمع المدني NGOS للعمل باتجاه التخفيف من التهديدات التي تواجه كل فرد في المجتمع. وقد لاحظ تقرير عام ٢٠٠٣، الصادر عن لجنة الأمن الإنساني برئاسة أمارتيا صن ورئيس مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين السيد ساداكواو كوتا، إن الأمن الإنساني مكمل لأمن الدول، لأن اهتماماته تركز على أمن الأفراد والمجتمعات[١١]. كما عرفه محبوب حق: الأمن الإنساني يعني أمن الإنسان بدلاً من أمن الأراضي، وأمن الأفراد بدلاً من أمن الأمم، والأمن من خلال التنمية وليس من خلال الأسلحة، وهو أمن الأفراد في كل مكان في منازلهم ووظائفهم[١٢].

نستنتج من التعاريف التي ذكرت سابقًا لمفهوم الأمن الإنساني أنه يستند على وحدة تحليل أساسية وهي الإنسان وليس الدولة، إن المفهوم يركز على أمن الإنسان في شتى جوانب حياته الاجتماعية والاقتصادية والصحية والبيئية.

- الإرهاب Terrorism

تعد ظاهرة الإرهاب من أخطر الظواهر الاجتماعية التي تواجهها المجتمعات الحديثة، ذلك أنها تتجاوز البعد الشخصي إلى حد جعل الظاهرة حالة اجتماعية تؤثر في جماعات سواء أكانت صغيرة أو كبيرة في داخل المجتمع، ومع أن الدراسات الاجتماعية لظاهرة الإرهاب لم تتبلور حتى الآن لتشكيل ميدان جديد من ميادين علم الاجتماع... لكن يمكن أن نجد في الدراسات المتعلقة بميدان علم الاجتماع الجنائي ما يناسب تحليل ظاهرة الإرهاب، وعليه فتحليل الإرهاب بوصفه جريمة اجتماعية ينتهي بنا إلى إدراجه ضمن ميدان الاجتماع الجنائي[١٣].

(٨) تقرير لجنة الأمن الإنساني المعنون امن الإنسان الآن: حماية الناس وتمكينهم، نيويورك، ٢٠٠٣، ص٤. على الرابط: www.humansecurity

(٩) د. جعفر نجم نصر، العدالة كاستراتيجية أمنية: نحو رؤية اجتماعية لمواجهة تحديات الأمن الإنساني، كتاب الأمن الإنساني، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(١٠) د. عدنان ياسين مصطفى، الأمن الإنساني والمتغيرات المجتمعية في العراق، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٩.

(١١) د. عدنان ياسين مصطفى، المصدر نفسه، ص٢٠.

(١٢) د. حميد كردي ألفلاحي، الأمن الإنساني للشباب العراقي ومشكلات الاندماج الاجتماعي، ضمن كتاب الأمن الإنساني جدل الإقناع والخضوع، مصدر سابق، ص٢٩٤.

(١٣) فضل عباس فرج الله، الإرهاب، الأيديولوجية والسلطة، مجلة مدارك، السنة الأولى، والعدد ٣ لعام ٢٠٠٦، بغداد، ص ١٥٥.

وقد بدأت أولى محاولات تعريف الإرهاب في ظل عصبة الأمم عام ١٩٣٧، وقد وضعت المنظمة تعريفًا للإرهاب في اتفاقية أقرتها في جنيف، إذ عرفته المادة الأولى من هذه الاتفاقية المتعلقة بقمع الإرهاب بأنه: «الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة أو التي تهدف إلى أو تخطط إلى إحداث حالة من الرعب لأشخاص معينين، أو مجموعة من الناس أو لدى العامة»[١٤].

ويعرف أيضًا بأنه: «أي عمل عدواني يستعمل العنف والقوة ضد المدنيين ويهدف إلى إضعاف الروح المعنوية للعدو عن طريق إرهاب المدنيين بشتى الوسائل العنيفة»، كما يعرفه قانون منع الإرهاب في المملكة المتحدة لسنة ١٩٧٦ بأنه: «استخدام العنف لأغراض سياسية بما في ذلك استعمال العنف لوضع الجمهور في حالة من الرعب»[١٥].

وفي قاموس العلوم الاجتماعية تشير كلمة (الإرهاب) إلى نوع خاص من الاستبداد غير المقيّد بقانون أو قاعدة، ولا يعير اهتمامًا بمسألة أمن ضحاياه، وهو يوجه ضرباته إلى أهدافه المقصودة بهدف إيجاد جو من الرعب والخوف، وشل فاعلية مقاومة الضحايا، وفي قاموس السياسة الحديثة نجد أن كلمة إرهابي تستخدم لوصف المجموعات السياسية التي تستعمل العنف كأسلوب للضغط على الحكومات لتأييد الاتجاهات المطالبة بالتغيرات الاجتماعية الجذرية.

(١٤) د. شوقي محمد صلاح، الجزء الثاني من سلسلة مقالات عن تعريف الإرهاب، مركز الإعلام الأمني، الأكاديمية الملكية للشرطة، مملكة البحرين، منشور على شبكة الإنترنت المعلوماتية، استرجع بتاريخ ٢٠١٥/١٢/١، www.policeme.bh/reports/2011/june

(15) Roger Scruton, The Palgrave Macmillan Dictionary of Political Thought, Third Edition, Palgrave Macmillan, New York, 2007, p 685.

أما القانون العراقي فقد عرف الإرهاب في قانون مكافحة الإرهاب رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٥ في مادته الأولى بأنه: «كل فعل إجرامي يقوم به فرد أو جماعة منظمة استهدف فردًا أو مجموعة أفراد أو مجموعات أو مؤسسات رسمية أو غير رسمية أوقع الأضرار بالممتلكات العامة أو الخاصة بُغية الإخلال بالوضع الأمني أو الاستقرار والوحدة الوطنية أو إدخال الرعب أو الخوف والفزع بين الناس أو إثارة الفوضى تحقيقًا لغايات إرهابية»[١٦].

ثالثًا: الإطار النظري للبحث

يحوي هذا الإطار على مجموعة المتغيرات والخصائص التي تخص النازحين، والتي تعدّ مرتكزات أساسية للبحوث العلمية الخاصة بالنازحين من جهة توزيعهم بين مناطق الإيواء، أو المحافظات التي نزحوا إليها، وكذلك التعرف على الخصائص العمرية للنازحين، ومستوياتهم العلمية وتقسيمهم من جهة النوع إلى ذكور وإناث، فضلاً عن معرفة الأضرار المادية الناجمة عن النزوح، والتي أصبحت مصدر تهديد بالفقر والعوز للعائلات النازحة، وأدّت هذه الأضرار دورًا في المساس بالتنمية الاقتصادية والتنمية بشكل عام في المجتمع العراقي.

أعداد النازحين وتوزيعهم مكانيًا

إن (٨٧٪) من السكان النازحين داخليًا أي ما يقارب (٢,٧٨٧,٧٤٤) نازحًا قد فروا من الأنبار (٤٢٪)، ومن نينوى (٣٢٪)، ومن صلاح الدين (١٢٪)، ومن ديالى (٥٪)، وكركوك (٤٪)، وبغداد (٢٪)، وإن سبعة محافظات تستضيف (٨٢٪) من إجمالي السكان النازح أي ما يقرب من (٢,٦٣٨,٥٦٦) نازحًا، وكما موزعين في الجدول (١):

(١٦) ينظر: الوقائع العراقية، العدد (٤٠٠٩)، في ٢٠٠٥/١١/٩.

جدول رقم (١) يبين توزيع السكان النازحين على المحافظات لعام ٢٠١٥ [١٧]

المحافظة	السكان النازح	النسبة من إجمالي السكان النازح
الأنبار	٥٨٣,٠٥٠	١٨
بغداد	٥٧٧,٥٨٤	١٨
دهوك	٤٢٦,٩٦٦	١٣
كركوك	٤٠١,٢٨٠	١٣
أربيل	٢٨٤,٣١٠	٩
نينوى	٢٢٠٣,٦٥	٦
السليمانية	١٦١,٧٢٤	٥

التركيب العمري للنازحين

نلاحظ من البيانات أن نسب الأطفال والشباب مرتفعة في التركيب العمري للنازحين، حيث يشكلون أكثر من نصف النازحين. وتوزع النازحون حسب النوع الاجتماعي إلى (٥١,١٪) ذكور، ونسبة (٤٨,٩٪) إناث.

جدول رقم (٢) يوضح التركيب العمري للنازحين

الفئة العمرية	٪
أقل من سنة – ١٥سنة	٤٣,٤٩
١٥-٦٤	٥٤,٤٨
٦٥فأكثر	١,٩

توزيع النازحين حسب القومية

توزع النازحون حسب القومية إلى عرب وتركمان وكرد وقوميات أخرى، من بينهم (٩٩,٧٪) مسلمون و(٠,٢٪) مسيحيون، و(٠,١٪)من الديانات الأخرى. كما مبين في الجدول (٣):

جدول رقم (٣) يبين توزع النازحون حسب القومية[١٨]

القومية	٪
عرب	٧٣,٨
تركمان	١٨,٨
أكراد	١,٤
أخرى	٦

التعليم

يعدّ التعليم أحد المؤشرات الاقتصادية في المجتمع. ويعاني العديد من النازحين (أطفال وشباب) من التسرب من التعليم، وقد تنوعت أسباب التسرب لا سيما في مرحلة التقني والجامعي التي بلغت نسبتها (٨٤,١٪)، من بين تلك الأسباب عدم وجود مدارس قريبة بنسبة (١٢,٩٪)، وعدم الرغبة في مواصلة التعليم (٧,٥٦٪)، والأوضاع المادية (٢٧,٥١٪). والجدول (٤) يبين ذلك:

جدول رقم (٤) يبين الطلبة النازحين الملتحقين بالدراسة[١٩]

المرحلة التعليمية	نسبة ٪	نسبة التسرب
الابتدائية	٧٧	٢٣٪
المتوسطة	٥٨,٨	٤١,٢٪
الإعدادية	٤٠,٤	٥٩,٦٪
التقني والجامعي	١٥٩	٨٤,١٪

ونلاحظ من بيانات المسح لعام ٢٠١٤، أن نسبة الإناث المتسربات من التعليم أعلى من نسبة تسرب الذكور، حيث بلغت النسبة عند الإناث (٥٢٪) وعند الذكور(٤٨٪).

(١٧) المنظمة الدولية للهجرة مصفوفة تتبع النازحين، الجولة ٣٠، تشرين الأول، ٢٠١٥، ص٧.

(١٨) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المسح الوطني لعام ٢٠١٤.

(١٩) وزارة التخطيط – الجهاز المركزي للإحصاء، مصدر سابق.

النشاط الاقتصادي

بلغ معدل النشاط الاقتصادي بين النازحين نسبة (٤٠,٣٪) توزع بين (٧٦,١٪) للذكور، و(٦,١٪) للإناث، فيما بلغت نسبة العاطلين عن العمل (٤٤,٧٪) توزع بين (٤٦٪) للذكور، و(٢٥٪) للإناث، وقد فقد الذكور أصحاب العمل المأجور ما نسبته (٩٤٪) من فرص العمل التي كانت متاحة لهم قبل النزوح، في حين فقد أكثر من (٦٤٪) من حاملي الشهادة الابتدائية فرص عملهم مما أدى إلى استشراء البطالة بينهم. كما فقد (٢٠,٨٪) من حاملي الشهادة المتوسطة والثانوية والذين يعملون بأجر فقدوا فرص عملهم[٢٠].

جدول رقم (٤) يبين فقدان العمل المأجور ونسبة العاطلين بين النازحين

<table>
<tr><td rowspan="2">النشاط الاقتصادي للنازحين</td><td colspan="3" rowspan="2">٤٠,٣٪</td><td>ذكور</td><td>٧٦,١٪</td></tr>
<tr><td>إناث</td><td>٦,١٪</td></tr>
<tr><td rowspan="2">العاطلون عن العمل</td><td colspan="3" rowspan="2">٤٤,٧٪</td><td>ذكور</td><td>٤٦٪</td></tr>
<tr><td>إناث</td><td>٢٥٪</td></tr>
<tr><td rowspan="2">فقدان العمل المأجور</td><td>الكلي</td><td>حملة الشهادة الابتدائية</td><td colspan="2">حملة الشهادة المتوسطة والثانوية</td></tr>
<tr><td>٩٤٪</td><td>٦٤٪</td><td colspan="2">٢٠,٨٪</td></tr>
</table>

الأضرار الناجمة عن النزوح

ترك النزوح أضرارًا وآثارًا اجتماعية واقتصادية ونفسية، ومما زاد من معاناة النازحين أنهم فقدوا ما يملكون في مناطقهم التي نزحوا منها والتي كانت مقر إقامتهم ومصدر معيشتهم. وأصبحوا بلا مأوى وبلا مصدر رزق يقتاتون منه. لقد دمر الإرهاب المتمثل بداعش منازلهم ومقتنياتهم البينية وأثاثهم وحقولهم ومزارعهم، فضلاً عن تدمير المعامل التي كانوا إما يعملون بها بأجر أو يمتلكونها، هذه الأضرار انعكست سلبًا على المستوى المعاشي للنازحين.

ومن بيانات المسح الوطني للنازحين ٢٠١٤، نلاحظ حجم المأساة التي سوف يعيشها النازحون بعد عودتهم إلى مناطقهم المحررة، إذ تشير تلك البيانات إلى أن (٢٩٢٦٠) أسرة من شتى مناطق النزوح، فقدت إما معاملها أو محاصيلها الزراعية أو بساتينها وماشيتها ودواجنها... وغيرها.

رابعًا: مهددات الأمن الإنساني في المناطق المحررة من الإرهاب

يعاني بعض النازحين العائدين إلى مناطقهم التي استعادتها القوات العراقية من قبضة تنظيم (داعش) الإرهابي، أوضاعًا صعبة وسط الدمار والخراب الكبير الذي لحق بالبنية التحتية في مدنهم، وتدمير وتضرر محطات الكهرباء ومياه الشرب وشبكات المجاري، وتوقف الأعمال.

ولا يجد العائدون إلى مناطقهم بدًا من مكابدة الحياة القاسية، فلا قدرة لهم على ترميم ما تضرر من منازلهم المدمرة لعدم وجود تعويضات مالية حكومية، فيما فقد نحو (٩٠٪) منهم أعمالهم لتضرر الأحياء الصناعية والورش والمصانع، وتدمير العديد منها خلال المعارك. إلى جانب أن الأمم المتحدة يساورها قلق عميق لأن إمكانية عودة النازحين بأمان يعيقها التلوث الواسع بالعبوات الناسفة للعديد من المناطق والقرى المحررة مؤخرًا، فضلاً عن قيام داعش بتفخيخ الدور السكنية والمباني العامة بما في ذلك المدارس والمراكز الصحية[٢١].

ولا يتوقع أغلب النازحين أن بوسعهم العودة إلى مناطقهم في الوقت الراهن، ليس بسبب غياب الخدمات وانتشار الألغام وتدمير منازلهم بالكامل، بل خشيتهم من استمرار المعارك وعودة مناطقهم لتصبح ساحة لها من جديد. فقد خرج النازحون من تجربتهم المريرة بنتيجة الحرص على أرواح عائلاتهم قبل التفكير في منازلهم وأراضيهم، لكن هذا لا يمنع من أملهم بالعودة إلى مدنهم وقراهم.

(٢٠) وزارة التخطيط – الجهاز المركزي للإحصاء، المسح الوطني للنازحين، ٢٠١٤، ص١٧٧.

(٢١) موقع كتابات، الأمم المتحدة تلتزم بإخلاء العراق من الألغام ومخلفات الحرب. على الرابط: www.kitabat.com بتاريخ ٢٠١٦/٤/٤.

إذ أعلنت وزارة الهجرة والمهجرين في أيلول ٢٠١٦ عن عودة نحو مليون نازح (وقد يصل العدد إلى مليون ونصف المليون) إلى مناطقهم المحررة لا سيما في محافظات الأنبار، وصلاح الدين، بعد طرد عصابات داعش وتفكيك العبوات الناسفة المزروعة في البيوت والأماكن العامة[٢٢]. ويتطلع نازحوا الموصل إلى العودة القريبة لديارهم المدمرة كليًا.

إن انتشار الألغام بشتى أنواعها يعد تهديدًا صريحًا للأمن والاستقرار البيئي، إذ تقدر أعداد الألغام بـ (٢٥) مليون لغم مسببة تلوثًا لمساحات واسعة من العراق، وبواقع (٤٦٨) حقل في المنطقة الشمالية والتي أسهم التنظيم الإرهابي (داعش) في زرعها في المناطق التي استولى عليها والتي حرر الجيش العراقي الباسل أغلبها. لكن يبقى الخطر محدق بالأسر التي تريد العودة لمناطقها المحررة. وبالرغم من الآثار الصحية والاجتماعية التي تخلفها الألغام في ضحاياها فإنها تؤدي إلى مشكلات بيئية أخرى منها الأضرار المتعمدة بالبيئة الطبيعية والمشيدة، والمرافق الحيوية والخدمية، ووسائل الدعم والإسناد التي تعزز الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، من خلال تخريب المؤسسات والمنشآت النفطية واستهداف الخطوط الناقلة للنفط والغاز الطبيعي، إن نسبة الدمار في مصفى القيارة بلغت أكثر من (٥٠٪)، أما مصفى بيجي فقد دمر بالكامل، مما أفضى إلى حرق كميات هائلة من المشتقات النفطية وتسرب أجزاء كبيرة منها إلى التربة والمياه الجوفية والهواء، مخلفة أخطارًا بيئيةً وصحيةً واقتصاديةً جسيمة[٢٣].

أصبحت المناطق التي استولى عليها تنظيم داعش عام ٢٠١٤، تشكل خطرًا على الأسر التي تحاول العودة إليها، حيث زرعت مساحات شاسعة ومنازل كثيرة وأبنية حكومية وخدمية بالمتفجرات لتبلغ على سبيل المثال لا الحصر أكثر من (٢٠٠٠) عبوة ناسفة ضمن حائط صدّ واحد لـداعش الإرهـابي في مسـاحة لا تتجاوز الـ (٢) كم٢ في مدينة ربيعة في محافظة نينوى بعد تحريرها، وكمثال على حالة الدمار التي أصابت المناطق المحررة من الإرهاب (مدينة الموصل)، تشير إحصائيات أولية لحجم الدمار الذي شهدته مدينة الموصل في ظل الحرب على تنظيم داعش أرقامًا مفزعةً عن تدمير نسبة هائلة من المنازل والفنادق والمصانع والمنشآت الحكومية، حيث أن ٦٦ ٪ من المدينة مدمر، وهناك حارات سكنية مسحت بالكامل، فقد تم تدمير ٨١ دار عبادة بين مسجد وكنيسة، غالبيتها تاريخية، و٢٤١ مدرسة ابتدائية وثانوية، و١٢ معهدًا، وجامعة الموصل وكلياتها، وتدمير أبراج الاتصالات ومعامل الغزل والنسيج والإسمنت والحديد الصلب، ونحو ٢١ ألف وحدة سكنية بين دمار كامل أو شبه كامل، و٤ محطات كهرباء، و٦ محطات للمياه، ١٨٠٠ معملاً وورشة عمل ومصنع حكومي ومصفاة للنفط ٢٩ فندقًا، ومعامل للغزل والنسيج والكبريت والإسمنت

(٢٢) وكالة سكاي برس، عودة مليون نازح إلى مناطقهم المحررة، على الموقع: www.skypressiq.net، بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٦.

(٢٣) كمال محمد صديق، الأمن البيئي في العراق، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٦، ص٨٩.

والحديد، كما شمل التدمير ١٠ مستشفيات، ونحو ٧٦ مركزًا صحيًا، ومعمل أدوية، و٦ ملاعب ونوادٍ رياضية، و١١مصرفًا، و٥٤ مبنىً حكوميًا خدميًا، إلى جانب تدمير ٥ جسور وهي الجسور الرئيسية التي تربط الجانب الأيمن من الموصل بالجانب الأيسر. وقدرت المصادر نسبة الدمار في الموصل بنحو ٨٠٪ مدمر، وتحتاج مدينة الموصل إلى نحو ٤١ مليار دولار لإعادة إعمارها. هذا مؤشر واضح لحجم التحديات البيئية التي خلفتها العمليات الإرهابية. والتي تعدّ من مهددات الأمن الإنساني، التي تزيد حالة الفقر والعوز والحرمان وتهدد مستقبل الأطفال والشباب والنساء وحتى الشيوخ، وتحول دون عودة النازحين إلى ديارهم ومناطقهم مما يعزز حالة الفقر وتزيدهم حرمانًا في مناطق اللجوء إذا كانت مخيمات أو مساكن في محافظات العراق الأخرى، وهذا الحال يحتاج جهود مكثفة دولية وحكومية ومنظمات، رسمية وغير رسمية، لتغيير الوضع الراهن للمناطق المحررة وضمان عودة النازحون إليها. والجدول رقم (٥) يوضح حجم الدمار في مدينة الموصل بإحصائيات أولية بعد تحررها من الإرهاب.

جدول رقم (٥) يبين حجم الدمار في مدينة الموصل بعد تحريرها (إحصائيات أولية)

حجم الدمار	نوعـــه
٨١	دار عبادة بين مسجد وكنيسة
٢٤١	مدرسة ابتدائية وثانوية
١٢	معهد وتدمير جامعة الموصل وكلياتها
٢١ ألف	وحدة سكنية
٤	محطات كهرباء
٦	محطات للمياه
١٨٠٠	معمل وورشة ومصنع حكومي ومصفاة
٢٩	فندق
٨٦	مستشفى ومركز صحي ومعمل أدوية نينوى
٥	الجسور الرئيسة
١١	مصرف
٦	ملاعب ونوادي رياضية
٥٤	مبنىً حكوميًا خدميًا

- الحكومة المحلية لمحافظة نينوى.

خامسًا: التوصيات

- تكثيف الجهود الدولية والحكومية والأهلية لمواجهة مهددات الأمن الإنساني بكل صورها.
- التعاقد مع الشركات الأجنبية لإزالة الألغام من المناطق المحررة لضمان عودة آمنة للنازحين.
- تعويض الأسر المتضررة التي فجرت منازلها وجرفت أراضيها الزراعية.
- الاستعانة بالدول المانحة لتقديم المساعدات المادية والعينية للأسر العائدة، وإعادة إعمار المناطق المتضررة بنسبة كبيرة.
- تأمين البنى التحتية من قبل وزارة الإسكان ووزارة البيئة.
- تأمين حاجة المناطق المحررة من الكهرباء.
- تشكيل لجان تطوعية من شباب المناطق المحررة للقيام بحملات تنظيف الشوارع وترميم المنازل التي لم تتهدم بشكل كلي، والمدارس المتضررة بنسبة قليلة.

سادسًا: المصادر

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر العربية

- ابن منظور، لسان العرب، ج١، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٥.
- جعفر نجم نصر، العدالة كاستراتيجية أمنية: نحو رؤية اجتماعية لمواجهة تحديات الأمن الإنساني، كتاب الأمن الإنساني، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، العدد ١، ٢٠١٥.
- حميد كردي الفلاحي، الأمن الإنساني للشباب العراقي ومشكلات الاندماج الاجتماعي، ضمن كتاب الأمن الإنساني جدلاً الإقناع والخضوع، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، العدد ١، ٢٠١٥.
- عدنان ياسين مصطفى، الأمن الإنساني والمتغيرات المجتمعية في العراق، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٩.
- فريد جاسم القيسي، الأمن الوطني والحصانة المجتمعية، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، سلسلة كتاب النهرين، العدد ١، ٢٠١٥.
- د. يوسف عناد، الأمن الوطني جدل التحدي والاستجابة بعد عام ٢٠٠٣ في العراق، ضمن كتاب الأمن الإنساني جدل الإقناع والإخضاع، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، العدد ١، ٢٠١٥.
- كمال محمد صديق، الأمن البيئي في العراق، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٦.
- محمد سيد فهمي، الرعاية الاجتماعية والأمن الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٢.
- المنظمة الدولية للهجرة مصفوفة تتبع النازحين، الجولة ٣٠، تشرين الأول، ٢٠١٥.
- وزارة التخطيط،الجهاز المركزي للإحصاء، المسح الوطني للنازحين، ٢٠١٤.
- الوقائع العراقية،العدد٤٠٠٩، في ٢٠٠٥/١١/٩.

ثانيًا: المصادر الأجنبية

• Selltiz Claire and others، Research Methods in Social Relations,N. Y، Holt، Rinehart, 1970.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية

- تقرير لجنة الأمن الإنساني المعنون أمن الإنسان الآن: حماية الناس وتمكينهم، نيويورك، ٢٠٠٣. على الرابط: www.humansecurity
- رزان صلاح، الفرق بين الأمن والأمان، على الموقع: www.mawdoo.com بتاريخ ٢٠١٦/٥/١١.
- موقع كتابات، الأمم المتحدة تلتزم بإخلاء العراق من الألغام ومخلفات الحرب. على الرابط: www.kitabat.com بتاريخ ٢٠١٦/٤/٤.
- وكالة سكاي برس، عودة مليون نازح إلى مناطقهم المحررة، على الموقع: www.skypressiq.net، بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٦.

دراسة بعنوان

دور النخب المثقفة في مواجهة ظاهرة الإرهاب

د. فواز موفق ذنون

أستاذ مساعد، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل/العراق

dr.amadgulf@gamil.com

المقدمة

تعد ظاهرة الإرهاب من أخطر الظواهر التي بدأت تتفشى في مختلف المجتمعات تاركة تأثيرات سلبية غير محدودة النتائج، وأصبحت من أكبر المشاكل التي تعاني منها الدول كافة العربية منها والغربية، مما يستدعي الوقوف عندها ومحاولة اكتشاف أسبابها وعواملها ومستهدفين الحد منها والقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة.

يسلط البحث الضوء على واحدة من الحلول التي تساهم في التصدي لهذه الآفة وهي دور النخب المثقفة، إذ تم تقسيم البحث على محورين أساسيين، المحور الأول وضعنا هذه الظاهرة في إطار من التعريفات الخاصة باللغة والمصطلح، ومحاولين معرفة أسباب ظهورها، أما المحور الثاني فقد ركزنا فيه على دور النخب المثقفة في التصدي لها من خلال الأفراد كمفكرين وكتّاب وعلماء أو من خلال المؤسسات العلمية كالمدارس والجامعات.

Abstract

The phenomenon of terrorism is one of the phenomena that has begun to spread in various societies, leaving negative effects and unlimited results, This phenomenon has become one of the biggest problems experienced by all Arab countries, including Western countries, Which requires to stand at this phenomenon and try to discover the causes and factors and aimed at reducing them and eliminate this dangerous phenomenon.

The research highlights one of the solutions that contribute to addressing this scourge, the role of educated elites, The research was divided into two main axes, The first axis we put this phenomenon in the framework of the definitions of language and term The second axis focused on the role of intellectual elites in addressing them through individuals such as thinkers, writers, scientists or through scientific institutions such as schools and universities.

أولاً: الإرهاب تعريفه ومدلولاته وأسبابه

المبحث الأول: الإرهاب لغةً واصطلاحًا

١- الإرهاب لغة: أصله أرهب، يرهب، إرهابًا وترهيبًا، والثلاثي منه: رَهِب بالكسر كعَلِم رَهْبة ورُهْبًا بالضم وبالفتح، أي: خاف، ورَهِب الشيء: خافه، وأرهبه واسترْهَبَه: أخافه، والرهبة: الخوف والفزع.[١]

والمعنى الآخر للرهب هو الناقة المهزولة، والرهاب: الرقاق من النصال، واحدها رهبة، والرهاب هي عظمة في الصدر مشرفة على البطن مثل اللسان.[٢]

وعلى الرغم من أن كلمة الإرهاب مشتقة من رهب إلا أن بعض علماء اللغة لم يؤكدوا وجود كلمة الإرهاب في المعاجم اللغوية ذلك أنها لم تكن معروفة في سابق الزمان، وقد وردت مرادفات من هذه الكلمة في القرآن الكريم لتعطي أكثر من معنى، منها الخشية والخوف من الله عز وجل كما في ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: ٤٠)، كما وردت بمعنى الرعب في المعارك العسكرية، كما في ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، وقد أقر مجمع اللغة العربية أن كلمة الإرهاب كلمة حديثة وأن الإرهابيين وصف يطلق على من يسلكون طريق العنف والقتل لتحقيق مآربهم.[٣]

٢- الإرهاب: اصطلاحًا: فيما يتعلق بتعريف الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي، فالحقيقة لايوجد تعريف موحد للكلمة بسبب تعدد الآراء والأفكار للمهتمين بدراسة هذه الظاهرة، الأمر الذي أدى إلى ظهور العديد من المصطلحات التعريفية بالإرهاب، فمنهم من يعرفه «العمل الإجرامي المصحوب بالرعب أو العنف أو الفزع بقصد خدمة هدف محدد»، كذلك تم تعريفه على أنه كل اعتداء على الأرواح والأموال والممتلكات العامة أو الخاصة المخالفة لأحكام القانون الدولي بمصادره المختلفة.[٤]

أما على صعيد المنظمات الدولية والإقليمية، فقد بدأ الاهتمام في هذا الموضوع منذ ثلاثينيات القرن الماضي، إذ تمكنت عصبة الأمم من عقد اتفاقية منع الإرهاب والمعاقبة عليه عام ١٩٣٧، حيث ورد في الاتفاقية إعلان تعريف الإرهاب مفاده أن الإرهاب هو ((جميع الأعمال الإرهابية الموجهة ضد دولة ما وتهدف أو يقصد بها خلق حالة رعب في أذهان أشخاص معينين أو مجموعة من الأشخاص أو عامة الجمهور)).[٥]

ثم بعد ذلك استمرت جهود الأمم المتحدة في هذا الشأن من عام ١٩٤٧ ولغاية يومنا هذا، وبعد نقاشات واجتماعات مكثفة توصلت إلى إن الإرهاب يمثل ((جميع الممارسات والوسائل غير المبررة التي تشير إلى رعب الجمهور أو مجموعة من البشر (لأسباب سياسية وبصرف النظر عن بواعثه المختلفة)،[٦] وهناك بعض الاتفاقيات الدولية أشارت لمفهوم الإرهاب سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر، منها على سبيل المثال اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ والبروتوكول الأول الملحق بها لعام ١٩٧٧ والاتفاقية الأوروبية لعام ١٩٧٧ والاتفاقية العربية لعام ١٩٩٨.[٧]

وهذه الاتفاقية (الاتفاقية العربية)، جاء في إحداها الخاصة بتعريف الإرهاب ((بأنه كل فعل من أفعال العنف والتهديد به أيًا كان بواعثه وأغراضه، يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي جماعي أو فردي يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، وترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم وممتلكاتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو إحدى المرافق والأملاك الخاصة أو العامة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض إحدى الموارد الوطنية للخطر)).[٨]

المبحث الثاني: أسباب بروز ظاهرة الإرهاب

تعد ظاهرة الإرهاب ظاهرة متداخلة في أسبابها وتداخلاتها في المجتمعات، حيث تتداخل العوامل الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية لتشكل ظاهرة تحقق أهدافها بممارسة العنف والقتل.

١- الأسباب الاجتماعية والاقتصادية

تعد الأسباب الاجتماعية والاقتصادية، من أهم الأسباب التي تؤدي بالفرد إلى الانحراف باتجاه الإرهاب ذلك أن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في الدول العربية، أدّت إلى ارتفاع الهجرة من الريف إلى المدينة، وانتشار الأحياء العشوائية الفقيرة في مدن بعض الدول وبفعل عجز بعض سكانها عن التكيف مع قيم المدينة المختلفة عن قيمهم الريفية، وبسبب تفشي البطالة، وخاصةً بين الشباب، كان استقطابهم من جانب جماعات التطرف أو العنف، أو انضمامهم التطوعي إليها، مسألة سهلة إلى حد كبير. كما أثرت الأزمات الاقتصادية في الطبقات الفقيرة، حيث عانت من تدهور ظروفها المعيشية بفعل انتشار البطالة وتدهور الخدمات والتضخم وارتفاع الأسعار وبالتالي تزداد حدة التفاوت الطبقي وتنعكس آثار هذا الخلل الخطير على الشباب وتنشأ تربة صالحة للتطرف تزود الجماعات المتطرفة بأعضاء يعانون من الإحباط ويفتقدون الشعور بالأمان والأمل في المستقبل، رافق ذلك كله غياب العدالة الاجتماعية في مصادر الثروة والسلع والخدمات، وعدم العدالة في توزيع الثروة، والتفاوت في توزيع الدخول والخدمات والمرافق الأساسية كالتعليم والصحة والإسكان والكهرباء بين الحضر والريف، يؤدي إلى حالة من الإحباط سواء على مستوى الفرد أو الجماعة.[٩]

٢- الأسباب الدينية: وهي من أخطر الأسباب لبروز ظاهرة الإرهاب، وتنشأ نتيجة الجهل بأحكام الشريعة وسوء الفهم والتفسير الخاطئ لأمور الدين، وهذا الأمر الذي يتعرض له الكثير من المسلمين، فضلاً عن وجود من يدّعون العلم والفقه في الدين، ويأخذون من الأمور ظاهرها، دون الرجوع إلى العلماء الأكفاء وأهل العلم الشرعي الصحيح.[١٠] وينتج عن ذلك الغلو في الدين والتعصب فلا يقبل من الدين والعلم والرأي إلا ما جاء عن طريقهم، وهو مايؤدي إلى قضايا أخطر مثل التكفير والولاء والبراء والجهاد، ومثل تلك القضايا تؤدي بالبلاد إلى التفرقة بين المسلمين ينتهي بتفكك المجتمع، خاصة إذا ما وجد التطرف بيئة حاضنة له، ومع قلة العلم، وغياب الضوابط الشرعية، تسهل عملية انقياد المسلمين لدعاة الغلو والعنف والإرهاب.[١١]

٣- الأسباب السياسية: وتعد الأسباب السياسية هي الأخرى إحدى الأسباب المهمة في بروز ظاهرة الإرهاب، إذ تنقسم المجتمعات داخليًا إلى تيارين، تيار علماني يدعو إلى بناء الحياة على أساس دنيوي وغير مرتبط بالأصول الشرعية

ولا بالتقاليد والعادات والموروثات الاجتماعية الأصيلة التي يعدونها عوائق في طريق التقدم والانطلاق نحو الحضارة، وتيار ديني يعارض المدنية الحديثة وكل ما يتصل بالتقدم الحضاري، فهي من وجهة نظرهم ليست إلا فسادًا في الأخلاق، وتفككًا في الأسر وجمودًا في العلاقات الاجتماعية، فهم يرون أن الحضارة تجعل الفرد يعيش لنفسه ملبيًا لرغباتها متنكرًا للآداب والفضيلة، لهذا يسعون على مقاومته بالقوة.[١٢] فضلاً عن عامل سياسي خارجي تمثل في البيئة الخارجية وصِلَتها بظاهرة (الإرهاب) ببعدين هما السياسات والقوى الخارجية التي تمارس بشكل مباشر أو غير مباشر ضغوطًا على دولة ما لإرغامها لاتباع نهج أو سياسة ما، مما يولد حالة من العدائية والصراع لدى طبقات واسعة يمكن أن تستغل في تأجيج الصراعات الداخلية والخارجية.[١٣]

٤- الأسباب النفسية: وهي الأخرى من الأسباب القوية المؤدية إلى بروز ظاهرة الإرهاب، إذ يرجع إلى بعض أفراد المجتمع أن يكون لديهم غريزة الموت والقتل والاعتداء على الآخرين، وهي ميل متأصل ضارب الجذور في تكوين البشر، ويقول عنها علماء النفس بأنها تصريف لطاقة أو لشحنات دافع العدوان والرغبة في التدمير سواء الموجهة إلى الذات أو إلى الآخر.[١٤] فضلاً عن ذلك هناك من يعانون من الاضطراب النفسي، إذ إن هؤلاء الأشخاص يحاولون نقل مجال القلق والاكتئاب لديهم إلى الخارج، حيث يصبح الصراع بين الشخص المضطرب والمجتمع، كذلك الشخصية الفصامية هي العامل النفسي المهم والأخير من العوامل النفسية لظهور العنف والإرهاب والتطرف وهذه الشخصية تمثل حالة مرضية تجعل صاحبها منفصلاً عن الواقع، مخطئًا في تقدير ظروفه، خاليًا من المشاعر، وغير مكترث لما يؤول إليه المجتمع.[١٥]

ثانيًا: دور النخب المثقفة في التصدي لظاهرة الإرهاب

المبحث الأول: دور النخب كأفراد

مع تصاعد ظاهرة الإرهاب وبروزه، يبقى السؤال مطروحًا في الساحة الثقافية العربية ما دور المثقفين في التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة على مجتمعاتنا العربية والإسلامية؟

والحقيقة إن دور النخب المثقفة يعد دورًا محوريًا في مرحلتنا الراهنة التي بفعل تفاقم ظاهرة الإرهاب، فإنها تخوض صراعًا وجوديا بين التقدم والازدهار وبين التخلف وهنا يأتي دور المثقفين لأن لها مساس شبه مباشر بالدور الذي تضطلع به نخبة المثقفين والمفكرين، فكما يؤكد التاريخ وتجارب الأمم الماضية أن مسؤوليات النخب، تتضاعف في اللحظات المحورية للزمن، لدرجة أنها تفوق بأضعاف المرات، مسؤوليات العامة من الناس[١٦] ويأتي هذا الدور من خلال صياغة الحضارة الشخصية والعقل الجديد للمواطنين لتجاوز هذا المنعطف الخطير وتأمين المستقبل، فعلى عاتق المثقفين تقع مسؤولية تنوير الأجيال وصنع العقول والتأثير القريب والبعيد على تحليل الأشياء والنظر إليها كأطياف متنوعة وليس كأبيض وأسود، ولعل مقاومة المثقفين عن طريق الوعي النقدي البناء وقطع الطريق على كل

من ينصب نفسه رقيبًا على الناس وعلى ضمائرهم، هو وحده القادر على مواجهة الإرهاب الأعمى وهو وحده الكفيل بالدفاع عن الحياة والسلام والحرية بزرع هذه القيم في عقول أجيالنا.[١٧]

كما يقع على عاتق المثقفين والمفكرين العمل على كتابة أعمال فكرية وفنية وأدبية تعالج الأبعاد الفكرية والنفسية لهذه الظاهرة، وأنه على الفكر الحر في المنطقة العربية التحول من حالة الدفاع التي فرضتها عليه التيارات المتطرفة باسم الدين إلى حالة الهجوم، والمواجهة الحقيقية مع نمط التدين التاريخي السائد من جذوره، فضلاً عن ضرورة لفت الانتباه بقوة إلى تطوير مناهج التعليم التي تمثل في الواقع أحد أهم منابع التكوين المتطرف، وهو يشمل النظام التعليمي عمومًا، مثل فكرة ازدواج التعليم الديني والتعليم المدني.[١٨]

وعلى المثقفين والمفكرين مهمة إنشاء مراكز ثقافية واستقطاب الشباب من خلال إدماجهم في مشروع ثقافي وطني قومي يتجاوز الأنماط التقليدية إلى الاهتمام بالمعرفة وتراكمها وإنتاجها، والتركيز على المشاركة والتنشئة السياسية، وقيم التسامح واحترام التنوع والتعدد.[١٩]

إن للمثقف دورًا فعالاً وكبيرًا في تغيير الأفكار وتثقيف الشباب وتوعيتهم، فمن خلال الأنشطة والندوات الثقافية وتنشيط الأعمال الثقافية، يمكن إظهار الأضرار التي تترتب على التطرف والإرهاب وكشف أفكار من يتبنى هذا الفكر التكفيري والأخطار المترتبة نتيجة تبني هذه الأفكار فعندما تحدث أية أعمال إرهابية من تفجير أو تخريب، فإن المتضرر الأكبر هم عموم المواطنين الذين يحرمون من الأمن والاستقرار ومن العيش الكريم، ويُحرمون أيضًا من الخدمات نتيجة مثل هذه الأفعال ولهذا فلا بد للمثقف أن يعي دوره في توعية المجتمع وتنقية أفكاره من كل فكر متطرف ونشر قيم التسامح والتعايش والقبول بالآخر.[٢٠] وعليه فإن للمثقف مسؤولية تجاه مجتمعه في بلورة وتنوير الوعي والسلوك الاجتماعي وبث ثقافة الاعتدال ونقد ثقافة التطرف والعنف وتبيان أسباب هذا التطرف وإقناعه بثقافة الاعتدال وفضيلة المساواة[٢١].

كما إن لعلماء الدين مسؤولية أخلاقية ودينية في تثقيف المجتمع، إذ إن إحدى أسباب بروز الإرهاب هو فقدان الشباب ثقتهم بالعلماء، وعدم تفاعلهم مع الأئمة والخطباء، بمعنى عدم تفاعل معظم علماء الدين مع الشباب وقضاياهم وفهم مشاكلهم والإحساس بهم، والتحدث بلغتهم التي يفهمونها، ومخاطبتهم بالخطاب الذي ينسجم مع مشاعرهم، لذلك فإن للعلماء دور في محاربة الغلو والتطرف من خلال التثقيف الديني الصحيح، ذلك أن الأفكار المتطرفة التي انتشرت في عالمنا الإسلامي تسند نفسها إلى الإسلام، وتدّعي أنها تطبق الإسلام، وتزعم أن مرجعيتها الكتاب والسنة، فيمكن للعلماء إشاعة ثقافة الاعتدال الديني وفق الأسس والنظريات الإسلامية الصحيحة لتحارب ثقافة العنف والغلو، فلا يُحارَب الفكر المنحرف إلاّ بالفكر النيّر السليم، خلاصة القول إن دور العلماء مهم في الحد من هذه الظاهرة إذا تمكنوا من خلال أدواتهم الفكرية والعلمية من القدرة في التأثير على المجتمعات بحيث يصبح العلماء المنظومة الفقهية التي يرجع إليها الشباب وبقية أفراد المجتمع في حل مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية.[٢٢]

المبحث الثاني: دور النخب كمؤسسات

تؤدي المؤسسات خاصة التعليمية منها والأكاديمية دورًا في إعداد أجيال متوازنة في سلوكها ونشأتها بما تقدمه من مفاهيم تربوية وتعليمية صحيحة، ومن بين تلك المؤسسات المدارس، إذ إن المدرسة لها أهمية بالغة في إعداد أفراد المجتمع وتهذيب أخلاقهم وتوجيه سلوكهم بما يحقق الأمن والتنمية في كافة المجالات، خاصة إن هذه المؤسسة يقضي فيها الطلاب معظم أوقاتهم، مما يجعلها ذات أهمية كبيرة في غرس المفاهيم والقـــيم والمبادئ المجتمعية الصحيحـــة.[٢٣]

إن تربية الأجيال على نحو قويم تعتمد على الأسرة ومؤسسات التربية والتعليم، غير أن الأسرة اعتمدت على المدارس والجامعات وأهملت واجباتها الأساسية في هذا الشأن، فأصبحت المؤسسات التعليمية تتحمل العبء الأكبر في هذا الشأن ونجاح تلك المؤسسات عبر مناهجها مرتبط باختيار الوسائل الصحيحة وترسيخ المعرفة القائمة على الوسطية والاعتدال.[٢٤] فالمدرسة هي المؤسسة الأبرز من حيث القصد والتوجيه ووضوح الأهداف في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وتستهدف في فلسفتها الكلية عبر جميع مراحلها الدراسية ومستوياتها ومقرراتها وأنشطتها إخراج الشخصية الحضارية السوية المتوازنة البعيدة عن المغالاة في التفكير والسلوك.[٢٥]

على هذا الأساس أصبحت المدرسة أهم الركائز في دعم المجتمع من خلال غرس قيم ومعايير المجتمع الضرورية لإحداث عملية التكامل الاجتماعي، وإن مهمة المدرسة والنظام التربوي هي دمج الأفراد في المجتمع وهو مايطلق عليه التضامن الاجتماعي، وهذا التضامن ومن خلال العملية التربوية فإن الأفراد في المجتمع يتعلمون القيم الاجتماعية الإيجابية التي تغرس في نفوسهم قيم الانتماء الوطني ومشاعر الوحدة الوطنية التي تخلق التماثل الاجتماعي الضروري للمحافظة على بقاء الأمن والاستقرار في المجتمع.[٢٦]

عليه باتت المدرسة أهم مداخل الإصلاح الفكري بوصفها داعمة للتنمية الاجتماعية وتكوينها ومن هنا فإن على المؤسسات التربوية مسؤولية تنشئة الأجيال على مفاهيم الاعتدال نظريًا وعمليًا في نفوس وعقول أبناء الأمة وذلك يتم من خلال بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة الممثلة لحضارة الإسلام فكرًا وسلوكًا، هذه الشخصية التي بناها الرسول محمد ﷺ بناءً متينًا على العقيدة النقية الصافية، إضافة إلى محاربة الفكر الضال الذي يستند على التطرف والعنف والتعصب ليحل محله الاجتهاد وإشاعة ثقافة الاحترام والحوار والتسامح.[٢٧]

وللوصول إلى ذلك لا بد من تخصيص مساحة كافية من العملية التربوية لإعادة بناء منظمة القيم الاجتماعية على أسس صحيحة ويكون ذلك من خلال:

١- تهيئة الظروف المناسبة للطلبة ومساعدتهم في تجاوز العقبات وحل المشاكل التي تعترضهم.

٢- متابعة وملاحظة الظواهر السلوكية للطلبة ومنها الظواهر غير المنضبطة ومعالجتها

٣- مراقبة كافة أشكال الصراعات الشخصية بين الطلبة وكافة أشكال العنف أو الميول غير السوية.[٢٨]

وبذلك تخرج المدرسة جيلاً متسلحًا بسلاح الثقافة الصحيحة والاعتدال وثقافة تقبل الآخر مهما كانت أفكاره ويتمسك بقيم العدالة وينادي بحقوق الإنسان ويعمل على الاحترام المتبادل للحقوق والواجبات وحل الخلافات بالحوار والمناقشة، وبذلك تصبح المدرسة صانعة الثقافة المجتمعية التي هي أساس الحياة، وبقيام النظام التربوي بوظيفته يؤدي إلى تجانس المجتمع من خلال مايقوم به ذلك النظام من نقل معايير وقيم المجتمع من جيل إلى آخر.[٢٩]

وتؤدي الجامعات دورًا كبيرًا ومهمًا في مواجهة الأفكار التكفيرية للتنظيمات الإرهابية المتطرفة والتي اتخذت من الإسلام مظلة وشعارًا لها بهدف نشر معتقداتها وأفكارها الهدامة بين صفوف الشباب.

ولم تعد الجامعات معنيةً بمنح الشهادات العلمية، في ظل ما يجتاح العالم من موجات التطرف، بل أصبحت مطالبةً بأن تكون مكانًا لبناء الإنسان المنتمي والمؤمن بقضايا أمته والمسلح بالعلم والثقافة والمعرفة لكي يصدَّ بها كل ما من شأنه النيل من المجتمعات الآمنة.

وتُعد الجامعات ذات أهمية كبيرة على اعتبار أن الفرد قد وصل إلى مرحلة سن الرشد ووجب صقل شخصيته الفكرية والاجتماعية وهنا يأتي دور الأمن الفكري في صيانة الفرد في مرحلة التعليم الجامعي، فالأمن الفكري يقصد به: أن يعيش الأفراد في مجتمعاتهم وأوطانهم آمنين على مكوناتهم وثقافتهم ومنظومتهم الفكرية.[٣٠] كما يعرف الباحثون بأنه دعامة فكر الإنسان تجاه التطرف والانحراف من خلال الالتزام بمنهج الوسطية والاعتدال في فهم مختلف القضايا التي تؤدي الخروج عنها إلى زعزعة الأمن في المجتمع.[٣١]

إن دور الجامعات محوري في ترسيخ الأمن الفكري بالعمل على تحقيق سلامة الفكر من الانحراف، على اعتبار أن الجامعات جزء من المنظومة التربوية للمجتمع، تخدم أبناءه من خلال البيئة التعليمية، لكن دورها لا يتوقف عند قضية التعليم بل يتجاوزه إلى رفع مستوى الوعي الفكري لدى فئة الشباب الجامعيين ما بين سن الثامنة عشرة والرابعة والعشرين، وهي مرحلة مهمة وخطيرة في التكوين الفكري، ولذلك يعتبر الجانب الوقائي لهذه الفئة العمرية أمرًا في غاية الأهمية، خاصة بما تضطلع به الجامعات من دور تربوي ومعرفي وتثقيفي، وما يقع عليها من مسؤوليات وطنية في تحصين أبناء المجتمع من خطر الأفكار المنحرفة والضالة وفق المنهج الصحيح والمعتدل، ووفق الأسس الوطنية والثقافية والاجتماعية.[٣٢]

فالأمن اليوم لم يعد مسؤولية الجهات الأمنية الرسمية فحسب، بل أصبح وظيفة تشاركية وتكاملية بين كافة النظم المجتمعية الرسمية وغير الرسمية وواجب من الواجبات وضرورة من الضرورات للمحافظة على مجتمع آمن ومستمر، إذ إن المسؤولية الأمنية للجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية والأمن الفكري لم يعد على هامش الواجبات والاختصاصات الوظيفية، بل أضحت من أهم المحصنات وأكثرها شأنًا، فالتعليم قادر من خلال بناء شخصية الفرد وصقلها بما يتوافق مع القيم الاجتماعية والمدنية وهذا سوف يشكل حاجزًا منيعًا ضد الانحراف وداعمًا أساسيًا للأمن والأمان في المجتمع.[٣٣]

وينطلق الدور التربوي للجامعة من أنها قيمة أساسية تسهم في تكوين شخصية الطالب الجامعي وبلورة ملامحه الفكرية باعتباره فردًا منتجًا في مجتمعه، ويتمحور الدور التربوي للجامعة من خلال محورين:

الأول: المناهج التعليمية وتمثل الإطار العام للتعليم الذي يتم بموجبه مد الطالب بالقيم والسلوك والمعارف اللازمة لحياة اللازمة كمواطن يملك شخصية فعالة في المجتمع، فالمناهج تعد الدعامة الأساسية لإعداد الأجيال القادمة وتأهيلها وتكون قادرة على العمل المنتج والبناء وإحداث النقلة النوعية من التخلف إلى العلم ومن التعصب إلى القبول بالآخر.[٣٤]

فالهدف الأساسي للمناهج هو بناء الإنسان ثقافيًا وعلميًا واجتماعيًا وإنسانيًا، والمناهج حلقة وصل بين التربية والتعليم وتهدف إلى توجيه الطلاب إلى السلوك المرغوب به وذلك لتحقيق تكيف الفرد مع ذاته ومحيطه وتكوين الأمن الفكري والمواطنة الصالحة.[٣٥]

الثاني: الأستاذ الجامعي، فللأستاذ الجامعي دورًا في غرس القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية الصحيحة في نفوس الطلاب من خلال المقررات التعليمية والأساليب التي يتبعها الأستاذ الجامعي ومن خلال الحوار والنقاش لتوضيح الظواهر الجديدة في المجتمع وتبيان سلبياتها وإيجابياتها على الطلاب والمجتمع، وهنا يمكن للأستاذ الجامعي أن يكون له دور في محاربة الأفكار المنحرفة كأفكار العنف والإرهاب ومحاولة اكتشافها ووضع السبل للحد منها، ويجب أن يكون الأستاذ الجامعي في هذه الحالة متبنيًا لمبدأ الوسطية والاعتدال فكرًا وممارسة، وإعطاء الطلاب دورًا في اقتراح الحلول واستنتاجاتها في ضوء مبادئ الدين وثوابت المجتمع ومنطلقاته وتوجيهها نحو الاعتزاز بالوطن وثقافته وحضارته.[٣٦]

وبذلك يكون الأستاذ الجامعي ضمن مؤسسته الأكاديمية يؤدي دورًا إيجابيًا في التصدي لأفكار الإرهاب ويكون قدوة لطلابه، فالشخصية القدوة تمنح عملية التربية قوة حركية تجسد الفكر والمفهوم وتشجع على التفاعل مع الفكر والمبدأ، ليشاهد الطالب مثالاً حيًا[٣٧] ولنا في القرآن الكريم شواهد في التأكيد على مفهوم القدوة وانعكاساته الإيجابية بقوله تعالى ﴿... لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.[٣٨]

خاتمة وتوصيات

تعد ظاهرة الإرهاب والتطرف من أبرز الظواهر السلبية التي تواجه مجتمعاتنا العربية والإسلامية بل وحتى الغربية، ولم تعد هذه الظاهرة تقتصر على بروز أفكار وأراء تنتشر في المجتمعات بل تعداه إلى ظهور تنظيمات مسلحة حولت الساحة العربية إلى ميدان لممارسة الإرهاب والعنف مما أدى إلى تراجع نفوذ الدولة لصالح هذه التنظيمات التي لم تعد متموضعة داخل الإطار الجغرافي للدولة بل أصبحت عابرة للحدود مما يتطلب تدخلاً من كافة فئات المجتمع للعمل على استئصال هذه الآفة الخطيرة على مستقبل المجتمع العربي والإسلامي.

لا أحد ينكر ما للنخب المثقفة سواء كانوا أفرادًا أم مؤسسات من دور في مواجهة التطرف والإرهاب من خلال التثقيف ونشر الوعي بين أوساط المجتمع وكشف حقائق ومخاطر هذا الفكر الضال

الذي يؤثر سلبًا على تماسك المجتمعات المتحضرة، ويكشف عن الوجه السيء في مصادرة الأفكار والإبداع والرأي الآخر ومن هنا تأتي أهمية مواجهة هذه الظاهرة وتوحيد الجهود في جميع المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية وتوجيهها تجاه ذلك وفي مقدمتهم المثقفين والمفكرين، حيث ينبغي توحيد جهود المثقفين كأفراد للعمل على إنتاج وعي ثقافي يعمل على مواجهة ظاهرة العنف والتطرف والقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة وأبعادها السلبية أمام المجتمع وبالتالي تأتي أهمية خلق وعي متكامل في كافة النواحي من كتابات للمثقفين أو من خلال الوسائل التثقيفية تسعى إلى كشف الإرهاب وتبين مدى خطورته في هدم العلاقات الاجتماعية في المجتمع الواحد.

كما أن للمؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات دورًا كبيرًا في وقف هذه الظاهرة، كونهم يتحملون الدور المناط بهم في تقليل التطرف التي قد تنشأ لدى شريحة الطلاب ولأن الأمن يرتبط ارتباطًا وثيقًا وجوهريًا بالثقافة والتعليم فإن ذلك يعني من جملة مايعنيه غرس مفهوم القيم الأخلاقية النبيلة في نفوس أفراد المجتمع مايؤدي إلى إشاعة الأمن والاطمئنان والاستقرار وبذلك تؤدي عملاً حيويًا ومهمًا في المحافظة على بناء المجتمع واستقراره لأنها تقع على عاتقها وظيفة مهمة في بقاء وتجانس المجتمع من خلال مايساهم به التعليم من نقل معايير وقيم المجتمع من جيل إلى آخر.

ومن أجل تحقيق ذلك نوصي بما يلي:

١- الاستمرار في عقد المؤتمرات والندوات التي تعالج موضوع الإرهاب والسبل الكفيلة في محاربته والقضاء عليه.

٢- العمل على استحداث أقسام خاصة في المدارس والجامعات تعمل على تأهيل الطلبة التي تظهر عليهم بوادر العنف والكراهية ونبذ الآخر.

٣- ضرورة تعاون الأسرة مع المؤسسات التربوية والتعليمية على بناء جيل يؤمن بالحوار والاعتدال والقيم النبيلة ليساهم في بناء مجتمع صالح خال من شوائب التطرف والعنف والانحراف الفكري.

قائمة المصادر والمراجع

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٤٠١، انظر كذلك: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٤٠.

(٢) محمدين عمر بازمول، دور التربية في مكافحة التطرف والإرهاب، جامعة أم القرى، ٢٠٠٦، ص ٦.

(٣) محمد حميد دغجوقة، ظاهرة الإرهاب الدولي وانعكاساتها على الأمن الوطني الأردني، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط (عمان، ٢٠١٥)، ص ١٧.

(٤) عبد العزيز محمد سرحان، «حول تعريف الإرهاب الدولي وتحديد مضمونه من واقع القانون الدولي وقرارات المنظمات الدولية»، المجلة **المصرية للقانون الدولي**، مجلد ٢٩، ١٩٧٣، ص١٧.

(٥) سليم فرحان جيثوم، الإرهاب والمقاومة – رؤية نظرية –، كربلاء، مركز الفرات للدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٤، ص ٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) للتفاصيل انظر: خليل إسماعيل الحديثي، الإرهاب الدولي... مدان قانونًا أم سياسة؟ مجلة **العلوم السياسية**، ع ٢٦، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص١٥١.

(٨) دغجوقة، المصدر السابق، ص ١٩. http://anhri.net/docs/undocs/aact.shtml

(٩) محمد الهواري، الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج، دراسة متاحة على موقع السكينة على الرابط الإلكتروني: www.assakina.com/f[les/books/book/26.pdf

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) أسماء بنت عبد العزيز الحسين، أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، الرياض، ٢٠٠٤، ص ٨.

(١٣) عبد الرحيم بن حمادي، أسبابه وطرق مكافحته، مقالة متاحة على الرابط الإلكتروني:
www.turess.com/alfjrnews/20623

(١٤) الحسين، المصدر السابق، ص ٢٢.

(١٥) محمد المهدي، سيكولوجية التطرف، دراسة على شبكة الإنترنت، على الرابط الإلكتروني: www.elazayam.com/a54. htm

(١٦) علي حسين عبيد، المرحلة الحرجة ومسؤولية النخب المثقفة، مقالة على شبكة الإنترنت، على الرابط الإلكتروني: www.annbaa.org/arbic/annbaaarticls/2903

(١٧) فاطمة صديقي، للمثقفين دور تاريخي في محاربة الإرهاب، مقال على شبكة الإنترنت على الرابط الإلكتروني:
http://www.hespress.com/writers/256922.html

(١٨) آلاء عبد الغني ونجاة الفارس، مثقفون يدعون إلى محاربة التطرف الداعشي بالفكر والأدب والفن، متاح على الرابط الإلكتروني:
www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/8560795c-436d-4281-b2f8-b77fdabf4e1e#sthash. zVrwNjiI.dpuf

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) صحيفة العروبة السورية «الثقافة ودورها في مواجهة التطرف وتعرية الإرهاب» العدد (١٤١٨٠).

(٢١) مسؤولية المثقفين والمثقفات في مناهضة أيدلوجية وأشكال التطرف، مقال متاح على الرابط الإلكتروني:
www.lakome2.com/opinion/11377.htm#sthash.yuovz/jzl. dpuf

(٢٢) علي محي الدين القره داغي، دور المجاميع العلمية والثقافية في التصدي للتطرف، دراسة فقهية تحليلية، الدوحة، ٢٠١٦، ص ٢-٣.

(٢٣) خالد بن صالح الظاهري، دور المدرسة في مكافحة الإرهاب من منظور التربية الإسلامية، مكة المكرمة، ٢٠٠٦، ص ٥.

(٢٤) حنان عواد الفاعوري، دور المؤسسات التربوية (المدرسة) في نشر الاعتدال الفكري، صحيفة الرأي الأردنية في ٢٠١٠/٦/١٧.

(٢٥) أحمد محمد الدغشي، دور المؤسسات التربوية في مواجهة مظاهر العنف، صنعاء، ٢٠١٤، ص ٤.

(٢٦) عبد العزيز اليوسف، دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والتطرف والعنف، الرياض، ٢٠١٥، ص ١٠.

(٢٧) الفاعوري، المصدر السابق.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) سعود بن سعد البقمي، نحو بناء مشروع تعزيز الأمن الفكري بوزارة التربية والتعليم، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٩، ص ٤.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) خليل إبراهيم الإبراهيم، دور الجامعات في ترسيخ الأمن الفكري، صحيفة الجزيرة السعودية في ١١ /٢٠١٥/٣

(٣٣) معراج عبد القادر هواري، دور الجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية والأمن الفكري للطلاب، الجزائر، ٢٠١٤، ص ٣.

(٣٤) ونيان عبيد دهام السبيعي، دور الجامعات السعودية في تعزيز الأمن الفكري، أطروحة دكتوراه، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ٢٠١٣، ص ٢٢.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣٦) مسلم خير الله ألشمري، دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة حائل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب العدد ٥٤، الرياض، ٢٠١١، ص ١٧٠.

(٣٧) السبيعي، المصدر السابق، ص ٢٧.

(٣٨) سورة الأحزاب الآية: ٢١.

دراسة بعنوان

الإرهاب والاعتدال في الدين وأثرهما في بناء العراق الجديد

د. ماهر جبار الخليلي- العراق

دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بغداد، كلية الآداب

mahiralkhalili@yahoo.com

هدف البحث

محاولة الوصول إلى تشخيصات دقيقة للأمراض الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها مفاصل الدولة العراقية الجديدة من خلال التحليل والمقارنة مع التجارب الناجحة ووضع العلاجات والتوصيات المناسبة.

أهمية البحث

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال الحاجة الماسة إلى الارتقاء بمستوى الأداء السياسي والاقتصادي للشخصية العراقية، لا سيما وأن مظاهر الضعف واضحة في ذلك الأداء، فضلاً عن تداعيات الخطاب المتشنج والمتعصب للطبقة السياسية ممهور بالختم الديني تسبب في ظهور وتنامي الحركات الإرهابية المتعصبة ولذلك أهمية البحث تتبع من تتبعه بطريقة البحث العلمي التاريخي الاجتماعي للجذور الفكرية والدينية لتلك الإدعاءات والاصطلاحات المستخدمة في الخطابات السياسية وأثرها على الواقع العملي والمجتمعي وهي محاولة لمعرفة ما مطلوب تحقيقه من أهداف مرحلية والتحديات التي تواجه بناء الدولة ومؤسساتها.

مشكلة الدراسة

تعاني الدولة العراقية من مشاكل كثيرة ومتعددة انعكست بمجموعها على المنطقة وتسببت في ضياع الأراضي ودمار المدن، فضلاً عن خسارة دماء كثيرة من خيرة شباب الوطن، ولذلك فإن مشكلة البحث التي يحاول البحث هنا معالجتها تكمن في تحديد نوعية الخطاب السياسي السلبي والإيجابي، الذي يمكن أن يبني دولة مؤسسات، وممكن أن يهدم إمبراطورية عظيمة، إذ أن مصطلحات الإرهاب والاعتدال في الدين والسياسة يمكن أن يتم تأويلها لكثير من المفاهيم، بناءً على ذلك يمكن تحديد الإشكالية الأساسية التي سعى الباحث إلى الإجابة عليها وطرح الحلول المناسبة لها هي كالآتي: «ما هو نوع الخطاب السياسي المطلوب في المرحلة المقبلة بعد تجربة الماضي الأليمة وماهي خطوات النجاح التي سار عليها آخرون في دول مقاربة للتجربة العراقية».

ومن خلال هذه الإشكالية المركزية تتفرع أسئلة عدة:

- ما هي مفاهيم الاعتدال والإرهاب في القرآن وتفسيره؟
- ما هي التحديات التي واجهت الطبقة السياسية والمجتمع في بناء دولة المؤسسات؟
- ما هي الخطوات الأساسية التي أسهمت في نجاح وتطوير الأداء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدول الناهضة المقاربة لواقع العراق؟
- ماهي الفوائد والمواعظ التي يمكن الإفادة منها من التجارب الأخرى؟

المقدمة

التاريخ يشهد بكثير من النماذج التي تحلت وتسلحت وتأصلت بمبادئ وقيم ومثل عليا ساهمت بشكل كبير في بناء الأمم، والكتابة التاريخية لها من عناصر القوة الكثير من أجل التأثير في المجتمع، لا سيما دراسة تجارب الأمم والاستفادة من الأخطاء وكسب الإيجابيات والبناء عليها للنهوض والانطلاق نحو المستقبل بخطوات أكثر ثباتًا وأكثر عقلانية.

تبذل المجتمعات الإنسانية اليوم جهودًا كبرى لنشر ثقافة التسامح والحوار والتواصل الثقافي بين الأفراد والجماعات لنبذ كل ما من شانه أن يهدد أمن الفرد وتماسك المجتمع، فالقيم الإنسانية تجلت بصورها الجميلة في الكثير من المجتمعات الغربية وغابت عن المجتمعات الإسلامية، حتى أصبح الإرهاب قرين للإسلام، في حين أن التسامح في الدين الإسلامي من أهم أركانه وأسسه ومبادئه، ويدل على قبول الاختلاف في الدين والعرق والسياسة وعدم منع الآخرين من وجودهم أو إكراههم على التخلي عن آرائهم أو معتقداتهم.

إن القيم والأفكار التي يخطب بها الخطباء من على المنابر الإسلامية وفي القنوات التلفزيونية والوسائل الإعلامية الأخرى، تؤكد على القيم الإسلامية والمثل العليا والمبادئ السامية والأخلاق الراقية ولكن التطبيق الفعلي شيء آخر تمامًا، بل هناك فجوة واسعة بينها وبين السلوك الفردي والمجتمعي بما يؤشر وجود خلل كبير لا بد من تشخيصه وتجاوزه.

استغل رجال الدين والسياسة في العراق الخطابات والأفكار الإسلامية ووظفوها لمصالحهم الخاصة لأغراض الوصول إلى السلطة والثروة والهيمنة، وهذا ما أفقد ثقة الناس بالمسؤولين وجعل هناك حواجز كبيرة بين الخطاب العقلاني المعتدل وبين الواقع الاستغلالي، وأدى إلى تهميش كل ما هو إنساني وإبداعي، ويعكس ذلك مدى اتساع الهوة بين الخطاب على مستوى التنظير، والواقع على مستوى السلوك.

من هذا المنطلق تم اختيار موضوع البحث المشارك في هذا المؤتمر (الإرهاب والاعتدال في الدين وأثرهما في بناء العراق الجديد) وهذا الموضوع على قدر كبير من الأهمية من ناحية تأثيره الاجتماعي والسلوكي.

قسم البحث إلى ثلاثة محاور تناول الأول مفهومي الإرهاب والاعتدال في المنظورِ الإسلامي على مستوى القرآن الكريم والسنة النبوية وحقيقة القيم الإنسانية، أما الثاني فقد تخصص بالتحديات التي واجهت بناء الدولة العراقية الجديدة وعلاقتها بالسلوك السياسي، فيما اختص الثالث بقراءة معاصرة لنماذج عالمية اتخذت من الخطاب المعتدل منطلقًا لبناء أوطانها.

المحور الأول

مفهومي الإرهاب والاعتدال في المنظورِ الإسلامي

لا شك أن الإسلام بقواعده وأصوله وفروعه سار ويسير باتجاه إصلاح النفس البشرية وهديها وثنيها عن التدني في مستنقع الرذيلة والموبقات، وهذا بمضمونه العام يتفق اتفاقًا كليًا مع القيم الإنسانية التي دعا لها المجتمع الدولي الحاضر، وسنت على أساسها القوانين والأعراف الدولية فضلاً عن أنها أساسيات في كل الأديان السماوية وغير السماوية.

الإرهاب من المفردات الأكثر تداولاً وترددًا في وسائل الإعلام على مدار الساعة في هذه الأيام، ويشهد العالم أجمع في هذا العصر موجات إرهابية

كثيرة وخطيرة متنوعة، فليس هناك بلد في العالم إلا وقد اكتوى بنار هذا الوباء، حيث تباينت أشكاله وتنوعت صوره.

والعمليات الإرهابية قد تأتي من أفراد أو جماعات أو عصابات، فليس للإرهاب لغة، وليس له وطن، وليس له دين أو مذهب إنما هو ثقافة وبائية منتشرة تخطت كل هذه المسميات.

مفهوم الإرهاب

لغويًا، جاءت كلمة (إرهاب) بمعاني مختلفة وليس باللفظ الصريح، إذ أن كلمة (إرهاب) مشتقة من الفعل (أرهب)، ويقال: (أرهب فلانًا) أي: خوَّفه وفزَّعه، أما الفعل المجرد من الكلمة نفسها وهو (رهب يرهب رهبةً ورهبًا) فيعني: خاف، فيقال:(رهب الشيء رهبًا ورهبة أي: خافه، والرهبة: الخوف والفزع)، ومنه: (لا رهبانية في الإسلام) كاعتناق السلاسل، والاختصاء، وما أشبه ذلك مما كانت الرهابنة تتكلفه، وقد وضعها الله عن المسلمين وأصلها من الرهبنة: الخوف، وترك ملاذ الحياة كالنساء)[١]، قال الراغب الأصفهاني: الرَّهْبة والرُّهُب: مخافة مع تحرز واضطراب[٢].

وقد جاءت كلمة (أرهب) ومرادفاتها في القرآن الكريم بثمان آيات مباركات، وفي كل آية هناك تفسير وتحديد لمعنى الكلمة في سياق الآية وكالآتي:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٣]، في هذه الاية إن الله يخاطب بني إسرائيل ويذكرهم بالأنعام التي أنعم عليهم بها ويطالبهم بالشكر والوفاء ثم يحذرهم ويخوفهم بقوله ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٤].

قال تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾[٥]، وفي سياق الآية نجد المعنى أدخل يدك في جيبك ثم أخرجها تخرج بيضاء من غير مرض أو تشويه ثم ارجعها أو أدخلها مرة ثانية لأنها تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر، وهنا تعبير الرهب جاء بمعنى ماتثير عند مشاهدتها من صدمة ورهبة وخوف عند الناظر[٦].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[٧]، وفي التفسير لمَّا سكت بمعنى سكن وهدأ من الغضب، وفي سياق الآية أيضًا جاء معنى يرهبون أي يخافون من الله[٨].

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٩] وفي التفسير تأكيد وإثبات الإلهية والوحدانية ثم قال «فإياي فارهبون» بمعنى خافون دون غيري[١٠]، وهذا المعنى هو الخوف ولا يصل إلى درجة الرعب.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ٣٣٧.
(٢) الإصفهاني، الحسين بن محمد الراغب (ت٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
(٣) البقرة: ٤٠.
(٤) السيوطي، جلال الدين، تفسير الجلالين، ط١، ٢٠٠٣؛ التفسير الميسر، مجموعة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
(٥) القصص: ٣٢.
(٦) تفسير الجلالين والميسر.
(٧) الأعراف: ١٥٤.
(٨) تفسير الجلالين والميسر.
(٩) النحل: ٥١.
(١٠) تفسير الجلالين والميسر.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[11]، وأعدوا لقتالهم كل مسلتزمات القوة من عدة وعدد، أما رباط الخيل فالمقصود هو تجهيز العدة ورهنها لقتال الأعداء في سبيل الله لا غير، وكل ذلك من أجل هدف واحد هو ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ بمعنى تخوفون به الأعداء وتدخلون نفوسهم الرهبة والرعب والخوف ويقصد بهم الكفار والمنافقين المعلومين وغير المعلومين لديكم[12]، وفي هذه الآية تفيد التهديد والوعيد وليس التنفيذ وهي بذلك تؤكد على موضوع إيقاع الرهبة في العدد من الكثرة والعدة والقوة كي لا يبادر إلى القتال وليس المطلوب هو القتال من أجل بث الرعب في النفوس.

قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[13]، أمر نبينا موسى عليه السلام السحرة بإلقاء ما في أيديهم، فلما ألقوا حبالهم وعصيهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم بمعنى خوفوهم حيث تخيلوها حيَّات تسعى[14].

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾[15] وجاء في التفسير «لأنتم أشد رهبة» بمعنى أشد خوفًا ورعبًا «في صدورهم» أي المنافقين بمعنى أنكم كلما تمسكتم وثبتم على دينكم كنتم أقوى رعبًا ورهبة في قلوبهم وإن كانوا يظهرون خلاف ذلك[16].

(١١) الأنفال: ٦٠.
(١٢) تفسير الجلالين والميسر.
(١٣) الأعراف: ١١٦.
(١٤) تفسير الجلالين والميسر.
(١٥) الحشر: ١٣.
(١٦) تفسير الجلالين والميسر.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[17] وجاء في تفسير هذه الآية أن نبي الله زكريا وزوجه كانوا يبادرون إلى كل خير، ويدعوننا راغبين فيما عندنا، خائفين من عقوبتنا، وكانوا لنا خاضعين متواضعين[18].

في كل هذه الآيات والتفاسير جاءت كلمة الإرهاب بمعنى الخوف والتخويف وإثارة الذهول والعجب في النفوس إلى درجة الرعب، ولكن في واقع الأمر لا يفهم من ذلك أن القرآن يشجع على بث الرعب وإعطاء المشروعية للإرهاب وإنما تؤكد جميع الآيات الكريمات على موضوع التهديد والوعيد وليس التنفيذ، والأمر الثاني أن المقصود في كل تلك الآيات هم أعداء الله والإيمان والخير والذين يبدأون الحروب والقتال ويبادرون إلى بث الرعب والخوف وينشرون الأكاذيب من أجل محاربة الله وأنبيائه ورسله وهؤلاء هم المقصودين في كل تلك الآيات وليس المقصودين هم الناس جميعًا أو أتباع الديانات الأخرى أو نشر الإسلام بالقوة، والملاحظة الثالثة أن أغلب تلك الآيات تتعلق بالدفاع عن الدين وليس من أجل الهجوم او الترويج للدين فهي آيات دفاعية تحاول أن تدافع عن الدين بالطرق المفهومة من بعض الناس الذين لا يفهمون إلا لغة التهديد والوعيد والتخويف من أجل الردع والإيقاف.

والسؤال هل إن معاني كلمة الإرهاب التي وردت في القرآن وفي السنة النبوية الشريفة تطابق معناه في الوقت الحاضر؟ الإجابة بالطبع أن المعنى

(١٧) الأنبياء: ٩٠.
(١٨) تفسير الجلالين والميسر.

مختلف تمامًا وفقًا لما جاءت به الآيات الكريمات ليس من ناحية اللفظ وإنما من ناحية المعنى والاصطلاح والتأثير، كما إن المستخدم من هذا الاصطلاح حديثًا مختلف على من يمارسونه فالبعض يبيح الإرهاب من خلال إطلاق عليه لفظ المقاومة والآخر يرفضه باعتباره إجرامًا وهكذا فقد اختلفت الآراء في تحديد تعريف موحد ومقبول من جميع الأطراف الدولية لكلمة ومصطلح الإرهاب.

ولكن إذا أخذنا المعنى الآخر للإرهاب أو المرادف له وهو (الإجرام) فقد جاء في القرآن الكريم بـ (٢٩) آية، وجاء في التفاسير بأن الإجرام معنى ارتكاب المعاصي والآثام بالضد من المعروف والحسنات وبذلك يتوافق معنى الإجرام مع الإرهاب من ناحية التأثير في الناس والمجتمع.

مفهوم الاعتدال

الاعتدال في اللغة: (العدل: ضد الجور، وما قام في النفس أنه مستقيم)، و(عدل الحكم تعديلاً: أقامه، و(عدل) فلانًا: زكّاه، و(عدل) الميزان (سواه)، و(الاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عدَلته وعدّلته) اعْتَدَلَ: توسَّط بين حالين في كمٍّ، أو كَيْف، أو تناسُب، يقال: ماءٌ معتدِلٌ: بينَ الحارّ والبارد، وجوٌّ معتدلٌ: بين الحرارة والبرودة، وجسم معتدل: بينَ الطُّول والقِصَر، أو بينَ البَدانة والنَّحافة، واعْتَدَلَ استقامَ، ويقال: هي حَسَنَةُ الاعتدال: حَسَنَةُ القَوام[١٩].

وذكر في القاموس المحيط: من معاني العدل والاعتدال: الحكم بالعدل، والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والتوسط[٢٠].

أما اصطلاحًا فالاعتدال: هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط.

والاعتدال هو: الاستقامة والتزكية، والتوسط والخيرية، ويرادف أيضًا الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ والاعتدال يأتي أيضًا بمعنى التيسير على العباد، فالله سبحانه وتعالى لم يكلف عباده إلا بما يستطيعوا، قال تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ»[٢١]، فإنّ الإسلام دين اليسر والسهولة لا حرج فيه ولا تكليف للناس فوق وسعهم وطاقاتهم[٢٢].

من أقوى المبادئ الإسلامية المهمة التي كان لها الدور الأكبر في تقدم المسلمين في مختلف الميادين هو مبدأ الاعتدال والوسطية، وأساليب اللين والمهادنة التي أكدت عليها الآيات المباركة والسنة النبوية الشريفة، بل إن نهوض الإسلام ووصوله إلى مركز القوة كان بفضل الاعتدال والوسطية والتسامح والرحمة.

وهناك الكثير من الآيات التي تؤكد على هذا المعنى منها على سبيل المثال ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٢٣]، ويقول أيضًا ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[٢٤]، وأيضًا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٢٥]، إلى غيرها من آيات الذكر الحكيم التي أكدت على هذا المعنى الفريد من ناحية مستوى تاثيره ونتائجه.

(١٩) المعجم الوسيط.

(٢٠) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، إشراف على التحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦- ٢٠٠٥م.

(٢١) البقرة:١٨٥.

(٢٢) إقرأ المزيد على موضوع.كوم:
http://mawdoo3.com/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85_%

(٢٣) الفرقان: ٦٣.

(٢٤) النور: ٢٢.

(٢٥) الأعراف: ١٩٩.

المحور الثاني: الخطاب السياسي وتحديات بناء العراق الجديد

واجهت الولايات المتحدة الأمريكية معوقات وعراقيل قانونية وسياسية كبيرة في عملية غزو العراق واحتلاله ثم تعرضت لحملة انتقادات واسعة لعدم التخطيط بشكل جيد ووضع خطط بديلة لمرحلة ما بعد الغزو وافتقاره إلى الواقعية[٢٦].

وكانت المعارضة في خارج العراق قد ركزوا في خطابهم الأول على أفكار معاداة حزب البعث الحاكم وتفكيك نظامه المؤسسي، متأثرين بعملية اجتثاث النازية في ألمانيا[٢٧]، فضلاً عن موضوع التمثيل الطائفي على أسس مذهبية وقومية ودينية في محاولة للاستئثار بالسلطة، نتيجة التحشيد والتحفيز والترويج لمبدأ المظلومية والاقتصاص من الظالمين وإنصاف عوائل الضحايا باسترجاع الحقوق المنهوبة.

من هذا الخطاب وانتقاله إلى أرض الواقع بعد سقوط نظام البعث وتسلط شخصيات المعارضة على مواقع الدولة وترجمة أفكارها ومبادئها على شكل قوانين وتشريعات، برزت هويات فرعية تعدت الهوية الوطنية وأصبحت وطنية الفرد متعلقة بهويته المذهبية والقومية، فأصبح غريبًا متشتتًا بلا هوية جامعة.

واحدة من أهم مصائب ومشاكل العراق كوطن هو اختصاره بطائفة أو قبيلة أو دين أو مذهب، ويبرز من خلال هذا التوجه قيادات متاجرة همها الأول المال والجاه والسلطة، والتي لا تجد لها مكانًا إلا في ظل هذه الظروف الفوضوية المعقدة، ونظرة متفحصة للمشهد السياسي العراقي تعطينا كيف تشكل هذا المشهد، فأكبر أحزابه هي الأحزاب الطائفية والدينية والعرقية.

كان خطاب هذه الأحزاب يؤجج الصراع، فعندما يكون الخطاب ضيق الأفق ومحدود الرؤية، ومركز على قضايا يعدها مركزية وثابتة وأولوية في منهاجه، متجاهلاً الفئات والطوائف الأخرى فإنه بالتأكيد سوف يثير حفيظة الآخرين، وكانت السمة البارزة لهذا الخطاب هو الطابع الإسلامي والمذهبي من جهة وقومي كردي عربي من جهة أخرى وقد أسس هذا الخطاب لمنهجية العداء والخصومة والانتقام وأخذ الثأر.

إن الحركة الإسلامية بشكلها العام وفي العراق بشكل خاص حاولت تطوير برامجها ومناهجها بما يتلائم وروح العصر ولكن للأسف بقت متخلفة عن ماطرحه محمد عبده مع سبقه التاريخي منذ بواكير النهضة العربية، إذ ينظر للحاكم في الدولة الإسلامية نظرة مدنية (إن الحاكم في مجتمع مسلم ينبغي أن يكون حاكمًا مدنيًا من كل الوجوه، وانتخابه يخضع لإرادة الناس، وليس حقًا إلهيًا يجعل الحاكم يدعي لنفسه سلطة الدين)[٢٨] وهذا الخطاب الديني المعتدل والعابر لمفهوم القيادة الدينية لم يكن قادرًا أن يستمر ليصبح منهج عمل ومسيرة أحزاب سياسية متاثرة بالفكر الإسلامي ولكن بروح مدنية، بل بالعكس فإن الحركة الإسلامية تخلفت كثيرًا حتى عن عصر تأسيس حركة الإخوان المسلمين وتبنيها مبدأ القيادة الدينية وفقًا للأسس الديمقراطية التي وجدتها أسلوب وطريق للوصول إلى السلطة وليس

(٢٦) ميراندا سيسونز وعبد الرزاق الساعدي، **إرث مرّ: دروس من عملية اجتثاث البعث في العراق ٢٠٠٤-٢٠١٢**، المركز الدولي للعدالة الانتقالية، آذار/ مارس ٢٠١٣، ص ١٢.

(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) محمد عبدة، **الأعمال الكاملة**، الجزء الأول، ص١٠٤.

كنظام سياسي يحقق طموحات شعب بالحياة الحرة الكريمة، بل كانت أطروحات سطحية ومحاولات ترقيعية لمواجهة الواقع.

ويمكن تحليل خطاب الحركة الإسلامية في العراق وفقًا لبعض الأفكار فمثلاً أطروحة (لا بد أن تكون حكومة المستقبل في العراق حكومة إسلامية وشيعية وسيكون مبدأ ولاية الفقيه هو مبدأ مستقبل العراق)[٢٩] أو أن يرى بعض الفقهاء أن القيادة في الدولة الإسلامية (لا بد أن تأتي بتعيين من قبل المولى الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى أو وليه، وهذا يعني أن شكل الحكم في الإسلام شكل الاستخلاف والنيابة عن ولي الأمر)[٣٠] أو كما يذكر أحد القيادات الإسلامية في كتابه (أوليات الدولة الإسلامية) (الإسلام لايُحرَم الأحزاب وإنما يُحرَم الأحزاب الكافرة، التي تحكم طبقًا لمبادئ وتطبق قوانين غير إسلامية، مثلما نرى من أمثلة في البلاد الإسلامية، الحزب القومي أو الشيوعي أو حزب البعث أو الحزب الديمقراطي)[٣١]، وهذه الرؤية التي قصدنا بأنها قاصرة ومحدودة الأفق وأفرزت نتائجها السلبية ظهور قيادات غير مؤهلة أخذت نصيبها من تدمير الهيكلية الإدارية والمالية للدولة العراقية.

إن الغاية من هذه الدراسة تقديم بعض الأفكار حول المسار المستقبلي للعراق وكيفية معالجة تداعيات الإرهاب الاجتماعية والاقتصادية، وكيف نعالج أخطاء الخطابات السياسية المتعصبة في المرحلة الماضية ونسعى إلى خطاب سياسي معتدل بعيد عن العنصرية والمذهبية والقومية، والسير نحو تطوير البلد وتحويله إلى دولة مستقرة تسير بخطوات ثابتة نحو التنمية، وهذا يتطلب تحديد بعض الأساسيات التي يجب اتباعها على المدى القريب.

في الواقع لا يمكن أن يكون هناك عراق متقدم حتى نتمكن من التغلب على التحديات الكبيرة التي تسببت في منع عملية التقدم والتطور منذ لحظة ولادة العراق الجديد بعد عام ٢٠٠٣م.

أولاً: التحديات السياسية

التحدي الأول: كيفية إنشاء أمة عراقية متحدة ضمن مصير مشترك ومتاح للجميع، دون تمييز وتعنصر لقومية أو مذهب أو دين أو عرق وقد فشلنا لحد الآن.

- السؤال: ماذا كان مستوى الخطاب السياسي بعد عام ٢٠٠٣؟

بنيت الطائفيةَ السياسيةَ منذ اللحظات الأولى لتاسيس مجلس الحكم المبني على أساس التمثيل الطائفي المذهبي والقومي، ومن هنا بدأ تجذير العمل الطائفي الذي انعكس على الخطاب السياسي واستطاعَ أن يمزقَ السلمَ الأهليّ بينَ الناس، وبهذا التوجه السياسي تم إعادة تشكيلَ المجتمعِ العراقيّ على أساس إنتاج هُويات سياسية جديدة ولكن للأسف مع تضحيات ودماء.

شكّل التنافس بين الشيعة والسُنة في العراق محور الصراع السياسي في الدولة منذ سقوط النظام السياسي عام ٢٠٠٣ إلى الآن، فقد أعاقت التوتّرات الطائفية عمليات بناء الدولة وزعزعت استقرار البلاد، ولم تكن الحكومات العراقية المتعاقبة بمحاولات واضحة للتغلّب على هذه الانقسامات وبناء هويّة وطنية مشتركة، لا بل إن العديد من الإجراءات

(٢٩) فرهاد ابراهيم، **الطائفية والسياسة في العالم العربي**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٤٠٩.

(٣٠) محمود الهاشمي، **مصدر التشريع في النظرية الإسلامية**، في كتاب (الاجتهاد والحياة)، حوار على الورق، حوار وإعداد محمد الحسيني، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٢، ١٩٩٧م، ص١٧٧.

(٣١) محمد الشيرازي، **من أوليات الدولة الإسلامية**، إيران، قم، ١٤٠٥، ص ١٩.

التي اتّخذت حتى الآن لم تؤدِّ إلا إلى مزيد من تفتيت الدولة[٣٢].

التحدي الثاني: تعزيز وترسيخ قيم الديمقراطية في المجتمع، بمعنى خلق مجتمع ناضج ديمقراطيًا يمارس نوعًا من الديمقراطية المناسبة للطابع المحلي وليست الديمقراطية المستوردة الجاهزة الجامدة المغلفة بقيم وعادات غريبة وغير مناسبة.

ركز الكاتبان ليام اندرسون وغاريت ستانسفيلد، في كتابهما المعنون(عراق المستقبل.. دكتاتورية.. ديمقراطية..أم تقسيم) على عوامل عدم الاستقرار المتأصلة داخل العراق، فقد ناقشوا مشكلة العراق وراقبوا تطوراته لعدة سنوات، وفكرتهما عن العراق المتميز بوجود هويات طائفية وعرقية قوية لم تكن جديدة لكنها كانت بالتأكيد غير مجربة، لأن الأكاديميين بصورة خاصة بقوا يركزون على القوة الموحدة لهوية عراقية، لكن العراق الآن يبدو فسيفساءً بدرجة عالية من الواقعية، وهو مستمر يكافح ويبحث عن الاستقرار، لأن عددًا كبيرًا من القوى تحكمها أحيانًا برامج عمل حصرية تظهر من داخل الدولة، إما لجعل العراق وفق صورتها الخاصة كما هي الحال بالنسبة للسنة والشيعة، أو لابتكار شيء جديد، كما سيحاول الأكراد أن يفعلوا[٣٣].

في أواخر ٢٠٠٦ أصدرت منظمة الأمم المتحدة تقريرًا عن تهجير أو تشريد حوالي ١,٧ مليون مواطن عراقي داخل وطنهم منذ عام ٢٠٠٣م بمعدل ٥٠,٠٠٠ شخص يغادرون منازلهم شهريًا، كما كشفت المنظمة الدولية عن وجود ٤١,١٨٩ أسرة مهجرة حديثًا داخل العراق[٣٤].

التحدي الثالث: إنشاء مجتمع مهتم بشؤون وطنه بشكل تام وثقافته مبنية على أساس بناء الوطن وليس الذات، بنظام اجتماعي يأتي فيه المجتمع قبل ذاته، ولا تتمحور فيه رفاهية الشعب حول الدولة أو الفرد إنما حول منظومة وطنية عائلية قوية ومتينة والترويج لفكرة وطننا عائلتنا الكبرى التي نعيش تحت ظلها جميعًا.

ثانيًا: التحديات الاقتصادية

التحدي الأول: التوزيع العادل والمتكافئ لثروة الأمة، بمشاركة جميع الفئات والأطياف في الإنتاج والتوزيع والأرباح.

التحدي الثاني: تحسين وتطوير منظومة صنع القرار الاقتصادي المناسب لمصالح العراق العليا والعابر للمصالح الطائفية والحزبية والذاتية.

التحدي الثالث: الاهتمام المتوازن بالقطاعات الاقتصادية (العام والخاص والمختلط) ثم توزيع المهام والواجبات حسب حاجة البلاد الملحة والضرورية.

التحدي الرابع: التنمية والتحديث في القطاعات الاقتصادية بشكل متواز بحيث لايهمل أي قطاع، (المصرفي، الإسكان، الصناعي، التجاري، الزراعي، السياحي، الاتصالات، الإعلام، التعليمي، الفني، الرياضي.. إلخ) فهذا يسهم بشكل كبير في بناء اقتصاد قوي متماسك ومستند على أسس المنافسة وحرية الامتلاك الفردي والاستثمار العالمي.

---

(٣٢) حارث حسن، **الأزمة الطائفية في العراق: إرث من الإقصاء**، المصدر: Getty، دراسة ٢٣، نيسان ٢٠١٤م، مركز كارنيغي للشرق الاوسط، الموقع الإلكتروني: http://carnegie-mec.org/2014/04/23/ar-pub-55405

(٣٣) ليام اندرسون وغاريت ستانسفيلد، **عراق المستقبل.. دكتاتورية.. ديمقراطية..أم تقسيم**، تر: رمزي ق. بدر، مراجعة وتقديم وتعليق: ماجد شبر، ط ١، دار الوراق، بيروت، ٢٠٠٥م.

(٣٤) أنطوني كوردسمان، **العنف الطائفي والعرقي في العراق والتمرد المنبعث منه – تطورات الأحداث خلال ربيع ٢٠٠٧**، العراق في مراكز الأبحاث الاستراتيجية، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، آب ٢٠٠٧، ص٢-٣.

ثالثًا: التحديات الاجتماعية

التحدي الأول: هو في خلق مجتمع عراقي متحرر نفسيًا من العقد وله إيمان وثقة بالنفس ويفخر بتاريخه ولايهمله أو يستعر منه، بل لا بد من الافتخار بالتراث والتاريخ والحضارة باعتبارها احد العناصر الأساسية للهوية الوطنية الجامعة المشتركة، مع الاعتزاز والافتخار بالهويات الفرعية بمختلف ألوانها.

التحدي الثاني: ضرورة بناء المجتمع على أسس علمية ومتطورة، بمعنى أن يكون المجتمع مبدعًا ويتطلع إلى الأمام، لا أن يكون المجتمع مستهلك للتكنولوجيا؛ لذا لا بد أن نخلق مجتمعًا جادًا عمليًا يساهم في الحضارة العلمية والتكنولوجية المستقبلية.

رابعًا: التحديات الأمنية والعسكرية

التحدي الأول: ويتمثل في بناء منظومة عسكرية وطنية مشتركة تحظى بثقة جميع العراقيين وتؤمن بالعراق الواحد القوي العزيز، الخالي من الاستقواء على أبنائه.

التحدي الثاني: بناء منظومة استخبارية أمنية تتمتع بالمهنية والوطنية والشجاعة يكون هدفها حماية العراق من كل أنواع الأخطار السياسية والاجتماعية والاقتصادية الواردة من وراء الحدود أو من داخلها بطريقة احترافية وبكوادر عراقية وطنية مدربة جيدًا ولها روح وطنية عالية.

وفي هذا المحور بالذات لا بد من الإشارة إلى أن عراق اليوم حقق انتصارات عظيمة وحقيقية نفخر بها جميعًا، بفضل التضحيات الكبيرة لأبنائه، إذ قاتل الجميع بمختلف ألوانهم وقومياتهم وأديانهم ومذاهبهم صفًا واحدًا ضد أعداء الوطن والدين والإنسانية، وحصل على ثقة العراقيين جميعًا وعلى دعم المجتمع الدولي، ولذلك نأمل أن تستمر هذه الروح التي تتعامل بها قيادة الدولة نحو تحقيق أهداف سياسية أكبر في المرحلة المقبلة لا سيما تحت خيمة العراق الواحد الموحد بأبنائه جميعًا بعيدًا عن التشتت والانقسام والتشرذم والتصارع.

خامسًا: التحديات القانونية

التحدي الأول: التشريع أساس الإصلاح، وبالتالي فإن المؤسسة التشريعية ممثلة بمجلس النواب يقع على عاتقها دور التشريع القانوني الصحيح، فالدولة أمٌ راعية للأمة فمن الواجب عليها أن تشرع القوانين والتشريعات الصحيحة والجيدة والمتطورة والمناسبة في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تحافظ على مصالح البلد العليا، وأن تتصف تلك التشريعات بالإنصاف والعدالة وشموليتها لجميع أبناء الشعب بمختلف ألوانهم، كما يجب أن تتصف بالتوازن بين مصالح المجتمع والدولة من جهة وبين المجتمع نفسه من جهة ثانية، فهذا يسهم بشكل كبير جدًا في بناء مجتمع قوي متماسك ومستند على أسس التعايش والمواطنة.

التحدي الثاني: إصلاح القضاء العراقي، وهو يمثل السلطة القضائية وبالتحديد مجلس القضاء الأعلى الذي يمارس سلطاته القضائية بوحي من الدستور كسلطة تتمتع بالاستقلالية ولكن الواقع يشير إلى تدخل السلطتين التنفيذية والتشريعية بهذه المؤسسة وبشكل واضح وصريح، ولذلك فإن التحدي الأكبر أمام صناعة دولة المؤسسات هو إصلاح المنظومة القضائية برمتها من الأعلى إلى الأدنى من ناحية الموارد البشرية، ومن الأدنى إلى الأعلى

من ناحية التنظيم والإجراءات والقوانين والتشريعات خصوصًا تلك التي تكون على تماس مباشر مع مصالح الناس وحقوقهم وممتلكاتهم ومصائرهم وحياتهم.

وبعد هذا التشخيص والاستعراض لأبرز التحديات الواقعية والعملية التي صاحبت مسيرة بناء دولة المؤسسات منذ عام ٢٠٠٣ إلى الآن، وفي هذا الإطار لا بد من تحديد أسباب فشل بناء الدولة في المرحلة السابقة وعلاقة ذلك بالسلوك السياسي:

- الرؤية السياسية الخاطئة وغير الصحيحة بشأن بناء الدولة، وهناك مجموعة من الثوابت عند السياسيين تمثل وجود رؤية مع غياب التخطيط والاستراتيجية على المستوى القريب والمتوسط والبعيد المدى.
- إيمان الإسلاميين السياسيين المطلق بأنهم الأفضل لقيادة البلد وأن العملية السياسية الحالية هي الأفضل للعراق وبديلها التقسيم أو الحرب والرغبة الشديدة في البقاء على دفة القيادة.
- التشريعات القانونية الخاطئة بدءًا من الدستور وطريقة إقراره ثم القوانين المتفرعة منه والتي أسهمت في تدهور الأوضاع في البلاد فضلاً عن التعليمات الإدارية غير المهنية.
- اعتماد مبادئ الولاء على حساب الكفاءة والمذهب على حساب الوطن والقومية على حساب الوطنية والحزب على حساب العراق.
- الإصرار على منطق الطائفية والتخندق والمذهب القومي سواء في تشكيل الأحزاب أو التكتلات السياسية الأخرى وهو ما أدخل البلاد في دوامة التعصب والتطرف.

ولو جرى التوسع في الأسباب ستكون بالتأكيد أكثر من ذلك ولكن ماهي الخطوات أو المبادئ التي نجح فيها آخرون عانوا من اضطهاد سياسي على أساس عرقي وقومي ولكنهم نجحوا في بناء أوطانهم والانتقال إلى التحديث والتنمية والسير في سكة التطور العالمي بخطوات سريعة في بعض البلدان وبطيئة في أخرى حسب طبيعة كل بلد.

المحور الثالث: الخطاب المعتدل وأثره في بناء الأوطان

لا يختلف اثنان أن العراق منذ الأزل يتمتع بالتنوع الاجتماعي وعاشت فيه أقوام متعددة وأديان مختلفة وهذه ليست ميزته المنفرد بها وإنما الكثير من البلدان لا زالت تتمتع بالتنوع العرقي والاجتماعي والقومي ولكنها استطاعت أن تتجاوز تلك الجزيئيات الصغيرة وتنتقل إلى بناء البلاد بشكل أكثر قوة وأسرع وتيرة.

السؤال في هذا المحور كيف يمكن للخطاب المعتدل أن يسهم في بناء وطن أو دولة أو في توحيد أمة؟ طبعًا الإجابة ستكون من خلال تتبع بعض النماذج في الإطار الإيجابي بمعنى أن هناك دول أو أمم أو رؤساء أو ملوك تشنجت في خطابها إلى أن وصلت إلى الانهيار والتلاشي وبالمقابل هناك دول اعتدلت في خطابها ثم ترجمت الاعتدال إلى أفعال ولم تكتف بالأقوال فكانت سببًا لازدهار ونمو أوطانها.

إن الخطاب المعتدل مبني على أسس قرآنية إذ يقول الله جل وعلا في كتابه العزيز: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣٥] والـ(جدال) معناه فتل الحبل وإحكامه وتستخدم هذه المفردة في البناء المحكم وماأشبهه، وفي النقاش والحوار المحتدم بين فريقين أفرادًا أو جماعات يحاول

(٣٥) سورة العنكبوت/ ٤٦.

كلُ فريقٍ ثنيَ الآخرِ عن أفكارهِ وآرائهِ ومعتقداتهِ باستخدامِ قوة المنطق[٣٦].

ويقول العزيزُ القدير أيضًا: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٣٧]، تناولت هذه الآية موضوع التعامل مع الخصم وفيها نهيٌ قويٌ قاطعٌ عن سبِ آلهة الكفارِ والمشركينَ وكلِ مايُعبدُ خارجَ الذاتِ الإلهيةِ لأنّ هذا سوف يدعوهم إلى أن يعمدوا بالجهل والعدوان إلى توجيه السب إلى ذات الله المقدسة وفي ذلك مساواة المؤمن بالكافر في التعامل[٣٨].

والقيم الإنسانية التي تدور في محور الإنسان نفسه تركز على تحديد معايير وآليات لإصلاح الإنسان نفسه بطرق ذاتية وعائلية ومجتمعية، ولذلك أصبحت المجتمعات المتطورة تمتلك آليات محاسبة ذاتية عند الفرد ذاته قبل أن تكون القوانين رادعة.

والإسلامُ بصفتهِ دينًا عالميًا يتجه برسالتهِ إلى البشريةِ كلها ويخاطب الإنسانية جمعاء، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم وتُرسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعًا في جوٍ من الإخاءِ والمودةِ بين كل الناس بصرفِ النظرِ عن أجناسِهم وألوانهم ومعتقداتهم، فالجميعُ ينحدرون من (نفس واحدة)، كما جاء في القرآن الكريم ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٣٩].

إن الخطاب المعتدل يتجسد في قيم ومبادئ أولها التسامح الذي لا يعني التنازل أو التساهل بل اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بالحقوق والحريات الأساسية المعترف بها عالميًا، لا يجوز بأي حال الاحتجاج بالتسامح لتبرير المساس بهذه القيم الأساسية[٤٠].

في عصرنا الحاضر نماذج من الشخصيات الفذة التي استطاعت أن تبني أوطانها بسرعة كبيرة وإرادة مذهلة أثارت إعجاب العالم أجمع، وكانت انطلاقتهم الأولى بعد الاضطهاد والحروب والظلم هو خطابها المعتدل وتطبيق مبدأ التسامح بشكل عملي، وفي مقدمتهم رئيس جنوب أفريقيا المسيحي نلسون مانديلا، ورئيس وزراء ماليزيا الأسبق الدكتور مهاتير محمد، وفي هذا الإطار سوف نعرض موجزًا لإنجازاتهم ونقدم دليلاً حيًا بشأن مايمكن أن يفعله الخطاب المعتدل من معجزاتٍ كبيرة تعجز عنها ترسانةٌ كبيرةٌ من المعدات الحربية والصناعية.

الإنموذج الأول: نلسون مانديلا

ولد نيلسون مانديلا، زعيمُ جنوب أفريقيا التاريخي وقائد النضال ضد التمييز العنصري، في ١٨ تموز١٩١٨م في مقاطعة ترانسكاي وتشبع بأفكار الوطنية الإفريقية، واعتمد فلسفة نبذ العنف في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي بمنطقة كيب تاون، واصل دراساته العليا بتحضير شهادة في الحقوق في جامعة «ويتوارساند»، حيث تعرف بمجموعة من الطلبة الذين أصبحوا بعد ذلك مناضلين بارزين في سبيل الكفاح ضد العنصرية[٤١].

---

(٣٦) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، **الامثل في تفسير كتاب الله المنزل**، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الجزء العاشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، سورة العنكبوت، ص٧٤.

(٣٧) سورة الأنعام/ ١٠٨.

(٣٨) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الامثل، الجزء الرابع، ص١٨٥.

(٣٩) لقمان ٢٨.

(٤٠) **إعلان مبادئ بشأن التسامح**، المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٥م، المادة الأولى، الفقرة الاولى والثانية.

(٤١) للمزيد عن حياة نلسون مانديلا ينظر: الموقع الإلكتروني: http://www.france24.com/ar/20100210-south-africa-nelson-mandela-apartheid-regime وكتاب: Jean Guiloineau, Nelson Mandela: The Early Life of Roli-

في الخامس من آب ١٩٦٢م اعتقلت السلطات نيلسون مانديلا وزجت به في السجن، وخلال العام ١٩٦٣ حكم على مانديلا بالسجن مدى الحياة، أمام تزايد الضغط الدولي، اضطرت سلطات نظام التمييز العنصري في كانون الأول ١٩٨٨م، إلى إخراجه من السجن ووضعه رهن الإقامة الجبرية، وقد استعاد حريته المطلقة في١١ شباط ١٩٩٠م بعد أن قضى ثلاثة عقود كاملة في سجون نظام التمييز العنصري، وجاء الإفراج عنه في أعقاب قرار رفع الحظر على نشاطات «المؤتمر الوطني الإفريقي» من قبل رئيس جنوب أفريقيا فريدريك دي كليرك في تموز ١٩٨٩م، وفي السادس من آب من نفس السنة أعلن الحزب تخليه عن الكفاح المسلح بناءً على اتفاق مع «الحزب الوطني» الحاكم[٤٢].

في ٢٧ نيسان ١٩٩٤م انتخب رئيسًا للجمهورية إثر أول انتخابات متعددة الأعراق تشهدها البلاد في تاريخها، وبمجرد اعتلائه كرسي الرئاسة، بادر زعيم جنوب أفريقيا بإنشاء لجنة «الحقيقة والمصالحة»، وهي هيئةٌ عملت على تعبيدِ الطريقِ باتجاهِ المصالحةِ وتضميدِ الجراحِ ونجحت في نهاية المطاف في رد الاعتبار لجنوب أفريقيا وتحسين صورتها على الساحة الدولية، وقد غادر النشاط السياسي المؤسساتي في عام ١٩٩٩م ليترك كرسي الرئاسة لرفيق الكفاح ثابو مبيكي[٤٣].

ومن أفكاره وفلسفته:[٤٤]

- التسامحُ الحقُ لا يستلزمُ نسيانَ الماضي بالكامل.
- إذا كان هناك أحلامٌ بجنوبِ أفريقيا جميلةٌ، فهنالك أيضًا طرقٌ تؤدي إلى أهدافها. يمكن تسميةُ اثنين من هذه الطرق بالطيبة والغفران.
- إننا نقتلُ أنفسنا عندما نُضَيّق خياراتِنا في الحياة.
- إذا تصالحتَ مع عدوك، فعليك أن تعملَ معه. عندها يصبحُ صديقكَ.
- من الأفضلِ دائمًا أن تتولى القيادةَ من الخلفِ واضعًا الآخرين في المقدمةِ خصوصًا عندما تحتفلُ بالنصرِ عند حدوثِ الأمور الطيبة، خذ المقدمةَ عند الخطرِ، عندها سيقّدرُ الناسُ قيادتَكَ.
- دع الحريةَ تسودُ، فالشمسُ لا تغيبُ أبدًا عن إنجازاتِ الإنسانِ المجيدة.

«لم أفقد الأملَ قط في أنّ التحولاتِ التي تحققتْ قادمةٌ، ليس بفضلِ جهودِ من ذكرت من الأبطال ولكن بفضل شجاعة الإنسان العادي في بلدي، إنني أؤمن أن في أعماق كل قلب بشري رصيد من الرحمة والسماحة، لايولد أحد وفي نفسه كراهية لأحد بسبب لونه أو أصله أو دينه، فالكره يكتسب ومادامت لدى الإنسان قدرة على أن يتعلم الكره فهو قادر على تعلم الحب لأن الحب أسهل وأسلس على قلوب البشر من الكراهية والبغضاء، كنت أرى لمحات

---

hlahla Mandiba, north atlantic books, 1998

(٤٢) محمد بن حامد الأحمدي، **نيلسون منديلا - مسيرة طويلة نحو طريق الحرية**، الموقع الإلكتروني. www. awrag.com

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) نلسون مانديلا، **رحلة طويلة من أجل الحرية**، السيرة الذاتية لرئيس جمهورية جنوب أفريقيا، تر: عاشور الشامس، SPAL PUBLISHERS، جنوب أفريقيا، ١٩٩٨م، ص ٥٢٨.

السماحة والإنسانية لدى حراس السجن حتى في أحلك الأوقات وعندما بلغ الأمر أشده بي وبزملائي، وربما ظهرت تلك الإنسانية للحظات قصيرة ولكنها كافية لطمأنتي ولرفع معنوياتي، فالخير جذوة في نفس كل إنسان تختفي أحيانًا وتحجب أحيانًا ولكنها لا تنطفئ ابدًا».

الإنموذج الثاني: مهاتير محمد[٤٥]

أسهم أسلوب وطريقة مهاتير محمد في معاملة الشخصيات السياسية الداخلة ضمن ائتلافه أو المعارضة كان مميزًا ولعل رده للانتقادات التي وجهت إليه في مراحل مختلفة من حكمه تؤكد بعد النظر والثقة بالنفس والقدرة على إدارة الخلاف.

على سبيل المثال أشار في مذكراته إلى طبيعة العلاقة التي ربطته بنائبه أنور إبراهيم[٤٦] لمدة طويلة، فقد كان أنور كثير الانتقاد للحكومة، لا سيما فيما يتعلق بالمحسوبية والفساد والإثراء على حساب الدولة وكانت كلماته ذات حدين والتحدث بها علنًا لها أهداف معينة لأنه الرجل الثاني بالدولة، ولكنها استراتيجية ذكية لتشتيت الانتباه عن تصرفاته وتطلعاته إلى منصب رئيس الوزراء، فضلاً عن ذلك أشار مهاتير محمد أنه يعلم علم اليقين أن هدف أنور الوصول إلى قمة الهرم ولكنه لم يقلق ولم يكترث لذلك كونه واثقًا من نفسه ومتيقظًا إلى درجة عالية بأنه لن يستطيع النجاح في مسعاه[٤٧].

استطاع د. مهاتير التعايش مع النائب أنور إبراهيم لسنين طويلة استمرت من (١٩٨٢ إلى ١٩٩٨) مع علمه بما يضمره ومايخطط له ومع ذلك سلم له سلطات وأعطاه مجالاً كبيرًا وواسعًا للعمل ضمن الإدارة الحكومية.

قال مهاتير محمد «أمكنني التعامل مع أنور ابراهيم لأنني عرفت أهدافه ولكنني أيضًا أشك أن يحصل على الدعم الكافي إذا التف ضدي، وما زلت أراه قائدًا فعالاً وشعرت أن أمنيته للإطاحة بي أمر سابق لأوانه، ولكن ثقتي في نفسي والاتجاه الذي اخترته سمح لي دائمًا للعيش مع الخلاف، مع الناس الذين يفكرون ويتصرفون بشكل مختلف عني»[٤٨].

مثلت هذه الطريقة في التعامل مرتكزًا أساسيًا وعاملاً مهمًا من عوامل نجاح التجربة التي انفردت بها ماليزيا في هذه المرحلة لأن توافر هذه الصفات بشخص مهاتير محمد جعلت الوقوف بوجه التحديات أمرًا سهلاً وليس صعبًا.

صفة أخرى في شخصية مهاتير وطريقة تعامله مع الأحداث والمشاكل أكسبته ثقة الناس، ممثلة بالحوار المطول ومحاولة إقناع الطرف الآخر مهما كان صغيرًا أو كبيرًا في حجمه أو منصبه، وقد أشارت إحدى الدراسات عن النظرة العالمية لماليزيا إلى أن المنهج الماليزي في إدارة المجتمع

(٤٥) مهاتير محمد: رئيس وزراء ماليزيا لخمس دورات انتخابية من ١٠٨١-٢٠٠٣، ولد في كانون الأول عام ١٩٢٥ ودرس الطب، ثم أصبح عضوًا في مجلس النواب ١٩٦٤، فصل من حزب امنو الحاكم عام ١٩٧٠ وبعدها عاد للعمل الحكومي عام ١٩٧٢ وتدرج من وزير تعليم وصناعة ثم نائب لرئيس الوزراء ثم أصبح رئيسًا للوزراء عام ١٩٨١، وبدأ مسيرة إصلاح شاملة للدولة. للمزيد ينظر: ماهر جبار محمد علي الخليلي، **مهاتير محمد ودوره في تحديث ماليزيا ١٩٦٩-١٩٩١**، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم التاريخ، بغداد، ٢٠١٤.

(٤٦) أنور إبراهيم: ولد في ١٠ آب عام ١٩٤٧، تدرج في العمل السياسي منذ السبعينيات وكان ضمن اتحاد الطلبة ممثلاً لأحد الأحزاب الإسلامية، واحد من أبرز القادة السياسيين في ماليزيا، كان وزيرًا للمالية ونائبًا لرئيس الوزراء عهد رئيس الوزراء الأسبق مهاتير محمد، وكان متوقعًا له أن يخلف مهاتير في قيادة التحالف الوطني الحاكم لولا الخلاف الذي وقع بين الرجلين في عام ١٩٩٨، عندما أقيل من جميع مناصبه السياسية واقتيد إلى السجن عقب اتهامه بتهم عدة من بينها تهمة «الفساد المالي والإداري»، كما حكم عليه القاضي بستة سنوات سجن في أيلول١٩٩٩م. للمزيد انظر:
J. Victor Morais, Anwar Ibrahim Resolute In Leadership, Arenabuku sdn. Bhd, Kuala Lumbur, 1984, pp.1-7.

(47) Tun Dr Mahathir Mohamad, A doctor in The House - The Memoirs, 3th print, MPH Group Publishing Sdn Bhd, Petaling Jaya, Selangor-Malaysia, January 2012, p.404.

(48) Ibid.

متعدد الأعراق إنموذجًا فريدًا من نوعه ليس لأنه استطاع أن يحدث توافقًا وتكاملاً عرقيًا يشهد له القاصي والداني أو لأنه تمكن من أن يرضي مختلف أعراق المجتمع على اختلاف توجهاتها ولكن لأنه استطاع أن يجعل هناك قواسمًا مشتركة يلتف حولها الماليزيين كافة بصرف النظر عن أجناسهم أو دياناتهم[٤٩].

خاتمة واستنتاجات وتوصيات

لكي تتم معاجلة الانقسامات الكبيرة في العراق، فإن العراقيين بحاجة إلى إجراء مراجعة جوهرية للقواعد التي تحكم النظام السياسي الحالي في البلاد، يتعينّ أن تصبح السلطة أقل نخبوية وأكثر بعدًا عن المركزية وأكثر تعبيرًا عن احتياجات الناس[٥٠].

منذ ثمانينيات القرن العشرين والعراق يمر بمآسي بل كوارث اقتصادية، من عدم التخطيط إلى اقتصاد الحروب والمجهود الحربي إلى توقف عملية إنشاء البنى التحتية إلى حصار التسعينيات ثم دمار البلاد مع الاحتلال في ٢٠٠٣م.

إن الانتقال من الاقتصاد الاشتراكي إلى الاقتصاد الحر يتطلب الكثير من الإجراءات المهمة وفي مقدمتها إعادة صياغة القوانين الاقتصادية بشكل يتلائم مع الواقع الجديد، وبالتالي فإن الأمور جرت عكس هذا الاتجاه مما تسبب بمشاكل كثيرة.

القطاع الخاص أهم محور من محاور التنمية في البلاد إذ يجب الاعتماد عليه كمحرك ابتدائي لنمو الاقتصاد، وبطريقة علمية ومساندة من باقي دول العالم، لا سيما الدول المتقدمة، لضمان نمو اقتصادي مفيد ومرتبط مع كارتلات دولية ضامنة للنجاح.

الاقتصاد العراقي متهاوي وغير قادر على الاستجابة للتحديات وقد أصابه الركود والتباطؤ والانهيار وعدم وضوح الرؤية.

من أجل ذلك وفي سبيل الإصلاح لا بد أن تستمر الحكومة في تقليص دورها في مجال الإنتاج الاقتصادي والأعمال الأخرى، وضرورة اتباع نظرية الأوز الطائرة التي تعود صياغاتها الأولى إلى النصف الثاني من ثلاثينيات القرن الماضي صاغها الاقتصادي الياباني آكاماتزو باعتبارها إنموذجًا تاريخيًا لمراحل النمو الاقتصادي.

يتحدث آكاماتزو في نموذجه النظري على ثلاث منحنيات رئيسية تحدد المرحلة التي يمر بها البلد الآخذ في النمو: (منحنى الاستيراد/منحنى الإنتاج/منحنى الصادرات) بمعنى أن يكون هناك ثلاث مراحل تبدأ الدولة النامية بالاستيراد من الدولة المتقدمة وفي إطار النظرية أعلاه فهذه الدولة هي اليابان كونها قائدة ورائدة التنمية في بلدان آسيا وهي تمثل القائد لسرب الأوز الطائرة ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة المشاركة في الإنتاج لأن هناك بناء صحيح للعملية التصنيعية تستفاد منها الدولة النامية بالعمالة الماهرة والتقنيات الحديثة، أما المرحلة الثالثة فتبدأ عندما يصل البلد الآخذ في النمو إلى مستوى القدرة على تصدير السلعة إلى البلدان الآسيوية المجاورة الأقل تقدماً، وفي هذا الإطار تحققت لنا النظرية في ثلاث أسراب طائرة التحقت باليابان ففي الصف الأول نجد بلدانًا مثل كوريا الجنوبية وهونك كونك وتايوان قد حققت الكثير من النمو منذ السبعينات ثم جاء السرب الثاني في الثمانينات وهم ماليزيا وسنغافورة وأندونيسيا وتايلند وأخيرًا وليس آخرًا بلدان تحاول أن تلحق بتلك الاسراب مثل ميانمار والفلبين ولاوس وكمبوديا وفيتنام [٥١].

---

(٤٩) هدى ميتكيس، **ماليزيا من منظور عالمي**، برنامج الدراسات الماليزية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٩٥.

(٥٠) حارث حسن، المصدر السابق.

(٥١) مبارك بوعشة، والأخضر ديلمي، **الأقلمة في جنوب شرق آسيا في إطار نموذج الإوز الطائر**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، نوفمبر ٢٠٠٦م، ص٢٩٢.

من هذه التجربة الغنية لا بد من الإفادة منها والتعرف على المبادئ والخطوات والتشريعات التي سارت عليها تلك الدول ونجحت فيها، إذ يجب أن يكون هناك نشاط تصنيعي وطني، إذ لا بد من استثمار قوانا الوطنية ونتعامل بكل قوة مع نقاط ضعفنا، ومثلما علينا أن ننوع من منتجاتنا المحلية التي تنفع أن تكون مادة تصديرية، علينا أيضًا أن ننوع من الأسواق التي نصدر إليها، على المصدرين العراقيين أن يمتلكوا معرفة مميزة جديدة، من خلال شبكات التواصل والبيع الإلكتروني وإيجاد دول وشركات ومواقع غير تقليدية لفتح منافذ جديدة.

علينا أن نستمر بالنمو المبني على التصدير، علينا البدء بالمنافسة والتحدي للعراقيل والصعوبات التي تقودها التكتلات الاقتصادية الكبيرة والمتحكمين بالتجارة، عندما تكون المنافسة حامية علينا أن لا نتراجع، وبكل بساطة فليس لنا من خيار إلا أن نكون أكثر مرونة وأكثر فطنة وأكثر إنتاجية وبشكل عام أكثر منافسة وذوي قدرة أعلى على اقتحام السوق العالمية.

إن عملية إعادة الهيكلة للاقتصاد الوطني عملية صعبة ولكنها ضرورية وملحة، ولذا فهناك طريقان حسب معطيات ماذكر سابقًا في هذه الورقة البحثية: الأول يعتمد على العناصر الشابة في داخل العراق والتي أخذت طريقها نحو سلم المسؤولية في بعض الدوائر ولكنها تفتقد للخبرة والمرونة والتكيف مع الخطط الاستراتيجية والإمكانيات العالمية وبالتالي ستخوض التجربة وفق رؤيتها وتتحمل الدولة والمجتمع الأخطاء والانكسارات وفي ذلك ضياع للجهد والوقت والطريق الآخر: الاعتماد على كفاءة الشباب الذين تلقوا تعليمهم في الخارج وتسلحوا بالخبرة والمنهجية العلمية وإعطائهم دور المبادرة في عملية إعادة هيكلة الصناعة والتجارة والزراعة بطريقة مهنية وعلمية قليلة الأخطاء وموفرة للجهد والمال.

من الواضح أن المورد الأكثر أهمية لدى أية دولة هي مواهب أبناء شعبها ومهاراتهم وإبداعاتهم وعزمهم، فما نمتلكه في عقولنا وقلوبنا أكثر أهمية من تلك التي تحت أقدامنا في أعماق الأرض والتي من حولنا، فالشعب هو موردنا الأساسي، وبدون شك على العراق في قادم الأيام أن يركز غاية اهتمامه على تطوير موارده البشرية علميًا واقتصاديًا.

لا يمكن إلا أن نطمح إلى معايير متقدمة بشأن مهارات أبناء شعبنا، ورغبتهم في التعلم والارتقاء بالمعرفة وتطوير الذات من كفاءتهم اللغوية ولتحسين ظروف عملهم ومهاراتهم الإدارية ورغبتهم بالإنجاز ونظرتهم للجودة وتعزيز الروح الإدارية.

الاستنتاجات

أولاً: التشريع أساس الإصلاح

لا بد من عملية تقليص الضوابط، ولا مجال للشك في أن الأنظمة (الضوابط) تؤدي دورًا أساسيًا في إدارة المجتمع، فأية دولة بدون أنظمة وقوانين هي دولة تغرق في فوضى، وبدون النظام سيكون هناك ضياع للجهود والأموال ولن يكون هناك تطور، إلا أنه من غير المرغوب فيه هو أن يكون هناك إفراط في الأنظمة.

تكمن الحكمة بالتأكيد في القدرة على التمييز فيما بين الأنظمة والقوانين المثمرة والمساندة في تحقيق أهداف المجتمع وتلك التي تعد غير مثمرة، وهي تكمن في اتخاذ القرارات الصائبة في التبادلات التجارية، لذا لن تكون الحكومة غير مسؤولة وستلبي احتياجات المجتمع الأوسع فضلاً عن متطلبات النمو السريع والاقتصاد المنافس والمتين.

سُئِلَ الدكتور مهاتير عن الفساد الإداري والمالي في ماليزيا وكيف جرت معالجته والخطوات التي اتخذت للتخلص منه فأجاب:

«يجب أن يكون لديك إدارة جيدة، وأن تواجه الفساد، وحتى تمنع الفساد يمكن أن تضع بعض

القوانين الصارمة.. ولكن الأهم من ذلك هو تطوير نظام إداري يكون واضحًا، إذا عملت بسرعة وضمن سقف زمني محدد لكل إجراء، فلن يكون هناك فرصة للفساد...» [٥٢].

ثانيًا: الاهتمام بالتنمية البشرية

التعليم حجر الأساس في بناء المجتمع وقد كان لدى العراق أحد أفضل الأنظمة التعليمية في العالم في سبعينيات القرن الماضي، ولكنه تراجع في التسعينيات نتيجة الحصار ويعاني اليوم النظام التعليمي من مشاكل عميقة، غير أنه من أجل الرحلة التي يجب أن يمضي عليها جيلنا الثاني، يجب أن تسن معايير جديدة وأن تتحقق نتائج جديدة.

مع الآية القرآنية ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٥٣] أول آيات القرآن الكريم نزلت على الرسول محمد ﷺ، وكلمة (إقرأ) أي (تعلّم) هي سر نجاح الكثير من تجارب النهضة في العالم ومنها ماليزيا، إذ أصبحت شعارًا لبدء عملية الإصلاح[٥٤].

وتمتد هذه النظرة إلى الممارسة السياسية الحقيقية المبنية على الشريعة والتعاليم الإسلامية متزامنًا مع خطط التنمية دون أن تكون عائقًا، بمعنى آخر تبنى مهاتير محمد مشروعًا تنمويًا قائمًا على أسس وقواعدَ إسلاميةٍ مختلفةٍ بشكلٍ كبيرٍ عن مشاريعِ التنميةِ الغربيةِ ونجح في هذا المسعى، مما جعلهُ أنموذجًا إسلاميًا ناجحًا[٥٥].

(٥٢) ماهر جبار الخليلي، المصدر السابق، ص٢٥٦.
(٥٣) القرآن الكريم، (سورة العلق: ١).
(٥٤) محسن محمد صالح، **النهوض الماليزي قراءة في الخلفيات ومعالم التطور الاقتصادي**، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ٢٠٠٨م، ص ٣٨.
(٥٥) عادل الجوجري، المصدر السابق، ص ٨٣.

التوصيات

بعد هذا العرض لمجمل تداعيات الإرهاب وما يمكن أن يفعله الخطاب المعتدل وفاعليته وقدرته على إحداث تغيير حقيقي نحو الأفضل والأحسن بالند والضد من خطاب الكراهية والعنف والتحريض على القتل والإجرام يمكن القول أن هناك خطوات أو توصيات مهمة نسترشد بها:

- إن الانتقال من مراحل العنف والسلطة والجبروت إلى السلام والأمان والاعتدال يتطلب قرارات شجاعة وفعالة منسجمة مع مبادئ الدين الإسلامي في التسامح والتعايش والسلام والمحبة والمودة والعفو عند المقدرة والإصلاح، وهذه القرارات تتطلب أشخاصًا متفهمين متنورين مدركين حجم المخاطر عند الإقرار بسياسات غير تسامحية وتبني خطابات متشنجة ومحدودة الأفق.

- النصوص لا تغير النفوس فعندما يتم رفع شعار التعايش والمصالحة والتآلف لا بد أن يكون التنفيذ على أرض الواقع مطابقًا للقول والشعار فعند ذاك لاتحدث هوة بين الشعار على مستوى الأفكار والتطبيق على مستوى السلوك.

- هناك من البشر من لا يفهم لغة الاعتدال والتسامح ولايستوعبها ولايريد أن يعمل بها على مستوى الأفراد والجماعات لا سيما في العراق بعد عقود من الظلم والاضطهاد والقتل ولذلك يتطلب هذا الوضع أن تكون هناك شدة شرعية وقانونية منضبطة وغير منفلتة قائمة على أسس الدين والقانون والأعراف الاجتماعية الأصيلة، وليس على أسس مذهبية أو طائفية، يقول جبران خليل جبران الكاتب اللبناني الشهير (الدين والعلم متفقان ولكن العلم والمذهب لايتفقان أبدًا).

- قيام الإمبراطورية الإسلامية تأسس على أساس واحد ومنه انطلقت كل الأمجاد الأخرى وهو شعار الرسول محمد ﷺ يوم فتح مكة (اليوم يوم المرحمة اليوم تحمى الحرمة) والنماذج المذكورة

في هذا البحث دليل عملي على فاعلية الخطاب المعتدل وقيم التسامح وقدرتها على البناء والتغيير، لذلك فإن المطلوب اليوم في العراق ليس التسليح أو زيادة القدرة العسكرية أو رفع سقف الميزانية أو إعمار الأبنية والمدائن بل المطلوب إصلاح الإنسان أولاً يجب إصلاح النفوس قبل النصوص يجب تعطيل ماكنة التدمير الطائفي وشبكات الفساد والخروج من المثلث القاتل الثأر والجهل والتخلف والتعويض عنه بمثلث التسامح والتعايش والتنمية.

- يقول الكاتب الفرنسي الشهير جان جاك روسو (القوانين الجيدة تؤدي إلى قوانين أفضل منها والقوانين السيئة تؤدي إلى قوانين أسوأ منها) وفق هذا المفهوم فإن التشريع أساس الإصلاح وإذا فهمنا الأديان السماوية بأنها تشريعات إلهية صحيحة تؤسس لقوانين فاعلة على أرض الواقع أمكننا الوصول إلى مبادئ وأسس ومعايير حقيقية تنبني عليه الأمم والأوطان وتنجز المعجزات مثلما حدث في ماليزيا.

- الإنتاج الوطني على الصعيد الصناعي والزراعي مهم لأي دولة تسعى لخدمة أبنائها وتعمير أرضها، إذ أن النشاط التصنيعي والزراعي يوفر فرص العمل وتراكم الخبرات الوطنية وتأسيس قاعدة صناعية واسعة ويجعل التصدير أساسًا في عملية التبادل التجاري مع دول العالم، وإعمار الأرض زراعيًا يساهم في عملية الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي.

- إن المورد الأكثر أهمية لدى أية دولة هي مواهب أبناء شعبها ومهاراتهم وإبداعاتهم وعزمهم، فما نمتلكه في عقولنا وقلوبنا أكثر أهمية من تلك التي تحت أقدامنا في أعماق الأرض والتي من حولنا، فالشعب هو موردنا الأساسي، وبدون شك على العراق في قادم الأيام أن يركز غاية اهتمامه على تطوير موارده البشرية علميًا واقتصاديًا.

وفي الختام إنها وجهة نظر قد تخطئ وقد تصيب وفي النهاية هي محاولة جادة للتذكير والتقويم ومتعلقة بالمستقبل أكثر من تعلقها بالحاضر أو الماضي، لعل هناك من يستفيد منها ويطورها ويجعل منها خارطة طريق للبناء والإعمار والتنمية الحقيقية والتحديث على مستوى الأفراد والجماعات والمؤسسات.

المصادر

أولاً: الكتب العربية

- ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب (ت٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- التفسير الميسر، مجموعة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- السيوطي، جلال الدين، تفسير الجلالين، ط١، ٢٠٠٣.
- الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الجزء العاشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، سورة العنكبوت.
- فرهاد إبراهيم، الطائفية والسياسة في العالم العربي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، إشراف على التحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦- ٢٠٠٥م.
- ماهر جبار محمد علي الخليلي، مهاتير محمد ودوره في تحديث ماليزيا ١٩٦٩-١٩٩١، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم التاريخ، بغداد، ٢٠١٤.
- مبارك بوعشة، والأخضر ديلمي، الأقلمة في جنوب شرق آسيا في إطار نموذج الإوز الطائر، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، نوفمبر ٢٠٠٦م.

- محسن محمد صالح، النهوض الماليزي قراءة في الخلفيات ومعالم التطور الاقتصادي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٨م.
- محمد الشيرازي، من أوليات الدولة الإسلامية، إيران، قم، ١٤٠٥.
- محمد عبدة، الأعمال الكاملة، الجزء الأول.
- محمود الهاشمي، مصدر التشريع في النظرية الإسلامية، في كتاب (الاجتهاد والحياة، حوار على الورق، حوار وإعداد محمد الحسيني، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٢، ١٩٩٧م.
- هدى ميتكيس، ماليزيا من منظور عالمي، برنامج الدراسات الماليزية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م.

ثانيًا: الكتب المترجمة

- أنطوني كوردسمان، العنف الطائفي والعرقي في العراق والتمرد المنبعث منه – تطورات الأحداث خلال ربيع ٢٠٠٧، العراق في مراكز الأبحاث الاستراتيجية، ترجمة ونشر: مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، آب ٢٠٠٧.
- ليام اندرسون وغاريت ستانسفيلد، عراق المستقبل.. دكتاتورية.. ديمقراطية..أم تقسيم، تر: رمزي ق. بدر، مراجعة وتقديم وتعليق: ماجد شبر، ط ١، دار الوراق، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ميراندا سيسونز وعبد الرزاق الساعدي، إرث مرٌ دروس من عملية اجتثاث البعث في العراق ٢٠٠٤-٢٠١٢، ترجمة ونشر: المركز الدولي للعدالة الانتقالية، آذار/ مارس ٢٠١٣.
- نلسون مانديلا، رحلة طويلة من اجل الحرية، السيرة الذاتية لرئيس جمهورية جنوب أفريقيا، تر: عاشور الشامس، Spal Publishers، جنوب أفريقيا، ١٩٩٨م.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية

- إعلان مبادئ بشأن التسامح، المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٥م، المادة الأولى، الفقرة الأولى والثانية. الموقع الإلكتروني: http://www.france24.com/ar/20100210-south-africa-nelson-mandela-apartheid-regime
- حارث حسن، الأزمة الطائفية في العراق: إرث من الإقصاء، المصدر: Getty، دراسة 23، نيسان 2014م، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، الموقع الإلكتروني: http://carnegie-mec.org/2014/04/23/ar-pub-55405
- محمد بن حامد الأحمدي، نيلسون منديلا – مسيرة طويلة نحو طريق الحرية، الموقع الإلكتروني pdf: www.awrag.com
- الموقع الإلكتروني: موضوع. كوم:

http://mawdoo3.com/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85_%

رابعًا: الكتب الأجنبية

- - J. Victor Morais. Anwar Ibrahim Resolute In Leadership. Arenabuku sdn Bhd. Kuala Lumbur. 1984.
- Jean Guiloineau, Nelson Mandela: The Early Life of Rolihlahla Mandiba, North Atlantic Books, 1998
- Tun Dr Mahathir Mohamad, A doctor in The House - The Memoirs, 3th print, MPH Group Publishing Sdn Bhd, Petaling Jaya, Selangor-Malaysia, January 2012.

أثر الإرهاب في التعليم بجامعة ديالى بعد العام ٢٠٠٣

د. ماهر مبدر عبدالكريم العباسي
أستاذ مساعد، دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر وتاريخ الولايات المتحدة الأميركية الحديث والمعاصر في كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة ديالى
Maher_mubder@yahoo.com

د. منذر مبدر عبد الكريم العباسي
أستاذ مساعد، دكتوراه في العلوم، جامعة بغداد
munther_alabassi@yahoo.com

المقدمة

إطار البحث واستعراض المصادر

شهدت العديد من بلدان العالم موجة كبيرة من العمليات الإرهابية في الآونة الأخيرة، إذ شملت دولاً كبيرةً تعد من الدول الآمنة والمستقرة من بينها الولايات المتحدة الأمريكية، فقد أصاب الأخيرة زلزال في عقر دارها جسّده استهداف برجي التجارة العالمي في ما يعرف بالتاريخ الحديث والمعاصر بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) في العام ٢٠٠١، ومن ثم تنوعت العمليات الإرهابية في دول أخرى من العالم، وقد أثرت تلك العمليات في مجالات مختلفة من حياة الشعوب.

وقد جاءت أهمية هذه الدراسة لما تركه الإرهاب في العالم من آثار مدمرة وخراب في حقول مختلفة طالت معظم بلدانه، وسيتم كشف النقاب من خلال هذه الدراسة عن أثر الإرهاب في العملية التعليمية في إحدى الجامعات العراقية وذلك لأهمية الجامعات ودورها في تقدم البلدان وتطورها، إذ شهدت جامعة ديالى والتي تعد من أهم الجامعات العراقية أحداثًا إرهابية سيتم التطرق لها في ثنايا هذه الدراسة، إذ سيكون الإطار الزماني لها بعد العام ٢٠٠٣ وإلى الآن.

قسمت هذه الدراسة على ثلاثة مباحث، تناول الأول منها آثار الإرهاب في الموارد البشرية للجامعة المتمثلة بالتدريسيين والأساتذة والموظفين الذين ينتمون إلى ملاك الجامعة، فيما تناول المبحث الثاني آثار العمليات الإرهابية في البنى التحتية للجامعة المتمثلة في بناياتها ومنشآتها العمرانية والمخلفات التي تركها الإرهاب عليها، وكشف المبحث الثالث النقاب عن أثر العمليات الإرهابية وتداعياتها على طلبة الجامعة ومستوى أدائهم العلمي الذي بدوره يرفع من شأن الجامعة وتقدمها. وتضمنت الدراسة خاتمة شملت الإجراءات والخطوات التي اتخذتها الجامعة من أجل النهوض بالمستوى العلمي فيها.

اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي الوصفي – التحليلي وستكون نيتها محاولة سبر غور تأثير الإرهاب في العملية التعليمية بجامعة ديالى في ضوء الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما العوامل التي أثرت في العملية التعليمية في جامعة ديالى نتيجة الإرهاب بعد العام ٢٠٠٣؟

- إلى أي مدى أسهمت العمليات الإرهابية في تدني المستوى العلمي في جامعة ديالى بعد العام ٢٠٠٣؟
- ما الإجراءات والخطوات التي اتخذتها الجامعة من أجل النهوض بالعملية التعليمية وتطورها في ظل التحديات الإرهابية وبعد سيطرة الجماعات المسلحة الإرهابية عليها؟

اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر المتنوعة، إذ كانت في مقدمتها الوثائق الرسمية التي أغنت الدراسة بمعلومات جمة وقيمة، فضلاً عن مصادر أخرى وظفت في ثنايا هذه الدراسة من بينها كتب ودوريات، كما وأجرى الباحثان مقابلات شخصية مع بعض الشخصيات الأكاديمية التي شهدت حوادث الإرهاب في الجامعة لتكون رافدًا مهمًا من روافد مصادر هذه الدراسة، وكان لشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) دور مهم في إغناء هذه الدراسة بالمعلومات المفيدة.

تمهيـــد

يعرف الإرهاب لغة على أنه كلمة أقرها المجمع اللغوي وجذرها رهب بمعنى خاف، ومصطلح الإرهاب ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية Leterrorisme التي استحدثت أثناء الثورة الفرنسية، وهي ترجمة حرفية أيضًا للكلمة الإنكليزية Terrorism ويعتقد أن الترجمة الصحيحة هي كلمة إرعاب وليس كلمة إرهاب.

أما المعنى الاصطلاحي فيعرف **جي فاوفيتش** الإرهاب بأنه: (**الأعمال التي من طبيعتها أن تثير لدى شخص ما الإحساس بالخوف من خطر ما بأية صورة**)، أما **ليمكين** فيعرّفه (**تخويف الناس بمساعدة أعمال العنف**)، أما **جورج ليفاسير** فيعرّفه بأنه (**الاستعمال العمدي والمنتظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف معينة**[١].

أما **الجمعية العامة للأمم المتحدة** فعرّفت الإرهاب بأنه: (**هو فعل سياسي أساسًا والمقصود منه إلحاق أضرار بالغة ومهلكة بالمدنيين وخلق مناخ من الخوف لغرض سياسي أو أيديولوجي (ديني أو دنيوي) بصفة عامة**)[٢].

وعلى صعيد المفهوم فإن إمكانية إيجاد تعريف متفق عليه صعب المنال، ويعزى ذلك إلى عدد من الأسباب منها تضارب المصالح بين الجهات المختلفة واختلاف وجهات النظر بشأن الظاهرة، وتنوع الخلفيات الأيديولوجية بشكل كبير واختلاف العقائد والأفكار، واختلاف النظم والبيئة الاجتماعية التي تؤدي دورًا مهمًا في صياغة رؤى الباحثين واتجاهاتهم في هذا الميدان. ويرى (بروس هوفمان) أن الإرهاب هو مصطلح ازدرائي وذو دلالات سلبية في جوهرها يتم تطبيقها بصفة عامة على أحد الأعداء والمعارضين[٣] فهناك الكثير من الجهات الدولية تتعمد اللبس والغموض في هذا المفهوم ليبقى يدور في حلقة مبهمة وغير واضحة المعالم من أجل تحقيق أهدافها. وإن أغلب التعريفات بشأن الإرهاب قد جاءت مقتصرة على وصف الظاهرة بما يتناسب ورؤى أصحابها وإن اشتركت في الإشارة إلى العنف المستخدم وأشكاله، في حين نجد بعضها قد أغفل الإشارة إلى ضحايا العنف وأبقت الإرهاب قاصرًا على ذلك الموجه ضد الدولة والأجهزة الحكومية أو أنها لا تذكر الدوافع والأسباب التي يهدف إليها العنف، ومنها من لا ينظر إلى الإرهاب بوصفه ظاهرة لها جوانب متعددة ويقتصر على بعدها السياسي. ومع الأخذ بعين الاعتبار صعوبة الوصول إلى تعريف الإرهاب، إلا أنّنا نقول ولو توفيقًا أنه: (**استخدام العنف أو التهديد من قبل أفراد أو جماعات، منظمات أو حكومات، ويستهدف المدنيين أو يحدث أضرارًا معنوية أو مادية مختلفة من خلال إثارة أجهزة الدولة والرعب والفوضى وفقدان الأمن وعدم الاستقرار**

التي تؤثر في حياة الناس ومصالحهم وخياراتهم، ويكون ذلك بدوافع سياسية أو اقتصادية أو دينية أو أيديولوجية)[٤].

لقد عانى العراق منذ أكثر من ثلاثة عقود من حروب وحصار وانتهاكات لحقوق الإنسان بدءًا بالحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ـ ١٩٨٨) وحرب الخليج عام ١٩٩١ والحصار الاقتصادي الشامل الذي امتد من ١٩٩٠-٢٠٠٣ والحرب العراقية الأمريكية لعام ٢٠٠٣. إن هذه الحروب أدت إلى إبادة جماعية لآلاف من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ فضلاً عن تدمير البنى التحتية الأخرى[٥].

عند مقارنة العمليات الإرهابية في العراق بباقي البلدان العربية نجد بأنّه أكثر بلدان المنطقة العربية معاناة منها خلال المدة (١٩٩١-٢٠١٠)، إذ بلغت نسبتها ٥٢ ٪ من مجمل العمليات الإرهابية في البلدان العربية، وحصلت أغلب تلك العمليات الإرهابية بعد الاحتلال الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣، وفي المرتبة الثانية بعد العراق نجد الجزائر والتي طالتها ١٩ ٪ من العمليات الإرهابية، تليها فلسطين ٨ ٪، ثم الصومال ٦٪ ولبنان ٥ ٪ أي أن الإرهاب يتركز بنسبة ٩٠ ٪ في البلدان المذكورة من إجمالي العمليات الإرهابية في الوطن العربي، بينما نجد ما تبقى وهي نسبة ١٠٪ تتوزع على بقية البلدان العربية الأخرى [٦].

إن أوضاع التنمية البشرية في العراق تكشف، على الرغم من قصور البيانات، عن تدهور كمي ونوعي فيها نتيجة الدمار الذي لحق بالبنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسبب الحروب الداخلية والخارجية وسنوات العقوبات الطويلة، فتأثير تلك الظروف أعمق من أن تقيسه مؤشرات وأرقام تتسم بقدر عال من التجريد والعمومية. كما أن هذه الظروف سترافق آثارها وانعكاساتها السلبية على التنمية البشرية[٧].

أما بالنسبة للتعليم العالي فقد عانت الكليات والجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى من ضعف الاستثمار والنهب أثناء الحرب. كما أصبح الأكاديميون والطلاب هدفًا للعنف والإرهاب، وتعين على الكثير منهم الهجرة لخارج العراق لحماية حياتهم. فخلال العام الدراسي ٢٠٠٦-٢٠٠٧ نجد أن ٥٠ ٪ من طلبة جامعة بغداد لم يتمكنوا من الالتحاق بشكل منتظم بمقاعد الدراسة؛ بسبب المخاوف الأمنية. أما بالنسبة للعام الدراسي ٢٠٠٧-٢٠٠٨، فقد تحسنت نسبة الالتحاق المنتظم لتصل إلى ٨٠ ٪ كما ترافق ذلك مع عودة العديد من التدريسيين لأماكن عملهم[٨].

المبحث الأول: آثار العمليات الإرهابية في الموارد البشرية في جامعة ديالى

أشارت بعض الإحصاءات والأرقام غير الرسمية إلى أن أكثر من ٢٥٠ أستاذًا جامعيًا قتلوا في مختلف أنحاء العراق منذ الغزو الذي قادته الولايات المتحدة الأميركية في العام ٢٠٠٣ غالبيتهم تم استهدافهم بشكل مباشر عن طريق التصفية الجسدية والاغتيال، فيما ارتفع عدد الذين غادروا العراق منهم تحت ضغط التهديد بالخطف والاغتيال إلى أكثر من ٢٠٠٠ أستاذ وأكاديمي أدى غيابهم إلى توقف وتعطيل ما يزيد عن ١٥٢ قسمًا علميًا في مختلف الاختصاصات لدى الجامعات والمعاهد العراقية [٩].

وبحسب إحصاءات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، إذ أشارت إلى أن ٢٨٠ أكاديميًا على الأقل قتلوا على يد المتمردين والعصابات الإرهابية منذ بدء الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، وقد أكد أحد المسؤولين في الوزارة

نفسها على: ((**أن استهداف الأكاديميين يخلق فوضى عارمة في البلد، أنظمة الصحة والتعليم قد أفرغت من المحترفين الجيدين، فقد غادر ثلث الذين كانوا يعيشون في العراق قبل عام ٢٠٠٣ تقريبًا**)) وأضاف: «**إن الإرهابيين يقتلون أصحاب العقول ليفشلوا تجربة الحكم الجديد في العراق**» وأشار إلى: ((**أن استهداف هؤلاء الأخصائيين قد ازداد منذ بداية عام ٢٠٠٦**))[١٠].

وتعد جامعة ديالى من بين الجامعات العراقية التي طالتها العمليات الإرهابية بعد العام ٢٠٠٣؛ إذ تم استهداف أساتذتها بعمليات اغتيال وتصفية جسدية طالت العديد من ملكاتها التي تتميز بالكفاءة والنشاط والخبرة الأكاديمية كان من بينهم عمداء كليات وتدريسيين وموظفين، إذ تمكن المسلحون من الدخول إلى مباني كليات الجامعة دون أن يستطيع أحد أن يمنعهم ويتوجهون إلى حجرات الأساتذة ويقتلونهم ويخرجون منها دون مقاومة[١١].

وفي إحدى المحافل التي أقيمت في جامعة ديالى لتكريم شهدائها، صرح السيد رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور عباس فاضل الدليمي في كلمة له بالقول: ((**إننا نحي اليوم ذكرى أليمة ألا وهي ذكرى استشهاد كوكبة من الأساتذة والتدريسيين في جامعة ديالى الذين استشهدوا على أيادي الخسة والنذالة الظلاميين الإرهابيين، الذين أقدموا على تهديد قائمة طويلة من التدريسيين في الجامعة، وعلى رأسهم رئيس الجامعة، فمنهم من ارتقى إلى بارئه ومنهم من أكمل المسيرة وواجه التحديات والمخاطر بقلوب عامرة بالإيمان والعزيمة على تحمل المسؤولية التاريخية في بناء جامعة ديالى، والمحافظة على ديمومة بقائها واستمرارها، وما نحن فيه إلا بفضل تلك الدماء التي أريقت لكي نبقى ونستمر ونحقق أهداف المؤسسة الأكاديمية التي ننتمي إليها، وما هذه الأجيال التي تخرجت طوال السنوات الماضية إلا بفضل تضحيات تلك الكوكبة البطلة من الأساتذة والخيرين من أصحاب الهمة العالية**))[١٢].

وفي لقاء أجراه الباحثان مع مدير إعلام جامعة ديالى، أكد الأخير قائلاً: ((**إن حصيلة ضحايا جامعة ديالى خلال سنوات الدم بين عامي ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ كانت مقتل ٤٢ أغلبهم من التدريسيين والموظفين وتهجير ٢٥٠ آخرين بسبب جرائم الجماعات المتطرفة**)). أردف قائلاً: ((**تم إطلاق تسمية سنوات الإرهاب التي مرت بها الجامعة بـ «سنوات الدم» التي تمثل أقسى مرحلة مرت بها منذ تأسيسها في العام ١٩٩٩، لكنها نجحت في تجاوز تداعيات تلك المرحلة الأليمة وأعادت الحياة لجميع كلياتها بعد الاستقرار الأمني، فيما أطلقت تسمية «يوم شهداء الجامعة» لاستذكار الضحايا باعتبارهم شريحة قدمت دماء زكية من أجل ديمومة العلم والمعرفة رغم كل التهديدات**[١٣].

أسهمت العمليات الإرهابية التي استهدفت جامعة ديالى في هجرة العديد من أساتذتها وطلبتها الأمر الذي اضطرهم إلى ترك الجامعة من جراء عمليات القتل والخطف والتصفية، ومن ثم هدفت تلك العمليات إلى إفراغ البلاد من العقول المفكرة والمستنيرة عمومًا والجامعة خصوصًا، إذ شهدت محافظة ديالى خلال الأعوام ٢٠٠٣- ٢٠١٤، اختطاف وقتل العديد من أساتذة وطلبة جامعة ديالى، فضلاً عن عمليات السطو التي تعرضت لها الجامعة والتي استولى فيها مجهولون على (٢٢) سيارة عائدة للجامعة[١٤].

وبهذا الصدد أشارت إحصائيات وزارة الهجرة والمهاجرين العراقية إلى أن ٣٠ بالمئة من مجموع أساتذة الجامعات والأطباء والصيادلة والمهندسين

في العراق قد هربوا إلى البلدان المجاورة مثل الأردن وسورية ولبنان ومصر والإمارات العربية المتحدة لكن بعضهم سافر إلى بلدان بعيدة مثل الولايات المتحدة الأميركية وكندا وأستراليا وبريطانيا. وفي السياق نفسه قدر معهد بروكلن في واشنطن في كانون الأول ٢٠٠٦ أن عدد الذين غادروا العراق من الأخصائيين بـ (٤٠) بالمئة منذ العام ٢٠٠٣ وعلى رأس قائمة المغادرين الأطباء والصيادلة والأكاديميين[١٥].

وشملت هجرة التدريسيين والأساتذة من جامعة ديالى إلى البحث عن ملاذ آمن من جراء العمليات الإرهابية، فقد هاجم المسلحون مبنى كلية التربية الرياضية وأطلقوا النار على عميدها وابنه فأردوهما قتيلين على الفور، واستهدفوا قبلها أستاذ في كلية التربية قسم اللغة العربية مع ثلاثة طلاب بعد أن استوقف المسلحون السيارة التي كانوا يستقلونها في الشارع العام المؤدي لمبنى كلية التربية وأطلقوا عليهم النار، وحوادث الاستهداف عديدة وقائمة الشهداء طويلة[١٦]، والجدول رقم (١) يوثق عدد الشهداء من تدريسيين وموظفين ينتمون إلى جامعة ديالى الذين سقطوا ضحايا من جراء العمليات الإرهابية.

جدول رقم (١)

يبين أعداد شهداء جامعة ديالى من تدريسيين وموظفين الذين سقطوا جراء العمليات الإرهابية بعد العام ٢٠٠٣[١٧]

ت	الدائرة أو المديرية	الاسم الثلاثي واللقب	مكان وسنة التولد	الرتبة أو العنوان الوظيفي	الوظيفة التي كان يشغلها	الحالة الاجتماعية	عدد الأولاد	تاريخ الاستشهاد	مكان الاستشهاد في موقع العمل/خارجه	سبب الاستشهاد عمل إرهابي جماعي استهداف شخصي
١	جامعة ديالى/ كلية التربية الأساسية	عبد الهادي عبد الحسين هاني الحمداني	١٩٧١/٤/١٥	أمين مخزن	أمين مخزن	أعزب	لا يوجد	٢٠٠٥/٥/٢١	خارجه/ديالى/ بعقوبة خرنابات	استهداف شخصي / عبوة ناسفة
٢	جامعة ديالى/ كلية القانون	د. عدنان صادق باقر الربيعي	١٩٧٠/٧/٥ بعقوبة/ديالى	تدريسي	تدريسي في كلية القانون	متزوج	ثلاثة /أولاد	الأربعاء ٢٠٠٧/٦/١٣	خارجه/خطف أثناء توجهه إلى عمله	استهداف شخصي
٣	جامعة ديالى/كلية القانون	د. عبد الغفور محمد طه القيسي	١٩٥٥/٧/١ بعقوبة /ديالى	تدريسي أستاذ مساعد	تدريسي	متزوج	٦/ أولاد	٢٠٠٧/٤/٧	خارجه/بعقوبة/التحرير	استهداف شخصي/خطف
٤	جامعة ديالى/كلية القانون	إبراهيم كاظم عزيز جاسم التويجري	١٩٧٣/٤/٤ بعقوبة /ديالى	م. ملاحظ	موظف في كلية القانون	متزوج	٣/ أولاد	السبت ٢٠٠٧/٦/٢	خارجه/بعقوبة /التحرير	استهداف شخصي
٥	جامعة ديالى/كلية القانون	محمود عبود جواد جبر اللامي	ديالى/بعقوبة ١٩٤٧/٧/١	حارس	حارس	أعزب	لا يوجد	الاثنين ٢٠٠٦/١١/١٣	خارجه/بعقوبة/الكاطون/بالقرب من المجمع السكني التابع لجامعة ديالى	استهداف شخصي انتمائه إلى كلية القانون
٦	جامعة ديالى/كلية التربية الأساسية	د. خضير عباس إبراهيم فيصل التميمي	ديالى/المقدادية ١٩٦٠/١/٣٠	مدرس	تدريسي في كلية التربية الأساسية	متزوج	٧ أولاد	الأحد ٢٠٠٧/٣/٢٥	خارجه	استهداف شخصي
٧	جامعة ديالى/كلية التربية الأساسية	حسن أحمد مهاوش حربي العزاوي	١٩٤٦/٦/١٠ بعقوبة/ديالى	د. تدريسي	أستاذ جامعي تدريسي	متزوج	١٣ ولد	الأربعاء ٢٠٠٦/١٢/٦	خارجه/مستشفى كركوك إثر اعتداء إرهابي	استهداف شخصي
٨	جامعة ديالى/كلية التربية الأساسية	سماح علي غليس كاظم الجعفري	١٩٧٩/٤/١ ديالى/بعقوبة	م. مبرمج	موظف في كلية التربية الأساسية	أعزب	لا يوجد	الخميس ٢٠٠٦/١٠/١٢	خارجه/بعقوبة /التحرير	استهداف شخصي
٩	جامعة ديالى كلية العلوم	عمر طه ياسين منهل المجمعي	١٩٨١/٢/٨ الرصافة/بغداد	م. محاسب	موظف	متزوج	طفل واحد	الأحد ٢٠١٠/٦/٣٠	خارجه/بعقوبة/المفرق	استهداف شخصي
١٠	رئاسة جامعة ديالى كلية التربية الرازي	د. محمد عبد عباس محمد التميمي	١٩٦٣/٥/١١ بلدروز/ديالى	مدرس	تدريسي	متزوج	٥/أولاد	السبت ٢٠٠٦/٨/١٩	خارجه/أثناء العودة من مكان العمل إلى البيت	استهداف شخصي
١١	رئاسة جامعة ديالى/ كلية التربية الأصمعي	إلهام نامق خورشيد الخالدي	١٩٦٧/٥/٢٥ خانقين /ديالى	أستاذ مساعد	مدرس	بكر	لايوجد	٢٠٠٧/٣/٢١	خارجه/بعقوبة /التكية/خلف السجن الإصلاحي	استهداف شخصي
١٢	رئاسة جامعة ديالى/ كلية التربية	كريم سلمان حمد الدوري	١٩٣٦/٧/١ بعقوبة/ديالى	أستاذ	تدريسي	متزوج	٣/ أولاد	السبت ٢٠٠٦/٨/١٩	خارجه/بعقوبة/حي المعلمين الصناعة الأولى	استهداف شخصي
١٣	رئاسة جامعة ديالى/ كلية التربية الأصمعي	د. سلام علي حسين المهداوي	١٩٦٢/٢/١ ديالى/الوجيهية/مركز الناحية	مدرس	مدرس	متزوج	٦/ أولاد	الأربعاء ٢٠٠٦/٤/١٩	خارجه	استهداف شخصي
١٤	رئاسة جامعة ديالى/ كلية التربية الأصمعي	د. مشحن حردان مظلوم الدليمي	١٩٦٩/٧/١ الخالص/ديالى	تدريسي	تدريسي	متزوج	٢/أولاد	الأربعاء ٢٠٠٦/٤/١٩	خارجه/بني سعد	استهداف شخصي
١٥	رئاسة جامعة ديالى/ كلية التربية الاصمعي	ميس غانم محمود الحمداني	١٩٦٩/٧/١ الخالص/ديالى	م.م/مدرس مساعد	تدريسية	متزوجه	٢/أولاد	الأربعاء ٢٠٠٦/٤/١٩	خارجه/ بني سعد	استهداف شخصي
١٦	رئاسة جامعة ديالى/ كلية التربية الأصمعي	د.سعد محمد عبد علي المجمعي	١٩٧٦/٧/١ بعقوبة /ديالى	تدريسي	تدريسي	متزوج	طفل واحد	الثلاثاء ٢٠٠٨/٧/١٥	خارجه/ بعقوبه/بهرز	استهداف شخصي
١٧	رئاسة جامعة ديالى/ كلية التربية الأصمعي	طلال محمد علوان المجمعي	١٩٥٧/٤/١٢ بعقوبة /ديالى	موظف	رئيس ملاحظين	متزوج	٧/أولاد	الثلاثاء ٢٠٠٧/٢/٦	خارجه/بعقوبة الجديد بالقرب من مستشفى البتول	استهداف شخصي
١٨	رئاسة جامعة ديالى/ كلية التربية الأصمعي	خليل ابراهيم محمد العنبكي	١٩٦٦/٧/١ الخالص/ديالى	سائق	سائق	متزوج	٥/ أولاد	الخميس ٢٠٠٤/٨/٢٦	خارجه /المرادية/بني سعد	استهداف شخصي
١٩	رئاسة جامعة ديالى/ كلية التربية الأصمعي	عباس إبراهيم رشيد الزيدي	١٩٦٥/٧/١ بعقوبة/ديالى	م. ملاحظ فني	موظف	متزوج	ولد واحد	٢٠٠٦/٤/١٢	خارجه/منطقة الهويدر	عمل إرهابي جماعي
٢٠	رئاسة جامعة ديالى/ رئاسة الجامعة	رجاء كاظم جواد الزيدي	١٩٧٨/٨/٣٠ بغداد الكرخ	م. ملاحظ	إداري	باكر	لا يوجد	الاثنين ٢٠٠٦/٩/١٨	خارجه/ بعقوبة /التحرير	استهداف شخصي
٢١	رئاسة الجامعة مديرية الأقسام الداخلية	مثنى إبراهيم أحمد العزاوي	١٩٦٥/٦/١٥ بعقوبة/ديالى	حارس	حارس	متزوج	٥/ أولاد	السبت ٢٠٠٨/٢/٢٣	خارجه /بعقوبة/السوق/خطف من القسم الداخلي في السوق	استهداف شخصي
٢٢	جامعة ديالى/رئاسة الجامعة/ قسم الشؤون الهندسية	موسى مجيد رشيد الزيدي	١٩٦٤/٧/٥ بعقوبة/ديالى	م/ زراعي	موظف	متزوج	٤ /أولاد	الأربعاء ٢٠٠٧/٧/٢٥	خارجه/صعق بالكهرباء	استهداف شخصي

ت	الدائرة أو المديرية	الاسم الثلاثي واللقب	مكان وسنة التولد	الرتبة أو العنوان الوظيفي	الوظيفة التي كان يشغلها	الحالة الاجتماعية	عدد الأولاد	تاريخ الاستشهاد	مكان الاستشهاد في موقع العمل/خارجه	سبب الاستشهاد عمل إرهابي جماعي استهداف شخصي
٢٣	جامعة ديالى رئاسة الجامعة	حيدر جليل سبع العبيدي	١٩٧٣/١١/٢٨ بعقوبة/ديالى	كاتب	كاتب	متزوج	طفلة واحدة	٢٠٠٤/٩/١٩	خارجه/أثناء العودة إلى البيت	عمل إرهابي جماعي
٢٤	جامعة ديالى رئاسة الجامعة	واثق محمد خلف أحمد العبيدي	١٩٦٥/٨/١ بلدروز/ديالى	فلاح	فلاح	متزوج	٥ /أولاد	الثلاثاء ٢٠٠٨/٢/٢٦	خارجه/بغداد/ الدواسر/الخط السريع	استهداف شخصي
٢٥	جامعة ديالى رئاسة الجامعة	عبد الخالق أحمد عدوان العبيدي	١٩٧٢/٨/٥ المقدادية/ديالى أبو صيدا	م/ملاحظ	موظف	متزوج	٢/ أولاد	الخميس ٢٠٠٧/٢/٢٢	خارجه/بعقوبة /حي الأمين	استهداف شخصي
٢٦	جامعة ديالى رئاسة الجامعة	سلمان محمد داوود الجبوري	١٩٦٧/٧/١ بني سعد/بعقوبة ديالى	م/ مترجم	موظف	متزوج	واحد	الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/١٢	خارجه/بعقوبة/بني سعد الحي العسكري	استهداف شخصي
٢٧	جامعة ديالى كلية الهندسة	رياض علي حسون عذافة البديري	١٩٧٤/٣/ المقدادية/ديالى	تدريسي مدرس/ مساعد	تدريسي	متزوج	ولد واحد	الأحد ٢٠٠٧/١٢/١٧	خارجه/الخالص/قرية الاسود	استهداف شخصي
٢٨	جامعة ديالى كلية الهندسة	د. محمد غايب عبد عباس الزهيري	١٩٦٤/٩/١ بعقوبة/ديالى	تدريسي	تدريسي	متزوج	٢ /اولاد	الثلاثاء ٢٠١٠٦/١٠/٢٤	خارجه/بعقوبة/كاطون الرحمة	استهداف شخصي
٢٩	جامعة ديالى كلية الهندسة	أحمد سلمان داوود الكرخي	١٩٧١/٣/٢٦ ديالى /بعقوبة	تدريسي	تدريسي/ مدرس مساعد	أعزب	لا يوجد	الإثنين ٢٠٠٨/٨/١١	خارجه/بعقوبة قرب الكراج الموحد	عمل إرهابي جماعي
٣٠	جامعة ديالى كلية الهندسة	براء محمد محمود التميمي	١٩٧٢/٢/١٥ المقدادية/ديالى	م. فيزياوي	معيد في كلية الهندسة	متزوج	لا يوجد	السبت ٢٠٠٦/٦/١٠	خارجه/المقدادية /حي المعلمين	استهداف شخصي
٣١	جامعة ديالى رئاسة الجامعة قسم الشؤون القانونية	صلاح عبد كشكول سلمان الزبيدي	١٩٧٨/٥/٢٥ بعقوبة /ديالى	قانوني	مدير قسم الشؤون القانونية	متزوج	إثنين	٢٠١٢/١١/٤ قرية عينبه/ناحية بهرز/قضاء بعقوبة	خارجه/قرية عنيبة	استهداف شخصي
٣٢	جامعة ديالى كلية التربية الأساسية	معد عامر طه كاظم الزبيدي	١٩٨٠/١/٦ بعقوبة /ديالى	مترجم	موظف	متزوج	إثنين	٢٠١٢/٦/٢	خارجه بعقوبة قرية/شفته	عمل إرهابي جماعي/ حزام ناسف
٣٣	جامعة ديالى/رئاسة الجامعة/ قسم الشؤون الهندسية	حسين حميد هندي المعموري	١٩٥٤/٧/١ بعقوبة/ديالى	مدير فني اقدم	موظف	متزوج	٨ أولاد	٢٠١٣/٥/١٧	خارجه/بعقوبه	عمل إرهابي جماعي
٣٤	جامعة ديالى رئاسة الجامعة	علي قحطان عدنان القيسي	١٩٨٨/٤/٩ الخالص/ ديالى	سائق	سائق سيارة رئيس الجامعة	متزوج	لا يوجد	٢٠١٣/١/١٠	خارجه قنابل حرارية تقاطع الطرق والجسور	عمل إرهابي جماعي
٣٥	جامعة ديالى كلية الطب	رائد صبحي حميد	١٩٧٤/٧/٢٧	م/فيزياوي	موظف	متزوج	٣ أولاد	٢٠١٣/٦/٢٧ ديالى/بعقوبة/ منطقة خان اللوالوة	خارجه/معاملة قيد الإنجاز	عمل إرهابي جماعي
٣٦	جامعة ديالى مديرية الأقسام الداخلية	حازم عثمان داوود السامرائي	١٩٦٣/١/١٨	رئيس حرفيين اقدم	موظف	متزوج	٧ أولاد	٢٠١٣/٣/٢١	خارجه بعقوبة/المفرق	عمل إرهابي جماعي
٣٧	جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الانسانية	إسماعيل خليل حسن المهداوي	١٩٦٧/٧/١ ديالى/المقدادية	تدريسي	تدريسي	متزوج	٥ أولاد	الأحد ٢٠١٠/٦/٥	خارجه بعقوبة/ الكاطون	استهداف شخصي
٣٨	جامعة ديالى كلية الطب	الدكتور/عبد الكريم شاكر محمود الخفاجي	١٩٥٩/٣/٦ الخالص/ديالى	تدريسي	رئيس فرع الأطباء المجهرين	متزوج	٥ أولاد	٢٠٠٦/١٢/٣	خارجه/بعقوبة/قرب باب الدرب	استهداف شخصي
٣٩	رئاسة جامعة ديالى/ كلية الزراعة	مثنى حمزة عبد الله الشمري	١٩٧٦/٧/١ بعقوبة/ديالى	سائق	سائق	متزوج	ولد واحد	٢٠٠٦/٣/١٧	خارجه	استهداف شخصي
٤٠	جامعة ديالى كلية الطب البيطري	ستار جبار عاكول الزهيري	١٩٧٣/٥/٢ ديالى/بعقوبة	مدرس مساعد	معاون عميد كلية الطب البيطري	متزوج	٤ أولاد	٢٠٠٦/٤/٢٢	خارجه/بعقوبة / الحي الصناعي/ بعقوبة	استهداف شخصي
٤١	جامعة ديالى كلية الطب البيطري	أكرم خليفة خميس العزاوي	١٩٦١/١/١ ديالى /بعقوبة	حارس	حارس ليلي	متزوج	٤ أولاد	الأربعاء ٢٠٠٧/١٠/٢٤	خارجه /زاغنية الكبيرة/ العبارة/بعقوبة/ديالى	استهداف شخصي
٤٢	جامعة ديالى كلية الطب البيطري	جاسم محمد حكمان الطائي	١٩٦٧/٧/١ مندلي/ديالى	حارس	حارس ليلي	متزوج	٤ أولاد	٢٠٠٧/١/٦	خارجه/الصناعة الأولى/بعد خطفه من الكلية	استهداف شخصي
٤٣	جامعة ديالى/عميد كلية التربية الرياضية	د.ولهان حميد هادي الربيعي	١٩٥٠/٧/١ ديالى/بعقوبة	تدريسي	عميد كلية التربة الرياضية	متزوج	٦ أولاد والشهيد مصطفى = ٧ أولاد	الخميس ٢٠٠٧/٢/١	في موقع العمل	استهداف شخصي
٤٤	جامعة ديالى كلية التربية الرياضية	مصطفى عبد الجليل محمد جاسم الديري	١٩٧٧/٣/٢٦ بعقوبة/ديالى	تدريسي	تدريسي في كلية التربية الرياضية	متزوج	طفل واحد	٢٠٠٥/٤/٢٣	خارجه/ بعقوبة/ السوق/حي الفاروق	عمل إرهابي جماعي عبوة ناسفة
٤٥	جامعة ديالى كلية التربية الرياضية	حيدر محسن يوسف طاهر اللامي	١٩٧٠/٧/١ بغداد/مدينة الصدر	م.تدريسي	تدريسي في كلية التربية الرياضية	أعزب	لايوجد	الأربعاء ٢٠٠٤/٦/٩	خارجه /أثناء توجهه إلى مكان عمله	استهداف شخصي
٤٦	جامعة ديالى كلية التربية الرياضية	مصطفى ولهان حميد هادي الربيعي	١٩٨٣/٨/١٤ هبهب/خالص ديالى	سائق	سائق	أعزب	لا يوجد	الخميس/ ٢٠٠٧/٢/١	في موقع العمل	استهداف شخصي
٤٧	جامعة ديالى كلية التربية الرياضية	رشيد لطيف علي حمادي المجمعي	١٩٦٠/٧/١ بعقوبة /ديالى	م/ملاحظ	موظف في كلية التربية الرياضية	متزوج	٥ أولاد	الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/١٢	خارجه/أثناء توجهه إلى مكان العمل بالقرب من منزله	استهداف شخصي
٤٨	جامعة ديالى كلية الزراعة	عبد القادر أحمد عكاب الحسيناوي	١٩٦٥/٧/١ بعقوبة ديالى	مدير أقدم	مسؤول شعبة التعليم المستمر	متزوج	٣ أولاد	٢٠١٣/١٠/٢١	خارجه/حي المصطفى	انفجار عبوة ناسفة
٤٩	رئاسة جامعة ديالى/ قسم العقود الحكومية	مناضل جواد شرقي شديد العزاوي	١٩٨٠/٤/٧ منصورية الخالص/ديالى	مشاور قانوني مساعد	قانوني	متزوج	ولد واحد	٢٠١٣/١١/٢١ معاملة قيد الانجاز	خارجه/بالقرب من المجمع السكني /الغالبية	إطلاقات نارية استهداف شخصي
٥٠	جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الصرفة	أحمد سعيد بدار سنين المجمعي	١٩٧٧/٢/٢	مشاور قانوني مساعد	مسؤول شعبة القانونية في كلية التربية للعلوم الصرفة	متزوج	٦ أولاد	٢٠١٤/١/١٥	خارجه/ قرية شطب	عمل إرهابي جماعي / انفجار عبوة ناسفة
٥١	جامعة ديالى كلية الطب	وسام نوري محمد علي الخزرجي	١٩٨١/٥/٣١ بعقوبة/ديالى	أجر يومي	حارس	أعزب	–	٢٠١٣/٩/٣٠ معاملة قيد الإنجاز	خارجه مستشفى بعقوبة التعليمي	عبوة ناسفة طريق بودجة
٥٢	جامعة ديالى كلية الإدارة والاقتصاد	خالد طه عبد الكريم طاهر العزاوي	١٩٥٨/٨/٣ المقدادية ديالى	أستاذ مساعد	تدريسي	متزوج	٢ أولاد	٢٠١٣/١٠/٣١	حي المصطفى	انفجار عبوة ناسفة عمل إرهابي جماعي
٥٣	جامعة ديالى كلية التربية الأساسية	ثابت حسين مظلوم داود الخزرجي	١٩٥٣/٧/١ ديالى/بعقوبة	أستاذ دكتور	تدريسي	متزوج	٦ أولاد	٢٠١٣/١١/١٤ معاملة قيد الإنجاز	حي المصطفى	استهداف شخصي إطلاق نار
٥٤	جامعة ديالى الرئاسة	فيصل غازي أحمد حسن العتبي	١٩٦٤/٧/١ بغداد الجديدة	حرفي	سائق	متزوج	٤ أولاد	٢٠١٢/٨/٧	الغالبية/سيف سعد	اختطاف في ٢٠٠٧/٥/٢٣
٥٥	جامعة ديالى كلية الهندسة	عمر خليل إبراهيم حسين الزبيدي	١٩٦١/٩/١٠ ديالى/بلدروز	تدريسي	تدريسي	متزوج	٧ أولاد	٢٠١٢/٢/٢٦	خارجه/اختطاف في بعقوبة	اختطف في ٢٠٠٧/٥/١٣

ت	الدائرة أو المديرية	الاسم الثلاثي واللقب	مكان وسنة التولد	الرتبة أو العنوان الوظيفي	الوظيفة التي كان يشغلها	الحالة الاجتماعية	عدد الأولاد	تاريخ الاستشهاد	مكان الاستشهاد في موقع العمل/خارجه	سبب الاستشهاد عمل إرهابي جماعي استهداف شخصي
٥٦	جامعة ديالى رئاسة الجامعة	عدي حسن أحمد حسن العتبي	١٩٨٢/١٠/٧ بغداد /المشتل	حرفي	سائق	متزوج	٤ أولاد	٢٠١٢/٧/٤	خارجه/الغالبية/سيف سعد	اختطاف
٥٧	جامعة ديالى كلية التربية الأساسية	جمال مصطفى خماس صالح الربيعي	١٩٦٠/٦/٥ ديالى /بعقوبة	تدريسي	تدريسي	متزوج	٣ أولاد	٢٠١٢/٤/٢	خارجه/اختطف في (٢٠٠٧/١٠/٢٩) بعقوبة الجديدة	اختطاف
٥٨	جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الصرفة	نايف علي حسين أحمد اللهيبي	١٩٧٢/٧/١ بعقوبة ديالى	م.باحث	موظف	متزوج	٤ أولاد	٢٠١٣/٤/٨	اختطف في بعقوبة بتاريخ (٢٠٠٧/٩/١٩)	اختطاف
٥٩	جامعة ديالى كلية الهندسة	حيدر مهدي إبراهيم السليم الربيعي	١٩٧٢/٨/١٠ بعقوبة/ديالى	سائق	سائق	متزوج	٢ أولاد	٢٠١٣/٥/١٥ حكمًا	اختطاف	اختطاف بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٤
٦٠	جامعة ديالى كلية الطب البيطري	داود سلمان عبد عبيد الجورانى	١٩٧٢/٧/١ ديالى/مندلى	م.كيمائي	موظف	متزوج	٢ أولاد	/٢٠١٣/٢/١٢ حكمًا	اختطف من داره في بهرز	اختطاف بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٩
٦١	جامعة ديالى كلية الزراعة	عبد العالي كريم سحيب كاظم شلال الصريفي	١٩٧٢/١/١ خانقين/ديالى	م. مهندس	وحدة الصيانة	متزوج	٤ أولاد	/٢٠١١/٩/٢٥ حكمًا	اختطاف بتاريخ ٢٠٠٦/٦/٢٨	اختطاف
٦٢	جامعة ديالى كلية التربية الرياضية	محمد رشيد أحمد عنتر العبيدي	١٩٨٠ بعقوبة/ الخالص	أمين مخزن	أمين مخزن	متزوج	٨ أولاد	٢٠١٥/٥/٨	خارجه قضاء الخالص/ سجن الخالص	عمل إرهابي
٦٣	جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الصرفة	عباس الماري خضير سباهي النوفلي	١٩٨٤/٧/١ العزير/ قلعة صالح/ ميسان	حرفي	وحدة الصيانة	متزوج	واحد	٢٠١٥/٧/١٧	خارجه/ديالى/ بني سعد	عمل إرهابي (سيارة مفخخة)
٦٤	جامعة ديالى كلية العلوم	ذكاء عبد الأمير حميد	١٩٧٠/٥/٣ بعقوبة ديالى	فيزياوي أقدم		متزوج	٤ أولاد	٢٠١٥/٨/١٠	خارجه/بعقوبة / الهويدر	عمل إرهابي جماعي (سيارة مفخخة)

يوضح الجدول في أعلاه أعداد الشهداء من التدريسيين والموظفين في جامعة ديالى الذين سقطوا ضحايا من جراء العمليات الإرهابية، إذ بلغت أعدادهم (٦٤)شهيدًا بحسب الإحصائيات الرسمية التي حصل عليها الباحثان من الدائرة القانونية في رئاسة جامعة ديالى، ويبدو أن عدد الشهداء الذين سقطوا لم يكن بالعدد الهين، إذ دفعت تلك العمليات الإرهابية إلى هجرة ونزوح العديد من الأساتذة والتدريسيين من ذوي الكفايات العلمية والأكاديمية، الأمر الذي انعكس سلبًا على المستوى العلمي والعملية التعليمية في الجامعة.

كذلك أدت العمليات الإرهابية في جامعة ديالى إلى جرح العديد من ملاكاتها العاملة من أساتذة وتدريسيين وموظفين الذين تعرضوا لعمليات الاغتيال في مناطق مختلفة ونجوا منها، ولكن بعضهم أصبح معاقًا جسديًا وغير قادر على ممارسة مهنته الأكاديمية والقسم الآخر أثرت تلك العمليات على وضعه النفسي والعقلي، وندرج قائمة بأسماء الجرحى الذين كانوا عرضة لعمليات الاغتيال والتصفية الجسدية والذين قدر الله لهم النجاة منها وما زالوا على قيد الحياة.

قائمة بأسماء الجرحى من ملاكات جامعة ديالى الذين تعرضوا لعمليات الإرهاب[١٨]

١- محمد عبد السلام شنيار	٢- محمد عبد الجبار مهدي
٣- عدنان عبد الجبار مهدي	٤- ياسر موفق مهدي
٥- طاهر عبود احمد	٦- إسراء عادل ذنون
٧- منذر إبراهيم علوان	٨- رشيد عبد الستار رشيد
٩- خالد أمين عباس	١٠- أحمد سلطان محمد
١١- محمد عبد الستار كريم	١٢- لؤي عبد الكريم كامل
١٣- زهير حسين جواد ١٥- فراس عبد الجبار كامل	١٤- محمد ناجي شفيق ١٦- ثائر سعدون محمد
١٧- لؤي قيس عبد الله	١٨- زياد طارق خضير
١٩- توفيق قدوري محمد.	٢٠- رؤى كاظم جواد

يتضح من خلال القائمة أعلاه أن أعداد الجرحى من ملاكات جامعة ديالى من أساتذة وتدريسيين وموظفين الذين تعرضوا لعمليات الاغتيال من جراء الإرهاب الأعمى قد بلغت ٢٠ جريحًا بحسب الوثائق والإحصائيات الرسمية التي استقاها الباحثان من الدائرة القانونية في رئاسة جامعة ديالى، وبذلك أسهمت تلك العمليات الإرهابية في التأثير الجسدي والنفسي وعزوف بعضهم عن ممارسة مهنته الأكاديمية والتفكير في ترك العمل في الجامعة والنزوح والهجرة إلى مناطق أكثر أمنًا من مناطق إقامتهم الأصلية القريبة من محل عملهم في جامعة ديالى، الأمر الذي أدى إلى نقص في الملاكات العلمية والأكاديمية في الجامعة وبدوره انعكس على هبوط المستوى العلمي فيها وتدني العملية التعليمية التي يعد الأستاذ ركيزة من ركائزها الأساسية.

المبحث الثاني: آثار العمليات الإرهابية في البنى التحتية للجامعة

أفرز الاحتلال الأمريكي للعراق بعد العام ٢٠٠٣ نتائج خطيرة انعكست على مختلف المجالات منها السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية والاجتماعية، فضلاً عن الدمار الذي لحق بالبنى التحتية لمؤسسات الدولة ومنشآتها العمرانية، إذ طال هذا الدمار والخراب مراكز العلم والتعليم ومنها الجامعات العراقية، وكان لجامعة ديالى النصيب الأكبر من بين تلك الجامعات، لما خلفته قوات الاحتلال الأمريكي في المحافظة التي تقع فيها بنايات الجامعة من دمار وتهديم، إذ أصبحت بناياتها مسرحًا للعمليات الحربية، الأمر الذي أدى إلى تعرض ممتلكات الجامعة إلى السرقة نتيجة بروز عصابات سطت على دوائر الدولة في المحافظة ومن بينها جامعة ديالى، إذ فقدت معظم ممتلكات الجامعة من خلال عمليات السرقة التي طالت العديد من كلياتها ومقر الجامعة، فضلاً عن سرقة أموال ومبالغ نقدية كانت بذمة الجامعة.

وبحسب الوثائق الرسمية التي حصل عليها الباحثان من رئاسة الجامعة سنعرض الأضرار التي حصلت في البنى التحتية للجامعة، فضلاً عن فقدان العديد من الممتلكات والمواد التابعة لها من جراء عمليات السرقة والعمليات الإرهابية، وسيتم تحديد تلك الأضرار بحسب كليات الجامعة التي تعرضت بناياتها للسرقة والدمار.

- كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

تعد كلية التربية للعلوم الإنسانية من أكبر كليات جامعة ديالى من حيث المساحة والأبنية والمنشآت العمرانية المشيدة عليها، فضلاً عن الملاكات العاملة فيها من أساتذة وتدريسيين وموظفين والطلبة الذين ينتمون إليها، إذ كانت تضم هذه الكلية الاختصاصات الإنسانية والعلمية الصرفة وكان يطلق عليها اسم (كلية التربية الأصمعي) إلى أن تم شطرها في العام ٢٠٠٩ إلى كليتين الأولى شملت الاختصاصات الإنسانية وأطلق عليها كلية التربية للعلوم الإنسانية والثانية ضمت الاختصاصات العلمية وأطلق عليها كلية التربية للعلوم الصرفة، فقد تعرضت هذه الكلية بعد العام ٢٠٠٣ إلى عمليات سلب ونهب ودمار في البنى التحتية لها، إذ بلغت نسبة أضرارها ١٠٠٪ (في المائة).

والجدول رقم (٢) يوضح حجم الأضرار الحاصلة بالبنى التحتية لها[١٩]

ت	نوع	نسبة مئوية للأضرار٪	الكلفة الكلية للأضرار بالدينار رقمًا كتابة	الكلفة الكلية للأضرار بالدولار رقمًا كتابة
١	الأبواب الخشب	٩٠٪ من أصل ١٢٦باب	٢٨,٣٥٠,٠٠٠ ثمانية وعشرون مليون وثلاثمائة وخمسون ألف	٢٣,٦٢٥ ثلاث وعشرون ألف وستمائة وخمسة وعشرون دولار
٢	الشبابيك الحديد	٥٠٪ من أصل ٥٠٠ م٢	١٥,٠٠٠,٠٠٠ خمسة عشر مليون	١٢,٥٠٠ إثنا عشر وخمسمائة دولار
٣	الحدائق	٨٠٪ من أصل ١٦٠٠م٢	٢٥,٠٠٠,٠٠٠ خمسة وعشرون مليون	٢٠,٨٣٣ عشرون ألف وثمانمائة وثلاث وثلاثون دولار
٤	التأسيسات الكهربائية	٨٠٪ من التأسيسات (بلك، بوكس، أسلاك)	٥,٠٠٠,٠٠٠ خمسة ملايين	٤١٦٧ أربعة ألاف ومائة وسبع وستون دولار

يتضح من خلال الجدول أعلاه حجم الأضرار التي تعرضت لها البنى التحتية في كلية التربية للعلوم الإنسانية للمدة ما بين (٢٠٠٤ – ٢٠١٤)، إذ بلغت (٧٣,٣٥٠,٠٠٠) ثلاث وسبعون مليون وثلاثمائة وخمسون ألف دينار عراقي ما يعادل بالدولار الأمريكي (٦١,١٢٥) واحد وستون ألف ومائة وخمسة وعشرون دولار، علمًا أن سعر صرف الدولار في الدوائر الحكومية الرسمية في تلك المدة كان يعادل (١٢٠٠) ألفًا ومائتي دينار عراقي[٢٠].

- كلية الطب/ جامعة ديالى

تعرضت كلية الطب في جامعة ديالى إلى عمليات تدمير وتخريب في البنى التحتية لأبنيتها، فضلاً عن عمليات السرقة التي طالت الممتلكات التابعة للكلية من جراء العمليات الإرهابية، والجدول رقم (٣) يوضح ذلك.

جدول رقم (٣) يبين المبالغ النقدية المفقودة والأضرار الإنشائية في كلية الطب[٢١]

المبلغ	التفاصيل
٢٠١٣٣٩٠٠ (عشرون مليون ومائة وثلاثة وثلاثون ألف وتسعمائة دينار عراقي)	سلف رواتب
٥٠٠٠٠٠٠ (خمسة ملايين دينار عراقي)	سلفة طوارئ
٧٤١١٢٥٠ (سبعة ملايين وأربعمائة واحد عشر ألف ومائتان وخمسون دينار عراقي)	مواد متنوعة (مواد كهربائية وإلكترونية وقرطاسية وأثاث وأسلحة حراس (بنادق)

يتضح مما تقدم ومن خلال الجدول أعلاه أن حجم الخسائر والأضرار الإنشائية والمبالغ المفقودة في كلية الطب قد بلغت ٣٢٥٤٥١٥٠ (اثنان وثلاثون مليونًا وخمسمائة وخمس وأربعون ألفًا ومائة وخمسون دينارًا) وذلك من جراء العمليات الإرهابية وانتشار عصابات السرقة الأمر الذي انعكس على تدمير البنى التحتية لبنايات الجامعة، ومن ثم أثرت تلك العمليات على مستوى التعليم في الجامعة.

- كلية الفنون الجميلة - جامعة ديالى

أما كلية الفنون الجميلة في جامعة ديالى فقد تعرضت هي الأخرى إلى عمليات سرقة وتدمير وأضرار لحقت بالأبنية التابعة لها، إذ قدرت نسبة الأضرار فيها ١٠٠٪ مئة بالمئة، والجدول رقم (٤) يبين حجم الأضرار التي لحقت بالبنى التحتية للكلية وذلك للمدة من ٢٠٠٤ ولغاية ٢٠١٤.

جدول رقم (٤) يبين حجم الأضرار التي لحقت بالبنى التحتية لكلية الفنون الجميلة[٢٢]

ت	نوع الأضرار	النسبة المئوية للأضرار ٪	الكلفة الكلية للأضرار بالدينار		الملاحظات
			رقمًا	كتابة	
١	مواد متنوعة سرقت من الكلية وحسب القوائم المرفقة طيًا تبدأ بالتسلسل (١) طابعة يدوية وتنتهي بالتسلسل (٨٤) واير سيمنس ٢*٢,٥ لم	١٠٠٪	٧,٤١١,٢٥٠	سبعة ملايين وأربعمائة واحد عشر ألف ومائتان وخمسون دينار	سرقت خلال أحداث ٢٠٠٧
٢	أضرار إنشائية لحقت بالبناية	١٠٠٪	٧٨٧,٠٠٠	سبعمائة وسبعة وثمانون ألف دينار	

يتضح من خلال الجدول أعلاه نسبة الأضرار التي لحقت بكلية الفنون الجميلة في جامعة ديالى من جراء العمليات الإرهابية قد وصلت إلى ١٠٠٪، إذ قدرت قيمة هذه الأضرار بـ (٨,١٩٨,٢٥٠) ثمانية ملايين ومائة وثمان وتسعون ألفًا ومائتان وخمسون دينارًا عراقيًا.

- كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

تعرضت هذه الكلية إلى عمليات سرقة وأضرار بالممتلكات التابعة لها، ولم يكن هناك أضرار في البنى التحتية لها، إلا أن العمليات الإرهابية شملت سرقة العديد من المواد والممتلكات من بينها سرقة أسلحة تابعة لحراس بنايات الكلية بلغ عددها (١١) إحدى عشرة بندقية نوع كلاشنكوف رشاش روسي، فضلاً عن سرقة العديد من الممتلكات والمواد المخزنية التابعة للكلية من بينها أجهزة كهربائية وإلكترونية ومواد أثاث وقد قدرت مبالغها بملايين الدنانير[٢٣]، ومن ثم أثرت تلك العمليات الإرهابية، إذ أصبحت الكلية خاوية من الممتلكات التي كانت بحوزتها وانعكس سلبًا على سير العملية التعليمية في الكلية وتدهور المستوى العلمي لطلبتها وتدني مستوى أدائهم العلمي.

- كلية العلوم

أما كلية العلوم في جامعة ديالى فقد كانت هي الأخرى عرضة إلى عمليات تدمير وتخريب في البنى التحتية لأبنيتها ومنشآتها، فضلاً عن عمليات السرقة التي طالت الممتلكات التابعة للكلية من جراء العمليات الإرهابية، والجدول رقم (٥) يوضح ذلك.

جدول رقم (٥) يبين نسبة وكلفة الأضرار التي لحقت بكلية العلوم في جامعة ديالى[٢٤]

ت	نوع الضرر	النسبة المئوية للأضرار	الكلفة الكلية للأضرار بالدينار	
			رقمًا	كتابة
١	مكيف سبلت ٢ طن	٪١٠٠	٥٩٠٠٠٠	(خمسمائة وتسعون ألف دينار)
٢	طقم قنفات قماش (كرسي + قنفة)	٪١٠٠	٦٠٠٠٠٠	(ستمائة ألف دينار)
٣	مكتبة مزججة	٪١٠٠	٢٥٠٠٠٠	(مائتان وخمسون ألف دينار)
٤	جهاز استنساخ كانون	٪١٠٠	١٠٥٧٠٠٠	(مليون وسبعة وخمسون ألف دينار)
٥	قاصة	٪١٠٠	٤٥٠٠٠٠	(أربعمائة وخمسون ألف دينار)
٦	ميز حاسبة	٪١٠٠	٥٠٠٠٠	(خمسون ألف دينار)
٧	أدوات مختبر	٪١٠٠	٢٥٠٠٠	(خمس وعشرون ألف دينار)
٨	مكيف ٢ طن	٪١٠٠	٥٠٠٠٠٠	(خمسمائة ألف دينار)
٩	شاشة حاسبة حجم ١٧	٪١٠٠	١٠٠٠٠٠	(مئة ألف دينار)

يوضح الجدول أعلاه حجم الأضرار التي لحقت في كلية العلوم بجامعة ديالى من جراء العمليات الإرهابية التي طالت البنى التحتية لها وسرقة ممتلكاتها، إذ بلغت ٣٦٢٢٠٠٠ (ثلاثة ملايين وستمائة وإثنان وعشرون ألف دينار عراقي)، ومن ثم أثرت تلك العمليات على سير العملية التعليمية في الجامعة.

الخاتمـــة

من خلال ما سبق نستنتج بأن الإرهاب قد أثر سلبًا في مؤشرات التنمية البشرية في العراق ولا سيما التعليم العالي؛ من خلال تأثيراته المباشرة في أمن الطلبة والملاكات البشرية والعلمية والبنى التحتية للجامعات، وعلى الرغم من تأثير الإرهاب في جميع مؤشرات التنمية البشرية، لكن تأثيره في التعليم أكبر من تأثيره على المؤشرات الأخرى، كما أن هناك علاقة تراكمية مباشرة ذات أبعاد متعددة ما بين العمليات الإرهابية وما بين الأوضاع التعليمية في العراق، ففي أغلب الأحيان عندما تزداد العمليات الإرهابية وتسفر عن سقوط ضحايا أكثر، يولد انعدام الثقة بالوضع الأمني، وهو ما يخلف وراءه آثار تتابعية قد تحتاج إلى أمد متوسط أو طويل لمعالجتها، كما في حالات هجرة الكفاءات.

وبهذا الصدد سعت جامعة ديالى لاتخاذ التدابير والمعالجات التي من شأنها أن تخفف من حجم الدمار التي لحق بمواردها البشرية المتمثلة في أساتذتها وتدريسييها وموظفيها من جراء العمليات الإرهابية، فضلاً عن التخريب الذي تعرضت له البنى التحتية لأبنيتها ومنشآتها العمرانية، إذ تمكن القائمون على هذه الجامعة من

إيجاد موقع بديل وملاذ آمن أكثر استقرارًا من موقعها الرئيس الذي تعرض للعمليات الإرهابية، ومن ثم نقل الكليات التي تعرضت للدمار إلى أبنية بديلة ولكن لم تكن الأخيرة بالمستوى الذي يحقق نجاح العملية التعليمية في الجامعة، ولكن تلك التدابير أريد منها المحافظة بالدرجة الأساس على الملاكات العاملة في الجامعة من العمليات الإرهابية، وقد أسهمت تلك العمليات في هجرة العديد من الكفاءات والخبرات في الجامعة إلى مناطق أكثر أمنًا واستقرارًا ولا سيما المناطق الشمالية من العراق، فضلاً عن نزوح بعضهم الآخر إلى دول الجوار الجغرافي، وكذلك تعرضت الأبنية والمنشآت العمرانية للجامعة إلى التخريب والدمار في البنى التحتية لها والعبث بممتلكاتها وسرقتها من جراء العمليات الإرهابية. كما أسهمت تلك العمليات في تعطيل وتدني المستوى العلمي لطلبة الجامعة، إذ عزف بعضهم عن ترك الدراسة خوفًا ورعبًا من الوصول إلى الجامعة بسبب عمليات القتل والخطف التي مورست ضدهم من الجماعات الإرهابية التي كانت منتشرة في مناطق المحافظة، ومن ثم انعكست تلك العمليات على مستوى التعليم في جامعة ديالى.

نبذة عن جامعة ديالى

تأسست جامعة ديالى في ١٩٩٩/٩/١٨، وتُعدّ من الجامعات متوسطة الحجم؛ إذ تصل طاقة الاستيعاب التصميمية بعد اكتمال إنشاء مرافقها الخدمية كافة إلى ١٧٠٠٠ طالب وطالبة. وتعتبر أهم مركز علمي وثقافي متخصص ضمن المحافظة وقد سبق تأسيسها إنشاء كليات الهندسة والتربية والتربية الأساسية (المعلمين سابقًا). وتضم الجامعة ثلاثة عشر كلية ذات تخصصات علمية وإنسانية: كلية التربية الأساسية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الصرفة، كلية التربية الرياضية، كلية الهندسة، كلية العلوم، كلية القانون والعلوم السياسية، كلية الطب، كلية الطب البيطري، كليةالزراعة، كلية الإدارة والاقتصاد، كلية العلوم الإسلامية، كلية الفنون الجميلة. هذا وتضم الجامعة عددًا من الوحدات والمراكز البحثية والاستشارية وهي: المكتب الاستشاري الهندسي/كلية الهندسة، مكتب الخدمات العلمية والاستشارية/كلية الهندسة، مركز الحاسبة والإنترنت، مركز أبحاث الأمومة والطفولة، وحدة أبحاث الشيخوخة، المركز الصحي الجامعي، مركز التطور والتعليم المستمر، وحدة الأبحاث المكانية، المكتب الاستشاري الزراعي/كلية الزراعة.

قائمة الهوامش والمصادر

(١) القطامي، والرفاعي، نمو الطفل ورعايته بيروت لبنان ١٩٨٩ ص١٠٢.

(٢) علي الشمري، آلية الإرهاب ومظاهر القمع، مجلة النبأ، العدد٦١، ص٢.

(3) Bruce Hoffman. Inside Terrorism. 2ed. Edition. Columbia University Press. New York. USA.2006. p.2.

(٤) حسن لطيف كاظم الزبيدي وعاطف لافي مرزوك السعدون، حال التنمية البشرية في العراق: سجل التدهور، مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية، المجلد ٩، العدد ٤، ٢٠٠٧، ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٥) الزبيدي، حسن لطيف وصادق جبر فخري، الإرهاب وآثاره في التنمية البشرية في العراق/جامعة الكوفة/كلية الإدارة والاقتصاد، على الموقع الإلكتروني: www.docudesk.com

(٦) الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) على الموقع: www.start.umd.edu

(٧) حسن لطيف كاظم الزبيدي وعاطف لافي مرزوك السعدون، حال التنمية البشرية في العراق: سجل التدهور، مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية، المجلد ٩، العدد ٤، ٢٠٠٧، ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٨) المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قواعد بيانات البنك الدولي المتاحة على الرابط: www.worldbank.org

(٩) شبكة المعلومات الدولية، على الرابط: https://ar.wikipedia.org

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) شبكة المعلومات الدولية على الرابط: https://ar.wikipedia.org

(شبكة النبأ المعلوماتية – الإثنين ١٢ شباط/٢٠٠٧ –٢٤ محرم/١٤٢٨)

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) مقابلة أجراها الباحثان مع السيد علي العبيدي مدير إعلام جامعة ديالى بتاريخ ٢ تشرين الأول ٢٠١٧ في مقر رئاسة الجامعة.

(١٤) شبكة المعلومات الدولية على الرابط: https://ar.wikipedia.org

(شبكة النبأ المعلوماتية – الإثنين ١٢ شباط/٢٠٠٧ –٢٤ محرم/١٤٢٨).

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) شبكة المعلومات الدولية، على الرابط: https://ar.wikipedia.org

(١٧) معلومات حصل عليها الباحثان من قسم الشؤون القانونية في جامعة ديالى بتاريخ ٢٧ أيلول ٢٠١٧.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) وثيقة صادرة من كلية التربية للعلوم الإنسانية – الشعبة الإدارية، الموضوع / أضرار الحرب، ٢١٦، ٣٠ كانون الثاني ٢٠١٣.

(٢٠) وثيقة صادرة من كلية التربية للعلوم الإنسانية، الشعبة الإدارية، م/ أضرار الحرب، العدد ٩٧٢٢/١٧، ٢٥ تموز ٢٠١٦.

(٢١) وثيقة صادرة من كلية الطب – الشعبة الإدارية، جامعة ديالى، العدد ١٩٠٧، ١٢ تشرين الأول ٢٠١٥.

(٢٢) وثيقة صادرة من كلية الفنون الجميلة، الشعبة الإدارية، جامعة ديالى، العدد١٢، ١ شباط ٢٠١٦.

(٢٣) وثيقة صادرة من كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة ديالى، م/ أضرار الحرب، العدد ٣٠٨٠، ٢٢ تشرين الأول ٢٠١٥.

(٢٤) وثيقة صادرة من كلية العلوم، الشعبة الإدارية، جامعة ديالى، العدد ٣٤٥١، ٣٠ كانون الأول ٢٠١٥.

دراسة بعنوان

السياسات الاقتصادية ودورها في مكافحة التطرف

د. محمد الجوهري - مصر

دكتوراه تمويـــل واستثمار

m_gohary2@yahoo.com

ملخص

لا شك أن انعدام العدالة الاجتماعية كميزان اقتصادي للحد من الفقر هو المدخل الرئيس لاتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء ومن شأن ذلك أن يعظّم الفكر المنحرف بدافع انتقامي لدى الفقراء بسبب التهميش والدونية التي يحيون عليها، وسط مشاهد من البذخ والثراء أمام أعينهم، كما أن رفع يد الدولة عن حمايتهم تعتبر واحدة من أهم أسباب تفاقم المشكلة، هذه المشاهد وغيرها تجعل الفقير يشعر بالمهانة وأن له حقوق لا يمكنه الحصول عليها من الدولة، فيعرج إلى العنف الانتقامي، وهنالك نماذج أخرى من الإرهاب وهي الأوسع انتشارًا في المجتمعات الإسلامية الفقيرة، وهي الإرهاب المقدس باسم السماء، وهذا يأتي على خلفية الجهل في تفسير القرآن وآياته، مع بيئة فقيرة جرى تجهيلها عمدًا أو سهوًا، تعتقد أن الله وعدهم الجنة إن هم قاتلوا في سبيل الله حيث لا قيمة للحياة، وأن نصيبهم في الدنيا هو الفقر المدقع وعليهم الحصول على العدالة من السماء، ويغذي هذه العقيدة المنحرفة فتاوى رجال دين، يعتبرهم الفقراء والجهلة مرجع إيماني ومندوب حصري للإيمان على الأرض، حيث قننوا القتل باسم السماء، وشحذوا همم الفقراء لنيل الشهادة المزيفة بالقتل، واستنهضوا فيهم الإيمان بهلاوس تقود إلى الجنة.

أصل مشكلة الإرهاب تتلخص في:- التوزيع الغير عادل للثروات وقِصر فرص العمل على فئة الأغنياء والمحاسيب، وإهمال التعليم الجيد. والحد عن التعصب الديني. فضلاً عن خطط اقتصادية فاشلة للدولة تقود لمزيد من الفقر وتوحش رأس المال لطحن الفقراء، ما ينتج عنه مزيدًا من البطالة والتسول وظهور جرائم جديدة على المجتمعات أبرزها الإرهاب، مرورًا بجرائم الإتجار بالبشر بكل صوره حتى وصل للتجارة بأعضاء البشر أنفسهم، أو الخطف بدافع الحصـول على الفدية...إلخ. كل هذه الجرائم تندرج تحت مسمى الإرهاب، ويستقطب الفكر المتطرف الفئة التي يقوم عليها مستقبل الأمم وهم الشباب، ذلك أن شعورهم بحاضر مُعقد دون ثمة أمل في واقع أفضل، يجعلهم لا يفكرون في المستقبل، فهم منغمسون في حاضر بائس وفقير يقود إلى الانحراف، ويغذي هذه المفاهيم اقتصاديات فاشلة قامت لتأخذ منهم لتصب في وعاء الأغنياء، فيزداد الأغنياء غنًا ويزداد الفقراء بؤسًا، وبالتالي بات الحديث من الشباب عن مستقبل أفضل ضرب من ضروب الخيال، ومن هنا يكون الاستقطاب نحو التطرف أكثر صعوبة في المجتمعات ذات الاقتصاديات الناجحة، عنها في الدول ذات الاقتصاديات الفاشلة والتي لا تقيم للاقتصاد العلمي

المدروس أى وزن يذكر. ولما كان الأمر كذلك، فإن المناخ المُفرخ للتطرف لا يجد حائط صد أمامه، مع اقتصاد ضعيف وبيئة فقيرة جاهلة فضلاً عن غياب العدالة الاجتماعية والتعليم، ما ينشأ عنه تغيرات اجتماعية كثيرة تؤدي إلى الانحراف، يكون التصدي لها صعب من دون رفع الفقر عن كاهل الفقراء بتوفير فرص عمل والتعليم الجيد لفتح الآفاق لخطط مستقبلية لتحسين الاقتصاد.

ونتناول بالبحث والدراسة التغيرات التي طرأت في بعض البلدان العربية للسياسات الاقتصادية وخاصتةً بعد فترة الثورات أو ما يسمى بالربيع العربي (إن صح تسميته بهذا الاسم) وأثرها على تلك السياسات وارتباطها بزيادة التطرف.

Research Summary

There is no doubt that the lack of social justice as an economic balance of poverty reduction is the main entrance to widening the gap between the poor and the rich. This would magnify the perverted thought of the poor because of the marginalization and inferiority that they live in amid scenes of extravagance and wealth before their eyes. Is one of the most important reasons for the aggravations of the problem, these and other scenes make the poor feel humiliated and have rights that they can't obtain from the state. They are subjected to retaliatory violence. There are other forms of terrorism, which are the most widespread in poor Muslim societies, In the name of heaven, this comes against the background of ignorance in the interpretation of the Quran and Verses of Quran، with a poor environment deliberately or inadvertently blinded, believes that God promised them Paradise if they fought in the way of God where there is no value to life, and that their share in this world is extreme poverty and they have to get justice from Only heaven, and feed this deviant doctrine fatwas of clerics, considered by the poor and ignorant an authoritative and exclusive representative of the faith on earth, where they allowed the killing in the name of heaven, and honed the poor to obtain the false testimony of death, and instilled in them the hallucinations، where happiness there in heaven.

The root of the problem of terrorism is: - unfair distribution of wealth and short-term employment opportunities for the rich without poor, and the neglect of quality education. And to reduce religious intolerance. As well as the failed economic plans of the state leading to more poverty and monopolization of capital to grind the poor, resulting in more unemployment and begging and the emergence of new crimes on the community, notably terrorism, through the crimes of human trafficking in all forms until trafficking of human organs of the people themselves, or kidnapping for ransom.. etc. All these crimes fall under the name of terrorism. Extremist thought attracts the category on which the future of nations is based. They are young, because their sense of a complex present without hope for a better reality makes them not think about the future. They are immersed in a miserable and poor present that leads to deviation, These concepts have failed economies to take them into the pot of the rich, The rich become richer and the poor are getting poorer, and thus the talk of young people about the future of the best like fantasy, hence the polarization of extremism is more difficult in societies with successful economies, So, failed economies more vulnerable to terrorism which does not evaluate the scientific economy studied any weight is negligible. As such, the climate of extremism does not find a protection wall in front of it, with a weak economy and a poor and ignorant environment, as well as the absence of social justice and education, resulting in many social changes that lead to deviation. Addressing them is difficult without raising poverty from the poor by providing jobs and education to open up prospects for future plans to improve the economy.

The study examines the changes that took place in some Arab countries for economic policies and especially after the period of revolutions or what is called the Arab Spring (if it is called by this name) and its impact on those policies and their association with the increase of extremism.

In short, this is the research that I am going to dare about the relationship of economic policies to the manufacture of tools of terrorism.

مقدمة

علاقـة وطيدة تلك التي تربط بين السياسـات الاقتصـادية والتـطرف وهي علاقة عكسـية (Inverse relationship) وعمليًا بنقصان أحد المتغيرات يزداد الآخر والعكس أي إذا تراجعت الحالة الاقتصادية نتيجة السياسات الاقتصادية التي تضعها الدولة، تزداد فرص التطرف وعلاقة طردية (Positive relationship) أي كلما زاد أحدهما بمقدار معين يزيد الآخر بزيادة تتناسب مع زيادة الأول والعكس صحيح تلك التي تربط بين الإصلاح الاقتصادي وتنعكس عن الحد من فرص التطرف. أي أن هناك ارتباط وثيق الصلة بين الاقتصاد والتطرف.

ولكن ما هو التطرف؟ التطرف في اللغة هو الوصول لأحد طرفي الشيء. أي أن هناك تطرف يميني وآخر يساري ولكن كلاهما خطر.

وهنالك علاقة متشعبة ما بين الاقتصاد والتطرف والإرهاب والسياسة والاستقرار والأمن الاجتماعي والسياسي من أهم مقومات التنمية الاقتصادية فلا ينفصل عنصر عن الآخر، فبدون الأمن لا تكون هناك تنمية وبدون ذلك تنهار الدول، فالإرهاب يؤثر على التنمية الاقتصادية وعلى الاستثمار والتمويل للمشروعات فرأس المال جبان والاقتصاد يشمل السياحة والتمويل والاستثمار والسياسة النقدية. ويؤثر الإرهاب في زيادة البطالة ويؤدي إلى اختلال اقتصادي واجتماعي تتجاوز خطورته النطاق المحلي إلى النطاق الإقليمي والدولي، فالعلاقة بين الإرهاب والآثار الاقتصادية له تبرز أهمية مكافحة الإرهاب والحد من آثاره على اقتصاد الدول، حتى يتحقق الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي ومن ثم تكون فرص نمو التطرف منعدمة، إن الإنسان سواء كان عاملاً أو صاحب عمل وهو لا يأمن على اعماله وحياته وحريته وعقله في بيئة حاضنة للتطرف، حيث يعمل في قلق وهذا يقود إلى ضعف الإنتاجية وقلة الإنتاج ما يستلزم معه إيقاف جزء من الإنتاج، فضلاً عن رفع التكلفة ومن ثم زيادة البطالة والتي تصب في النهاية إلى التطرف، ورأس المال المهدد بالإرهاب لا يمكن أن يغامرلأن رأس المال بطبيعة الحال جبان، فيضطر إلى الهروب إلى البلدان الأكثر أمنًا، وهذا ما نشاهده بعد كل عملية إرهابية حيث نجد خللاً في أسواق النقد والمال والبورصات وارتفاع الأسعار وظهور السوق السوداء وهروب الاستثمار إلى الخارج وهذه الآثار جميعًا تقود إلى خلل في آلية المعاملات الاقتصادية ومن ثم إعاقة للتنمية، والتخريب في البنية الأساسية والتي تعتبر من مقومات التنمية بسبب العمليات الإرهابية يعتبر تدميرًا للاقتصاد وتتطلب أموالاً باهظة لإعادة تأهيلها للعمل، وهذا كله على حساب الاستثمارات التنموية. كما أن التصدي للإرهاب ومحاربته يحتاج إلى نفقات وتكاليف باهظة، كان من الممكن أن توجه إلى مشروعات تنموية، ومع وجود تداعيات سلبية للحوادث الإرهابية على تدفقات الاستثمار وحركة السياحة إلى مصر، لارتفاع عنصر المخاطر نتيجة الأعمال الإرهابية وآثارها الاقتصادية، باعتبارها أحد أدوات المستثمرين لدى تقيمهم لبيئة أعمالهم. فيما لو كانت الحياة آمنة مستقرة. كما أن انتشار الخوف والرعب والحذر واليقظة بين الناس بسبب توقع حدوث عمليات إرهابية يقلل من الإنتاج ويضعف الإنتاجية، كذلك الإرهاب يقود إلى التخلف وحياة الضنك، ولا بد من تحقيق الأمن والطمأنينة للناس وللعاملين ولرجال الأعمال وللمال وللبنية الأساسية حتى تتحقق الحياة الكريمة.

في حالات الاستقرار السياسي والاقتصادي ينشط الطلب وتنتعش الأسواق نتيجة لزيادة الإنفاق

الاستهلاكي، وينتج عن ذلك ارتفاع في المستوى العام للأسعار يكون أحيانًا في النطاق المقبول اقتصاديًا، وهنا يكون لهذا الارتفاع آثار إيجابية على حفز الاستثمار وزيادة التوظف وقد يكون التضخم كبيرًا بحيث تنتج عنه آثار سلبية في الاقتصاد والمجتمع، ولكن في حالات انعدام الأمن أو زيادة المخاوف فإن الطلب يتضاءل ويترتب على ذلك ركود في الأسواق وكساد للمنتجات، ولذا فإن معدلات التضخم تزداد وتنقص تبعًا للوضع السياسي الدولي وانتشار خطر الإرهاب في المحيط المحلي.

وللإرهاب خسائر شتى سنلقي الضوء عليها في السطور القادمة. ولا شك أن انعدام العدالة الاجتماعية كميزان اقتصادي للحد من الفقر هو المدخل الرئيس لاتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء، ومن شأن ذلك أن يعظّم الفكر المنحرف بدافع انتقامي لدى الفقراء بسبب التهميش والدونية التي يحيون عليها، وسط مشاهد من البذخ والثراء أمام أعينهم، كما أن رفع يد الدولة عن حمايتهم تعتبر واحدة من أهم أسباب تفاقم المشكلة، هذه المشاهد وغيرها تجعل الفقير يشعر بالمهانة وأن له حقوق لا يمكنه الحصول عليها من الدولة، فيعرج إلى العنف الانتقامي، وهنالك نماذج أخرى من الإرهاب وهى الأوسع انتشارًا في المجتمعات الإسلامية الفقيرة، وهى الإرهاب المقدس باسم السماء وهذا يؤتى على خلفية الجهل في تفسير القرآن وآياته، مع بيئة فقيرة جرى تجهيلها عمدًا أو سهوًا، تعتقد أن الله وعدهم الجنة إن هم قاتلوا في سبيل الله حيث لا قيمة للحياة، وأن نصيبهم في الدنيا هو الفقر المدقع وعليهم الحصول على العدالة من السماء، ويغذي هذه العقيدة المنحرفة فتاوى رجال دين، يعتبرهم الفقراء والجهلة مرجع إيماني ومندوب حصري للإيمان على الأرض، حيث قننوا القتل باسم السماء، وشحذوا همم الفقراء لنيل الشهادة المزيفة بالقتل، واستنهضوا فيهم الإمان بهلاوس تقود إلى الجنة.

المبحث الأول: الربيع العربي والثورات وأثره في السياسات الاقتصادية وزيادة التطرف والإرهاب

أخذت التحليلات التي تناولت الثورات العربية تنحو منحىً منفردًا (متناولةً) الأبعاد السياسية لحركة الاحتجاجات الجارية في العديد من البلدان العربية، وما كان غائبًا وما لم يحسب له هو البعد الاقتصادي ... وعلى خلفية الارتباط بين ما هو اقتصادي وما هو سياسي، يبرز سؤالاً مهمًا ما هي التداعيات الاقتصادية التي حققتها حركات التغيير السياسي العربية؟ وإلى أي مدى يمكن وضع وتقييم كشف حسابات الأرباح والخسائر المترتبة عليها؟ وماهي النتائج الاقتصادية لتلك الثورات في المديات القريبة والمتوسطة والبعيدة؟ وهل حملت تلك الثورات نتائج اقتصادية إيجابية؟ وإذا كان أحد أهم أسباب تلك الثورات اقتصادية، فهل ستقوم النخب الجديدة بإيجاد نماذج تنمية جديدة لانتشال شعوبها من الوضع الاقتصادي المزري التي عاصرته إبان العهود ما قبل هذا الربيع؟

ومما لا لبس فيه أن أبرز مسببات الثورات كانت هي الضغوط الاقتصادية الشديدة التي يرزح تحتها السواد الأعظم من المجتمعات العربية في ظل مناخ سياسي يتسم بالفساد وخنق الحريات وتراكم الفشل في إخراج هذه الثورات، وخير دليل على ذلك أن الثورات العربية اندلعت في ١٨ ديسمبر ٢٠١٠ تضامنًا مع الشاب محمد البوعزيزي الذي قام بإضرام النار في جسده في ١٧ ديسمبر ٢٠١٠ تعبيرًا عن غضبه على بطالته ومصادرة العربة التي يبيع عليها، ومن ثم قيام شرطية بصفعه أمام الملأ وقالت له ... إرحل، فأصبحت تلك الكلمة شعار الثورة لرحيل الرئيس بن علي ورؤساء آخرين. ولكن ماذا كانت توقعات الجماهير التي قامت بتلك الثورات وقدمت أغلى ماتملك وهي الحياة التي وهبها الله سبحانه وتعالى؟

كانت الجماهير تتوقع تحول نحو الأفضل سواء أكانت من الناحية السياسية أو الاقتصادية، كانت تتوقع انخفاض نسب البطالة وارتفاع معدلات الدخل الفردي، وتحسين مستوى الخدمات، وخفض الضرائب على دخول الطبقات الوسطى والفقيرة.. إلخ من الخدمات التي تحاكي بها شعوب المنطقة العربية شعوب المعمورة، كل هذا نتيجة لتوقع الجماهير استثمار الكفاءة في توجيه الموارد واستغلالها لمصلحة الجمع الأعظم من الناس في مناخ يتسم بالشفافية والمساءلة، وفي ظل توزيع أكثر عدلاً للدخل وفرص أكثر تكافؤًا للجميع. إلى جانب الأسباب السياسية للثورات العربية.

هناك العديد من الأسباب الاقتصادية التي ساهمت في اندلاع هذه الثورات، حيث يلاحظ وجود مشكلات اقتصادية مشتركة مابين الدول العربية التي اندلعت فيها هذه الثورات في كثير من القطاعات الاقتصادية، والتي أثرت في جودة حياة الشعوب ودرجة رفاهيتها في هذه الدول، وفي مقدمة هذه الظروف حالة الإحباط التي أصيبت بها شعوب هذه البلدان بسبب ضعف نتائج برامج الإصلاح الاقتصادي بصفة عامة، وتسببها في العديد من المشكلات في كثير من القطاعات الاقتصادية، وإخفاقها في الحد من معدلات الفقر، وتوفير فرص العمل، ويمكن رصد أهم المؤشرات الاقتصادية التي تؤكد ذلك فيما يأتي:

- تباطؤ معدلات النمو الاقتصادي وشعور المواطن في هذه الدول بأن مستويات المعيشة لا تتحسن بل تتراجع، ولا تتواكب مع ما تعلنه الحكومات من أرقام في هذا المجال، إضافة إلى عدم عدالة توزيع عوائد التنمية في هذه الدول بين الفئات المختلفة.
- ارتفاع معدلات البطالة بين الشباب وضعف نتائج برامج التشغيل في معظم هذه الدول، وهو ما جعل عدد كبير من الشباب في هذه الدول ييأس من سوق العمل، وتشير الأرقام إلى أن متوسط معدل البطالة في الدول العربية وصل إلى نحو ٨٪ (يتراوح هذا المعدل بين ٥٠ في المائة في جيبوتي ونحو ٠,٤ في المائة في الكويت)، وهو أعلى معدل عالمي، إذ بلغ العدد المطلق للعاطلين عن العمل في الدول العربية نحو ١٤ مليون عاطل.
- ارتفاع معدلات الفقر وسقوط النسبة الأكبر من السكان تحت خط الفقر في العديد من الدول العربية، إذ بلغ معدل الفقر في فلسطين والصومال وموريتانيا والأردن واليمن والسودان نحو ٤٠٪، وتجاوز ٢١٪في مصر، و١٠٪ في سورية والعراق وتونس والجزائر.
- تراجع جودة الخدمات العامة المقدمة للمواطنين في كثير من الدول العربية، مثل التعليم والصحة والمواصلات، وهو الأمر الذي كان له انعكاساته على جودة الحياة، وعلى طريقة فهم المواطنين للقضايا الوطنية، ويكفي هنا الإشارة إلى تفاقم معدلات الأمية في الدول العربية، التي تجاوزت ٥٩٪ في العراق، ونحو ٣٣,٦٪ في مصر، ونحو ١٥,٥٪ في سورية، ونحو ١٣,٢٪ في ليبيا، ونحو ١٩,٤٪ في تونس، ونحو ٤١,١٪ في اليمن.
- ارتفاع معدلات التضخم ومعاناة الشعوب من ارتفاع الأسعار ونقص وسوء التغذية، وذلك في ظل الارتفاع غير المسبوق لأسعار السلع الغذائية، وكذلك في ظل فشل سياسات الدعم الحكومي في مساعدة الفئات الأكثر فقرًا، حيث تشير دراسات البنك الدولي إلى أن ٣٤٪ من مبالغ الدعم الهائلة المقدمة في الدول التي شهدت الاضطرابات تذهب للفئات الفقيرة وأن ٦٦٪ من هذه المبالغ تذهب للفئات التي لا تستحق الدعم. أبعاد المشكلات الاقتصادية لدول الثورات إن المشكلات الاقتصادية لدول الثورات العربية ثلاثية الأبعاد:

- **الأول:** تواجه هذه الدول تراجعًا واضحًا في معدلات النمو ومن ثم في إيراداتها العامة، في الوقت الذي تميل فيه تكاليف المعيشة نحو

الارتفاع لأسباب كثيرة، منها قيود العرض المصاحبة لظروف الثورة، وحرص الحكومات الجديدة على رفع الحد الأدنى للأجور دون أن يصاحب ذلك نمو مماثل في الناتج المحلي.

- **الثاني:** هو العجز الكبير في المالية العامة لدول الثورات العربية بسبب تزايد الإنفاق العام الناجم عن حرص الحكومات على استيفاء الاحتياجات الأساسية للسكان وتحسين مستوياتها، في الوقت الذي تميل فيه الإيرادات العامة نحو الانخفاض بسبب تراجع معدلات النمو وانخفاض قدرة الممولين على دفع الضرائب، ويتسبب العجز المالي الحالي في ارتفاع الدين العام المحلي إلى مستويات خطيرة فضلاً عن زيادة الدين الخارجي.
- **الثالث:** وهو التراجع الكبير في موارد النقد الأجنبي لهذه الدول، واستنزاف احتياطياتها منه نتيجة لخروج رأس المال وتراجع موارد النقد التقليدية، وبصفة خاصة عوائد السياحة، فضلاً عن توقف تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة نظرًا للظروف السياسية غير الموائمة، فعلى سبيل المثال تتعرض موارد مصر الرئيسة من النقد الأجنبي حاليًا لضربات حادة، خصوصًا صادراتها السلعية وإيراداتها من السياحة، نظرًا للتراجع الكبير في أعداد السائحين بسبب عدم الاستقرار السياسي والأمني الذي تتعرض له البلاد حاليًا.

الانعكاسات الاقتصادية للثورات العربية

قبل البحث في هذا الموضوع، فقد حاولت وبكل قوة أن أبحث بين ثنايا البيانات والإحصاءات عن رقم أو معلومة واحدة ترشدني إلى اكتشاف أثر اقتصادي إيجابي واحد أفرزته الثورات العربية ولكن دون جدوى، فقد دلت كل المؤشرات الاقتصادية المتوفرة من المنظمات الاقتصادية الدولية أو المصادر الحكومية إلى تدهور حاد في كل القطاعات الاقتصادية لتلك الدول، وفي أدناه فيض من غيض المؤشرات السلبية التي أحاطت باقتصادات مصر وتونس وليبيا ومن ثم أثرها على الدول العربية بصورة عامة.

المبحث الثاني: أثر التطرف علي السياسة الاقتصادية كمردود لها

الاستقرار والأمن الاجتماعي والسياسي من أهم مقومات التنمية الاقتصادية فلا ينفصل عنصر عن الآخر، فبدون الأمن لا تكون هناك تنمية وبدون ذلك تنهار الدول، فالإرهاب يؤثر على التنمية الاقتصادية وعلى الاستثمار والتمويل للمشروعات فرأس المال جبان والاقتصاد يشمل السياحة والتمويل والاستثمار والسياسة النقدية. ويؤثر الإرهاب في زيادة البطالة ويؤدي إلى اختلال اقتصادي واجتماعي تتجاوز خطورته النطاق المحلي إلى النطاق الإقليمي والدولي، فالعلاقة بين الإرهاب والآثار الاقتصادية له تبرز أهمية مكافحة الإرهاب والحد من آثاره على اقتصاد الدول، حتى يتحقق الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي ومن ثم تكون فرص نمو التطرف منعدمة، إن الإنسان سواء كان عاملاً أو صاحب عمل وهو لا يأمن على اعماله وحياته وحريته وعقله في بيئة حاضنة للتطرف، حيث يعمل في قلق وهذا يقود إلى ضعف الإنتاجية وقلة الإنتاج ما يستلزم معه إيقاف جزء من الإنتاج، فضلاً عن رفع التكلفة ومن ثم زيادة البطالة والتي تصب في النهاية إلى التطرف، ورأس المال المهدد بالإرهاب لا يمكن أن يغامر لأن رأس المال بطبيعة الحال جبان، فيضطر إلى الهروب إلى البلدان الأكثر أمنًا، وهذا ما نشاهده بعد كل عملية إرهابية حيث نجد خللاً في أسواق النقد والمال والبورصات وارتفاع الأسعار وظهور السوق السوداء وهروب الاستثمار إلى الخارج وهذه الآثار جميعًا تقود إلى خلل في آلية المعاملات الاقتصادية ومن ثم إعاقة للتنمية، والتخريب في البنية الأساسية والتي تعتبر

من مقومات التنمية بسبب العمليات الإرهابية يعتبر تدميرًا للاقتصاد وتتطلب أموالاً باهظة لإعادة تأهيلها للعمل، وهذا كله على حساب الاستثمارات التنموية. كما أن التصدي للإرهاب ومحاربته يحتاج إلى نفقات وتكاليف باهظة، كان من الممكن أن توجه إلى مشروعات تنموية، ومع وجود تداعيات سلبية للحوادث الإرهابية على تدفقات الاستثمار وحركة السياحة إلى مصر، لارتفاع عنصر المخاطر نتيجة الأعمال الإرهابية وآثارها الاقتصادية، باعتبارها أحد أدوات المستثمرين لدى تقيمهم لبيئة أعمالهم. فيما لو كانت الحياة آمنة مستقرة. كما أن انتشار الخوف والرعب والحذر واليقظة بين الناس بسبب توقع حدوث عمليات إرهابية يقلل من الإنتاج ويضعف الإنتاجية، كذلك الإرهاب يقود إلى التخلف وحياة الضنك، ولا بد من تحقيق الأمن والطمأنينة للناس وللعاملين ولرجال الأعمال وللمال وللبنية الأساسية حتى تتحقق الحياة الكريمة.

في حالات الاستقرار السياسي والاقتصادي ينشط الطلب وتنتعش الاسواق نتيجة لزيادة الإنفاق الاستهلاكي، وينتج عن ذلك ارتفاع في المستوى العام للأسعار يكون أحيانًا في النطاق المقبول اقتصاديًا، وهنا يكون لهذا الارتفاع آثار إيجابية على حفز الاستثمار وزيادة التوظف وقد يكون التضخم كبيرًا بحيث تنتج عنه آثار سلبية في الاقتصاد والمجتمع، ولكن في حالات انعدام الأمن أو زيادة المخاوف فإن الطلب يتضاءل ويترتب على ذلك ركود في الأسواق وكساد للمنتجات، ولذا فإن معدلات التضخم تزداد وتنقص تبعًا للوضع السياسي الدولي وانتشار خطر الإرهاب في المحيط المحلي.

للإرهاب خسائر شتى، سياسية واجتماعية وسياحية واقتصادية ونحو ذلك، ومن أبرز تلك الخسائر وهي مناط هذه الدراسة الخسائر الاقتصادية، والتي تتمثل بصفة أساسية في الآتي:

- الخسائر المالية الناجمة من تدمير الأبنية والسيارات والفنادق والمحلات والمتاجر بسبب العمليات الإرهابية وتكلفة إعادة إعماره.
- نقص في الموارد السياحية بسبب هروب السياح الناجم من العمليات إرهابية، وتعتبر السياحة في معظم الأحيان موردًا رئيسيًا للعملات الأجنبية التي تحتاج إليها الدولة في تمويل التنمية، كم من الأموال السياحية تُفقد بسبب الإرهاب؟
- ارتفاع تكلفة الأمن بسبب النفير العام لكافة أجهزة الدولة المعنية به والتي كان من الممكن توجيهها إلى التنمية ولرفع مستوى دخول الأفراد.
- الخسائر المالية في المرافق الرئيسية التي أصيبت بسبب أحداث الإرهاب من طرق ومياه وكهرباء وتكلفة إعادة إعمارها أو إنشائها من جديد.
- تكلفة علاج المصابين بسبب العمليات الإرهابية في المستشفيات وغيرها، والتي كان من الممكن توجيهها إلى تحسين الخدمات الطبية وإلى تنمية موارد الدولة.
- ويُضاف إلى ما سبق الخسائر في الأنفس التي تعتبر أغلى وأعظم خلق الله والتي كرمها الله، وحرم الاعتداء عليها، وكذلك تكلفة الألم النفسي والمعنوي في قلوب الناس ... وهذا كله لا يمكن ترجمته إلى مال.
- إن من مصائب الإرهاب الخسائر الاقتصادية، والتي تسبب في معظم الأحيان خللاً في ميزانية الدولة وارتباكًا في المعاملات المالية والاستثمارية وتحدث التخلف ولا سيما في الدول الفقيرة، إن السياسة الاقتصادية المالية للدول تقوم على تحقيق الرفاهية

للشعوب، وذلك عن طريق الاستثمار والتنمية الاقتصادية، ويكون ذلك من خلال التمويل لهذه المشروعات والتمويل هو الذي يوفر الأموال اللازمة لإقامة المشروعات وبالتبعية تمتص البطالة، وتحقيق التنمية الاقتصادية والرفاهية للشعوب تتطلب مكافحة الإرهاب، فالإرهاب عدو للتنمية الاقتصادية، والتمويل هو عصب الاقتصاد والتنمية، فلا استثمار ولا فائدة إلا بالتمويل، وكلما زاد حجم التمويل في قنوات استثمارية ناجحة، كلما زاد الإنتاج وزادت المشروعات؛ فالتمويل ينشئ مشاريع جديدة ويغطي العجز المالي ويزيد الإنتاج ويحقق التنمية الاقتصادية للبلاد، لأنه يوفر فرص عمل ويقلل البطالة ويحقق الرفاهية لأفراد المجتمع، ويتطلب ذلك استقرارًا سياسيًا وأمنيًا، فالتمويل هو الشريان الرئيسي للمشروعات، فالإرهاب يعطل حركة التنمية الاقتصادية ويؤدي لارتفاع مستوى التضخم.

- أثر الإرهاب على الميزانية العامة وميزان المدفوعات وسعر الصرف: الإرهاب يؤثر على النمو الاقتصادي وبالتالي يرفع التضخم، الذي بدوره يؤثر في الميزانية العامة، نتيجة قلة فرص النمو الاقتصادي وتمويل العجز في الميزانية، مما يؤدي إلى خلل في ميزان المدفوعات، ويؤدي ذلك إلى التأثير على سعر الصرف، كما أن الميزانية تتأثر نتيجة محاولة توفير الأموال اللازمة لمكافحة الإرهاب.
- أثر الإرهاب على الأسواق المالية وإفلاس الشركات وشركات التأمين: الأسواق المالية تتمتع بأهمية اقتصادية نظرًا لدورها في انتقال رؤوس الأموال والتحكم في السندات والأسهم، والإرهاب يؤدي لقلق المستثمرين من الآثار السلبية، مما يؤدي لتأثر معظم الأسواق المالية العالمية، ومن ثم تتأثر أسهم شركات التأمين بل وإفلاس الشركات، فقد تنهار شركات مثل ما حدث في فترة ١١سبتمبر ٢٠٠١ فقد أفلست ٦٠ ألف شركة، وتم تسريح ما لا يقل عن ١٤٠ ألف أمريكي، وذلك كان يمثل تهديدًا خطيرًا لمؤسسات الرعاية الصحية وشركات التأمين، وأدى إفلاس تلك الشركات إلى تراجع أسعار الأوراق المالية في البورصات العالمية وزيادة البطالة، لذلك تلجأ البنوك المركزية الآن إلى زيادة احتياطيات الذهب وذلك للحفاظ على استقرار الأسواق المالية من خلال اتباع سياسة نقدية مرنة
- السياحة أهم القطاعات التي تتأثر بالإرهاب، نظرًا لأن عائدات السياحة تساهم بنسبة كبيرة في ميزان المدفوعات، وهو قطاع حساس لأن السياح يحاولون قضاء إجازتهم في دول آمنة، ويؤدي ذلك لإحجامهم عن زيارة الدول التي ينتشر فيها الإرهاب، مما يؤدي إلى تسريح عمالة كبيرة تعمل في قطاع السياحة نتيجة انخفاض التدفق السياحي فيتقلص المردود المادي من العملات الصعبة، ويؤدي ذلك لزيادة البطالة فضلاً عن عدم وجود فرص عمل جديدة في قطاع السياحة.

فالآثار الاقتصادية للتطرف تتفاوت حسب قدرة المؤسسات الاقتصادية والسياسية، لاحتواء الإرهاب وتقليل آثاره السلبية، وذلك من خلال المؤتمرات والندوات الدولية لدراسة الإرهاب وأسبابه وكيفية

مواجهته والتصدي له لتعزيز الاقتصاد القومي، ويتضح لنا من خلال هذه التأثيرات الاقتصادية للإرهاب أن نتوصل إلى نتيجة هي أن الإرهاب أهم معوق للتنمية الاقتصادية.

نماذج لارتباط السياسات الاقتصادية بزياد التطرف

مصر

• بعد بدء الثورة تراجع الاحتياطي المصري من النقد الأجنبي بنحو ١٩ مليار دولارًا نتيجة لخروج رؤوس أموال أجنبية بمقدار ٨,٨ مليار دولار، ودفع ٤,٩ مليار دولار لخدمة الديون الخارجية المصرية (فوائد وأقساط سداد)، وتحويل ٢,٦ مليار من قطاع البترول ودفع ٢,٦ مليار لاستيراد السلع التموينية.

• قدر العجز المبدئي للميزانية العامة المصرية في عام ٢٠١٢ بـ ١٣٤ مليار جنيه (٢٢ مليار دولار تقريبا)، غير أن التقديرات الجديدة تصل بهذا العجز إلى ١٨٢ مليار جنيه (٣٠ مليار دولار) وهو عجز تنوء إمكانات الدولة عن تحمله على المدى الطويل، وللتعامل مع هذه الفجوة التمويلية الضخمة من العجز تفكر مصر حاليًا في فرض ضرائب جديدة أو توسيع نطاق الضرائب القائمة بما في ذلك الضرائب على المستثمرين، وتعديل الضرائب الجمركية بما لا يخل بالتزامات مصر نحو منظمة التجارة العالمية، وهي جميعها إجراءات انكماشية لا تساعد الاقتصاد الوطني في مثل هذه الظروف وستؤثر سلبًا في معدلات النمو المتوقعة، ناهيك عن ضعف حصيلتها المرتقبة في ظل الظروف الحالية وأخذًا في الاعتبار درجة كفاءة الإدارة الضريبية في التحصيل.

• على الرغم من إعلان الحكومة المصرية أنها ستقوم بتمويل جانب كبير من هذا العجز، من خلال الاقتراض الخارجي لما يراوح بين ١٠ و١٢ مليار دولار، إلا أن هذا السيناريو له الكثير من التحفظات، لعل أهمها توقف تدفقات المساعدات إلى الاقتصاد المصري بعد الثورة بصورة شبه تامة، كذلك فإن هناك نوعًا من التباطؤ من جانب المؤسسات الدولية والجهات المتعددة الأطراف، والتي وعدت بإقراض مصر في إبرام هذه القروض، من ناحية ثالثة فإن انخفاض التصنيف الائتماني لمصر من قبل مؤسسات التصنيف الائتماني العالمية مرات عدة بعد الثورة، وانخفاضه إلى مستويات متدنية، نتيجة لتردي الأوضاع السياسية التي تتفاقم يومًا بعد الآخر تحت دوي هدير الجماهير في الميادين الرئيسة في مصر، التي على ما يبدو أنها غير مبالية بمآل الاقتصاد المصري وأوضاعه المتردية حاليًا، سيؤدي هذا إلى ارتفاع درجة المخاطرة على معدلات الفائدة التي ستصدر بها السندات المصرية، ويجعل من خدمة هذه الديون الجديدة مسألة ذات تكلفة عالية للاقتصاد المصري، لذلك من المتوقع أن يتم تمويل الجانب الأكبر من هذه المستويات المرتفعة للعجز من خلال السندات المحلية، وهو ما سيؤدي إلى رفع الدين المحلي إلى مستويات كبيرة كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي، ويجعل معدل خدمة هذا الدين إلى الناتج أعلى من معدل النمو الحقيقي في الناتج المحلي، الأمر الذي يجعل الدين العام غير مستدام.

• كشف تقرير للبنك المركزي المصري عن أن ديون مصر الخارجية ارتفعت إلى ٣٤,٩ مليار دولار بنهاية يونيو ٢٠١٠. وأشار التقرير، إلى ارتفاع رصيد الدين الخارجي المُستحق على مصر بـ ١,٢ مليار دولار بزيادة نسبتها ٣,٦٪، مقارنة بنهاية يونيو من العام ٢٠١٠ عندما كان الدين الخارجي يقدّر بـ ٣٣,٧ مليار دولار.

• لن يتخطى نمو إجمالي الناتج القومي ١,٢٪ عام ٢٠١١ بالمقارنة مع ٥,١٪ عام ٢٠١٠.

• فقد الجنيه المصري الكثير من قيمته منذ اندلاع الثورة وحتى الوقت الحاضر لعدة أسباب.

• رفضت الحكومة المصرية قروضًا من صندوق النقد الدولي من قبل، بعد أن وصلت إلى اتفاق شبه نهائي بهذا الغرض، لكنها رأت أنه بإمكانها الاعتماد على موارد أخرى دون الحاجة لقرض الصندوق، مثل الاقتراض المحلي، ولكن مع زيادة تدهور الأوضاع الاقتصادية، وتراجع حجم الاحتياطي من النقد الأجنبي، وزيادة عجز الموازنة، دفع الحكومة إلى اللجوء مرة أخرى للصندوق إضافة إلى الاقتراض

الداخلي، وقد سبق لمصر أن اتخذت نفس الموقف في برنامجها الثانى مع الصندوق، حيث رفضت اللجوء لقرض كان مخصصًا لها عام ٢٠٠٨، وأكملت برنامجها الإصلاحي دون قروض.

• بلغت قيمة الاستثمارات الكلية المنفذة في عام ٢٠١٠/٢٠١١ نحو ٢٢٩ مليار جنية بانخفاض نحو ٣٪ عن العام السابق.

• بلغ معدل الاستثمار ١٦,٧ ٪من الناتج المحلي الإجمالي مقابل ٢٢,٣٪ في عام ٢٠٠٧/٢٠٠٨ وبلغ نحو ١٩,٥٪ في يونيو ٢٠١٠.

• خسائر قطاع الإنترنت خلال الأيام الخمسة التي تم فيها قطع خدمات الإنترنت في مصر بلغت نحو ٩٠ مليون دولار.

• يمكن حصر الكلفة الإجمالية للخسائر كما أعلن عنها من قبل وكالة صينية بما يقارب سبعين مليار جنيه، وأن خسائر الاقتصاد المصري باتت تتفاقم يوميًا جراء شلل القطاعات المالية والصناعية والخدماتية نتيجة استمرار الاضطرابات الجارية.

كل هذه التغيرات في السياسة الاقتصادية أدت إلى ارتفاع مستويات التطرف والإرهاب في مصر في الآونة الأخيرة.

ليبيا

• جاء في تقرير صندوق النقد الدولي أن ليبيا كانت تصدر ١,٦٥ مليون برميل نفط يوميًا قبل الثورة، أما الآن فهي تصدر ٦٠٠ ألف برميل يوميًا، وأن ذلك سيؤدي انخفاض الإيرادات النفطية بنسبة ٦٣,٦٪، علمًا ان ليبيا تعتمد على الإيرادات النفطية في موازناتها بنسبة ٩٤,٣٪.

• فقد الدينار الليبي ٢٠٪ من قيمته مقابل الدولار لعدم قدرة البنك المركزي الليبي الحصول على العملات الأجنبية بسبب توقف تصدير النفط.

• الناتج المحلي الإجمالي الليبي انكمش بنسبة كبيرة بلغت ٦٠٪ في عام ٢٠١١.

تونس

• أصبحت نسبة النمو ٠٪ عام ٢٠١١ بعدما سجل ٣,١٪ عام ٢٠١٠.

• أظهرت بيانات المعهد التونسي للإحصاء ارتفاع مؤشر الرقم القياسي لأسعار المستهلك CPI في تونس إلى مستوى ٥,٧٪ منذ بداية العام ٢٠١٢ وهو ما يعد أعلى مستوى لارتفاع الأسعار منذ ٦ سنوات، إذ ارتفعت أسعار المواد الغذائية وحدها بنسبة ٩٪ والطاقة بـ ٨,١٪ والنقل بنسبة ٤,٧٪ فيما سجلت منتجات الملابس ٣٪ وهي أقل نسبة ارتفاع.

• ارتفع مؤشر كلفة أشغال صيانة وترميم المنازل من نسبة ٦,٦٪ (إلى ١٤,٩٪) كما ارتفعت أسعار الإيجار في تونس بنسبة ٤,٦٪.

• سعر الإسمنت قفز من ٥,٨ دنانير العام الماضي إلى حوالي ١٢ دينارًا للكيس الواحد حاليًا – ٤,٣ دولارات إلى ٨,٨ دولارات

• منذ اندلاع الثورة تراجعت السياحة التي تعّد أكبر مزوّد للنقد الأجنبي في تونس بنسبة بلغت ٥٠٪.

• تقلصت الاستثمارات الأجنبية حوالى ٢٠٪، وأغلقت العديد من المصانع أبوابها، مما ساهم في زيادة عجز الموازنة، وتخفيض التصنيف السيادي وارتفاع كلفة الحصول على القروض.

• إن عجز ميزان المدفوعات بلغ نحو ٧٪، بعد أن كان ٢,٥٪ قبل اندلاع الثورة.

• تراجع نمو الناتج المحلي الإجمالي للاقتصاد التونسي بنسبة ٢٪ خلال النصف الأول من عام ٢٠١١ مقارنة بنظيره في عام ٢٠١٠، وذلك حسب «تقديرات أولية» للمعهد الوطني للإحصاء التونسي.

الانعكاسات الاقتصادية المرتبطة على المنطقة العربية

• خسرت البورصات العربية ٤٩ مليار دولار حسب منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

• شهدت المنطقة منذ بداية الثورات العربية حالة

من عدم اليقين الشديد والضغوط الاقتصادية الكبيرة، سواء من مصادر محلية أو خارجية، وسيؤدي تفاقم الأوضاع السياسية بتلك الدول إلى زيادة هذه الضغوط، فقد قامت البلدان العربية سواء التي شهدت ثورات أم التي لم تشهد بزيادة إنفاقها لتلبية احتياجات الشعوب وتطلعاتها.

- انخفاض حجم الاستثمارات الأجنبية في المنطقة العربية، بنحو ٨٣ ٪، إلى أقل من ٥ مليارات دولار، وذلك لتعطل دورة الإنتاج في عدد من تلك البلدان، ما أثر في حجم الصادرات، وتراجع السياحة إلى أدنى مستوياتها، وارتفاع البطالة والنقص الحاد في الوارد من العملات الأجنبية.
- إن الحكومات في عام ٢٠١١ قد اضطرت إلى زيادة الإنفاق الجاري في المالية العامة على حساب الإنفاق الاستثماري لأنها صرفت مبالغ كبيرة في منح زيادات أجور وحمايات اجتماعية إضافية لمواطنيها.
- وصلت خسائر الاقتصاد العربي بسبب تحولات الثورات العربية إلى نحو ٥٦ مليار دولار في عام ٢٠١١، ومن المتوقع أن يتضاعف هذا الرقم خلال العام الجاري ٢٠١٢ ويصل إلى نحو ١٢٠ مليار دولار.

ثورات دون فلسفة (الاقتصاد ... المسبب الغائب)

عقد المنتدى الاقتصادي العالمي اجتماعين خلال شهر تشرين الثاني ٢٠١١ الأول في أبو ظبي ١٠-١١، والثاني في ٢١-٢٣ في الأردن تركزت هذه الاجتماعات على مناقشة الأوضاع الاقتصادية في الدول العربية التي حدثت فيها ثورات لوضع نماذج يمكن تطبيقها لمواجهة التحديات الاقتصادية التي تواجه العالم العربي ولمعالجة الخلل في اقتصاداتها، تحدث خلالها ممثلون لدول مرت بهذه التجارب في أوروبا الشرقية وأمريكا الجنوبية، ضم المنتدى أكثر من ٧٠٠ شخصية من ٨٠ دولة. من خلال استطلاع الخبر أعلاه نجد أن النخب العربية الحاكمة اليوم عادت من جديد إلى الإشكالية السابقة ذاتها التي تقضي بتبني نماذج غربية للتنمية في الوطن العربي، علمًا أن كل تلك النماذج فشلت فشلاً ذريعًا في انتشال تلك الدول من التخلف إلى التنمية، فظلت حبيسة تلك التجارب الغريبة عن جسم الاقتصاد فيها، لذلك كان لزامًا على هذه النخب البحث عن تجارب تنموية تحقق هدفين:

الأول: أن تكون تلك التجارب نابعة من رحم الاقتصاد المحلي، بمعنى تتواءم والمناخ السائد في هذه البلدان من ثقافات ومثل وعادات وتقاليد، تختلف بالضرورة عن مثيلاتها الغربية.

الثاني: تقنين العلاقة مع صندوق النقد الدولي التي أثبتت التجارب الدولية السابقة بامتياز فشله في تطبيق وصفاته الجاهزة للإصلاح الاقتصادي في دول المنطقة، إذ أن الصندوق أهم ما يؤكد عليه هو فتح الأبواب أمام الاستثمارات الأجنبية من رؤوس أموال وتقنيات إدارية وتكنولوجيات حديثة، ويتطلب ذلك تشجيع الوصول إلى كل هذه الموارد من قبل المستثمرين الأجانب، إضافة إلى ربط الإصلاح المحلي بالإصلاح العالمي، ونظرًا لأن الإصلاح العالمي- بحسب رؤية الصندوق - هو تلك البرامج التي يتم تطبيقها في البلدان التي تخضع لوصفة المؤسسات المالية والنقدية الدولية الراسمالية، فإن جوهر هذه الأطروحة واضحة هنا: يجب ربط الإصلاح المحلي بعجلة الإصلاح العالمي المطبق تحت حراب تلك المؤسسات المشار إليها.

فما يشيح به واقع تجربة البلدان المتحولة أو البلدان النامية الأخرى مع صندوق النقد الدولي من مثل (مصر، المغرب، المكسيك، البرازيل، الأرجنتين... إلخ)، إن الكلفة الاقتصادية والاجتماعية هي المعيار على بؤس الاعتماد على آليات السوق المنفلتة، بحيث أخذت المشكلات تتعمق وتتصاعد طرديًا مع الزمن لتصبح عقبات كبيرة في طريق التطور اللاحق، إذ أن تجربة البلدان النامية مع التنمية ونظم الحكم المختلفة التي تفرض على مجتمعاتها هذه الفلسفة/ أو السياسة الاقتصادية أم تلك، أثبتت فشلها الذريع وكانت كلفتها باهظة لمجتمعاتها، ولم يعد باستطاعتها أن تدفع فاتورة فشل النظم وسياساتها التي لا تتسم بأية معقولية ممكنة؛ إذ أن الفشل بالإتيان ببرنامج اقتصادي عقلاني وواقعي ومنطقي لا يكون مبررًا لاعتماد برامج مفروضة من الخارج.

العوامل المحددة لملامح السياسات والتوجهات الاقتصادية لدول المنطقة خلال السنوات المقبلة

في ضوء قراءة أسباب هذه الثورات وما أفرزته من نتائج في الأجل القصير، وما يتوقع أن تفرزه في الأجل الطويل يمكن التأكيد على أن عوامل عدة ستحدد ملامح السياسات والتوجهات الاقتصادية لدول المنطقة خلا السنوات المقبلة، أهمها:

- تراجع تبني الحكومات لسياسات الاقتصاد الحر وآليات السوق بشكلها المطلق، والتركيز على البعد الاجتماعي في السياسات الاقتصادية، وهو ما يعني تباطؤ برامج التخصيص أو تجميدها أو حتى الردة عليها، وتوسيع فرص التوظيف في القطاعات الحكومية بعد أن تم وقف التوظيف فيها مدة طويلة، أي أن نموذج (السوق) سيتراجع لمصلحة نموذج (الدولة والسوق معًا).

- اتساع برامج المظلة الاجتماعية التي تركز على محاربة الفقر والبطالة والأمية، وتوسيع برامج الدعم للشرائح الفقيرة، والبحث عن آليات جديدة لتوصيل الدعم لمستحقيه، والعمل على تحقيق العدالة في توزيع عوائد التنمية.

- حدوث تغير في طبيعة العلاقة بين الحكومات والقطاع الخاص، وذلك من خلال ممارسة ضغوط على القطاع الخاص ليراعي الجوانب الاجتماعية في قراراته، وذلك لتوفير مزيد من فرص العمل للشباب، والحد من ارتفاع الأسعار من خلال تقليل هوامش الربح، والعودة لتوسيع الدور الرقابي للدولة على نشاطات القطاع الخاص، وربط السياسات المحفزة للقطاع الخاص بمدى مساهمته في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للحكومات، واللجوء إلى العقوبات ضد سياسات القطاع الخاص التي تثير حفيظة المواطن، ناهيك عن اتخاذ نوعية من القرارات الاقتصادية الشعبية (التي تحظى برضا المواطنين من المستهلكين وطالبي العمل مثلاً) بغض النظر عن تأثيرها في القطاع الخاص أو في مناخ الاستثمار.

- تغير العوامل التي تحكم الأبعاد الاقتصادية للسياسات الخارجية لدول المنطقة، حيث ستكون الأولوية للشركاء الاقتصاديين الذين يساعدون هذه الدول على تحقيق الأمن الغذائي، ويدعمون برامج التنمية الاجتماعية ومحاربة الفقر في دول المنطقة، وبذلك سيحدث تراجع للعامل السياسي في هذا المجال، وستحدث تغييرات عميقة في توزيع التكتلات الاقتصادية، وتوزيع التحالفات والاتفاقيات الاقتصادية لدول المنطقة في الأجل الطويل، وهذا التوجه إما أن يعيد الزخم للتكامل الاقتصادي العربي ولمنطقة التجارة الحرة العربية الكبرى، وللتجمعات الاقتصادية في الخليج والمغرب العربي بقوة، أو قد يدخل هذه التكتلات في عمليات فك وإعادة تركيب جديدة من أجل تحقيق المصالح السابق الإشارة إليها، أو قد يطلق رصاصة الرحمة على التكامل الاقتصادي العربي ويدفع بعض دول المنطقة للانضمام إلى تكتلات اقتصادية خارج المنطقة، وذلك وفق ما تقتضيه المصالح الاقتصادية في الظروف الجديدة.

- قد يحدث تعارض وفجوة كبيرة بين دول المنطقة والمنظمات الاقتصادية الدولية المتخصصة، مثل الصندوق والبنك الدوليين، ومنظمة التجارة العالمية، وذلك بعد أن تراجعت ثقة شعوب المنطقة وحكوماتها بشكل كبير بنجاعة سياسات هذه المنظمات لتحسين الأوضاع الاقتصادية لشعوب المنطقة، وأن هذا الامر قد يدفع بالمؤسسات المذكورة إلى تغيير توجهاتها وسياساتها الاقتصادية تجاه دول المنطقة، وذلك في ظل تركيزها على مراعاة الجوانب الاجتماعية في مسيرة التنمية، خاصة ما يتعلق بعدالة توزيع عوائد التنمية، وجودة النمو، ومحاربة البطالة والفقر، والتركيز على الاستثمار في التعليم، وذلك في ظل فشل سياسات التركيز على مؤشرات الأداء الاقتصادي الكلي والاستعاضة عنها بالتركيز على ما يعرف بمعايير جودة الحياة Quality of life.

الاستنتاجات

• حتى هذه اللحظة فإن الثورات العربية، على الرغم من أنها قضت على أنظمة ديكتاتورية ذات سمعة سيئة، وفتحت المجال على مصراعيه أمام الخيارات الحرة للشعوب حول طبيعة وكنية من سيحكمونها، إلا أن تطورات الأوضاع على الأرض لا تبشر بالخير، وأن الثورات العربية قد (تمر بخريف اقتصادي طويل الأجل) قبل أن تستقر الأوضاع وتتحسن قدرة تلك الدول على النمو والانطلاق نحو مستقبل جديد.

• كي يتم تحويل الثورات العربية إلى فرصة حقيقية للنمو الاقتصادي لا بد بدايةً من استعادة الاستقرار السياسي أولاً ثم الاستقرار الاقتصادي بالمنطقة العربية.

• فيما يتعلق بجزئية المساعدات التي يوفرها صندوق النقد الدولي لدول الثورات العربية، نعتقد بشكل عام أن الأزمات المالية العديدة التي مرت بها العديد من دول العالم لفتت الانتباه إلى أهمية قيام الصندوق بمراجعة سياساته وبرامجه للإصلاح الاقتصادي والمبنية على توافق واشنطن بشكل عام، إذ لم تعد هذه الإصلاحات كفيلة باستعادة الاستقرار الاقتصادي والمالي؛ إذ برز من جديد ومن خلال هذه الأزمة دور مهم وقوي للحكومات لضمان سلامة البنيان الاقتصادي والمالي، فالعالم ينتظر من صندوق النقد الدولي في المرحلة الراهنة القيام بمراجعة شاملة لسياسات الإصلاح الاقتصادي على ضوء التطورات الدولية الراهنة وبما يسمح بالأخذ في الاعتبار لخصوصيات العديد من الدول وبالتالي فليس هناك دائمًا وصفة جاهزة ناجعة للإصلاح، وإنما هناك في كل مرة فهم أعمق وأدق لطبيعة الظروف الاقتصادية وحدود المسموح والممكن منه.

• إن من أهم الحقائق اليوم تتمثل في أنه لن يكون هناك حسم في مسائل الاقتصاد قبل أن تحسم مسائل السياسة، ويتقرر من سيحكم تلك الدول وما هي الأيديولوجية التي يحملها وما هو المنظور الاقتصادي الذي يتبناه، بصورة مبدئية تشير أغلب التقديرات إلى أن القوى المرشحة للعب دور أكبر في الحياة السياسية القادمة لدول الثورات العربية هم الإسلاميون أولاً يليهم بعض القوى الليبرالية واليسارية غير المتجانسة، وإذا جئنا إلى الإسلاميين وفكرهم الاقتصادي، نجد أنه عبارة عن توجهات عامة غير تفصيلية مع تفضيل واضح لنظام الاقتصاد الحر وخبرة محدودة في إدارة الدولة ورغبة في تبني سياسات تجلب الشعبية على المدى القصير، أما التيارات الأخرى فليست أحسن حالاً؛ فهي أبعد ما تكون عن امتلاك مواقف محددة وبارزة تجاه قضايا الاقتصاد والتنمية، وربما يقود مثل هذا الوصف إلى استنتاج مفاده أن إرضاء الشارع والمواطن العادي وتخفيف العبء عنه سيكون البوصلة الأساسية التي توجه قرارات وسياسات أولئك الحاكمين الجدد في مجال الاقتصاد؛ وبتعبير آخر إن كسب الشعبية سيكون أصلاً في التحرك الاقتصادي.

• إن النخب الجديدة ستسعى إلى تأسيس قاعدة اقتصادية ومادية لحكمهم في ظل التنافس السياسي المحموم والمتوقع بين الإسلاميين والعلمانيين ومحاولة كل طرف تثبيت ركائزه في السلطة، فسنجد محاولات لحيازة مواقع قوة اقتصادية لكي يستعان بها في التنافس السياسي، ومثل هذه المحاولات ستزيد من حدة الصراع الاجتماعي، كما ستطيح بمراكز قوة اقتصادية أخرى يحوز عليها المنافسون أو المحايدون، الذين لا يسايرون التوجهات التي ستكون لها اليد العليا في إدارة الدولة، كل هذه السيناريوهات، في حال حدوثها، قد تضعف مصداقية الدولة، وتنفي عنها صفة الحياد الاجتماعي.

• سيكون من قبيل المغالطة أن نتوقع سخاء من الدول الغربية أو المنظمات الاقتصادية الدولية تجاه دول الثورات العربية لو تولى الحكم فيها مجموعات إسلامية أو قوى راديكالية.

• رغم أن الغرب يخشى ولا يتمنى انهيارًا اقتصاديًا يعقبه انتشار للفوضى وتصاعد للتطرف مع موجات نزوح وهجرة واسعة لأوروبا من هذه الدول، إلا أن الغرب سيراقب المشهد عن كثب وهو يتوقع أن يؤدي الفشل الاقتصادي وما يتبعه من سخط شعبي إلى محاصرة التيارات الراديكالية في عقر دارها والتضييق عليها تمهيدًا لإلغاء خياراتها المتطرفة ودفعها إلى مواقع الاعتدال والواقعية، ولسان حال هؤلاء يقول: ها أنتم تسلمتم السلطة وملكتم الحكم

والدولة فأرونا ما أنتم فاعلين؟

- بالتأكيد، إن إسقاط نظام حكم غير صالح عملية أسهل بكثير من بناء نظام صالح وإدارة كفء، وهذا هو التحدي الذي تواجهه القوى والتيارات التي سوف يقدر لها أن تمسك زمام الأمور في دول الثورات العربية، والربيع الذي لا يزهر رخاءً لا يسمى ربيعًا.

التوصيات

يجب على الحكومات أن تراعي وضع سياساتها الاقتصادية أن يكون هناك توازن يحقق العدالة الاجتماعية ويضمن حقوق الفقراء قبل الأغنياء وأن يضع في اهتماماته دور التعليم في نشر الفكر المستنير والمعتدل بين الشعب وأن يركز على إصلاح الخطاب الديني ويمنهجه حتى لا يكون الدين مدخل لذوي النفوس الضعيفة لإعداد إرهابين جدد يعتبرون أنفسهم منقذين. بعثتهم العناية الإلهية لإنقاذ العالم وإعادته لرشده. من خلال قتل وإرهاب إخوانهم وأهاليهم وذلك من خلال:

- زيادة ميزانية التعليم في ميزانية الدولة والاهتمام بتطويره.
- زيادة ميزانيه الشباب والرياضة لتوسيع مدارك وفهم الشباب.
- زيادة ميزانية العلاج المجاني.
- التوازن في وضع شرائح الضرائب.
- توفير الدعم للمشروعات الصغيرة والمتوسطة.
- توفير قروض للشباب والخريجين الجدد.

وفي الختام أتمنى أن يتمتع وطننا العربي بالأمن والأمان، وأن يهدي حكامه لما فيه الخير لشعوبهم وأن يعين حكوماته على المضي قدمًا في رخاء شعوبهـــا. وأن يحفظهم من التطرف والإرهاب.

وأن تضع الحكومات -في الحسبان- الطبقات الفقيرة والمتوسطة حينما تضع سياستها الاقتصادية حتى لا تولد لدى المجتمع المزيد من التطرف الفكري والديني والذي يؤدي إلى الإرهاب.

المراجع والمصادر

- **مقالات متعددة** للدكتور.جواد كاظم البكري جامعة بابل/كلية الإدارة والاقتصاد.
- **دوريات** تصدر عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.
- **مكافحة التطرف في مصر**. يوسف ورداني، دار النشر الحديثة ٢٠١٥.
- إيمان رجب، **إشكاليات مكافحة الإرهاب في الدول العربية خلال المراحل الانتقالية**، (المركز العربي للبحوث والدراسات)، سبتمبر ٢٠١٥.
- **الإرهاب والجهود الدولية والإقليمية لمكافحته**، الدكتور إلياس أبو جودة، دار النشر اللبنانية ٢٠١٦.
- الدكتور. محمود السعيد، **السياسات الاقتصادية ودورها لمكافحة الإرهاب**، (القاهرة: مؤسسة الطوبجي، ٢٠١٦).
- الدكتور. محمد قدري سعيد، **إرهاب بدون قيادة .. العالم والإرهاب الجديد**، التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٤-٢٠٠٥، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.
- الدكتور. عبد المحسن شعبان، **الإرهاب الدولي وحقوق الإنسان: رؤية عربية**، دراسة منشورة على موقع التجديد العربي على الإنترنت بتاريخ ٢١ إبريل.
- **بيانات البنك المركزي المصري**.
- **بيانات منظمة اليونسكو**.

دراسة بعنوان

دور السياسات الاقتصادية للحكومات
في التفاوت الطبقي وتشجيع التطرف (العراق أنموذجًا)

The role of Goveriemental Economical Policies in Secterial Difference and Encouriging Redicalism (Iraq as a Model)

د. محمد عباس أحمد التميمي - العراق

دكتوراه علاقات اقتصادية دولية من جامعة النهرين

dr_mohmed70@yahoo.com

Abstract:

Nowadays, terrorism stands behind lots of local, regional and international changes. Sources of terrorism are various and local goveriemental economical policies might be one of the main reason behind terrorism spreading and growth. Several countries suffered different types of direct and indirct terrorism and arab countries were the first due to the economical policies and inability in making use of there resources and abilities.

What happened in iraq after 2003 produced several political, economical and social changes inside iraqi socity that made reflctions in quarrels or concord in all sectors. Iraqi constitution issued in 2005 that contained constitutional aspects, authority of distripution and federal powers might be a cause ot that situations as it did not solve several problems as moving from socialist to market economy that made secterial and social differences.

Political, economical and security situations made nessecity in resightening on right and despline bases whith political and economical awarness to what is happening and how to distripute powers and resoueces. The political, economical semi stable situation after 2008 encourged international investments as oil companies to made contracts in four turnes with high oil prices but the government did not expolit the financial abundance in ideal investing to economical resources and redistripute it in perfect way. On the contrary financial and admenstration corruption was increasing and causing high poverty level in many ereas that left the doors opened to encourge terrorism in different kinds and made chances to funding terrorism.

Making a figure of political, economical and social future that grants prosperousy, justice and getting rid of terrorism requires active economical polycies that are accordant to regional and international changes in order to determinate all types of differncies inside socity and that is what we delt with it in this research where is constating on:

- Introduction.
- First chapter (the relationship between terrorism and local economical policies).
- Second chapter (how to expoite and distripute economical resources).
- Third chapter (the reality of iraqi economical policies and redicalism).
- Conclosions.
- Recommendations.

المبحث الأول: السياسات الاقتصادية للحكومات

يذهب الكثيرون إلى تعريف السياسات الاقتصادية بأنها مجموعة الإجراءات والعمليات التي تقوم فيها الحكومات بهدف التأثير على السلوك الاقتصادي، وتشير السياسات الاقتصادية إلى أشكال مختلفة من الإجراءات الحكومية فمنها المتعلقة في فرض الضرائب والإنفاق الحكومي ومنها ما هو متعلق بأسعار الصرف وكميات الاحتياط وعرض النقد...إلخ

أي أن الحكومات تملك أدوات معينة تمكنها من التأثير على النشاط الاقتصادي الكلي، والمعروفة (أداة السياسة) وهي متغير اقتصادي تسيطر عليه الحكومة وبإمكانها التأثير في داخل المجتمع.

أولاً: مفاهيم السياسة المالية

لقد اختلفت تعاريف السياسة المالية باختلاف المراحل الزمنية والظروف الاقتصادية والفكرية والاجتماعية. فقد عرفت بأنها الطريق الذي تنتهجه الحكومة لتخطيط نفقاتها وتدبير وسائل تمويلها[١].

وقد عرفها بعضهم على أنها تلك السياسة التي تتضمن استخدام الإنفاق الحكومي والسياسات الضريبية لمتابعة الكثير من أهداف الحكومة وتطبيقاتها العملية[٢].

وذهب بعضهم إلى تعريفها بأنها مجموعة القواعد والأساليب والوسائل والإجراءات والتدابير التي تتخذها الدولة لإدارة النشاط المالي لها بأكبر كفاءة ممكنة لتحقيق مجموعة من الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خلال حقبة زمنية معينة[٣].

وهناك تعريف آخر للسياسة المالية وهو: تلك السياسات والإجراءات المدروسة والمعتمدة المتصلة بمستوى ونمط الإنفاق الذي تقوم به الحكومة من ناحية وبمستوى وهيكل الإيرادات التي تحصل عليها من ناحية أخرى[٤].

وهناك من عرفها أيضًا بأنها: السياسة التي تشمل جميع الإجراءات التي تهدف لزيادة رفاهية المجتمع عبر السيطرة على الموارد المالية بواسطة النفقات العامة وتعبئة الموارد المالية[٥].

ومنهم من عرفها بأنها هي كل مايتعلق بالتغيرات في مستوى الإنفاق الحكومي والضرائب بهدف زيادة رفاهية المجتمع[٦].

أما بالنسبة لأدوات السياسة المالية فيمكن التمييز بين نوعين من الأدوات هما[٧]:

١- الأدوات التلقائية (غير المقصودة)

ويقوم هذا النوع بتحقيق أهداف السياسة المالية بصورة تلقائية، أي دون تدخل من الدولة أو بدون خطط مؤسسية، إنما تعمل بشكل تلقائي. ومن الأمثلة على ذلك، الإيرادات العامة من الضرائب التصاعدية أو النسبية، إذ يزداد هذا النوع من الضرائب مع تزايد الدخل القومي وينخفض بانخفاضه دون الحاجة إلى تدخل من قبل الدولة. ومن الأدوات التلقائية الأخرى، المدفوعات التحويلية وسياسات الدعم.

(١) هشام محمد صفوت العمري، اقتصاديات المالية العامة والسياسية المالية، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٨٦، ص٤٤٣.
(٢) غازي عبد الرزاق ابراهيم احمد، المالية العامة تحليل أسس الاقتصاديات المالية، دار وائل للنشر، عمان ٢٠٠٣، ص٢٧١.
(٣) عبد الغفور إبراهيم أحمد، مبادئ الاقتصاد والمالية العامة، دار زهران للنشر، عمان، ٢٠٠٩، ص ٢٢٢.

(4) Philip.A.Klein, the management of market, oriented economic A comparative wadswor the publishing company, Belmont California, 1973, P 176.
(5) David Miles, Andrew Scott, Macroeconomics (understanding the wealth of Nations), John Wiley & Sons, England, 2005, p 225.
(6) Joseph G. Nelli s, David Parker, Principles of Macroeconomics, Prentice Hall, England, 2004, p 132.
(٧) نزار سعد الدين العيسى، ابراهيم سليمان القطف، الاقتصاد الكلي «مبادئ وتطبيقات»، ط١، دار الحامد للنشر، عمان، ٢٠٠٠، ص٢٩٩.

٢- الأدوات المقصودة

تهدف الأدوات إلى التأثير في مستوى الإنتاج والدخل وكذلك في مستوى الأسعار من خلال التأثير في مستوى الطلب الكلي باستخدام الضريبة-النفقة.

ثانيًا: مفاهيم السياسة النقدية

هناك تعاريف كثيرة للسياسة النقدية منها ما يعبر عن أنها (عملية استخدام مجموعة مختلفة من الأدوات والسياسات الهادفة إلى التأثير في عرض النقد بشكل خاص والأداء الاقتصادي بشكل عام)[٨]. أو هي النشاطات التي يقوم بها البنك المركزي والمصمّمة للتأثير على المتغيرات النقدية مثل عرض النقد وأسعار الفائدة.

كذلك عرفت بمجموعة الوسائل التي تطبقها السلطات النقدية المهيمنة على شؤون النقد والائتمان، وتتم هذه الهيمنة إما بإحداث تأثيرات في كمية النقود أو كمية وسائل الدفع بما يلائم الظروف الاقتصادية المحيطة[٩].

كما يمكن تعريف السياسة النقدية على أنها (مجموعة من الإجراءات التي تتبعها السلطات النقدية التي تسيطر من خلالها على شؤون النقد والائتمان، وتتم من خلال إحداث تغيرات في كمية النقود أو عرض النقد وبما يتلائم وظروف البلد الاقتصادية)[١٠].

وعرفت بأنها: (تلك السياسة التي تهدف إلى تغيير كمية المعروض من النقود ومن ثم سعر الفائدة بغرض تحقيق الأهداف الاقتصادية للدولة التي ترمي إلى تحقيق التوظيف أو الاستخدام الكامل للموارد ومن ثم تحقيق معدل نمو مقبول مع استقرار في المستوى العام للأسعار)[١١].

وعرفت أيضًا بأنها: جميع التنظيمات النقدية والصيرفية التي لها دور مؤثر في مراقبة حجم النقد المتيسر في النظام الاقتصادي[١٢] وتعمل السياسة النقدية في تحقيق مايلي[١٣]:

- تأمين الهيكل المرغوب لأسعار الفائدة.
- تحقيق التوازن المطلوب بين الطلب على النقود والعرض منها.
- توفير الائتمان المطلوب للتوسع الاقتصادي المرغوب وتوجيه الائتمان نحو المستخدمين.
- خلق وتوسيع وتطوير المؤسسات التمويلية.
- إدارة الدين العام.

أما بالنسبة لأدوات السياسة النقدية، يعد البنك المركزي المسؤول المباشر عن رسم السياسة النقدية وتنفيذها التي تستهدف الحفاظ على أوضاع نقدية وائتمانية ملائمة في ظل اقتصاد سليم وإن الأدوات التي تستخدمها هذه السياسة للتأثير في الظروف النقدية والائتمانية يمكن تصنيفها إلى مجموعتين[١٤]:

(٨) هيفاء غدير، السياسة المالية والنقدية، ودورها التنموي في الاقتصاد السوري، الهيئة العامة السورية للكتاب-وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٠، ص٣٢.

(٩) غالب عوض الرفاعي، اقتصاديات النقود والبنوك، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٢، ص٢١.

(١٠) عقيل جاسم عبدالله، النقود والمصارف، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ١٩٩٩، ص٢٠٧.

(١١) سامي خليل، النقود والبنوك، مؤسسة كميل للنشر، الكويت، ١٩٨٩، ص٣٣٦.

(12) Mich Burda, Charles, Macroeconomic (European Text), two edition, Oxford university Inc, New York, 1997, P 190.

(١٣) مدحت القريشي، التنمية الاقتصادية، ط ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧، ص ٢٢١-٢٢٢.

(١٤) صبحي تادريس قريصة، مدحت محمد العقاد، النقود والبنوك والعلاقات الاقتصادية الدولية، دار النهضة

١. الأدوات الكمية (التقليدية)

هي أدوات كمية غير مباشرة تستهدف التأثير في كمية النقد بصورة عامة والائتمان بصورة خاصة. وهي أدوات تطورت مع تطور البنوك المركزية. ويمكن توضيح الأدوات الكمية في أدناه[١٥]:

أ- سعر البنك أو سعر إعادة الخصم: يعرف سعر البنك أو سعر إعادة الخصم على أنه السعر الذي يتقاضاه البنك المركزي نظير إعادة خصم الأوراق التجارية والأذونات الحكومية للبنوك التجارية[١٦].

ب- عمليات السوق المفتوحة: ويقصد بها تدخل البنك المركزي في السوق (المالية، والنقدية) في عملية بيع وشراء الأوراق المالية قصيرة الأجل وطويلة الأجل بهدف التأثير في كمية النقد في التداول وكمية الاحتياطي لدى البنوك التجارية بما ينسجم مع مستوى النشاط الاقتصادي، فيقوم البنك المركزي بعملية البيع عندما يرغب بتقليص عرض النقد فيتبع سياسة نقدية توسعية[١٧].

ت- تغير نسبة الاحتياطي القانوني: تعد هذه الأداة من الأدوات الحديثة نسبيًا تستخدمها البنوك المركزية لتحقيق الرقابة على الائتمان، فإذا أراد البنك المركزي الحد من الائتمان في حالة التضخم، فإنه يلجأ إلى رفع تلك النسبة وبالتالي تقوم البنوك التجارية بدورها في الحد من حجم الائتمان الممنوح عن طريق تقليل حجم القروض[١٨].

٢. الأدوات النوعية (الانتقائية)

يستهدف هذا النوع من الأدوات التأثير في نوع الائتمان ووجهته وليس في مقداره وهي تلائم الأوضاع الخاصة التي تتميز بها الاقتصادات المتخلفة[١٩].

العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص١٦١.

(١٥) صبحي تادريس قريصة، مدحت محمد العقاد، مصدر سبق ذكره، ص١٦٢.

(١٦) المصدر السابق، ص١٦٣.

(١٧) توماس ماير وآخرون، النقود والبنوك والاقتصاد، ترجمة أحمد عبد الخالق، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٢، ص٥٠٦.

(١٨) مصطفى رشيد شيحة، الاقتصاد النقدي والمصرفي، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٥١.

(١٩) وداد يونس يحي، النظرية النقدية (النظريات، المؤسسات،

ثالثًا: العلاقة بين السياسة المالية والسياسة النقدية

بعد أن تناولنا تعاريف متعددة ومختلفة لكل من السياستين المالية والنقدية، لا بد من أن نتطرق إلى طبيعة العلاقة بينهما، فكثيرًا ما يثار الجدل بين الاقتصاديين عن الأولوية في تقديم السياسة المالية على السياسة النقدية أو العكس، هذه العلاقة الجدلية ليست وليدة سنوات أو عقود حالية، فضلاً عن أنها لا تنحصر في اقتصاد بلد معين من دون غيره، ويكاد يجمع الاقتصاديون على أن العلاقة بين السياستين المالية والنقدية هي علاقة فيها من عدم التوافق والتعارض الكثير، ومن التكامل والتنسيق الكثير، ولكن كلما كانت عناصر التناقض والتعارض أكبر من عناصر التكامل والتنسيق سيؤدي ذلك إلى تكاليف كبيرة يتحملها الاقتصاد والمجتمع، تتمثل في هدر الموارد المالية والحقيقية، وبالعكس ستتجه هذه التكاليف إلى الانخفاض كلما كانت عوامل الالتقاء والتوافق أكبر وعوامل الخلاف والتباعد أقل، أي أن السياستين يجب أن تعملا سويًّا لتحقيق الهدف نفسه[٢٠].

ترتبط السياسة المالية والنقدية ارتباطًا متبادلاً، وتعزز إحداهما الأخرى في معظم الحالات، فصحة النظام المالي تؤثر في إدارة السياسة النقدية والعكس صحيح، لكن الترتيبات المؤسسية لكل من هذين النوعين من السياسات تختلف اختلافًا بينيًا، لا سيما في ما يتعلق بالأدوار والمسؤوليات والأهداف وعمليات صياغة تلك السياسات وتنفيذها[٢١].

فعلى الرغم من امتلاك كل منهما خصوصية في استخدام وسائله لتحقيق أهدافه الأساسية، لكن ذلك لايعني عدم اشتراكهما معًا لتحقيق الأهداف

السياسات)، دار الكتب، الموصل، ٢٠٠١، ص١٤٣.

(٢٠) عبد المنعم السيد علي ونزار سعد الدين العيسى، النقود والمصارف والأسواق المالية، دار الحامد للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٤، ص٣٨٣.

(٢١) المصدر السابق، ص٣٨٥.

الاقتصادية العامة، لأن السياستين تعدان ذات أهمية بالنسبة للسياسة الاقتصادية العامة، فضلاً عن كونهما يكملان بعضهما وليست كل واحدة بديلة عن الأخرى[٢٢].

إن إقامة دائرة تشاور بين السياستين النقدية والمالية تعد ضرورية في بناء علاقة أقوى بين الحكومة والبنك المركزي لتسيير شؤون اقتصاد البلاد الكلي إلى مستوى أعلى من الاستقرار والتنمية. وإن درجة اقتراب البنك المركزي من الحكومة لا بد أن تبدأ من اقتراب البنك المركزي من المالية العامة وهو شرط ضروري لنجاح السياسة الاقتصادية للبلاد[٢٣].

رابعًا: دور الريع النفطي في السياسة المالية والنقدية

من خلال عرضنا لتعريف كل من السياستين المالية والنقدية وبيان طبيعة العلاقة بينهما يتيسر علينا كشف دور وتأثير الشركات النفطية العابرة للقومية في السياستين، إذ تعنى السياسة المالية بتحديد المصادر المالية للدولة وأوجه الإنفاق باستخدام أدواتها المتمثلة بالسياسة الإنفاقية والسياسة الإيرادية، إذ تستطيع الحكومة أن تؤثر في النشاط الاقتصادي باستخدام أدوات السياسة المالية عبر إجراء تغييرات في الضرائب من ناحية أو في مستويات الإنفاق العام من ناحية أخرى[٢٤].

وقد ظلت السياسة المالية في العراق مرتهنة في أدائها العام وفعاليتها بالتغيرات المرتبطة بتدفقات الإيرادات الريعية إلى داخل الاقتصاد، إذ إن مرونتها تتوقف على الصادرات النفطية، فالمتغير الخارجي قد يكون له تأثيرات سلبية في فعالية السياسة المالية وأدائها؛ كونه مرتبط بظروف وعوامل خارجية وهذا ما جعله يعاني مشاكل خطيرة[٢٥].

فقد ارتبطت فاعلية السياسة المالية في العراق بارتفاع وانخفاض أسعار النفط فكلما ارتفعت أسعار النفط ازدادت إيرادات الحكومة الريعية وأصبحت السياسة المالية أكثر توسعًا، وتزايد دور الدولة وتدخلها في الحياة الاقتصادية، سواء كانت في الجانب الإنفاقي الاستهلاكي عبر تقديم الخدمات الأساسية، أو في الجانب الاستثماري عبر محاولتها تنشيط الاقتصاد والقضاء على البطالة وكذلك يهيىء إمكانية توسع الدولة في إيجاد قنوات لتوزيع ثمار الريع النفطي عن طريق زيادة التوظيف الحكومي أو زيادة الأجور والمرتبات من جديد، وبالتالي ينتج عنها ضغوطًا تضخمية بسبب تزايد المعروض النقدي وعدم توفر جهاز إنتاجي مرن قادر على خلق فرص معروض سلعي موازي للمعروض النقدي[٢٦].

وبذلك نجد أن السياسة النقدية قد تتحمل أعباءً تضخمية عالية ولديها استمرار اتساع الطلب الكلي الناجم عن الإنفاق الحكومي، الذي يولد فجوة تضخمية تعمل السياسة النقدية باستخدام أدواتها المتشددة كافة لتضيقها.

(٢٢) بول ساملوسون ووليام نور هاوس، علم الاقتصاد، مصدر سبق ذكره، ص٦٥٧.

(٢٣) مظهر محمد صالح قاسم، السياسة النقدية والمالية والسيطرة على متغيرات التضخم وسعر الصرف، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٢، ص ص٥-٦.

(٢٤) صالح محمود علي ومحمود عبيد السبهاني، التنسيق والتكامل بين السياستين المالية والنقدية ضرورة لتحقيق عملية الإصلاح الاقتصادي، مجلة الدنانير، الجامعة العراقية، العدد٤، ٢٠١٣، ص١٧٦.

(٢٥) همسه قصي عبد اللطيف، اتجاهات السياسة المالية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد (جزء اول)، الإصدار (عدد خاص)، ٢٠١٢، ص٥٩.

(٢٦) مازن عيسى الشيخ راضي وفرحان محمد حسن، مستقبل السياسة المالية في العراق بين الريعية واللا ريعية، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد٩، العدد٢٨، ٢٠١٣، ص١٨٩.

المبحث الثاني: العلاقة بين استغلال الموارد الاقتصادية والتطرف والإرهاب

أولاً: كيفية استغلال الموارد الاقتصادية

تلجأ الكثير من الحكومات إلى اتباع سياسات اقتصادية معينة تؤدي إلى اختلالات اقتصادية داخل أنظمتها، وهذا ما يؤدي إلى تنامي ظواهر التضخم والفقر والكساد الاقتصادي مما يترك المجال واسعًا أمام تنامي حالات التطرف بمختلف أشكاله مما يقود إلى ظهور الإرهابيين المتورطين في العمليات الإرهابية وهو ما أشارت إليه الكثير من التقارير ومنها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية حيث بينت أن غالبية المتورطين ترجع أصولهم إلى ما يسمى بـ(الدول الفاشلة)[٢٧].

إن سوء توزيع الموارد الاقتصادية وعدم العدالة يقود إلى (الحرمان الاقتصادي economic deprivation) وهو من بواعث التطرف حيث يقود سوء التوزيع وعدم العدالة داخل المجتمعات إلى التفاوت الطبقي ويتولد ما يسمى (الحرمان النسبي deprivation relative) وهو بالنتيجة اللجوء إلى استخدام العنف حيث يشعر الأفراد بالفجوة الحاصلة بين ما يستحقونه من جهة وما يحصلون عليه في الواقع من جهة أخرى سواءً كان في الموارد الاقتصادية أو في تكافؤ الفرص، وهنا تسعى الجماعات الإرهابية إلى استغلال فرصتها وتفرض سطوتها على أوساط الفقراء لتجنيد الأفراد في صفوفها[٢٨]. وهو ما عملت الدول المهيمنة إلى توظيفه لصالحها من أجل أن تبقي الكثير من الدول النامية ضمن التبعية وأبقت اقتصاداتها تعاني من الأزمات المستمرة وهو ماقامت به المنظمات الإرهابية التي تتاجر بالإرهاب والتطرف والجريمة المنظمة من أجل المال[٢٩]، ناهيك عن الكثير من دوائر المخابرات التي لها ارتباط وعلاقات بالمنظمات الإرهابية التي تعمل لحسابها[٣٠].

وتدفع السياسات الاقتصادية غير الصحيحة إلى انتشار الفقر والبطالة والتضخم وارتفاع حجم الديون وارتفاع الأسعار وانهيار العملة المحلية كل ذلك يؤدي إلى عجز الدولة عن تلبية حاجات الأفراد الضرورية وتوفير الخدمات، يصاحب كل هذا التفاوت الطبقي وسيطرة طبقة مترفة أثرت بطرق غير مشروعة واستغلت المال العام وهيمنت على الاقتصاد بالنصب والاحتيال عبر المصادر غير المشروعة (اقتصادات غير منظمة)، وتقوم هذه الطبقة بتغذية الاختلافات والتناحرات داخل الدولة وتشجع من دور العصابات والقوى الخارجة عن القانون، الأمر الذي لا يترك أمام الكادحين والبائسين والطبقات الفقيرة إلا الانضمام إلى جماعات التطرف والتي تقود إلى العمليات الإرهابية لأن ذلك سوف يشعر تلك الطبقات بالقوة والقدرة على مواجهة العصابات والمافيات وسوف تكون قادرة على إشباع حاجاتها والعيش بمستوى معيشي يكون أفضل من عيش ا لأفراد وهم مضطهدون.[٣١]

إن الحرمان الاقتصادي في ظل عصرنا المعولم والذي تشهده معظم دول العالم، أدى إلى تزايد الفوارق الطبقية، والبطالة والفقر والعجز

(27) Sarafa ogundiya, jimoh amzat,Nigeria andthe-threats of terrorism: myth or reality, journal of sustainable development in Africa volum10,no2,clarion university of Pennsylvania,clarion,Pennsylvania,2008,p175.

(٢٨) صادق علي حسن، الدوافع السياسية والاقتصادية لظاهرة الإرهاب الدولي بعد عام ٢٠٠٣ (العراق أنموذجًا)، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٧، ص٢٦.

(٢٩) هيثم فالح شهاب، جريمة الإرهاب وسبل مكافحتها في التشريعات الجزائية المقارنة، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص٥٠.

(٣٠) عمر عبد الجبار كامل، استراتيجية مكافحة الإرهاب ودورها في تعزيز الهيمنة الأمريكية، أطروحة دكتوراه، جامعة النهرين، ٢٠٠٨، ص٦٣.

(٣١) محمد المدني بوساق، الإرهاب وأخطاره، العوامل المؤدية إليه وأساليب مكافحته، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ندوة الدوحة ١١/١٠/٢٠٠٤، ص٢٣.

في تلبية حاجات المواطنين ويصاحب كل هذا تنامي الإرهاب الدولي الذي أصبح وسيلة إلى تجارة عالمية تروجه وتديره شبكات منظمة واسعة من الأفراد والشركات والمؤسسات الكبرى وتعمل على تغذية حالات التطرف داخل الدول ليسهم ذلك في تجنيد الإرهابيين والمرتزقة وإدارة أسواق السلاح والجريمة الدولية، إذ إن البطالة والفقر والاضطراب الاقتصادي تعتبر آفات داخل المجتمع ومصادر خطر.[٣٢]

إن وفرة الموارد الاقتصادية والثروات الطبيعية يمكن أن تساعد في تعجيل التقدم الاقتصادي إذا ما تم استغلال الموارد بكفاءة، في حين أن عدم توفر الموارد يمكن أن يكون أحد العوامل المعوقة للتقدم، وإلى جانب سوء الاستخدام الأمثل للموارد قد تقف العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات المتخلفة عائقًا أمام استثمار الموارد إلى جانب العوامل السيكولوجية (النفسية) وانعكاس ذلك في سلوكيات اجتماعية ذات تأثير سلبي على الاستثمار والاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية.

ثانيًا: التطـــرف

يشار إلى التطرف إلى أنه الغلو في الأديان والتطرف في تطبيق ما يعتقده الإنسان أنه من بين أحكام الأديان في مواجهة المجتمع بوجه عام، ولا يقتصر التطرف والغلو في أحكام الدين في مواجهة المجتمع بصفة عامة بل امتد أيضًا إلى نظام السلطة الحاكمة داخل المجتمع ومن يجب أن يحكم.

في اللغة: يتم الإشارة إلى التطرف بأنه الطرف عكس التوسط والاعتدال ومن ثم فقد يقصد به التسيب أو المغالاة، وإن شاع استخدامه في المغالاة والإفراط، والتطرف كذلك يعني الغلو وهو ارتفاع الشيء ومجاوزة الحد فيه، وهو لزوم طرف في مواجهة طرف آخر، أما التطرف في الاصطلاح: يرتبط بأفكار عديدة عمّا هو متعارف عليه سياسيًا واجتماعيًا ودينيًا دون أن ترتبط تلك المعتقدات بسلوكيات مادية متطرفة أو عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة[٣٣]. وتتعدد خصائص التطرف لتشمل كل تصرف يخرج عن حد الاعتدال وذلك في كافة صور السلوك ومنها تعصب المتطرفين لرأي بحيث لا يتم السماح للآخرين بمجرد إبداء الرأي، أي الإيمان الراسخ بأنهم على صواب والآخرين في ضلال عن الحقيقة لأنهم وحدهم على حق والآخرون في متاهات وضلال. العنف في التعامل والخشونة والغلظة في الدعوة والشذوذ في المظهر. النظرة التشاؤمية والتقليل من أعمال الآخرين والاستهتار بها. الاندفاع وعدم ضبط النفس. الخروج عن القصد الحسن والتسيير المعتدل.

ومن بين الأسباب التي تؤدي إلى نشوء وتفاقم حركات التطرف وتزايد عنفها ضد الحكومة ما يلي:

١. عجز معظم الأنظمة السياسية في الدول النامية والإسـلامية عن إنجاز التنمية المطلوبة أو صيانة الاستقلال الوطني أو تحقيق العدل الاجتماعي أو تعميق الأصالة الحضارية والذي تبلور نتيجة عنه التبعية المتطرفة والتفاوت الطبقي بين فئات المجتمع[٣٤].

(٣٢) عثمان علي حسن ويسي، الإرهاب الدولي ومظاهره القانونية والسياسية في ضوء احكام القانون الدولي العام، دار الكتب القانونية، مصر ن٢٠١١، ص٥٠.

(٣٣) محمود صالح العادلي، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٩.

(٣٤) برهان غليون، نقد السياسة (الدولة والدين)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٣، ٢٠٠٤، ص ٢٢٤.

٢. تزايد عمليات التغريب والعلمنة في الدول النامية والإسلامية بكل المستويات (التعليم، الفكر والقيم، السياسات العامة)، بما يظهر النظام التعليمي معاديًا للظاهرة الإسلامية وجذورها الفكرية، مثل ضعف المناهج التعليمية خصوصًا التربية الإسلامية واللغة العربية[٣٥].

٣. فشل النخب الحاكمة في تحقيق الكثير من الوعود والتطلعات الإسلامية والاجتماعية، وغياب الالتزام بحقوق الإنسان واستمرار قمع كل أشكال المعارضة والقضاء على التعددية[٣٦].

٤. الهجرة الواسعة من الأرياف إلى المدن التي ترافق التنمية المتسارعة والتحديث الواسع والعشوائي الحاصل في عموم الدول الإسلامية، فالدول غير قادرة على استيعاب هذه الهجرات الواسعة فتتحول إلى أحزمة من الفقر والعوز والبطالة[٣٧].

فضلاً عن ذلك، هناك جهد رسمي بارز في محاصرة القوى الإسلامية وبعض الطوائف واضطهاد عناصرها، مما دفعها إلى اتباع العنف كردة فعل لعنف الدولة والتطرف الدنيوي، الأمر الذي جعل الدول الإسلامية مضطرة هي الأخرى إلى تحريم الظاهرة الإسلامية والقوى الممثلة لها وتوكيل الأجهزة الأمنية لمعالجتها على اعتبارها ظاهرة إجرامية.

(٣٥) تركي علي، الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٣٠.

(٣٦) عبد الله فهد النفيسي، الفكر الحركي للتيارات الإسلامية (محاولة تقويمية)، المستقبل العربي، العدد ١٨٦، آب ١٩٩٤، ص ١٠٧ – ١٢١.

(٣٧) توفيق محمد علوان، الإسلام والنصرانية في أندونيسيا، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، لندن، العدد ١٥٤، السنة ١٥، ٢٠٠٠، ص ٧٢.

فمن بين الأسباب الاقتصادية لنشوء الحركات الانفصالية هي وقوع أغلب المؤسسات الاقتصادية في طائفة معينة، في حين يعاني المسلمون من البطالة والحرمان والفقر[٣٨]. إذ ربط الكثيرون بين تدني الأوضاع الاقتصادية في كثير من المناطق وتزايد الإحساس باللامساواة الاجتماعية والاقتصادية، مما يشجع على الأزمات الاقتصادية ويزيد تأثيرها على الفقراء نتيجة الارتفاع الكبير في أسعار السلع والخدمات والمقرون بانخفاض قيمة العملة الوطنية والنتيجة كانت تزايد حدة أعمال العنف الموجودة أصلاً لتنتشر في العديد من المناطق[٣٩]، إلى جانب الحرمان النسبي والإهمال من قبل السلطة المركزية، ففي البدايات كانت الثروات تتركز في المناطق الريفية إلا أنه مع تنامي عملية التصنيع في المدن انتقل تركيز الثروة في المناطق الحضرية وهذا الانتقال للثروة زاد من الإحساس بالحرمان. إذ هناك أقاليم غنية بموارد طبيعية غير أنها محرومة من أي مشروع تنموي لذلك تبنت الحركات الانفصالية مطالبة العدالة في توزيع ثروات الدول ومواردها.

ثالثًا: التطرف والإرهاب

يرتبط التطرف بظواهر عديدة أهمها العنف الإرهابي، فالتطرف هو الذي يمهد إلى انتهاج سلوك العنف الإرهابي، أي بعبارة أخرى إن التطرف هو الخطوة الأولى لانتهاج أعمال العنف الإرهابي داخل المجتمعات وهو ما يهدد الأمن الفردي وأمن المجتمع.

ورغم أن الوسطية والاعتدال التي بينت عليها كل الشرائع السماوية باختلاف الأديان والمذاهب

(٣٨) جابر سعيد عوض، العنف العرقي والديني في اندونيسيا، ملفات خاصة، ٢٠٠١، ص ٢.

(٣٩) جابر سعيد عوض، نفس المصدر السابق، ص٣.

ومنها الدين الإسلامي، إلا أن المتطرفين في الدين أو غيره، يعتمدون على نظرة ضيقة للكون والحياة، ينطلقون منها إلى تخطئة كل رأي مخالف لأ فكارهم وآرائهم، ويدينون كل فكر لا يوافق فكرهم، الأمر الذي ينتهي بهم إلى تكفير المجتمع والنظر إلى علماء الدين المعتدلين على أنهم علماء سلطة يتعين التصدي لهم وتفريق الناس عنهم، ومن هذا المنطلق يمارس هؤلاء المتطرفون السلوك الإرهابي من وراء ستار الدين الإسلامي وذلك لعلمهم ما للدين في نفوس الناس من تأثير وإيقاع وحب ينعكس في سلوكهم.

ومن هنا يقف الإسلام ضد أي تطرف في السلوك ولايدعو إلى الإرهاب ويؤكد على حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال، فالإسلام لا يقترن بالتطرف أو السلوك الإرهابي بل يجازي السلوك الإرهابي على أنه جريمة، لخطورة التطرف والسلوك الإرهابي على أمن المجتمع واستقراره وخروج عن سلطة الدولة وترويع الناس والاعتداء عليهم وتهديدهم والاعتداء على أموالهم وأرواحهم[٤٠].

رابعًا: مؤشرات ومتطلبات الاستقرار المجتمعي

اختلف الباحثون في مفهوم الاستقرار المجتمعي باختلاف مرجعياتهم الفكرية وتباين المفهوم من مجتمع إلى آخر فمنهم من ذهب إلى القول أن الاستقرار المجتمعي حالة من الهدوء والسكينة التي تنتاب المجتمع وتجعله قادرًا على تحقيق طموحاته وأهدافه نتيجة للتوازن الاجتماعي بين القوى الاجتماعية الفاعلة[٤١]، وهناك من يعرفه بدلالة الاستقرار السياسي فهو قدرة النظام على التعامل مع الصراعات والأزمات داخل المجتمع بحيث تتم السيطرة عليها والسعي لعدم تفاقمها ومدى تحقق الإصلاح والعدالة الاجتماعية في المجتمع وعكس ذلك يؤدي إلى عدم الاستقرار المجتمعي [٤٢] ويقود إلى التطرف والإرهاب.

وباختلاف المفاهيم للاستقرار المجتمعي فإن الاستقرار المجتمعي هو حالة من التلائم والانسجام داخل المجتمع تجعل من المجتمع مستقرًا هادفًا دون أن يكون هناك عراقيل أو مسببات تهدد الهدوء والسكينة وخلال فترة زمنية معينة[٤٣]، وأهم مظاهر الاستقرار هو انفتاح طبقات المجتمع بعضها على البعض الآخر، وانعدام التفاوت الطبقي ولا سيما بين الطبقة الوسطى والمرفهة من جهة وبين الطبقة العمالية من جهة أخرى، فالانفتاح الطبقي الاجتماعي بين فئات وطبقات المجتمع يؤدي إلى التعاون والتماسك بدلاً عن النزاع والصراع. ولعل أهم أنواع الاستقرار المجتمعي هو الاستقرار السياسي والاقتصادي.

خامسًا: الاستقرار الاقتصادي والسياسي

تسعى الحكومات إلى توظيف كل سياساتها من أجل تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي وإذا كان الاستقرار السياسي يركز على استقرار المؤسسات السياسية بكامل سلطاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية وما تنطوي عليها من أحزاب سياسية وأيدولوجيات وقوى معارضة[٤٤].

فإن الاستقرار الاقتصادي هو تحقيق الاستخدام الكامل للموارد المتاحة دون تضخم، وتفادي التغيرات الكبيرة في المستوى العام للأسعار وتحقيق النمو الاقتصادي ومن هنا تسعى السياسة المالية والنقدية إلى الحفاظ على مستوى التشغيل

(٤٠) محمود صالح العادلي، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب، الجزء الاول، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص٩.

(٤١) عبد الإله بلقزيز، الدولة والمجتمع، جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع المعاصر، ط٢، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٣

(٤٢) أحمد فاضل جاسم دواود، عدم الاستقرار المجتمعي، مجلة السياسية والدولية، العدد٢٥، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٤، ص١٩٩.

(٤٣) حيدر إبراهيم علي، التغير الاجتماعي والتنمية مدخل نظري، ط١، مكتبة الإمارات، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٥، ص٢٤.

(٤٤) إحسان محمد الحسن، البناء الاجتماعي والطبقة، ط١، دار الطليعة لطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢نص٥٣.

الكامل للموارد الاقتصادية المتاحة، وتحقيق درجة مناسبة من الاستقرار في المستوى العام للأسعار، للقضاء على الفقر وتدني مستويات الدخول الفردية والتي تقود إلى التطرف وانتهاج العمل الإرهابي إذا ما غاب التوظيف الحقيقي للموارد الاقتصادية. إن تحقيق التوازن الاقتصادي يقود إلى الاستقرار الاقتصادي للمجتمع، والأخير لا يمكن تحقيقه إلا إذا توفرت العوامل التالية[٤٥]:

- تحقيق العمالة الكاملة والتوظيف الكامل والقضاء على البطالة.
- تحقيق الاستقرار في المستوى العام للأسعار.
- تحقيق التنمية الاقتصادية.

وفي ظل عالم اليوم وما شهدته الدول الذي أضحى كعالم أشبه بالقرية الكونية الصغيرة وتجاوز الحدود الجغرافية للدول وتغير في مفاهيم السيادة الوطنية أصبحت هناك مؤشرات دولية يراد منها قياس درجة الاستقرار في المجتمعات، والمجتمعات التي تتراجع في هذه المؤشرات تعرض للعقوبات الدولية كقطع أو تجميد المعونات الدولية كما يحدث في مصر اليوم.

إن أهم المؤشرات الدولية لقياس الاستقرار المجتمعي هي[٤٦]:

أولاً: مؤشر التمكين والمشاركة.

ثانيًا: مؤشر التعاون والاندماج.

ثالثًا: مؤشر العدالة الاجتماعية.

رابعًا: مؤشر التنمية البشرية المستدامة.

خامسًا: مؤشر الأمان الشخصي.

سادسًا: مؤشر احترام الحقوق والحريات العامة.

وإذا ما توافرت هذه المؤشرات استطاع المجتمع تحقيق الاستقرار المجتمعي وغابت عنه الصراعات والانقسامات والتفاوت الطبقي. لكن ما نلاحظه اليوم هو ارتفاع مؤشرات عدم الاستقرار المجتمعي والتي وقفت وراءها عدة مسببات يقع في مقدمتها التفاوت الطبقي وانعدام العدالة الاجتماعية وارتفاع نسب الفقر والبطالة وإلى جانب كل هذا لا يمكن إغفال المشكلات الانفصالية التي تعانيها الكثير من الدول إذ أن تجليات ذلك بدت واضحة في التنوع «العرقي والديني واللغوي» كونها حوافز أساسية وقوية أخذت الحركات الانفصالية تستخدمها كحجة تتمكن من خلالها وعبرها للمطالبة باستقلال أقاليمها عن الدول[٤٧]؛ حيث عانت الكثير من الأقليات والطوائف من اضطهادات منظمة حولت حياة الناس في هذه الدول إلى سجن كبير خصوصًا بعد حملة المساعي الدولية للحرب ضد الإرهاب مما دفع دول تلك الأقليات والطوائف إلى استغلال العنوان الأمريكي للحرب ضد الإرهاب فتعتبر الأقليات والطوائف مقصودة بالحرب ضد الإرهاب مستجيبة بذلك للضغوط الأمريكية التي ترى ضرورة خلق مناطق آمنة خالية من العنف إلا أن نتيجة البطش والحرمان من أبسط الحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية التي عانت منها تلك الطوائف والأقليات فإن ذلك دفعها لانتهاج أعمال العنف مبررة ذلك بأنها (حركات المقاومة) فهناك الكثير من عدم الاستقرار المجتمعي قد ظهر في الدول للوقوف ضد عنف الدولة وبطشها لطمس الهوية الثقافية والاجتماعية للأقليات أو طائفة معينة[٤٨].

(٤٥) عبد القادر محمد عبد القادر، النظرية الاقتصادية الكلية، ط١، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص٤٠.

(٤٦) هند جمعة علي، طبيعة العلاقة بين الاستقرار السياسي والاستقرار المجتمعي في العراق بعد عام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد ٢٠١٧، ص ٣٣-٣٨.

(٤٧) فتحي أبو عيانة، دراسة في الجغرافيا الاقتصادية والسياسية، مصدر سبق ذكره، ص١٧٢.

(٤٨) علاء البشبيشي، مصدر سبق ذكره.

أولاً: واقع السياسات الاقتصادية العراقية

لقد ظلت السياسة المالية في العراق مرتهنة في أدائها العام وفعاليتها بالتغيرات المرتبطة بتدفقات الإيرادات الريعية إلى داخل الاقتصاد، إذ أن مرونتها تتوقف على الصادرات النفطية، فالمتغير الخارجي قد تكون له تأثيرات سلبية في فعالية السياسة المالية وأدائها؛ كونها مرتبطة بظروف وعوامل خارجية وهذا ما جعلها تعاني مشاكل خطيرة[٤٩].

وارتبطت فاعلية السياسة المالية في العراق بارتفاع وانخفاض أسعار النفط فكلما ارتفعت أسعار النفط ازدادت إيرادات الحكومة الريعية وأصبحت السياسة المالية أكثر توسعًا، وتزايد دور الدولة وتدخلها في الحياة الاقتصادية، سواء كانت في الجانب الإنفاقي الاستهلاكي عبر تقديم الخدمات الأساسية، أو في الجانب الاستثماري عبر محاولتها تنشيط الاقتصاد والقضاء على البطالة وكذلك يهيىء إمكانية توسع الدولة في إيجاد قنوات لتوزيع ثمار الريع النفطي عن طريق زيادة التوظيف الحكومي أو زيادة الأجور والمرتبات من جديد والذي اتسم بغياب التوزيع العادل والمحاصصة السياسية، وتفاوت طبقي واضح المعالم يتضح من سلم رواتب الموظفين وبالأخص رواتب الرئاسات الثلاثة وبالتالي ينتج عنها ضغوط تضخمية بسبب تزايد المعروض النقدي وعدم توفر جهاز إنتاجي مرن قادر على خلق فرص معروض سلعي موازي للمعروض النقدي[٥٠].

وبذلك نجد أن السياسة النقدية قد تتحمل أعباءً تضخمية عالية ولدها استمرار اتساع الطلب الكلي الناجم عن الإنفاق الحكومي، الذي يولد فجوة تضخمية تعمل السياسة النقدية باستخدام أدواتها المتشددة كافة لتضيقها[٥١]، وإلى جانب هذا ذهبت السياسة النقدية إلى استخدام إحدى الأدوات النقدية وهي التدخل المباشر عن طريق مزاد العملة لتحافظ على سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي، إلا أن هذه الأداة قد أساء استخدامها الكثيرون واستخدمت لتهريب العملة الوطنية من جانب وزيادة التضخم النقدي من جانب آخر.

أما في حالة انخفاض أسعار النفط العالمية فيظهر دور الشركات العابرة القومية والمنظمات الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) للتأثير في السياسة المالية والنقدية عبر التدخل منح قروض مقابل شروط للتصحيح والتثبيت الاقتصادي، فإن العراق يعتمد بشكل كلي على العوائد النفطية في تمويل موازناته العامة، وبالتالي فإن تراجع أسعار النفط والانخفاض في العوائد المتحققة، كان له آثار في قدرة الدولة على تمويل أنشطتها العامة، ولا سيما أن العراق يعاني مشكلة هيكلية في طبيعة السياسة المالية التي تعتمد بشكل كبير على إيرادات النفط وهذا الاعتماد يتزايد من عام إلى آخر، فضلاً عن عدم مرونة الإنفاق، إذ إن ثمة جوانب كثيرة من الإنفاق الجاري لايمكن تخفيضها أو حتى ترشيدها، وعندما لا تجد الحكومة إيرادات كافية لتلبية تلك النفقات، مما يضطرها إلى خفض الإنفاق الاستثماري وهذا يؤثر سلبًا على النمو في الأجل البعيد[٥٢]. ينظر الجدول رقم (١) الآتي:

(٤٩) همسه قصي عبد اللطيف، اتجاهات السياسة المالية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلة الكويت للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد (جزء أول)، الإصدار (عدد خاص)، ٢٠١٢، ص٥٩.

(٥٠) مازن عيسى الشيخ راضي وفرحان محمد حسن، مستقبل السياسة المالية في العراق بين الريعية واللاريعية، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد٩، العدد٢٨، ٢٠١٣، ص١٨٩.

(٥١) ظافر حميد حسون، الاتجاهات الجديدة للسياسة النقدية في العراق وطبيعة علاقتها بالسياسة المالية، مجلة كلية التراث الجامعة، كلية التراث، العدد ١٠، ٢٠١١، ص٧.

(٥٢) أحمد عمر الراوي، اقتصاديات النفط والغاز العراقي «مسارات النجاح والإخفاق»، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨-١٩٩.

جدول رقم (١)

النفقات العامة في العراق للسنوات (٢٠٠٥-٢٠١٢) بالمليار دينار

السنة	النفقات التشغيلية	النفقات الاستثمارية	إجمالي النفقات	نسبة النفقات التشغيلية إلى إجمالي النفقات ٪
٢٠٠٥	٢٨٤٣١,١	٧٥٥٠	٣٥٩٨١,١	٧٩
٢٠٠٦	٤١٦٩١,١٦	٩٢٧٢	٥٠٩٦٣,١٦	٨١,٨
٢٠٠٧	٣٩٠٣١,٤١	١٢٦٩٦,٠٦	٥١٧٢٧,٤٧	٧٥,٥
٢٠٠٨	٤٤١٩٠,٧٤٦	١٥٦٧١,٢٢٧	٥٩٨٦١,٩٧٣	٧٣,٨
٢٠٠٩	٥٤١٤٨,١	١٥٠١٧,٤	٦٩١٦٥,٥	٧٨,٣
٢٠١٠	٦٠٩٨٠,٦٩٥	٢٣٧٦٦,٧٧٣	٨٤٦٥٧,٤٦٨	٧٢,١
٢٠١١	٦٦٥٩٦,٤٧٤	٣٠٠٦٦,٢٩٢	٩٦٦٦٢,٧٦٦	٦٨,٨
٢٠١٢	٧٩٩١٦,٩٤٢	٣٧١٧٧,٨٩٧	١١٧٠٩٤,٨٣٩	٦٨,٣

المصدر: حيدر كاظم مهدي، انخفاض أسعار النفط والإجراءات اللازمة لتقليل تأثيرها على الموازنة العامة في العراق، مجلة المثنى للعلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة المثنى، المجلد الخامس، العدد١، ٢٠١٥، ص١١٤.

فقد أثرت الشركات العابرة للقومية والمنظمات الدولية سلبًا في السياسة المالية والنقدية وذلك عبر مطالبتها بتسديد مستحقاتها المالية (الشركات النفطية) في الوقت الذي تعاني منه أسعار النفط العالمية انخفاضًا حادًا، وتعرض الاقتصاد الوطني إلى أزمة سيولة نقدية وظهور العجز الكبير في الموازنة العامة؛ مما دفع السياسة المالية إلى استخدام أكثر أدواتها فاعلية متمثلة بالضرائب، فقد فرضت ضرائب على الدخل مما أدى إلى إحداث خلل في التوازن الاقتصادي الكلي؛ لأن زيادة الضرائب أدت إلى تخفيض ذلك الجزء من الدخل المتاح للإنفاق على الاستهلاك وكذلك تخفيض الإدخار الذي يتم توجيهه إلى الإنفاق على الاستثمار، أي أن زيادة الضرائب أدت إلى تخفيض بعض عناصر الإنفاق الكلي، وهذا بدوره جعل أدوات السياسة النقدية لا تتم الاستجابة لها في المدى القصير، نتيجة وجود نظام ضريبي معين، فمثلاً نجد أن تخفيض معدل الفائدة قد لا ينتج عنه زيادة في الاستثمار نتيجة للانخفاض الذي يحصل أو يحدث في الادخار بسبب زيادة الضرائب على الدخل[٥٣]. إذ إن الضرائب والرسوم الجمركية التي تفرضها جميع بلدان العالم هي وسيلة لتحقيق جملة من الأهداف الاقتصادية والتنموية والمالية والاجتماعية...إلخ، ولعل هدفها الأساس في ظل الوضع الحالي للاقتصاد العراقي هو تهيئة الموارد المالية للموازنة العامة لتغطية النفقات الحكومية، وفي العراق فإن غياب الرؤية التنموية والسياسات الاقتصادية الملائمة والفساد الإداري والمالي المستشري في جميع مفاصل الدولة قد حرم البلد من الاستفادة من هذا المورد المهم الذي مثل مشكلة كبيرة بالنسبة للاقتصاد العراقي[٥٤]. وقد برز تأثير ذلك بشكل واضح بعد هبوط أسعار النفط العالمية بالشكل الذي حصل منذ منتصف عام ٢٠١٤ وإلى الآن مما أربك حسابات الحكومة وأوصلها إلى مرحلة المجاهدة في تأمين رواتب الموظفين والمتقاعدين، وتغطية نفقات الحرب ضد داعش الإرهابي، والعمل على تغطية العجز المتنامي في الموازنة العامة والناجم عن انخفاض عوائد الصادرات النفطية بشكل كبير، ومن ناحية أخرى فإن مسألة فرض الضرائب والرسوم الجمركية على السلع الداخلة إلى المنافذ الحدودية في العراق تواجه مشكلة أخرى هي أن إقليم كردستان العراق دائمًا يرفض تطبيق إجراءات السياسة التجارية على الإقليم، مع أنه

(٥٣) منى كمال، الإطار النظري للتنسيق بين السياستين المالية والنقدية، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ٢٠١٦/٦/٤، على الرابط الآتي:
https//:mpra.ub.uni-muenchen.de/26670/1/MPRA_paper_26670.pdf

(٥٤) فريد جواد كاظم الدليمي وباسم خميس عبيد، تحليل أثر السياسة المالية في العراق في الاستقرار والنمو الاقتصادي للمدة (٢٠٠٣-٢٠١٠)، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة بغداد، المجلد٢٠، العدد ٧٥، ٢٠١٤، ص٣١١.

يجب أن يخضع كبقية المناطق العراقية إلى السياسة الاقتصادية والتجارية للدولة العراقية، وهذا بدوره يؤدي إلى قيام التجار والمستثمرين من إدخال بضائعهم من خلال المنافذ في الإقليم، وبالتالي خسارة الحكومة الاتحادية لهذا المورد المهم[٥٥].

فضلاً عن التهرب الضريبي الدولي الذي تقوم به الشركات النفطية العابرة للقومية، والذي يمكن رصده بثلاث آليات (آلية الملاجئ الضريبية «الجنات الضريبية»، آلية الأسعار القابلة للنقل والقابلة للتحويل، آلية المنشأة الثابتة)[٥٦].

يقابل كل وجود مناطق معينة قد شعرت بانعدام وجود تعددية سياسية والافتقار إلى قدر من حرية التعبير وعدم وجود تداول حقيقي للسلطة يؤدي إلى حرمانها قوّتها السياسية والاجتماعية من التعبير السياسي الحقيقي، وإلى تجاهل مطالب الأقليات وقمع الجماعات المعارضة وسوء التوزيع وعدم العدالة وانخفاض مستويات الدخل وارتفاع خط الفقر والبطالة كل هذا يهيئ للعنف والإرهاب[٥٧].

فالنساء والأفراد الذين يسمّون إرهابيين هم (من وجهة نظر الاتجاه السياسي) يردون بالعنف وأساليبه عندما يتصورون أن الحكومة تعجز أو لا تريد أن تتصدى لحالة ظلم معينة، أو في حالة عدم قدرتها على توفير الأمن والأمان وبالتالي فهدف هؤلاء من خلال استخدم هذه الوسيلة (الإرهاب) خلق وعي شعبي مفاده أن النظام السياسي لا يوفر التوازن السياسي والاقتصادي المطلوب فيما يتعلق بالحرية السياسية أو المشاركة السياسية أو غيرها من الجوانب السياسية الأخرى[٥٨] أو الاقتصادية وتوزيع الموارد، يدعمها قوى دولية وإقليمية هدفت إلى استمرار عدم استقرار العراق.

ثانيًا: مظاهر العنف والتطرف والإرهاب

شهدت المدة التي أعقبت تغير النظام العراقي بعد عام ٢٠٠٣، سلسلة من مظاهر التطرف والعنف والإرهاب والتي تنامت نتيجة عوامل عدة يقع في مقدمتها السياسات التي اتبعتها سلطات الاحتلال حيث أصدر الحاكم المدني (بول بريمر) قرارات عدة أسهمت في إرباك وتفكك السياسات الاقتصادية والاجتماعية ولا سيما القرار رقم (٢) الخاص بحل القوات المسلحة العراقية والأجهزة الأمنية وبعض المؤسسات الإعلامية، الأمر الذي أدى إلى الإضرار بطبقة واسعة من الموظفين والقادة العسكريين الذين عملوا في ظل النظام السابق وتم تهميشهم لترتفع بذلك نسب البطالة ويزداد عدد الفقراء، وليترك في المقابل فراغًا أمنيًا ساعد كثيرًا في تنامي جماعات وعصابات للتطرف والعنف والإرهاب لم تستطع قوات االاحتلال السيطرة عليها وتزايدت أعمالها في الجريمة والسرقة والقتل[٥٩].

لقد لعبت التنشئة الاجتماعية للمجتمع وضعف علاقات الود والولاء والانتماء دور في زيادة مظاهر التطرف والعنف داخل المجتمعات، وتزامنت هذه المظاهر مع تردي الأوضاع الاقتصادية، مما جعل الأفراد معرضين للتأثر والانجراف وراء تيارات متطرفة وإرهابية.[٦٠]

شهد العراق تنامي ظاهرة العنف بصورة كبيرة في السنوات ٢٠٠٦-٢٠٠٧، وبالخصوص بعد

(٥٥) مدحت القريشي، ملاحظات حول فرض الضرائب والرسوم الجمركية والمشكلات التي تواجهها، شبكة الاقتصاديين العراقيين، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ٢٠١٦/٩/٢٤، على الرابط: http://ira-qieconomists.net

(٥٦) زهرة حبو وإلياس نجمة، التهرب الضريبي الدولي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد١، ٢٠١١، ص٤٢٤.

(٥٧) الإرهاب، الأسباب التي تدفع الإنسان على الوقوع في التطرف، شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، موقع (الإسلام) على صفحات الويب؛ www.al.Islam.com.

(٥٨) ماكس ج مانورج، ساحة الأمن العالمي الحتمية، تقرير مقدم إلى معهد الدراسات الاستراتيجية/ واشنطن، ٢٠٠٢، ص١٠.

(٥٩) كاظم حبيب، الاستبداد والقسوة في العراق، ط١، مؤسسة حمدي للطباعة، العراق، ٢٠٠٥، ص١٣.

(٦٠) فكرت نامق العاني، الإرهاب والسلوك الإرهابي، (المدخلات والعلاج)، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العدد ١٧، ٢٠٠٩، ص٤١

حادثة تفجير مرقدي الإماميين العسكريين عليهم السلام في سامراء ٢٠٠٦، فالجماعات الإرهابية المتدفقة من وراء الحدود قد ولدت الشرارة الأولى للغلو والتطرف حيث وجهت أعمالها الإرهابية نحو شرائح وفئات اجتماعية متعددة، وفي ظل وجود بيئة اجتماعية تميزت بالولاءات الطائفية والعرقية الضيقة، وفئات وطبقات عانت من ضعف الجانب الاقتصادي والتفاوت الطبقي والحرمان مما دفعها للاستجابة للسموم الفكرية المدعومة من جهات إقليمية ودولية.

والجدير بالذكر أن الحرمان الاقتصادي يعد من أبرز العوامل التي تدفع إلى العنف إذا ما تزامنت مع ارتفاع نسب البطالة وازدياد عدد العاطلين عن العمل والذين لا يجدون سبل مشروعة للعيش فإنه يلجأ إلى العنف والإرهاب كمبرر لتوفير المعيشة.

ويقف إلى جانب السياسات الاقتصادية وسوء توظيفها في احتواء التطرف تزايد دور الوكالات الإعلامية الغربية والعربية وقنوات فضائية عدة محلية وإقليمية ودولية تزرع وتنمي بذور التفرقة داخل المجتمع العراقي، ويصاحب كل هذا أن الكثير من الأحزاب والحركات السياسية الموجوده على الساحة العراقية دفعت إلى ازدياد أعمال التطرف والعنف لتحقيق مصالحها.

وبالمقابل لم تقم الحكومات المتعاقبة منذ عام ٢٠٠٥ إلى الحد من المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد ومنها ارتفاع المستوى العام للأسعار وارتفاع نسب البطالة لتصل إلى أكثر من ٢٥٪[٦١]، مع توقف الصناعة المحلية وغزو السلع الأجنبية وتنامي ظاهرة الإغراق الاقتصادي دون أن تكون هناك سياسة مالية (ضرائب ورسوم) قادرة على مجابهة المنتج الأجنبي، وقد ظهرت مساعي عدة من أجل تحقيق الأمن والنظام وخلق المناخ الاستثماري لجذب رؤوس الأموال الأجنبية والمحلية إلا أن معظم هذه الجهود لم تحقق النجاح بسبب وجود جيوب وحاضنات للإرهاب، والفساد المالي والإداري الذي لعب دورًا بارزًا في تأجيج مظاهر التذمر والتطرف والانقياد وراء الحركات والقوى الإرهابية، فالفساد المالي والإداري يهدف إلى تحقيق مكاسب غير مشروعة تدخل ضمن نطاق الاقتصاد الرسمي والغير رسمي، وبالتحديد الأنشطة الغير مشروعة منه إذ يعمل المسؤولون الحكوميون على استغلال سلطاتهم، مثل إعطاء تأشيرات أو تصريحات غير قانونية أو قانونية خلال فترات زمنية معينة تسهيلاً في الإجراءات البيروقراطية والإدارية، أو إعطاء وإرساء عطاءات للمشاريع ولجهات وشركات وأشخاص لا يستحقونها على حساب جهات وشركات آخرين لهم الأولوية مقابل دفع مبالغ من الأموال والرشاوي، [٦٢] الأمر الذي يؤدي إلى تعطيل الكثير من السياسات الاقتصادية الرامية لانتعاش الاقتصاد، ولا يخفى على أحد أن العراق قد احتل المرتبة ١٧٥ من أصل ١٧٨ دولة في قائمة الدول الأكثر فسادًا في العالم عام ٢٠١٠، وهو في المرتبة (١٧) والأخيرة في تسلسل الدول العربية، وقد حقق ١,٥من مقياس تقرير الفساد الإداري العام المؤلف من ١٠ درجات عام ٢٠١٠ [٦٣]، حيث يعاني العراق من انتشار ظاهرة الرشوة بصورة كبيرة بين الموظفين ورغم أن هناك الكثير من الإجراءات في الحد من هذه الظاهرة ورغم الكشف من قبل الهيئات المكلفة بمتابعة تلك الملفات والإبلاغ عن الآلاف من القضايا.

(٦١) تقرير الجهاز المركزي للإحصاء التابع لوزارة التخطيط العراقية، العراق، ص٦.

(٦٢) محمد السقا، الاقتصاد الخفي، جامعة الكويت، الكويت، ٢٠٠٤، ص١٣-١٤.

(٦٣) نبيل جعفر عبد الرضا، سامي هاشم فالح، الاقتصاد غير الرسمي في العراق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، العدد٤٠٤، ٢٠١٠، ص٨٩.

يعاني العراق من تنامي ظاهرة الاقتصاد غير الرسمي والتي تعمل مما لاشك فيه في التقليل من أثر السياسات المالية والنقدية، حيث تؤثر هذه الظاهرة سلبًا في السياستين المالية والنقدية من خلال:[٦٤]

- تنامي الطلب على السيولة وفي أغلب الأحيان يكون لأغراض تهريب رأس المال
- فقدان الإيرادات الضريبية.
- التأثير في النمو الاقتصادي.
- التأثير في توزيع الموارد.
- انتشار أنشطة الجريمة وعمليات غسيل الأموال وتهريب المخدرات
- انتشار الغش الصناعي والتجاري

ومقابل كل هذا تنامت وتصاعدت أعمال العنف والإرهاب في العراق وراء دوافع عدة أسهمت جميعها في تصاعد أعداد الضحايا فمن خلال الجدول رقم(٢) نجد تصاعد وتيرة أعمال العنف والإرهاب

جدول رقم (٢) أعداد ضحايا العنف والإرهاب في العراق للسنوات ٢٠٠٣-٢٠١٦

السنة	عدد القتلى	السنة	عدد القتلى
٢٠٠٣	١٢,١٣٣	٢٠١٠	٤,١٦٧
٢٠٠٤	١١,٧٣٦	٢٠١١	٤,١٦٢
٢٠٠٥	١٦,٥٨٣	٢٠١٢	٤,٦٢٢
٢٠٠٦	٢٩,٤٥١	٢٠١٣	٩,٨٥٢
٢٠٠٧	٢٦,٠٣٦	٢٠١٤	٢٠,٢١٨
٢٠٠٨	١٠,٢٧١	٢٠١٥	١٧,٥٧٨
٢٠٠٩	٥,٣٧٦	٢٠١٦	١٦,٤٠٧

نقلاً عن هند جمعة علي، طبيعة العلاقة بين الاستقرار السياسي والاستقرار المجتمعي في العراق بعد ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٧، ص١٣

ثالثًا: التعصب والعنف والاقتصاد العراقي

مما لاشك فيه أن الشخص الذي يحمل فكرًا متعصبًا طائفيًا يؤدي إلى آثار سلبية داخل المجتمع، إذا ما انعكس ذلك في سلوكيات وممارسات، إذ يتعصب صاحب الفكر الطائفي من أنه صاحب الحق دون غيره والذي على الجميع اتباعه والتمسك به متناسيًا آراء ومنطلقات طائفته مصرًّا على وضع نفسه داخل إطار حال بينه وبين اتباع الحق، وذلك نتيجة الجمود على أفكار معينة دون السماح لأي فكرة أخرى حتى لو كانت الحق ذاته، وهو ما يقود إلى نكران العلاقة مع الآخر أيًا كان انتماؤه بل يصل إلى الأحقاد ويبعث إلى سلوك يصل إلى حد الغلو وإساءة الظن بالآخرين ويصل إلى التكفير والتقتيل بقوة السلاح مع تزمته بأفكاره وهو ما ساد كثيرًا في العراق بعد عام ٢٠٠٦ صعودًا[٦٥].

ولعل كل ما سبق يقود الشخص الطائفي إلى إفراز ثقافة القتل وممارسة الإبادة وانتهاج سياسة الذبح لطائفة أخرى، أي أن السلوك الطائفي يمارس العنف المادي وهو مايقوده إلى أن يكون عاجزًا عن التفاهم والاتصال مع الآخرين فيلجأ إلى العنف لإثبات وجوده وفرض قيمته ولايتنازل عن ذلك إلا في حالة انهزامه وتعرضه إلى خسارة كبيرة فيلجأ إلى التفاوض وهو ما يحدث مع تنظيم (داعش) اليوم.

وأمام كل هذا يظهر الأثر واضحًا على الطوائف الأخرى (العنف المضاد) الذي يكون رد فعل (Reaction) أكثر من أن يكون فعل (Action) ليقود في النهاية إلى حروب أهلية مدمرة لكل الأطراف.

وهنا لا بد من الإشارة أن للقوى السياسية الموجودة داخل الساحة السياسية العراقية دور بارز في تبني الهوية الطائفية والترويج للطائفية تحت قناع الديمقراطية، وأن الصراع السياسي المصلحي قد قام على أساس الخلاف الطائفي والمذهبي وهو ما انعكس واضحًا على المجتمع العراقي.

ويأتي العامل الاقتصادي ليشكل أهم العوامل التي تعطي الأعمال الإرهابية دعمًا متزايدًا فكلما كان دخل الفرد يفي بمتطلباته واحتياجاته الأساسية كان استقراره الاجتماعي ثابتًا، وكلما كان دخل الفرد قليلاً ولا يسد حاجته ولا حاجات أسرته انعكست تلك الحاجيات إلى عدم رضا الفرد عن مجتمعه وشعر أن

(٦٤) المصدر السابق، ٩٠-٩١.

(٦٥) صادق علي حسن، مصدر سبق ذكره، ص١٣٩.

وطنه لم ينصفه وخصوصًا إذا ما كان هناك تفاوت طبقي واضح المعالم وفروقات معيشية وتدني في مستوى التعليم والصحة وغيرها من الخدمات التي يقدمها النظام السياسي[٦٦].

لقد نجم عن تفاقم دور العوامل الاقتصادية تنامي عدة ظواهر وأهمها الفقر حيث تزايد حجم الفقر والتهميش والإقصاء الاجتماعي بعد عام ٢٠٠٣ وحتى من الحاجات الأساسية (الغذاء، المسكن، الصحة، التعليم...إلخ) إلى جانب معطيات أخرى عدم الشعور بالأمان والخوف من المستقبل لقد وصلت نسبة الفقر إلى ٢٢,٥ في عام ٢٠١٤، ولم تستطع السياسات الاقتصادية معالجة أهم الأسباب المؤدية للفقر والتي أهمها[٦٧]:

- انخفاض الأجر اليومي للعمال.
- ضعف المؤسسات الاقتصادية ودورها داخل المجتمع.
- تخلف أدوات الإنتاج وانخفاض مستوى الإنتاجية.
- التفاوت الطبقي وسوء توزيع الدخول حيث يشكل القطاع العام ٤٠٪ من السكان وهم بمستوى الكفاف ولا يوجد إدخار.
- انتشار النزاعات المسلحة والقتل والإرهاب والناجمة عن تردي الأوضاع الأمنية.
- انتشار نسبة التسرب من الدراسة والتي وصلت إلى مستويات مرتفعة.

وأمام كل هذه التراكمات داخل الساحة العراقية لعبت القوى الخارجية دورًا بارزًا في تأجيج الصراعات وتغذيتها بشتى الطرق وهو ما أدى إلى سقوط ثلاث محافظات رئيسة (الأنبار، نينوى، صلاح الدين) بأيدي القوى التكفيرية والتي تعرف بـ(داعش)، ومع الآثار السلبية والخسائر الكبيرة الناجمة عن هذا الاحتلال وتدمير البنى التحتية إلا أن التكاتف الشعبي والشعور بالمسؤولية لإخراج القوى المحتلة والتكفيرية أدى ذلك إلى تلاحم المجتمع العراقي من جديد ولتتضح القوى السياسية التي أججت الصراعات ودعمتها ولتفشل مخططاته في زعزعة وحدة المجتمع العراقي.

ومن هنا بدأت القوى السياسية في السلطة تعيد حساباتها من جديد وعليها أن تقوم بإصلاحات سياسية واقتصادية عدة للتعامل مع القوى الخارجية والإقليمية، وكيف لها أن تقوم برسم سياسة اقتصادية قائمة على العدالة في توزيع الموارد الاقتصادية وتنميتها والقضاء على التفاوت الطبقي داخل المجتمع لتقضي على كل مظاهر الإقصاء والتهميش والتي جاءت إثر سياسات اقتصادية خاطئة.

الخاتمـــة

لعبت السياسات الاقتصادية دورًا بارزًا في التأثير على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل الدول، لا سيما وأن التفاوت الطبقي بين أفراد المجتمع يتأتى من جراء السياسات الاقتصادية وعدم عدالة توزيع الموارد، ومن جراء سوء إدارة الحكم وغياب الحكم الرشيد داخل الكثير من الدول أدى ذلك وبالتظافر مع المتغيرات الخارجية إلى تنامي ظواهر التعصب والتطرف والإرهاب بداخلها لتشهد موجة من العنف الداخلي أدى ذلك إلى تحطيم البنى التحتية وارتفاع في معدلات الضحايا من جراء أعمال العنف والإرهاب.

فتراجع دخل المواطنين وانخفاضه وضعف الخدمات وتفاوتها داخل أجزاء الدولة الواحدة والتمييز بين أبناء الدولة وانعدام العدالة وسوء التوزيع أدى إلى ارتفاع معدلات الفقر والبطالة ليقود كل ذلك إلى تنامي الشعور بالاضطهاد وضياع الحقوق وزيادة التعصب والغلو داخل المجتمع لتتهج

(٦٦) دنيا جواد، الإرهاب في العراق دراسة الأسباب الحقيقة، مجلة العلوم السياسية، العدد ٤٣، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، العراق، ٢٠١١، ص ١٣٤-١٣٦.

(٦٧) حميدة شاكر مسلم، الفقر متعدد الأبعاد والتنمية البشرية المستدامة في العراق، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، العدد ٧٦، المجلد ٢٠، جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص ٣٢٥-٣٢٦.

طائفة أو مجموعة معينة أعمالاً توحي بتمسكها بمعتقدات تدعو إلى تكفير الأطراف الأخرى فهي تنطلق بمبررات صاغتها وفق رؤيتها توحي لأتباعها بأنها المدافع للذود عن حقوقهم ومعتقداتهم.

ولعل ضعف أداء الدولة كما سبقت الإشارة أدى إلى تنامي هذه القوى والحركات وتوفر حاضنات جاءت من تراجع دور السياسات المالية والنقدية لتشكل بذات الوقت منابع لتمويل التطرف والإرهاب، وعلى وجه الخصوص إذا ما علمنا أن أغلب المناطق التي شهدت نمو بؤر التعصب والتطرف والعنف والإرهاب هي مناطق تتميز بموارد اقتصادية أو تكون بالقرب من مناطق تتميز بالغنى بالثروات الاقتصادية.

من هنا باتت الكثير من الدول تعاني من تصدير الإرهاب والتطرف إليها ودول أخرى أضحت مصدرة للإرهاب وتملك ميزة نسبية في ذلك، من خلال تعاطيها مع أنشطة اقتصادية مشروعة لتغطي أعمالاً غير مشروعة.

شهد العراق بعد عام ٢٠٠٣ الكثير من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلا أن التراجع في سياساته الاقتصادية بشقيها المالي والنقدي أدى إلى ضعف أدائها ليخلق تفاوتًا طبقيًا واضح المعالم عزز بالفساد المالي والإداري من هنا نشأت بيئة حاضنة للتطرف والتعصب لتصل إلى العنف والإرهاب والقتل وتصاعد معدلات الجريمة واحتلال مباشر للكثير من المناطق.

إعادة ترتيب البيت العراقي الداخلي بعد عمليات التحرير الكبيرة وطرد القوى الخارجية (داعش) يتطلب سياسات اقتصادية مبينة على أسس صحيحة تضمن عدالة التوزيع والقضاء على جميع أشكال التفاوت الطبقي.

التوصيـــــات

- بناء سياسات اقتصادية تضمن عدالة التوزيع والقضاء على التفاوت الطبقي من خلال تكافؤ الفرص بين أبناء الدولة الواحدة.
- سن قوانين محلية تحارب التطرف والغلو مع مراعاة حقوق الإنسان وحرية التعبير والمشاركة السياسية لكل الطوائف داخل المجتمع.
- إدارة الحكم الصالح شرط أساسي لتحقيق الاستقرار والقضاء على الطائفية والمحاصصة والتي أدت إلى التطرف والتعصب والعنف داخل المجتمعات.
- التركيز من الحكومات على تطوير التعليم ومجتمعيًا على التربية المبنية على مبدأ المواطنة وإشاعة ثقافة التسامح، والمواطنة، والتعايش السلمي، ونبذ الإقصاء والتهميش وإشاعة روح الثقافة والأخوة والوحدة.
- اعتماد سياسات اقتصادية تقود إلى تنويع المصادر للدخل في البلاد وخلق فرص العمل والقضاء على البطالة.
- محاربة مصادر ومنابع تمويل الإرهاب داخل الدولة وخارجها من خلال سن القوانين وخلق الأنظمة التي تتبع حركات رؤوس الأموال ودخولها وخروجها من البلاد.
- معالجة حالات الفساد السياسي والإداري والمالي داخل الحكومات والتي انعكست على السياسات الاقتصادية وأدت إلى تفاوت طبقي واضح المعالم.
- على الحكومات أن تتوجه في سياساتها الاقتصادية في تمويل الحملات الإعلامية في داخل دولها لمواجهة الأسلوب الإعلامي القائم على بث بذور التفرقة والتعصب والتطرف والعنف.

المصـــــادر

- الكتـــــب

١) إحسان محمد الحسن، البناء الاجتماعي والطبقة، ط١، دار الطليعة لطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢.

٣) أحمد عمر الراوي، اقتصاديات النفط والغاز العراقي «مسارات النجاح والإخفاق»، مصدر سبق ذكره، ص١٩٨-١٩٩.

٤) برهان غليون، نقد السياسة (الدولة والدين)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٣، ٢٠٠٤.

٥) تركي علي، الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٦.

٦) تقرير الجهاز المركزي للإحصاء التابع لوزارة التخطيط العراقية، العراق.

٧) توماس ماير وآخرون، النقود والبنوك والاقتصاد، ترجمة أحمد عبد الخالق، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٢.

٨) جابر سعيد عوض، العنف العرقي والديني في أندونيسيا، ملفات خاصة.

٩) حيدر إبراهيم علي، التغير الاجتماعي والتنمية مدخل نظري، ط١، مكتبة الإمارات، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٥.

١٠) سامي خليل، النقود والبنوك، مؤسسة كميل للنشر، الكويت، ١٩٨٩.

١١) صالح محمود علي ومحمود عبيد السبهاني، التنسيق والتكامل بين السياستين المالية والنقدية ضرورة لتحقيق عملية الإصلاح الاقتصادي، مجلة الدنانير، الجامعة العراقية، العدد٤، ٢٠١٣.

١٢) صبحي تادريس قريصة، مدحت محمد العقاد، النقود والبنوك والعلاقات الاقتصادية الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

١٣) عبد الإله بلقزيز، الدولة والمجتمع، جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع المعاصر، ط٢، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت، ٢٠٠٨.

١٤) عبد الغفور إبراهيم أحمد، مبادئ الاقتصاد والمالية العامة، دار زهران للنشر، عمان، ٢٠٠٩.

١٥) عبد القادر محمد عبد القادر، النظرية الاقتصادية الكلية، ط١، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٤.

١٦) عبد المنعم السيد علي ونزار سعد الدين العيسى، النقود والمصارف والأسواق المالية، دار الحامد للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٤.

١٧) عثمان علي حسن ويسي، الإرهاب الدولي ومظاهره القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام، دار الكتب القانونية. مصر، ٢٠١١.

١٨) عقيل جاسم عبدالله، النقود والمصارف، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ١٩٩٩.

١٩) غازي عبد الرزاق إبراهيم أحمد، المالية العامة تحليل أسس الاقتصاديات المالية، دار وائل للنشر، عمان ٢٠٠٣.

٢٠) غالب عوض الرفاعي، اقتصاديات النقود والبنوك، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٢.

٢١) فتحي أبو عيانة، دراسة في الجغرافيا الاقتصادية والسياسية، مصدر سبق ذكره.

٢٢) كاظم حبيب، الاستبداد والقسوة في العراق، ط١، مؤسسة حمدي للطباعة، العراق، ٢٠٠٥.

٢٣) محمد السقا، الاقتصاد الخفي، جامعة الكويت، الكويت، ٢٠٠٤.

٢٤) محمود صالح العادلي، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب، الجزء الأول، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٥.

٢٥) محمود صالح العادلي، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٥.

٢٦) مدحت القريشي، التنمية الاقتصادية، ط ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧.

٢٧) مصطفى رشيد شيحة، الاقتصاد النقدي والمصرفي، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ١٩٨٥.

٢٨) مظهر محمد صالح قاسم، السياسة النقدية والمالية والسيطرة على متغيرات التضخم وسعر الصرف، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٢.

٢٩) نزار سعد الدين العيسى،إبراهيم سليمان القطف، الاقتصاد الكلي «مبادئ وتطبيقات»، ط١، دار الحامد للنشر، عمان، ٢٠٠٠.

٣٠) هشام محمد صفوت العمري، اقتصاديات المالية العامة والسياسية المالية، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٨٦.

٣١) هيثم فالح شهاب، جريمة الإرهاب وسبل مكافحتها في التشريعات الجزائية المقارنة، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠.

٣٢) هيفاء غدير، السياسة المالية والنقدية، ودورها التنموي في الاقتصاد السوري، الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٠،٣٢.

٣٣) وداد يونس يحي، النظرية النقدية (النظريات، المؤسسات، السياسات)، دار الكتب، الموصل، ٢٠٠١.

- أطاريح الدكتوراه

- تركي علي، الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٦.

- رسائل ماجستير

١) صادق علي حسن، الدوافع السياسية والاقتصادية لظاهرة الإرهاب الدولي بعد عام ٢٠٠٣ (العراق أنموذجًا)، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٧.

٣) هند جمعة علي، طبيعة العلاقة بين الاستقرار السياسي والاستقرار المجتمعي في العراق بعد عام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد ٢٠١٧.

٥) عمر عبد الجبار كامل، استراتيجية مكافحة الإرهاب ودورها في تعزيز الهيمنه الأمريكية، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، ٢٠٠٨.

- الدوريات

١) ظافر حميد حسون، الاتجاهات الجديدة للسياسة النقدية في العراق وطبيعة علاقتها بالسياسة المالية، مجلة كلية التراث الجامعة، كلية التراث، العدد ١٠، ٢٠١١.

٢) أحمد فاضل جاسم دواود، عدم الاستقرار لمجتمعي، مجلة السياسية والدولية، العدد٢٥، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٤.

٤) توفيق محمد علوان، الإسلام والنصرانية في أندونيسيا، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، لندن، العدد ١٥٤، السنة ١٥، ٢٠٠٠.

٦) حسن حنفي، ثقافة المقاومة، مجلة المستقبل العربي، مجلة شهرية تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد (٣٢٤)، شباط ٢٠٠٦.

٧) حميدة شاكر مسلم، الفقر متعدد الأبعاد والتنمية البشرية المستدامة في العراق، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، العدد ٧٦، المجلد ٢٠، جامعة بغداد، ٢٠١٤.

٨) حيدر كاظم مهدي، انخفاض أسعار النفط والإجراءات اللازمة لتقليل تأثيرها على الموازنة العامة في العراق، مجلة المثنى للعلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة المثنى، المجلد الخامس، العدد١، ٢٠١٥.

٩) دنيا جواد، الإرهاب في العراق دراسة الأسباب الحقيقة، مجلة العلوم السياسية، العدد ٤٣، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، العراق، ٢٠١١.

١٠) زهرة حبو وإلياس نجمة، التهرب الضريبي الدولي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد١، ٢٠١١، ص٤٢٤.

١١) عبد الله فهد النفيسي، الفكر الحركي للتيارات الإسلامية (محاولة تقويمية)، المستقبل العربي، العدد ١٨٦، آب ١٩٩٤.

١٣) فريد جواد كاظم الدليمي وباسم خميس عبيد، تحليل أثر السياسة المالية في العراق في الاستقرار والنمو الاقتصادي (للمدة ٢٠٠٣-٢٠١٠)، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة بغداد، المجلد٢٠، العدد٧٥، ٢٠١٤، ص٣١١.

١٤) فكرت نامق العاني، الإرهاب والسلوك الإرهابي، (المدخلات والعلاج)، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العدد ١٧، ٢٠٠٩.

١٥) مازن عيسى الشيخ راضي وفرحان محمد حسن، مستقبل السياسة المالية في العراق بين الريعية واللاريعية، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد٩، العدد٢٨، ٢٠١٣.

١٨) ماكس ج مانورج، ساحة الأمن العالمي الحتمية، تقرير مقدم إلى معهد الدراسات الاستراتيجية/ واشنطن، ٢٠٠٢، ص١٠.

١٩) محمد المدني بوساق، الإرهاب وأخطاره، العوامل المؤدية إليه وأساليب مكافحته، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ندوة الدوحة ٢٠٠٤/١٠/١١.

٢١) نبيل جعفر عبد الرضا، سامي هاشم فالح، الاقتصاد غير الرسمي في العراق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، العدد٤٠٤، ٢٠١٠.

٢٢) همسه قصي عبد اللطيف، اتجاهات السياسة المالية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد (جزء أول)، الإصدار (عدد خاص)، ٢٠١٢.

مصادر الإنترنت

١) منى كمال، الإطار النظري للتنسيق بين السياستين المالية والنقدية، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ٢٠١٦/٦/٤، على الرابط الآتي: https://mpra.ub.uni-muenchen.de/26670/1/MPRA_paper_26670.pdf

٢) مدحت القريشي، ملاحظات حول فرض الضرائب والرسوم الجمركية والمشكلات التي تواجهها، شبكة الاقتصاديين العراقيين، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ٢٠١٦/٩/٢٤، على الرابط: http://iraqieconomists.net

٣) الإرهاب، الأسباب التي تدفع الإنسان على الوقوع في التطرف، شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، موقع (الإسلام) على صفحات الويب؛ www.al.Islam.com

٤) علاء البشبيشي، معاناة المسلمين في تايلاند «إلى متى؟»، ٦ مايو ٢٠٠٨، موقع علماء الشريعة، http://www.olamaasharea.net/nawah

المصادر الإنكليزية

1) Philip.A.Klein, the management of market, oriented economic A comparative wadswor the publishing company, Belmont California, 1973.

2) David Miles, Andrew Scott, Macroeconomics (understanding the wealth of Nations), John Wiley & Sons,- England, 2005.

3) Joseph G. Nelli s, David Parker, Principles of Macroeconomics, Prentice Hall, England, 2004- Sarafa ogundiya, jimoh amzat,Nigeria andthethreats of terrorism: myth or reality, journal of sustainable- development in Africa volum10, no2, clarion university of Pennsylvania, clarion, Pennsylvania, 2008.

4) Mich Burda, Charles, Macroeconomic (European Text), two edition, Oxford university Inc, New York, 1997.

دراسة بعنوان

ومضات في التعايش السلمي والتسامح الديني في الحياة الاجتماعية - الأندلس أنموذجًا

Flashes in peaceful cohabitation and religious tolerance in social life in Andalusia are a model

د. محمد علي حسين - العراق

كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة ديالى

dr.mohammed ali 1977@gmail.com

د. مها عبدالرحمن حسين

كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة ديالى

Mahaabd2222@ gmail.com

الملخص

عند الخوض في غمار ظاهرة التعايش والتفاعل السلمي ومن قبلها التسامح الديني الذي تكون من ثماره اليانعة وتفاعل المجتمعات المختلفة في الأديان والأقوام والجماعات والفرق، لا بد أن يستهل النبراس المنير بنبينا محمد ﷺ الذي يقتدى به في بناء المجتمعات المدنية المتحضرة وماجاء به القرآن الكريم من التعاليم والشرائع التي يحق لنا أن نقول؛ دستورية لجميع المجتمعات المتحضرة وليس للمسلمين فقط، فالإسلام تميز برعايته للبشرية من حيث العموم وأصحاب الديانات السماوية كافة.

وقد جاء بحثنا المتواضع هذا في التطرق إلى الأندلس التي تعد أكبر دليلٍ على التعايش والتسامح وأرض الحريات على اختلاف فروعها وقبل التطرق إلى ذلك لا بد من المرور إلى الفتح الإسلامي لها والتكوين الاجتماعي قبل الفتح وبعده لذا تم التركيز على الجوانب الاجتماعية لهذا التعايش السلمي بين المسلمين وأهل الذمة من خلال طبيعة العلاقات السائدة في الصداقة وحسن التعامل والمصاهرات التي تمت بين الفاتحين والإسبانيين، ليكون في محصلته ولادة جيل المولدين بأمهاتهم الإسبان وتأثير ذلك على لغاتهم وعاداتهم وطرق معيشتهم.

Abstract

In the midst of the phenomenon of coexistence and peaceful interaction, and before it religious tolerance, which is the result of the richness and interaction of different communities in religions, communities, groups and groups, the light must begin with the light of Prophet Muhammad (PBUH), which is used to build civilized civil societies and the Quran And the laws that we are entitled to say; constitutional for all civilized societies and not only for Muslims, Islam is distinguished by its sponsorship of humanity in general and holders of all divine religions.

Our humble research has focused on addressing Andalusia, which is the largest evidence of coexistence, tolerance and the land of liberties in all its branches. Before that, we must go to Islamic conquest and social formation before and after the conquest, so the social aspects of this peaceful coexistence between Muslims and Through the nature of the relations prevailing in the friendship and good dealings and prostrations that took place between the conquerors and the Spanish, to be the outcome of the birth of the generation of the birthminds Spanish mothers and the impact on their languages and customs and ways of living.

المقدمة

إن الفتح العربي الإسلامي لإسبانيا (٩٢هـ) لم يكن مجرد احتلال عسكري بل كان حدثًا حضاريًا امتزجت فيه حضارات سابقة كالرومانية والقوطية مع حضارة جديدة لاحقة وهي الحضارة العربية الإسلامية، ونتج عن هذا المزيج حضارة أندلسية مزدهرة وصلت إلى الفكر الأوروبي وأثرت فيه.

والهدف من البحث هو إظهار الوجه الحضاري المشرف للمسلمين في الأندلس الذي لايعرفه إلا قليلون بسبب انشغال المؤرخين بالأحداث السياسية والحربية والمعارك والفتوحات عن صور التعايش السلمي التي نتج عنها علاقات المصاهرة وتبادل الثقافات والتبادل التجاري بين المسلمين ونصارى الأندلس وغير ذلك من المظاهر الحضارية.

وكذلك إبراز دور الحضارة الإسلامية في تهذيب سلوكيات الشعوب في الأندلس والكشف عن مقدراتها الفائقة على صهرهم داخل بوتقة المجتمع الإسلامي حتى صاروا في معظم نظمهم الاجتماعية أقرب إلى روح الإسلام بل تعدى الأمر إلى اعتناق معظم نصارى الأندلس الإسلام.

فضلاً عن بيان أهمية دور المسلمين في الأندلس من خلال التعرف على النظم المعيشية لهؤلاء ومناحي حياتهم وطبيعتهم ودورهم المتسامح مع مختلف عناصر السكان في الأندلس ودورهم المؤثر في الأحداث التاريخية.

الأصول التاريخية لظاهرة التعايش

إن المتبحر في الأصول التاريخية لظاهرة التعايش والتفاعل السلمي بين المجتمعات البشرية؛ يجد جذور هذه الأصول في التعاليم الإلهية عبر الديانات السماوية وخاتمتها الدين الإسلامي الحنيف، فالله عز وجل كرم الإنسان وفضله تفضيلاً كبيرًا على سائر مخلوقاته، ويميط اللثام ويسد باب النقاش في ذلك؛ آيات قرآنية كريمة عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١]، وهذا التفضيل الإلهي جاء لبني آدم عامة لم يستثنِ منه فئة أو جماعة أو دين أو طائفة أو قومية بحد ذاتها، إنما شمل البشرية جمعاء، وتأكيدًا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٢]، وليكتمل هذا التكريم غرس الله سبحانه وتعالى في آدم روح الانتماء بين البشرية عامة ويتجسد ذلك في التعايش والتفاعل فيما بينهم ولم يخلقه ليكون منعزلاً منفردًا منغلقًا على نفسه رافضًا لوجود الآخرين بل على العكس من ذلك؛ فقبل إطلاق التسميات على المجتمعات البشرية المختلفة هناك حقيقة يشع وميضها في مدلهمات الحياة، لا تخفيها حوادث الدهر المتعاقبة إلى يومنا هذا، ولايحجبها من يطبل بطبول الحرب والاقتتال وزرع الفتن بين بني البشر على اختلاف قومياتهم وانتماءاتهم الدينية إلى أصل واحد من ذرية آدم وحواء (عليهما السلام) ومن خلال التعايش والتفاعل فيما بينهم تكون المجتمع الإنساني بأسره، وتأكيد ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣].

هذا هو الخطاب الإلهي لم يختص مجموعة من الناس بعينهم، إنما خاطب جميع البشر، وأكد جل في علاه أن خلق الإنسان لم يكن من أجل التناحر فيما بينهم والاقتتال والبغضاء والتنافر والتنازع، إنما ليتعارفوا فيما بينهم والمراد بهذا التعارف تواصل الأنساب فيما بين المجتمعات البشرية من خلال التفاعل الاجتماعي السليم على اختلاف أنسابهم وانتماءاتهم القومية والدينية ويكتمل هذا التعارف بالسلام الذي هو اسم الله تعالى.

وتتواصل القوانين الإلهية لبني البشر في كيفية التعامل والتعايش السلمي والتقبل للآخر مع بعضهم

البعض، عبر الأنبياء والرسل وخاتمة الأنبياء نبينا محمد ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين جميعًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤]، وتوجيه الخطاب إلى أهل الكتاب والمشركين أيضًا بالحسنى وتقبل ردود أفعالهم في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٥]، وليس المجادلة برفع الأصوات والأيدي على بعض وحتى الأسلحة في زماننا هذا!

بل جاء الخطاب الإلهي صريحًا بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى لا غيرها بقوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٦]، وفي الدعوة إلى الدين الإسلامي بقولة تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٧]، ورسم بروتوكولاً خاصًا بالتعامل مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين إذ لم يدخلوا في الدين الإسلامي في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٨]، بل حث على حسن المعاملة والتعايش السلمي بدون نزاع إذا التزم كل طرف بعدم التعدي والتعرض للآخر واحترام عقائد كل منهما في قوله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩]، وفي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾[١٠] وغيرها كثير.

ولتتجسد هذه الآيات القرآنية في سيرة المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً وتزخر السيرة النبوية بصور مشرقة منيرة في التسامح والتفاعل الاجتماعي مع أهل الكتاب والتعايش معهم بسلام، فيكفي الرجوع إلى وثيقة المدينة المنورة التي تعد دستورًا دوليًا لمن ينبغي العيش في سلام في مجتمع تتعدد في القوميات والقبائل والانتماءات والعقائد مانصه: ((لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لايوتغ[١١]، إلا نفسه وأهل بيته))[١٢]، ومن يستقرئ بنود الصحيفة يجد أن النبي محمد ﷺ أعطى لليهود حقوقهم مالم يتجاوزوا على المسلمين وإن أخطأ أحد منهم فلا يقع الخطأ على جميع يهود المدينة وإنما على الشخص نفسه[١٣]، ليتمكن مجتمع المدينة المنورة في تكوينه المختلف أن يتعايش بسلام مابين المسلمين وأهل الكتاب والتفاعل فيما بينهم، فقد ورد عن النبي محمد ﷺ: ((أن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست نفسًا»))[١٤]، ومما دأب عليه النبي محمد ﷺ حرصه الشديد على حفظ النفس البشرية سواء كانت لمسلم أم لغير مسلم، وفي قوله ﷺ: ((من قتل قتيلاً من أهل الذمة[١٥]، لم يرح ريح الجنة وأن ريحها ليوجد من كذا وكذا))[١٦]، كما أنه ﷺ أكد على الحفاظ على حقوق أهل الذمة والالتزام بالتعامل معهم بالحسنى بقوله ﷺ: ((ألا من ظلم معاهد أو انتقصه وكلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة))[١٧]، وفي خيبر عام (٧هـ)، يتجلى هذا التعايش السلمي والتسامح الديني ليهود خيبر رغم أن النبي محمد ﷺ هو المنتصر ويحق له أن يملي عليهم الشروط من منطلق القوة، إلا أن نهج الرسول ﷺ وسياسته السمحة تظهر جليًا في إملاء شروط تحافظ على حقوق المسلمين وانتصارهم مع الحفاظ على الحقوق العامة لأهل خيبر وذلك بالسماح لهم بالبقاء في أراضيهم وزراعتها مقابل المناصفة في محصول زراعتهم[١٨]، كما تظهر صور التعايش السلمي والتقبل والتفاعل الاجتماعي في قبوله عليه الصلاة والسلام لهدية المرأة اليهودية – الشاة المسمومة بعد فتح خيبر، رغم ماكانت تبتغي هذه المرأة من هديتها[١٩].

وفي فتح مكة المكرمة عام (٨هـ) تتجسد أروع صور التسامح ونبذ البغضاء والحقد والاقتتال وتصفية الحسابات والنبي محمد ﷺ يدخل منتصرًا بقوله: ((الحمدلله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ماذا تقولون وماذا تظنون أني

فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا. أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))[٢٠]، ووضع النبي محمد ﷺ في خطابه لأهل قريش بندًا من أهم بنود وشروط التعامل الإنساني منذ فتح مكة إلى يومنا هذا بل إلى قيام الساعة بقوله ﷺ: ((يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..﴾))[٢١]، وغيرها كثر من الصور الإنسانية المنيرة لسيرة النبي محمد ﷺ في إعداد أمة متسالمة متسامحة متحابة، فقد ورد عنه قوله ﷺ: ((والذي نفس محمد بيده، لاتؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم))[٢٢]، أمة تحرص على احترام الإنسان بحد ذاته والحفاظ على حقوقه بعيدًا عن الدين والقومية واللون والجنس والفرق، فأي دستور وأيّة شريعة إنسانية أروع وأصدق من ذلك!!

وعلى هذا النهج أكمل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم مسيرة النبي محمد ﷺ في مواصلة نشر الرسالة المحمدية؛ رسالة الإسلام والسلام مابين بني البشر كافة، فالإسلام لم يكن حكرًا على مجتمع المدينة ومكة المكرمة بل هو دين للبشرية جمعاء، لذا حرص الخلفاء الراشدين على نشر الدين الإسلامي في أرجاء المعمورة من خلال سلسلة الفتوحات الإسلامية العسكرية التي وصلت إلى أقصى الصين، ومن بعدهم خلفاء الدولة الأموية الذين وصلوا في فتوحاتهم العسكرية إلى بلاد الأندلس.

التسامح الديني والتعايش السلمي في الحياة الاجتماعية

كان فتح العرب للأندلس (٩٣هـ) سببًا مهمًا في حدوث عملية اختلاط وامتزاج كبير بينهم وبين سكانها من الإسبان وغيرهم، اختلاط الأنساب والدماء واقتباس في النظم والعادات والتقاليد وامتزاج في اللغة، حيث دخل كثير من هؤلاء السكان في الإسلام وتعلموا اللغة العربية، كما تعلمها كثير ممن لم يدخل في الإسلام لأنها غدت لغة العلم والثقافة والعمل[٢٣].

وكذلك تواجد في الأندلس إلى جانب النصارى جماعات يهودية قديمة إلى جانب الرومان والقوط ثم جاء الفاتحون من العرب والمغاربة فأضافوا عناصر جديدة إلى العناصر القديمة، ولم يلبث هؤلاء الفاتحون الجدد أن اختلطوا بأهالي البلاد الأصليين وكانت ثمرة هذا الاختلاط ظهور عنصر جديد عُرف باسم المولدين[٢٤].

هذا إلى جانب المستعربين وهم العناصر المسيحية التي استعربت في لغاتها وعاداتها ولكنها بقيت على دينها محتفظة ببعض تراثها اللغوي والحضاري، وقد كفلت لهم الدولة الإسلامية حرية العقيدة فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم وطقوسهم الدينية التي كانت تقام باللغة اللاتينية.[٢٥]

وهنالك عنصرًا آخر لعب دورًا بارزًا في الحياة الأندلسية وهو عنصر الرقيق من الصقالبة الذين جلبوا من أوروبا منذ صغرهم، ثم ربوا تربية عسكرية إسلامية وانخرطوا في وظائف القصر والجيش حتى صاروا قوة لها أثرها في الدولة الأموية في الأندلس وبعض ممالك المغرب أيضًا، شأنهم في ذلك شأن المماليك الأتراك في المشرق الإسلامي[٢٦].

يتضح مما تقدم أن الأندلس كانت متعددة الأجناس والكيانات والأديان فكان من الطبيعي أن يأخذ كل منهم عن الآخر ويعطيه، مما كان له أثره في مزج هذه العقلية المختلفة والعناصر المتباينة في بوتقة الأندلس وتكوين المجتمع الأندلسي، وإن الذي ساعد على ذلك التعاليم السمحة والقيم النبيلة التي جاء بها الإسلام وأدت إلى دخول الكثيرين فيه، ثم الاختلاط بين العرب وبين أهل هذه البلاد في المسكن والجوار، والتعامل فيما بينهم في كثير من نواحي الحياة.

وقد ترتب على هذا التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس علاقات اجتماعية هامة مع المسلمين كالصداقة والمصاهرة والزواج المختلط وسنعرض أهم هذه العلاقات هي:

أولاً: الصداقة

عاش أهل الذمة مع المسلمين في أجواء تسودها الحرية والتسامح والمساواة الاجتماعية، إذ سمح لهم بالإقامة والتنقل والترحال في أي وقت دون قيد أو شرط، وارتبط بعضهم بعلاقة صداقة مع جيرانه، فلقد ذكر ابن الخطيب عن تميز الصداقة التي قامت بين أرطباس بن غيطشة وبين أمراء وحكام المسلمين[٢٧]، فهو الذي أشار على الأمير أبو الخطار حسام بن ضرار بتفريق الجند الشامي خوفًا من صدامهم مع الجند البلديين، وهو كذلك الذي بصر الأمير عبد الرحمن الداخل بأمور كان الناس ينكرونها عليه[٢٨]، وبينها له بدافع الصداقة، يبدو أن أرطباس هذا كان ذو شخصية دمثة ومحبوبة فلقد حرص العديد من وجوه العرب وعلية القوم على حضور مجلسه والتقرب إليه.

وكانت هناك علاقات حسنة بين المسلمين واليهود إذ وقعت في قرطبة سنة ٢٠٢هـ في عهد الأمير الحكم[٢٩] ابن هشام ينقلها المراكشي فيقول: ((زمن أعجب ماحكى أبو مروان بن حيان المؤرخ مما يتصل بخبر هذه الواقعة قال: كان أشد الناس على الحكم هذا تحريضًا رجل من الفقهاء اسمه طالوت[٣٠]، كان جليل القدر في الفقهاء، رحل إلى المدينة، وسمع من مالك بن أنس، وتفقه على أصحابه، وكان قويًا في دينه، فلما أوقع الحكم بأهل الربض، وأمر بتغريب، من بقي منهم، كان ممن أمر بتغريبه طالوت الفقيه، فعسر عليه الانتقال، ومفارقة الوطن، ورأى الاختفاء إلى أن تتغير الأحوال، فاستخفى في دار رجل يهودي سنة كاملة، واليهودي في كل ذلك يكرمه من أبلغ الكرامة، ويعظمه أشد التعظيم، فلما مضت السنة، طال على الفقيه الاختفاء، فاستدعى اليهودي، وشكره على إحسانه إليه))[٣١]، رغم ذلك قرر طالوت الرحيل إلى دار كاتب صديق له، فأوجس اليهودي خشية أن يقع ضحية أحد يبلغ عنه ولكن ابن طالوت أصر على الخروج ورحب فيه الكاتب وسأله عن مدة اختفائه لمدة سنة وأين قضاها فشرح له قصته مع اليهودي ((ثم قال له اشفع لي عند هذا الرجل، حتى يؤمنّي في نفسي، ويمن علي بتركي في بلدي فوعده بذلك، وركب من فوره، ودخل على الحاكم))[٣٢]، ويكمل ابن القوطية أحداث هذه الرواية ويبين كيف عفا الحاكم عن طالوت، وعفا عن اليهودي الذي آواه في بيته[٣٣].

ويمكن الاستلال من خلال هذه الرواية مدى العلاقات الحسنة بين المسلمين واليهود في الأندلس، إذ خاطر اليهودي بحياته وماله وأخفى طالوت لمدة سنة كاملة إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على العلاقة الحسنة بين الطرفين وعندما أراد الخروج من بيته خاف عليه اليهودي وترجاه أن يبقى حفاظًا عليه.

ثانيًا: المصاهرة (زواج المسلمين بالإسبانيات)

حينما دخل المسلمون إسبانيا، أخذ أهل البلاد الأصليين يدخلون في الإسلام، وقد أطلق على من أسلم منهم لفظة المسالمة (جمع مسالم)، أما الذين بقوا على دينهم من أهل الذمة فكانوا يعرفون بالعجم، ثم حدثت بعد ذلك حركة اختلاط بشرية واسعة النطاق لأن الجيوش الإسلامية سواء كانت من العرب أو البربر، قد دخلوا إسبانيا كجنود محاربين ولم يصطحبوا معهم عوائلهم[٣٤] لهذا تعد المصاهرة والزواج المختلط بين المسلمين والذميين من أهم المظاهر الاجتماعية التي ميزت العلاقة بين الطرفين.

وكان أول من تزوج بإسبانية هو عبد العزيز بن موسى بن نصير، إذ تزوج أرملة رذريق المعروفة بالاسم المسيحي إيخلونا وبالاسم العربي أم عاصم وأقام معها في إشبيلية[٣٥] وحذا حذوه كثير من رجال العرب.

وهناك قصة سارة بنت المند القوطية حفيدة الملك القوطي غيطشة التي سافرت إلى دمشق وقابلت الخليفة هشام بن عبدالملك في شكاية لها ضد عمها ارطباس بن غيطشة على ميراث أبيها، وهناك زوجها الخليفة هشام مولاه عيسى بن مزاحم الذي عاد بها إلى الأندلس، وأنجب منها إبراهيم وإسحق اللذين أدركا شرف الرياسة والجاه في إشبيلية، ومن سلالة هذه الأميرة القوطية جاء المؤرخ أبو بكر محمد القرطبي، المعروف بابن القوطية (ت٣٦٧)

صاحب كتاب تاريخ افتتاح الأندلس الذي يروي لنا فيه هذه القصة[٣٦]. وقد استمرت هذه المصاهرات بين حكام المسلمين وعامتهم والإسبان، في قصص وروايات لاتنتهي حتى نهاية الحكم الإسلامي في إسبانيا.

وفي بعض الأحيان كانت تحدث زيجات عكسية أي زواج المسيحيين بالمسلمات بحكم الجوار والمعايشة زواج الأميرة زايدة المسلمة زوجة المأمون بن المعتمد بن عباد التي فرت إلى قشتالة بعد مقتل زوجها على يد المرابطين عند دخولهم قرطبة، فبنى عليها ملك قشتالة ألفونسو السادس وأنجب منها ابنه الوحيد سانجو الذي قتل في معركة إقليش أمام المرابطين سنة ٥٠١هـ[٣٧].

لم يكن الزواج المختلط قاصرًا على طبقة الملوك والقادة، وإنما عامة الناس، لنوضح مدى انتشار هذه الظاهرة الاجتماعية بين عامة الأندلسيين فذكر المراكشي ((وملا المنصور بن أبي عامر الأندلسي غنائم وسبيًا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وفي أيامه تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون بناتهم من الثياب والحلي والدور وذلك لرخص أثمان بنات الروم، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به، ولولا ذلك لم يتزوج أحد... وبلغني أنه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة، وكانت ذات جمال رائع فلم تساوِ أكثر من عشرين دينارًا عامرية...))[٣٨].

ونتج عن هذا الزواج المشترك جيل جديد من الأبناء عرفوا باسم المولدين (جمع مولد) وهؤلاء نشؤوا مسلمين على دين آبائهم وقد تزايد عدد المولدين في عهد الدولة الأموية في الأندلس حتى صاروا يكونون معظم سكان الأندلس وأهل البيوتات منهم[٣٩]. وكان هؤلاء يدينون بالإسلام ويتحدثون العربية ويتخذون غالبًا نمط الحياة التي يتخذونها المسلمون الوافدون على الأندلس وعلى الرغم من تعصبهم ضد العرب لبني جنسهم ولكن تكون في فترات طارئة ثم تعود الحياة كما كانت من التآلف والتعاون على اعتبار أنهم شعب إسباني واحد.

الازدواج اللغوي والتأثير الثقافي المتبادل

أدى الاختلاط الكبير بين العرب والإسبان نتيجة تأثر جيل المولدين بأمهاتهم الإسبانيات في لغتهم وعاداتهم وطرق معيشتهم، وإذا كانت اللغة العربية قد انتشرت بين الإسبان المسلمين وغير المسلمين فإن اللغة الإسبانية العامة بصفة خاصة قد أخذت تنتشر بن المسلمين أيضًا وهي التي يسميها العلماء الرومانثية وهي لهجة عامية مشتقة من اللاتينية ومنها تكونت اللغة الإسبانية ويسميها العرب الأعجمية أو الأعجمية اللاتينية، وانتشرت على نطاق واسع لدرجة أن ابن حزم قد تعجب من أن قومًا من قبيلة بلي بن عمرو بن قضاعة لا يحسنون الكلام باللاتينية لكن بالعربية، نساؤهم ورجالهم[٤٠].

يبدو أن الكلام باللاتينية كان شائعًا في جميع أنحاء الأندلس وبين كل القبائل ذات الأصل العربي وحتى قبيلة بل التي قال عنها ابن حزم أن أفرادها ((لايحسنون))[٤١] أي أنهم يعرفون اللغة ولكنهم لايجيدونها إجادة غيرها.

وهناك إشارات هامة في المصادر الأندلسية حول انتشار اللغة الإسبانية بين الأندلسيين إلى درجة أن بعض القضاة يتقنونها ويناقشون المتهمين بها أثناء المحاكمة[٤٢].

ومثلما انتشرت اللغة الرومانسية (اللغة الإسبانية) بين المسلمن في الأندلس وكذلك انتشرت اللغة العربية لغة القرآن، لغة الثقافة والعلوم والإدارة بين مكونات المجتمع الأندلسي ومنهم أهل الكتاب من النصارى واليهود الذين كانوا يعرفون اللغة العربية ويتدارسونها، ولكن شكى بعض الرهبان من إقبال أبناء ملّتهم على تعلم اللغة العربية وولعهم بآدابها، وأن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون إلا لغة العرب وآدابها ويؤمنون ويُقبلون عليها وينفقون أموالاً في جمع كتبها[٤٣].

ومن مظاهر تأثر المسلمين بالنصارى، استراحتهم يوم الأحد، حيث ذكر ابن حيان ((وكان أول من سن لكتاب السلطان وأهل الخدمة تعطيل

الخدمة يوم الأحد من الأسبوع، والتخلف عن حضور الصقر قومسبن انتنيان كاتب الرسائل للأمير محمد(٢٣٨هـ-٢٧٣هـ)، وكان نصرانيًا دعا إلى ذلك لنسكه فيه، فتبعه جميع الكتاب طلبًا للاستراحة من تعبهم، والنظر في أمورهم))[٤٤].

ومن أهم المظاهر الحضارية التي تأثر بها الذميون اللباس، ولاشك أن النصارى استفادوا من أجواء التسامح في الأندلس فانخرطوا في الحياة العامة للأندلس، فلقد تشبه النصارى بالمسلمين في لباسهم فقد ذكر ابن الأخوة ((كما ركبوا- أهل الذمة- ركوب المسلمين، لبسوا ملبوسهم))[٤٥].

إذن لايوجد فرق بين لباس المسلمين وأهل الذمة وعدم إلزامهم في الأندلس بزي خاص منذ فتحها وحتى عصر الموحدين، ولكن بعد هذا العصر ((وفي آخر أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي أمر أن يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم))[٤٦]. ويبدو أن الفقهاء رغبوا في إلزام اليهود بهذا الأمر الذي يعد في حكم المستحب وليس الواجب[٤٧].

وقد ظلت الحياة الاجتماعية في إسبانيا متأثرة جوهريًا بالحياة الاجتماعية الإسلامية، واستمرت الريفيات محجبات طوال عدة قرون وخاصة الأندلسيات منهن، وأخذت النصرانيات عن المسلمات لبس الحجاب فصارت النساء يغطين وجوههن ولايبدين زينتهن، وقد ظل الحجاب شائعًا في إسبانيا إلى القرن السابع عشر[٤٨].

وبرع العديد من الذميين في مجال الترجمة وشاركوا في نقل العلوم إلى أوروبا وذلك عن طريق الترجمة والرحلات والتجارة التي كان يقوم بها كل من اليهود والنصارى واستطاعت أوروبا عن طريقهم التعرف على أشهر فلاسفة العرب في المشرق والمغرب مثل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم[٤٩].

تبين مما سبق أن العرب المسلمين عاملوا أهل الذمة بالأندلس معاملة حسنة وسمحوا بممارسة شعائرهم الدينية في حرية تامة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الخاتمة

إن أهم النتائج التي تم التوصل إليها هي أن الحياة الاجتماعية في الأندلس تدل على مدى تسامح مسلمي الأندلس تجاه سكان إسبانيا غير المسلمين والحقيقة أن أي شعب مغلوب في أي قطر من الأرض لم يحظ بمثل ماحظي به الشعب الإسباني إبان الحكم العربي من تطبيق لمعاهدات المهادنة وقوانين الإسلام التي أعطت للذميين حقوقهم كاملة في العيش الكريم ونتيجة لذلك اقتحم الإسبان الحياة العربية وساهموا في بناء الحضارة الجديدة في الأندلس.

ترتب على هذا التسامح الديني والتعايش السلمي في الأندلس علاقات اجتماعية هامة مع المسلمين كالصداقة والمصاهرة والزواج المختلط، فضلاً عن انتشار اللغة العربية بل فضلها بعضهم على لغته الأصلية إذ قام هؤلاء المستعربة الذين كان يتقنون لغة العرب بدور الوسيط في نقل الكثير من بذور الحضارة العربية الإسلامية إلى الممالك الشمالية، كما كان بعضهم ينظم الشعر باللغة العربية.

وانتشار اللغة الإسبانية بين مسلمي الأندلس؛ إذ كان من الطبيعي نتيجة هذا الاختلاط الكبير بين العرب والإسبان عن طريق الحرب والسلام والزواج المشترك أن يتأثر هؤلاء الأبناء المولدون بأمهاتهم الإسبانيات في لغتهم وعاداتهم وطرق معيشتهم ولعل أوضح مثال لهذا اللقاء الحضاري ظاهرة انتشار ازدواجية اللغة بين الأندلسيين أي اللغتين العربية والرومانسية وهي لهجة عامية مشتقة من اللاتينية ومنها تكونت اللغة الإسبانية ويسميها العرب الأعجمية أو العجمية أو اللاتينية.

الهوامش

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٤

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٠٧.

(٥) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٦) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٧) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٨) سورة الكافرون، الآية ٦.

(٩) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(١٠) سورة المائدة، الآية ٥.

(١١) يوتغ: الوتغ بالتحريك الهلاك، ووتغ وتغ وتغا أي: فسد وهلك وأثم وفي الحديث هنا معنا لايهلك إلا نفسه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٤٥٨.

(١٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٥٠٣.

(١٣) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص٢٠٧.

(١٤) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (١٣٣١٢)، ج٢، ص٨٥؛ الصالحي، سبل الهدى، ج٨، ص٣٦١ذ.

(١٥) أهل الذمة: المقصود بهم أهل العهد والامان والضمان والحرمة والحماية من النصارى واليهود وأصحاب الديانات الاخرى – ويطلق عليهم الذمين لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم على الجزية التي تؤخذ منهم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٢٢.

(١٦) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث (٢٥٨٠)، ج٢، ص١٣٧.

(١٧) البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث (١٨٧٣١)، ج٩، ص٣٤٤.

(١٨) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧١٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٣٣٧؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص١٧٨.

(١٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٣٣٧؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣، ص٣٩٤.

(٢٠) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٨٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٤١٢.

(٢١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٤١٢؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج١، ص٥١٠.

(٢٢) ابن حنبل، مسند احمد، رقم الحديث (١٤١٢)، ج٣، ص٢٩.

(٢٣) أحمد أمين، فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٦، ص٨٨.

(٢٤) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ذات السلاسل، (الكويت-١٩٨٦)، ص٢٥١-٣٠٦.

(٢٥) عبدالواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، بغداد، ١٩٨٢، ص٢٠٣-٢٨١.

(٢٦) خاشع المعاضيدي، تاريخ العرب في الأندلس، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٤٣.

(٢٧) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٩.

(٢٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٢-٦٣.

(٢٩) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٣.

(٣٠) طالوت بن عبد الجباري المعافري، وهو من أهل قرطبة، واشتهر بالصلاح والفضل، من أعلام فقهاء قرطبة، في ثورة أهل قرطبة على أميرهم الحكم بن هشام. أبو الفضل عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ط١، تصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص٢٩٣-٢٩٤.

(٣١) عبد الواحد المراكشي، العجب، ص٢١-٢٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٢٢.

(٣٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٥-٧٦.

(٣٤) هناك حالات فردية شذت عن هذه القاعدة مثل القائد طارق بن زياد الذي صحب معه زوجته أم حكيم وتركها في الجزيرة الخضراء التي سميت بعد ذلك بجزيرة أم حكيم، كذلك يفهم من كلام ابن قتيبة أن موسى بن نصير صحب معه نساءه، ينظر: الإمامة والسياسة، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٦) ص٢٤٢-٢٤٣.

(٣٥) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٣٢.

(٣٦) محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج١، ص٦١.

(٣٧) أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٢٨.

(٣٨) المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٣٩) عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٩.

(٤٠) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٧١، ص٤٤٣.

(٤١) المصدر نفسه، ص٤٤٣.

(٤٢)محمد بن حارث الخشني، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦، ص٨٠.

(٤٣) محمد بن شريفة، التاثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية، مجلة اللغة العربية، القاهرة، العدد ٩٥، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٨٣-١٨٦.

(٤٤) ابن حيان، المقتبس، ص١٣٨.

(٤٥) ابن الاخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩ه)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٦، ص٩٧.

(٤٦) المراكشي، المعجب، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٤٧) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٨٥.

(٤٨) لطفي عبد البديع، الإسلام في إسبانيا، ص١٧٠-١٧١.

(٤٩) فتحي المرغني، أهل الذمة في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، ترهونه (ليبيا)، ٢٠٠٤، ص١٣٥-١٤٥.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أحمد أمين.
- فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٦.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت: ١٥١هـ).
- سيرة ابن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ط١، ١٩٧٨م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٤٥٨هـ).
- السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي.
- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ).
- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢م.

ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت٤٥٦هـ).
-جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٧١.

ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين(ت٤٦٩هـ).
- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤.

الخشني، محمد بن حارث الخشني (ت٣٦٠هـ).
- قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد السليماني(ت٧٧٦هـ).
- الإحاطة في أخبار غرناطه، تحقيق محمد عبدالله عنان، دار المعارف، مصر، د.ت.

ابن الاخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩ه).
- معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٦.

ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن عبدالملك بن سعيد (ت٦٨٥هـ).
- المغرب في حلى المغرب، ط٢، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤.

سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون.
- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦.

ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى (ت: ٧٣٤هـ).
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسي، مكتبة القدس، القاهرة، ١٩٣٧.

العبادي، أحمد مختار.
-تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.

عبد العزيز سالم.
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٩٧.

عبدالواحد ذنون طه.
- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، بغداد، ١٩٨٢.

أبو الفضل عياض، ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض(ت٥٤٤هـ).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ط١، تصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

فتحي المرغني.
- أهل الذمة في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، ترهونه (ليبيا)، ٢٠٠٤.

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ).
-الإمامة والسياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦.

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز(ت٣٦٧هـ).
- تاريخ افتتاح الأندلس، ط١، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، د.ت.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ).
-الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت-د.ت.

المراكشي، محي الدين عبدالواحد بن علي التميمي(ت٦٤٧هـ).
-المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ط٣، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة -١٩٦٣.

محمد بن شريفة.
- التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية، مجلة اللغة العربية، القاهرة، العدد٩٥، ٢٠٠٢.

محمد عبدالله عنان.
- دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٨٥.

لطفي عبد البديع.
- الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري (ت: ٢١٣هـ)
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، ط٧، بيروت، ٢٠٠٩م.

الواقدي، محمد بن عمر (ت: ٢٠٧هـ).
- كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، منشورات الأعلمي، ط٣، بيروت، ١٩٨٩م.

الحـــرب المقنعـــة

أ.نادين الكحيل- لبنان
باحثة وكاتبة، طالبة ماجستير في العلاقات الدولية والدبلوماسية ودكتوراه في العلوم السياسية في جامعة بيروت العربية
nadinekahil@hotmail.com

أ.سناء العجمي - لبنان
ناشطة اجتماعية في منظمات وجمعيات المجتمع المدني
sana.elajami@gmail.com

مقدمة

يشهد العالم بأسره، منذ ١١ أيلول ٢٠٠١، الكثير من الحروب والنزاعات، فمفهوم الإرهاب بدأ ينتشر بشكل مخيف ويأخذ منحى آخر، وبحجة مكافحته وانطلاقًا من مقولة مكيافللي: «الغاية تبرر الوسيلة»، سعت الدول الكبرى إلى استغلال مفهوم الحرب، وربطه بالإسلام، فأصبح كل مسلم إرهابي، وبدأت التسويق له عبر حملات إعلامية وإعلانية... حتى تم تكريسه في وجدان المواطن الغربي، وفي فكر الكثيرين غيره، وهذا الارتباط يزداد رسوخًا إثر كل عملية إرهابية - إجرامية، بالإضافة إلى أنها قامت بدعم الأقليات وتغذيتها وتزويدها بالسلاح والذخائر.

وتبرز التعبئة الدينية والسياسية بالإضافة للعوامل الاقتصادية والاجتماعية السيئة، المحرك الرئيسي التي تدفع الأفراد للانتماء إلى الجماعات المتطرفة، فيحاربون بشراسة وذلك ليس دفاعًا عن قضية أو عقيدة بل من أجل الحصول على المال.

فنرى بأن الدول الكبرى تستغل الضعف النفسي والظروف والبيئية الحاضنة للإرهاب من (قهر، وفقر، واضطهاد، واستبداد، وقمع، وإقصاء...)، وتعمل على تغذيتها وتعزيز ثقافة العنف، ودعم أنظمة الفساد وتمتين العلاقة مع أعداء الشعوب، وشيطنة القادة الوطنيين ومحاصرتهم، وتدبير الانقلابات على الحكومات الوطنية، واغتيال الزعماء وتدبير الفتن بين الشعوب العربية وبين مكونات الشعب الواحد، واحتلال الدول واضطهاد شعوبها، وبالتالي تعلن بأنها بلاد الحريات وحقوق الإنسان، إنها الحرب المقنعة أو بمعنى آخر الحرب المزدوجة.

وبناء لأهدافها الاستعمارية التوسعية، فقد استغلت مفهوم القضاء على الإرهاب لشن الحروب وخرق سيادة الدول، للسيطرة على مقدرات البلاد وثرواتها، بالاضافة إلى عمليات التهجير القسري الذي سيؤدي إلى تغيير ديموغرافي وبالتالي للقضاء على الهوية والحضارة.

أضف إلى ذلك الحروب التي تشن بأهداف استعمارية وتوسعية وتستتر خلف عناوين «محاربة الإرهاب ومكافحة التطرف»، للسيطرة على موارد الدول، فتعمل على تدمير البنى التحتية وتفكيك النسيج الوطني، وتشتيت الشعوب كلاجئين في بلدان أخرى، دون البحث في تداعياتها إن لجهة إفراغ الوطن من مواطنيه ومحاولة محو ذاكرته وتاريخه وحضارته، إن الخطة المعلنة ستصنع كارثة عالمية تتجه لتقويض الأمن المدني، وضرب جميع صور الاستقلال السياسي والثقافي في العالم، بالإضافة إلى مشكلة اللجوء التي باتت تشكل قنبلة موقوتة في بعض الدول مما سيشهد تغيرات ديموغرافية ستغير تاريخ وحضارة وثقافة البلدان من خلال الأيديولوجية اللاجئة.

فأضحت خطورة ظاهرة الإرهاب واقعًا مفروضًا وليست حالة وقتية طارئة، جراء الإخفاقات والفَشَلِ في التعامل معهُ، فضلاً عن الاندفاع وراء العواطف والشعارات والانقياد خلف التهويل الدعائي البراغماتي المصلحي، الأمر الذي يدعونا للإجابة على سؤال مفادهُ:

هل الحرب على الإرهاب هي غاية أم وسيلة؟ وما هو أثره على المجتمعات، والخارطة الديموغرافية؟

وما هي الطريقة المثلى في التعامل مع الإرهاب كفكر ومنهج وسلوك وواقع مفروض؟

البعد السياسي والاقتصادي والأمني

المبحث الأول: الاستغلال غير المشروع للحرب بدعوى القضاء على الإرهاب

كانت الحرب مشروعة طبقًا للعرف الدولي، قبل القرن التاسع عشر، إذ كانت حق ثابت للدولة متفرع من سيادتها وأحد مظاهر تلك السيادة.

ومع بداية القرن التاسع عشر، بدأت الدول تعارض فكرة مشروعية الحرب بسبب الأهوال والدمار الذي خلفته الحروب، وقد عبرت عن ذلك في مؤتمر فيينا ١٨١٥/٣/١٣ ضد نابليون لإثارته الحرب، وميزت بين الحرب العادلة أو المشروعة، وحرب الاعتداء.[١]

وقد تطور مبدأ عدم الاعتداء بعد هذا في لوائح المحاكم الدولية في نورمبرج وطوكيو، التي تستند إلي القانون الدولي لا يحرم الحرب العدوانية فحسب وإنما يحرم أيضًا الاستعدادات التي تجري من أجل شنها.

وفي بداية القرن العشرين، وبعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١، حدث تطور فيما يسمى بـ «عقيدة بوش» القائمة على مكافحة الإرهاب، وفق رؤية تقول «أننا يجب علينا أن نذهب إلى المعركة بأنفسنا ولا نجلس ننتظرها لكي تأتي إلينا».

فلقد استثمرت الإدارة الأميركية خوف الأميركيين وغضبهم من العملية، تقريبًا كما حدث مع الهجوم الياباني على قاعدة «بيرل هاربر» الأميركية ١٩٤١، وروجت لاستراتيجيتها الجديدة «الحرب على الإرهاب»، من خلال نشر معلومات كثيرة عن عمليات أميركية بالعالم كله لمحاربة «التطرف والإرهاب» الذي ألبسته وسائل الإعلام الأميركية وكذلك إدارة المحافظين الجدد عباءة «إسلامية»، باتت الحركات «المتطرفة» تجد لها في بوار التوتر أرضية خصبة للنمو لتصل إلى مصاف الخطر العالمي.

كما ترجمت ما يسمى «الضربات الاستباقية/ الوقائية» عن طريق التوظيف السياسي لها، وشرعنتها بدافع الدفاع عن النفس المشروع، ونتيجة لهذه الديناميكية في الفكر الاستراتيجي الأميركي أصبح لدينا مفاهيم جديدة (محور الشر ومنابع الإرهاب، والعدو المحتمل...) التي تعب في مصلحة التدخلات العسكرية على أساس الضربات الوقائية (الاستباقية)، من خلال ضمانها لثلاثية الأبعاد (الأمنية، الاقتصادية، السياسية).

المطلب الأول: الحرب والإرهاب

إن الإرهاب أصبح مرتبط بظروف محلية في ظل صراع النفوذ الذي أخذ طابعًا طائفيًا ، حيث بات يوجد على أرض الواقع حروب تحرير وحروب أهلية وصراع ضد أنظمة متسلطة وظالمة وصراع بين قبائل وفئات وصراع ضد جنرالات وضد ثورة مضادة وصراع طائفي وصراع عرقي، وعنف وغضب وحقد وألم وقتل لمدنيين أبرياء وإرهاب. فهل هذا كله ضمن مسمى الإرهاب؟[٢]

أولاً: مفهوم الحرب ومفهوم الإرهاب

الحرب هي الوسيلة الأخيرة من وسائل الإكراه التي يلجأ إليها أطراف النزاع في حال فشل الوسائل السلمية لحلها. فعلى الرغم من كثرة الاتجاهات والدعوات نحو تفادي الحروب أو التقليل منها في أضيق نطاق، إلا أنه تبقى الحرب أمرًا لا يمكن تجنبه في كثير من الأحيان، وأن السلام الدائم يبقى أملاً

(١) علي عبد القادر قهوجي، القانون الدولي الجنائي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص ١٥.

(٢) الموقع الإلكتروني: www.alhayat.com

لا يمكن تحققه. الدفاع الشرعي واجب الإنسان في حماية نفسه أو نفس غيره، وحقه في حماية ماله أو مال غيره من كل اعتداء حال غير مشروع وبالقوة اللازمة لدفع هذا الاعتداء.[٣]

مفهوم الحرب

الحرب هي نزاع مسلح تبادلي بين دولتين أو أكثر من الكيانات غير المنسجمة، حيث الهدف منها هو إعادة تنظيم الجغرافية السياسية للحصول على نتائج مرجوة ومصممة بشكل ذاتي. قال المنظر العسكري البروسي كارل فون كلاوزفيتز في كتابه عن الحرب أنها «عمليات مستمرة من العلاقات السياسية، ولكنها تقوم على وسائل مختلفة.»

فالحرب الأهلية هي حرب بين الفصائل لمواطني بلد واحد (كما هو الحال في الحرب الأهلية الأمريكية) أو بشكل آخر هي نزاع بين دولتين تم إنشاؤهما من أصل واحد ومتحد سابقًا.

الحرب بالوكالة هي حرب تنتج عندما تستعين قوتين بأطراف ثالثة كبدائل لقتال بعضهم البعض بشكل مباشر.[٤]

وللحرب كيانها الثقافي وممارستها ليست مرتبطة بنوع وحيد من التنظيم السياسي أو المجتمعي. فإن الحرب هي ظاهرة عالمية، وشكلها ونطاقها يحددها المجتمع الذي يقوم بها.

وبما أن الجوانب الاستراتيجية والتكتيكية للحرب تتبدل دائمًا، فإن النظريات والمذاهب المتعلقة بالحرب غالبًا ما تصاغ قبل، أثناء، وبعد كل حرب كبرى. قال كارل فون كلاوزفيتس : «إن لكل عصر نوعه الخاص من الحروب، والظروف الخاصة، والتحيزات المميزة.»[٥]

مفهوم الإرهاب

الإرهاب والاستخدام المنهجي للإرهاب، هو عباره عن وسيلة من وسائل الإكراه في المجتمع الدولي. والإرهاب لا يوجد لديه أهداف متفق عليها عالميًا ولا ملزمة قانونًا، وتعريف القانون الجنائي له بالإضافة إلى تعريفات مشتركة للإرهاب تشير إلى تلك الأفعال العنيفة التي تهدف إلى خلق أجواء من الخوف، ويكون موجهًا ضد أتباع دينية وأخرى سياسية معينة، أو هدف أيديولوجي، وفيه استهداف متعمد أو تجاهل سلامة غير المدنيين. بعض التعاريف تشمل الآن أعمال العنف غير المشروعة والحرب. يتم عادة استخدام تكتيكات مماثلة من قبل المنظمات الإجرامية لفرض قوانينها.

وفيما يلي بعض التعاريف لكلمة Terrorism أو الإرهاب:

- **حسب قاموس أوكسفورد السياسي Oxford Concise Dictionary of Politic الإرهاب** هو مصطلح لا يوجد اتفاق على معناه الدقيق حيث يختلف الأكاديميون والسياسيون على تعريفه ولكنه بصورة عامة يستخدم لوصف أساليب تهدد الحياة تستعملها مجاميع سياسية نصبت نفسها في حكم أو قيادة مجاميع غير مركزية في دولة معينة.

- لا يوجد في **الأمم المتحدة** تعريف للإرهاب.

- **تعريف A.P. Schmid الذي يستعمله علماء الاجتماع** وفيه يعتبر الإرهاب أساليب متكررة تولد الخوف والقلق يقوم بها أفراد بإشراف مجموعات داخل دولة أو بإشراف الدولة نفسها وتكون أهداف العملية سياسية عادة وتختلف عن الاغتيالات بكونها ليست موجهة إلى شخص معين ويتم اختيار الأهداف لغرض إرسال إشارات إلى أكبر عدد من الناس والحكومات التي تمثلهم.

- **تعريف الاتحاد الأوروبي للإرهاب** هو عبارة عن عمل عدواني متعمد يقوم بها أفراد أو مجاميع

(٣) الموقع الإلكتروني: www.iraqicp.com
(٤) الموقع الإلكتروني: www.wikipedia.org
(٥) المرجع نفسه.

وتكون موجهة ضد دولة أو أكثر من دولة لغرض ممارسة الضغط على الحكومات بأن تغير سياساتها الدولية والداخلية والاقتصادية.

- **تعريف عصبة الأمم لسنة ١٩٣٧:** الإرهاب هو عمل إجرامي موجه ضد حكومة معينة لغرض خلق حالة من الرعب في نفوس اشخاص أو مجموعة من الأشخاص الساكنين في تلك الدولة.

- **تعريف الولايات المتحدة:** أي عملية تشكل خطرًا على حياة الإنسان والتي تنافي القوانين الجنائية للولايات المتحدة أو أية ولاية من الولايات الأمريكية وحدثت إما داخل حدود الولايات المتحدة أو خارجها مستهدفة لمصالح أمريكية وغرض العملية ترعيب المدنيين والتأثير على الحكومة لتغيير سياستها[٦].

ثانيًا: أنواع الإرهاب

ينقسم الإرهاب إلى أنواع متميزة نسبيًا:

١- الجريمة المنظمة العابرة للحدود القومية.

٢- الإرهاب برعاية الدول.

٣- الإرهاب ذي الميول القومية.

٤- الإرهاب الأيديولوجي.

٥- الإرهاب الديني الذي يقصي المنافسين بمنطق القوة المقدسة.

٦- الإرهاب السياسي.

٧- الإرهاب الإعلامي الذي يدعو إلى ثقافة العنف وتكفير الآخر[٧].

ثالثًا: أسباب ودواعي الإرهاب

١- شعور الجماعة الإرهابية بالغبن والظلم والبحث عن استرجاع حقوقها بطريق القوة المفرطة.

٢- التأثر بالنص الديني المتشدد التي تبيح دماء وأموال وأعراض غير معتنقي الدين أو المذهب الذي يتبناه الإرهابي.

٣- غطرسة الدول العظمى وسعيها في تعزيز نفوذها وسطوتها وهيمنتها على الدول الضعيفة من خلال زرع الخلايا الإرهابية الضاربة في أمن وسلامة تلك الدول.

٤- قيام الدول الراعية للإرهاب بتحطيم اقتصاديات الدول الصغيرة من خلال ضرب وخلخلة الأمن فيها، عبر تدريب وتهيئة الخلايا الإرهابية الناشئة أساسًا على ثقافة الدم والمتأثرة بالنصوص الدينية المتشددة. فتزداد الدول القوية قوة وانتعاشًا.

٥- لتحقيق قاعدة (الضرب من الداخل) أو الضرب أسفل الجدار، أو ضرب الإسلام بالإسلام نفسه للصق تهمة الإرهاب في الدين الإسلامي، وهذا من أهم دواعي الإرهاب.

٦- النصوص الدستورية التي ترتكز إليها بعض الحكومات في ممارسة الإقصاء والإبادة بحق جماعة أو مكوّن اجتماعي ما.

٧- الإبادة الجماعية (Genocide) سواءً أكانت حكومية أو غير حكومية، القائمة على استئصال جماعة بسبب جنسيتها أو عرقها أو انتمائها الإثني أو دينها.

٨- إرهاب تقوم به جماعات منظمة برعاية الحكومة، جراء اختلاف الرؤى والأفكار، وبعبارة أخرى فإنه إرهاب ينال الرضا الحكومي.[٨]

كما يشكك محللون في أن أميركا تهدف أصلاً لمحاربة «الإرهاب» بل إن كل مخططاتها تهدف إلى تجزئة المنطقة وتفتيتها واختراقها بالتنظيمات وآخرها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش).

(٦) الموقع الإلكتروني: www.wikipedia.org

(٧) الشيخ محمد العربي، مقال بعنوان الإرهاب أنواعه أسبابه طرق معالجته، ٢٠١٥. موقع rawabetcenter.com

(٨) المرجع نفسه.

وأشارت صحيفة (غارديان البريطانية) في تقرير بعنوان «دليل الإرهاب العالمي» إلى أن «الإرهاب» في تزايد، وأن عمليات القتل بسببه تضاعفت خمس مرات منذ هجمات ١١ سبتمبر رغم الجهود التي تقودها الولايات المتحدة لمكافحته في أنحاء العالم.

وتشير التقديرات إلى الولايات المتحدة التي صنعت «شبح الإرهاب» سواءً باستغلال هجمات ١١سبتمبر أو بتدبيرها لاستغلاله سياسيًا، لكنها سواء بتخطيطها أو بسوء تقديرها أوجدت وحشًا حقيقيًا هذه المرة يعيد رسم الخرائط في الشرق الأوسط والعالم، ويؤشر إلى حقبة جديدة من المتغيرات الدولية[٩].

المطلب الثاني: الحرب للقضاء على الإرهاب

تعتبر ظواهر التطرف والعنف والإرهاب الدولي من أخطر التحديات التي تواجه العالم في الوقت الحاضر، وقد أصبح من المؤكد أن هذه الظواهر ليست لصيقة بمنطقة جغرافية معينة أو بدين معين أو بثقافة معينة، بل هي ظواهر لها طابع عالمي، حيث تعرفها دول صناعية متقدمة، كما تعرفها دول نامية، وتعاني منها دول الشرق ودول الغرب، وتشهدها دول ومجتمعات إسلامية، ودول ومجتمعات غير إسلامية[١٠].

أولاً: الحرب المشروعة والحرب غير المشروعة

تتعدد معايير الشرعية الدولية في التعامل مع القضايا الدولية المختلفة تبعًا لوجهة نظر هذه الدول وتبعًا لاختلاف مواقع وصفات أطراف هذه القضايا ما بين صديق أو عدو لها، فظهر مصطلح (المعايير المزدوجة) أو (الكيل بمكيالين) وفي نطاق تطبيق القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية بحيث تظهر هذه السياسة وكأنها انعكاس واضح لواقع النظام القانوني والسياسي الدولي والعلاقات الدولية المعاصرة. والإسلام يرى أن الحرب لا تكون مشروعة ما لم يكن الغرض منها الدفاع الشرعي أو الدفاع عن المصالح الضرورية كلما تعرضت للاعتداء، ويجب أن يكون فعل الرد متناسبًا مع حجم العدوان، فإن تجاوز فعل الرد حدود الدفاع الشرعي سيحول الحرب المشروعة إلى حرب عدوانية غير مشروعة.[١١]

الحرب المشروعة

إن خوض الحروب غالبًا ما تكون الغاية منه تحقيق مكاسب، وهي غالبًا مكاسب تختلف من دولة لأخرى، هناك دول تخوض الحرب لتحقيق مكاسب غير مشروعة كاغتصاب أراض غير أراضيها، إما للتوسع والتمدد جغرافيًا، وإما لاستغلال ثروة الأراضي المغتصبة، أو للانتفاع بها كقواعد قتالية ومحطات تيسر لها التحكم في الممرات المائية والجوية، أو غير ذلك من المصالح.

وهناك دول تخوض الحرب لتحقيق مكاسب مشروعة، كدفع الغزاة بعيدًا عنها وتأمين استقلالها، أو لحماية حدودها ودعم أمنها. وشتان ما بين هذه وتلك، شتان بين حرب عادلة وحرب باغية، فالحرب العادلة حرب تدعو إلى الحياة عند محاربتها الظلم والبغي، أما الحرب الباغية، فهي حرب تدمر الحياة بانتهاكها العدالة.[١٢]إن الأسباب العادلة للحرب هي معاقبة المعتدي على مواطني الدولة والدفاع عن النفس وحماية الممتلكات.

الحرب غير المشروعة

الحرب غير المشروعة فهي حرب الاعتداء على هذه الضرورات الخمس بدون مبرر وبدون عدل أوقانون وتخالف الشرعية الدولية. وهي أيضًا استخدام القوة المسلحة من قبل دولة ما ضد

(٩) الموقع الإلكتروني: rawabetcenter.com (مرجع سابق).
(١٠) معتز محي عبد الحميد، الإرهاب وتجديد الفكر الأمني، زهران للنشر، المقدمة.

(١١) ماجد أحمد الزاملي، الحرب المشروعة فقهًا وقانونًا، ٢٠١٣، الموقع www.iraqicp.com
(١٢) عزيزة المانع، مقال بعنوان «الحرب مشروعة وغير مشروعة»، ٢٠١٥، موقع عكاظ، www.okaz.com

سيادة دولة أخرى أو سلامتها الإقليمية واستقلالها السياسي أو بأية صورة أخرى تتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة[١٣].

أما الأسباب الغير عادلة هي التوسع الإقليمي وإخضاع الشعوب الأخرى ورغبة دولة ما في الاستقلال والانفصال عن دولة أخرى.

فهل الحرب للقضاء على الإرهاب هي حرب مشروعة أم حرب غير مشروعة؟ وهل الضرورات الأمنية والاقتصادية والسياسية هي مبررات لشن هذه الحروب؟

ثانيًا: الأبعاد الأمنية والاقتصادية والسياسية

وبالتالي الخطاب على الإرهاب هو الغطاء الذي أرادته الدول الكبرى من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية والأمنية.

فالحرب على الإرهاب هي المبرر لاستخدام قوى الأمن البشري والجيش والميل إلى ممارسة العنف.. كل ذلك بحجة «الحرب على الإرهاب»، لكن له أغراض أخرى، ليس الإرهاب أحدها، لأن الإرهاب صناعة، حيث يمكن توظيف فئات مهمشة في سياسات لا تخدم المهمشين، بل تخدم الطبقة الحاكمة.[١٤]

البعد الأمني

تمارس الدولة العربية الأمنية في كل الحالات سياسة «الاستثناء» (أطروحة الاستثناء للمفكر الإيطالي المتميز (Giorgio Agamben) تجاه فئات محددة في المجتمع.

إن حال «الاستثناء» عندما تستهدف طائفة أو قبيلة أو فئة تجعل كثيرين من أفرادها مكسورين فاقدين لقيمة الحياة والوجود، وهذا يدفع بعضهم نحو فكر يبرر الخلاص من الحياة (العمليات الانتحارية). سترد الدولة الأمنية على الإرهاب بقوة وعنف، لكن في ردها وأسلوبه ومداه سيزداد العنف في المديين المتوسط والبعيد، وستقع الدولة الأمنية في أخطاء وتجاوزات، وستمارس عنفًا مضاعفًا بل سيتطور العنف ويأخذ أشكالاً أكثر شمولية وحدة عندما توسع الدولة من أهدافها في مواجهة الحاضنة الاجتماعية التي تشعر بالتهميش والاستثناء المؤيدة لبعض الجماعات (العراق وسورية وغيرهما مثلاً). إن السعي إلى الانتصار على الإرهاب بواسطة الحل العسكري يتحول إلى وسيلة لاستنزاف وإضعاف الدولة والمجتمع[١٥].

من جهة أخرى، فإن قتل أعداد كبيرة من قادة العنف كقادة «القاعدة» و«طالبان» و«داعش» و«النصرة» وغيرهم، يحول القوة والسيطرة إلى القيادات الصغيرة غير المعروفة في هذه المنظمات. تلك القيادات ستكون أكثر عنفًا وراديكالية، بل وأكثر تحررًا من ضوابط قياداتها التي صاغتها التجربة.

البعد الاقتصادي

طالما أن المشاكل مستمرة في ظل البطالة والاقتصاد السلبي والانقضاض على الحريات والإهانة والتعذيب والعنف والإقصاء ستزداد حال الإرهاب تماديًا.

من خلال تجنيد الشباب في شركات خاصة وجماعات متطرفة، وتعبئتها وتجهيزها لشن الحروب باسم الدين مقابلة مبالغ مالية باهظة، وبذلك تكون الدول الكبرى قد استغلت عنصر الفقر والبطالة والجهل والتخلف لمحاربة الداخل بالداخل وتفتيت المجتمعات والقضاء على الاستقرار الأمني والاقتصادي وزعزعة أركان الدولة وتشتيت الشعب، كل هذا من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية والمالية في دول تشكل ثرواتها ومعادنها الكنز الثمين لهذه الدول.

(١٣) عبد العزيز رمضان، الدفاع الوقائي في القانون الدولي العام، دار الجامعية الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١١، ص ٢١.

(١٤) الموقع الإلكتروني: www.aljazeera.net

(١٥) الموقع الإلكتروني: www.alhayat.com

فإن الدعم المالي للتنظيمات المتطرفة والجماعات الإرهابية لم يعد محصورًا على مصادر التمويل الداخلية، بل أصبح يعتمد على الأعضاء الموجودين خارج الدولة، وعلى دعم الدول والمنظمات التي لها خصومات مع تلك الدول المستهدفة.[١٦]

البعد السياسي

يعد الإرهاب نموذجًا للصراع السياسي العنيف باعتباره يعتمد على أفعال عنيفة غايتها إرغام خصومها السياسيين أو النظام السياسي المعارض لها على تحقيق المطالب التي ترغبها التنظيمات المتطرفة أو الجهات السياسية التي تتبعها[١٧].

لقد وظفت الولايات المتحدة الأميركية الركيزة السياسية للتسويق لأعمالها ومن بينها الضربات الاستباقية والوقائية التي وجهتها لكثير من الدول بدافع الدفاع عن النفس والحماية المسبقة من الأخطار.

فمن خلال نفوذها السياسي الواسع ودورها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والضغوطات التي تمارس على الدول الأخرى، شرعنت حروبها واستحصلت على القرارات من مجلس الأمن على أساس مبدأ من ليس معنا فهو ضدنا الذي روج له الرئيس جورج بوش الثاني، وعاد ليؤكد على نظرية أو سياسة الضربة الاستباقية أو الوقائية في خطاب له أمام الحزب الجمهوري بتاريخ ١٥ حزيران ٢٠٠٢، حيث أوضح أن عنصري الردع والاحتواء اللذين قادا سياسة أميركا الخارجية منذ طرحها في إطار مبدأ ترومان عام ١٩٤٧، لم يعودا كافيين، فساهم بنشر ظاهرة «الإسلاموفوبيا» داخل الولايات المتحدة وسائر أوروبا حتى اليوم.

(١٦) معتز محي عبد الحميد، الإرهاب وتجديد الفكر الأمني، مرجع سابق.

(١٧) المرجع نفسه.

ثالثًا: الضربة الاستباقية والحرب الوقائية

لم يكن ظهور مفهوم «الضربة الاستباقية» أو «الحرب الوقائية» ومرادفتها العديدة في السياسة الدولية حديثًا، بل يرجعه البعض إلى ما قبل منتصف القرن الماضي، حيث يعتقد أصحاب هذا التوجه أن الهجوم الياباني على ميناء «بريل هاربر» الأمريكي عام ١٩٤١م يدخل في نطاق الضربة الاستباقية التي سعت من خلالها اليابان لتحجيم القوة الأمريكية وضربها في عصب الحياة الاقتصادية التي كانت تنتعش من خلال هذا الميناء الحيوي، ويرى آخرون أن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م كان بمثابة حرب استباقية أو ضربة وقائية لصالح فرنسا وبريطانيا التي رأت في تأميم قناة السويس من جانب مصر زمن الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر، بمثابة تهديد مباشر لأمنهما ومصالحهما ويستوجب ضربة استباقية لإعادة الأمور لنصابها دون سابق إنذار لذلك[١٨].

ويعرف أهل السياسة الضربة «الاسبتاقية أو الوقائية» بأنها «التحول من الرد على هجوم فعلي إلى المبادرة بالهجوم لمنع هجوم محتمل، خاصة إذا تمكنت أجهزة الدولة من اكتشاف نوايا مبكرة بالهجوم لدى الخصم بغض النظر عن مظاهر هذه النوايا»، بمعنى أن الاعتماد في الضربات الاستباقية أو الوقائية يكون على نوايا الطرف الآخر أو لمجرد كونه عدو محتمل أو قائم للدولة الأولى التي بادرت بهذه الضربة، وسواء قام الخصم بإظهار هذه النوايا من خلال تحرك عسكري أو تصعيد سياسي أو لم يظهر.

إن دارسو العلوم العسكرية والمختصين في التخطيط الاستراتيجي للعمليات الحربية، يميزون بين هذا المفهوم السياسي والعسكري في آن واحد

(١٨) ياسر قطيشات، الضربة الاستباقية كاستراتيجية جديدة في العلاقات الدولية، مجلة الحوار المتمدن، العدد ٣٢٨٤، ٢٠١١.

وبين الضربات الاستباقية، إذ يعتبرون أن الضربات الاستباقية مفهوم عسكري - استراتيجي وليس سياسي ويخضع لقيادة الجيش وآليات إدارتها للحرب بعد نشوبها أو قبل نشوبها بفترة قصيرة، وملخص وجهة نظرهم أن الضربات الوقائية توجه مبكرًا عند اكتشاف نوايا بالهجوم لدى الخصم بغض النظر عن نشر وسائل هجومه أم لا، بينما الضربات الاستباقية فإنها توجه ضد قوات الخصم التي تم نشرها فعلاً في أوضاع هجومية مختلفة استعدادًا لهجوم حقيقي. (أمثلة تميزّ بين الضربتين، إذ يعتبر الهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربر الأمريكي عام ١٩٤١م بمثابة ضربة استباقية، حيث وجهت اليابان للولايات المتحدة ضربة تستبق فيها أي هجوم أمريكي عليها، بينما تعتبر إسرائيل أن حربها ضد مصر في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م كان ضربة وقائية لمنع مصر من إتمام صفقة الأسلحة التشيكية)[١٩].

بالرغم من تداخلهما في المعنى والمضمون إلا أنهما تختلفان من ناحية المفهوم، فالحرب الاستباقية تعني «التدابير التي تتخذها الدولة لإحباط إجراءات الخصم، أو لخلق حالة تجعل من الممكن تنفيذ النوايا والأهداف التي يروج لها البلد القائم بالعملية الاستباقية وتنفيذها، وذلك لأن الاستباق في الهجوم يهدف إلى شل قدرة العدو على المبادرة والتصدي. وعليه فإن الحرب الاستباقية قد تكون مسوغة أي مشروعة إذا كان التهديد وشيكًا ولا يترك مجال لاختيار الوسائل الأخرى ولا متسعًا من الوقت للتخطيط لها. الحرب الوقائية، فتقوم هي الاخرى على أساس التخمين والتنبؤ بخطر قد يكون مصدر تهديد في المستقبل[٢٠].

كما أن الردع يعني تحييد العدو بتخويفه من اللجوء إلى أعمال عدائية ينجم عنها توجيه إجراءات مؤلمة ضده، تجعل الثمن المقابل الذي سيدفعه باهظًا. وقد تكون هذه الإجراءات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية ببعديها التقليدي وفوق التقليدي. أما الاحتواء فيعني محاصرة عدو في شكل دولة بهدف إحكام الخناق حوله لكسر إرادته، وذلك بأنواع مختلفة من الحصار والمقاطعة.[٢١]

هناك فرق جوهري بين الهجوم الاستباقية والحرب الوقائية، وهذه هي أبرز النقاط:

مفهوم الاستباقية pre-emptive	مفهوم الوقائية preventive
العمل الذي يضفي إلى استباق العدو بالفعل بعد أن اكتملت جميع مؤشرات البدء بالفعل لدى الخصم.	يؤكد منع نشوء التهديدات المستقبلية.[١]
أكثر قبولاً من وجهة نظر القانون الدولي عندما يكون هناك تهديد وشيك ومؤكد.	لا تنطوي على ذات القدر من التأكد أي استخدام القوة العسكرية ضد تهديد متخيل أو ملفق.[٢]
يعني أن هناك تعبئة وتحشيد وتصعيد من قبل جميع الأطراف والاستعداد للحرب، كقيام أحد الأطراف باستباق الطرف الآخر والقيام بضربه قبل أن يضرب هو.	تكون بمجرد الشك في نية الطرف الثاني، فإن ذلك يعطيها الحق في توجيه ضربة وقائية له.[٣]
عامل الزمن مطلوب وضيق، إن الوقت محدود، وتوقع شن الخصم ضربة على القوات المعادية بين لحظة وأخرى، فيكون عامل الوقت أو الزمن عامل خطير ومهم للغاية.	إن عامل الزمن ليس على درجة من الخطورة العالية، وإنما يتحمل أن يكون هناك هامش جيد للحركة والاستعداد لشن الضربة الوقائية.
تقوم على أساس نوعي ودقيق يؤدي إلى إحداث ضرر كبير في منظومة العدو وإرباكه، أي أنها موجهة ضد هدف بعينه يؤدي إلى إحداث شلل في منظومة الخصم.	هي بداية لحرب من الممكن أن تنشب بعد هذه الضربة.
يقصد به العمل الذي يضفي إلى استباق العدو بالفعل.	يؤكد منع نشوء التهديدات المستقبلية.

فالهجوم الاستباقي يكون مبررًا إذا كان التهديد وشيكًا وساحقًا، ولا يترك مجالاً لاختيار الوسائل أو متسعًا من الوقت للتخطيط».

(١٩) المرجع نفسه.

(٢٠) باسم الشجلاوي، رسالة ماجستير بعنوان «مدى مشروعية الحرب الوقائية في ضوء القانون الدولي العام»، جامعة بيروت العربية، ٢٠١٤، ص ١٤-١٥.

(٢١) حسام سويلم، الضربات الوقائية في الاستراتيجية الأمنية الأمريكية الجديدة، مجلة السياسية الدولية، العدد١٥٠، أكتوبر٢٠٠٢، ص٢٩٢.

(٢٢) فلاح مبارك الدليمي، الوقائية في الاستراتيجية الأميركية بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، ٢٠٠٥، ص ٢٠٣.

(٢٣) فينوس غالب كامل السعدي، المعلوماتية ودورها في الهيمنة الأميركية، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، ٢٠٠٩، ص ٨٦.

(٢٤) منعم خميس مخلف الهيتاوي، سياسة التسلح النووي للقوى الكبرى واثره في هرمية القوى الدولية: دراسة مقارنة لنماذج مختارة، اطروحة دكتوراه، جامعة النهرين، ٢٠٠٤، ص ١٣٦.

وفي الحرب الوقائية لا يكون التهديد مؤكدًا أو وشيكًا، وهذا ما يجعل الإدارة الأميركية تصر على أن استراتيجيتها استباقية.

ويبرر جراهام أليسون المحاضر في جامعة هارفارد الحرب الاستباقية بقوله «قد أدخل معك في يوم ما في حرب، وفي الوقت الراهن أتمتع بالقوة في حين تفتقر إليها، لذا فإنني سوف أشن الحرب حاليًا».

إن الخلط والالتباس الذي جاء على لسان الإدارة الأميركية، كان مقصودًا لإضفاء جانب من الشرعية والأخلاقية عليه وجعلها مقبولة أكثر في نطاق البيئة الدولية، عن طريق الاستشهاد ببعض المواد والفقرات الموجودة في ميثاق الأمم المتحدة والتي تتضمن الدفاع عن النفس ضد تهديد خارجي وشيك هو أمر مقبول من قبل البيئة الدولية[٢٥].

البعد الاجتماعي والثقافي والإنساني

المبحث الثاني: التغيرات الديموغرافية وتأثيرها في المجتمعات

يؤثر الإرهاب بصورة مباشرة على الوضع القائم في جميع الدول، من ناحية التغيير الديموغرافي الذي يرتبط بالنزوح وأحيانًا بالهجرة او اللجوء خوفًا من القتل والدمار.

إن الحرب على الإرهاب وعلاقتها بحقوق الإنسان تندرج في إطار العلاقة الجدلية بين حقوق الإنسان والنظام العام، فالنظام العام بما يعنيه من تحقيق الانضباط العام في المجتمع، على مستوى العلاقة بين الأفراد، وبينهم وبين السلطة وبين مؤسسات الدولة وأجهزتها، من خلال ضبط الأمن وتسيير المرافق العامة، نقول إن النظام العام بهذا المعنى هو وسيلة وليس غاية بذاته، وسيلة لتحقيق غاية أبعد منه. والغاية هي الإنسان بما له من حقوق وحريات ملازمة لطبيعته الإنسانية، ولا يجوز، بأي شكل من الأشكال أن يتحول النظام العام إلى غاية قائمة بذاتها، ويخرج عن كونه وسيلة لما هو أسمى منه، لأن ذلك يؤدي إلى التفريط بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، فيصبح وسيلة لخدمة النظام العام بدلاً من أن يكون النظام العام في خدمته[٢٦].

لكي يبقى النظام العام على مستوى الوسيلة، والإنسان على مستوى الغاية، يجب أن تراعي الإجراءات المتخذة، في إطار مكافحة الإرهاب، الاتفاقيات والمواثيق الدولية الراعية لحقوق الإنسان، والضمانات الدستورية التي نصّت عليها دساتير الدول الديمقراطية، والمبادئ ذات القيمة الدستورية التي تشكل بدورها ضمانة لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية. وإذا كان هناك حالات استثنائية، كالحالة التي تمر بها بعض الدول بعد ما جرى في نيويورك وواشنطن في ١١ ايلول، وإذا كانت هذه الحالة تستدعي اتخاذ إجراءات استثنائية لمكافحة الإرهاب، ينبغي أن تراعي الإجراءات الشروط التي ارتبطت بنظرية الظروف الاستثنائية على الصعيد الداخلي، والاتفاقات الدولية في شأن الظروف الاستثنائية على الصعيد الدولي.

أولاً: مفهوم التغيير الديموغرافي

إن التغيير الديموغرافي هو التحول الذي يطرأ على التنظيم أو البناء، وبهذا يعد واحد من العلوم الاجتماعية التي تعنى بقضايا المجتمع الإنساني ومشكلاته وتغيراته، ويختص بمسائل السكان وعوامل نموهم وتوازنهم النوعي والكمي،

(٢٥) علي بشار بكر أغوان، الوقائية والاستباقية في الاستراتيجية الأميركية الشاملة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، جامعة النهرين.

(٢٦) عصام سليمان، مكافحة الإرهاب والحريات العامة والخاصة، مقال نشر في صحيفة النهار، ٢٠٠١.

وتتأثر مفاهيمه بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية الإنسانية المعاصرة، فضلاً عن أنه يدخل في قياس خصائص معينة للسكان مثل حجم السكان وتوزيعهم حسب نوع العمل والصناعة والتوطن والانتماء السياسي والديني والقومي[٢٧].

ثانيًا: تشتيت ونزوح

إن التغيير الديموغرافي أصبح يرتبط اليوم بمفهوم التشتيت والنزوح، مما ينعكس على عملية التعايش السلمي الذي يمثل نمط من العيش يسود في مجتمع معين يتم فيه رفض أشكال العنف بصوره المتعددة، أو التحريض عليه، وعدم اللجوء إليه لحل النزاعات بين الأفراد والجماعات، وهذا يتطلب توافر أركان عدة منها سيادة القانون على الجميع حكامًا ومحكومين، مأسسة الدولة، نشر ثقافة التسامح وقبول الآخر، العدالة الاجتماعية والاقتصادية، وتوفير اشتراطات المشاركة السياسية على الوجه الصحيح.

على سبيل المثال ينذر استمرار نزوح المواطنين في العراق من مناطقهم الأصلية بعد استيلاء تنظيم الدولة الإسلامية داعش عليها بمخاطر جمة، منها مخاطر صحية نتيجة إقامة النازحين في أماكن لا تصلح للعيش البشري، ومخاطر نفسية ناجمة عن حجم الرعب والخوف الذي عاشه النازحون بسبب بطش عناصر داعش، ومنها ما يتعلق بترك أعداد كبيرة من الأطفال مقاعد الدراسة، إضافة إلى ما يحمله ذلك من تداعيات مخيفة على التعايش السلمي ومستقبل العراق برمته[٢٨].

ثالثًا: القضاء على الحضارة والثقافة

إن مقولة «صراع الحضارات» هي مزيفة، بل أيضًا عدوانية، لقد روج لها المخططون لاستراتيجية الولايات المتحدة لحماية مصالحها «القومية في العالم»[٢٩].

ومن تأثيرات الإرهاب إضعاف الكيانات السياسية والاجتماعية الهشة قد تؤدي في كثير من الأحيان إلى تفكك النسيج الوطني للمجتمعات وصولاً إلى الحرب الأهلية.

وإذا عدنا إلى فترة الاحتلال الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣ لشهدنا التغيير الديموغرافي الحاصل، ولازالت التأثيرات السلبية تعكس صورة التقسيم على أساس طائفي وقومي.

وأخيرًا، يجب أن نقف وبحزم بوجه جميع عمليات التغيير الديموغرافي، وإلزام الحكومة المركزية والحكومات المحلية في المحافظات للالتزام بالدستور واتخاذ مواقف جدية وصريحة تجاهها وسن لقوانين فاعلة تحد منها ومن آثارها السلبية.

إن كلّ إنسان على هذه الأرض محميّ بالإعلان العالميّ لحقوق الإنسان. لا يهمّ أين نحن ومن نحن. هذه حقوقنا ولا يجب أن يَسلُبَها منّا أحد. الحرّيّة والسّلام والعدل في العالم. كلّها مفاهيم مبنيّة على هذه الحقوق.

منظمة العفوالدولية مؤلّفة من مجموعة أناس عاديّين، من مختلف أنحاء العالم، يطالبون بالإنسانيّة وبحقوق الإنسان. هدفهم حماية الإنسان من الاضطهاد والظلّم لحقوق الإنسان؛ وهم ينظّمون مختلف أنواع النّشاطات التّربويّة لتحقيق هذا الهدف.

(٢٧) غسان تويني، الإرهاب والعراق قبل الحرب وبعدها، دار النهار للنشر، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٣-١٤.

(٢٨) محمد ناصر الخوالدة، بين التحرير والإرهاب، باحث للدراسات، ص ١٠-١٧.

(٢٩) اللجنة الوطنية اللبنانية للتربية والثقافة، الثقافة العربية ومرأب الغرب، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٨٣-٩٤.

ومن خلال هذه النّشاطات، يروّجون للقيم المذكورة في الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، لمواد أخرى داعمة لحقوق الإنسان ومعترف بها عالميًّا[٣٠].

رابعًا: دور التربية والتعليم في الحد من ظاهرة الإرهاب

التعليم هو أقوى سلاح في مكافحة الإرهاب، وأفضل دواء ضد جميع العلل الاجتماعية. شهد العالم العربي والإسلامي خلال الأعوام القليلة الماضية ظاهرة لافتة تمثّلت في تصاعد نمو الإرهاب والتطرف الديني الأمر الذي أثّر على الاستقلال العام وانعكس بالتالي على التنمية والتقدّم، كما أظهرت الإنسان المسلم/العربي أمام المجتمع الدولي وكأنه كائن متخلف يمارس القتل والترهيب دون رادع ديني أو أخلاقي أو إنساني.

يعود السبب في ذلك إلى أن المتطرّف قد تستَّر وراء الدين لتبرير أفعاله، وبالعودة إلى تاريخ نشوء هذه الظاهرة يتبيّن أن لها جذورها عبر التاريخ، إذ دائما» كانت تقوم جماعات بممارسة العنف ظنًا منها أنها بذلك تحاول تغيير الواقع انطلاقًا من رفضها للصيغ السياسية القائمة أو لأنماط العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية السائدة، وتفاقمت هذه الظاهرة بشكل لافت للنظرخلال الربع الأخير من القرن العشرين نتيجة نشوء جملة من التطوّرات أهمها:

١- إخفاق النظريات القومية العربية في تحقيق الأهداف التي وجدت من أجلها بعد أن تجذّرت القُطرية وأصبح لكل دولة هويتها وسيادتها وتطلعاتها.

٢- سقوط جدار برلين وتفكّك دول الاتحاد السوفييتي سابقًا بعد أن تبيّن الإخفاق الذريع الذي مُنيت به النظريات الماركسية ثم اللينينية - الماركسية التي عجزت عن تأسيس مجتمعات اشتراكية.

٣ - فشل نظام الاقتصاد الحر في تلبية مطامح الدول النامية وانعكاس ذلك سلبًا على المستوى المعيشي للمواطنين.

هذه التطورات، وربما غيرها، دفعت بالبعض إلى الترويج للإسلام باعتباره النظرية العالمية البديلة القادرة على تقديم الحلول الناجحة للمجتمعات كافة، بالنظر لما تشمل تعاليمه من تشريعات تنظّم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبما يكفل للفرد كما للجماعة حقوقهم كافة ويحدد لهم كل واجباتهم، ولقد كثرت وتعدّدت الحركات التي تتبنى هذا الطرح منطلقة في ذلك من التبريرات الآتية:

١ - الوضع الاقتصادي المتردّي لقطاعات كبيرة من المواطنين الذين بالكاد يستطيعون توفير لقمة عيش أولادهم.

٢ - ارتفاع نسبة البطالة حيث يتعذر معها على الأجيال الناشئة إيجاد العمل المناسب.

٣ - البَون الشاسع بين اهتمامات الأنظمة السياسية الحاكمة وبين اهتمامات المواطنين.

٤ - انعدام وجود حرية الرأي والتعبير.

٥ - ابتعاد الناس شيئا «فشيئًا» عن دينهم وتعاليمه وتشريعاته.

٦ - كثرة الأنظمة العلمانية المتناقضة في وجودها مع الشريعة الإسلامية.

٧ - ارتهان العالم العربي والإسلامي للغرب غير المسلم والمعادي في تطلعاته وتوجهاته للإسلام.

(٣٠) فاطمة شرف الدين (ترجمة)، نولد جميعا أحرارًا، دار النهضة العربية، ص١٠.

هذه التبريرات وتبريرات أخرى كثيرة غيرها اتخذت منها الحركات الأصولية شعارات لإثبات وجودها ولكسب المناصرين لها ووجدت أن تنفيذها لا يتم بالحكمة والموعظة الحسنة بل باللجوء إلى القوة.

خامسًا: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على ضرورة حماية المدنيين في الحرب على الإرهاب، ومن المفيد العودة إلى المادة الثالثة التي وردت في النص نفسه في اتفاقيات جنيف الأربع والتي جاء فيها: «في حالة قيام نزاع مسلح ليس له طابع دولي في أراضي أحد الأطراف السامية المتعاقدة، يلتزم كل طرف في النزاع بأن يطبق كحد أدنى الأحكام التالية:

١- الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم، والاشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر، يعاملون في جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أي تمييز ضار يقوم على العنصر أو اللون أو المعتقد أو الجنس أو المولد أو الثروة أو أي معيار مماثل آخر.

أ - الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية، وبخاصة القتل بجميع أشكاله والتشويه والمعاملة القاسية والتعذيب.

ب - أخذ الرهائن.

ج - الاعتداء على الكرامة الشخصية، وعلى الأخص المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة.

د- إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات دون إجراء محاكمة سابقة أمام محكمة مشكّلة تشكيلاً قانونيًا، وتكفل جميع الضمانات اللازمة في نظر الشعوب المتمدنة.

٢ - يجمع الجرحى والمرضى ويعتنى بهم: ويجوز لهيئة إنسانية غير متحيزة، كاللجنة الدولية للصليب الأحمر، أن تعرض خدماتها على أطراف النزاع. وعلى أطراف النزاع أن تعمل فوق ذلك عن طريق اتفاقيات خاصة، على تنفيذ كل الأحكام الأخرى من هذه الاتفاقية أو بعضها.[٣١]

وليس في تطبيق الأحكام المتقدمة ما يؤثر على الوضع القانوني لأطراف النزاع».

كما أن المادة ٥١ من البروتوكول الأول تنص على: حظر الهجمات ضد السكان المدنيين بصفتهم هذه وضد الأشخاص المدنيين، وهذا الحظر واضح وقاطع وهو يشمل جميع الأعمال الإرهابية، والمادة نفسها تحظر أعمال العنف الرامية أساسًا إلى بث الذعر بين السكان المدنيين، ويجب ألاّ تكون هذه الأعمال موجهة ضد المدنيين. فالأمر المهم هو نية بث الذعر بين السكان المدنيين. لذلك يحظر حتى التهديد الرامي إلى بث الذعر.

إن اللجوء، تحت أية ذريعة، إلى الأساليب الإرهابية للحرب غير مسموح به على الإطلاق في النزاع المسلح الدولي، وفي النزاعات المسلحة غير الدولية. ولا يجوز التحايل بحجة الانتقام للتحلل من المحظورات تشكل ضمنًا انتهاكات جسيمة بمقتضى المادة ٥٨ من البروتوكول الأول، ويجب اعتبارها من جرائم الحرب.

الخاتمة

يتبين لنا أن الحرب التي أعلنتها الولايات المتحدة على الإرهاب، في أعقاب أحداث سبتمبر ٢٠٠١، لم تكن مجرد حرب حقيقة، بل كانت أكبر كذبة في التاريخ الأمريكي، ولم تكن إلا دعاية جديدة وحجة أكثر جاذبية للعالم للقضاء على الإسلام واحتلال أراضيه، فكيف تزعم أمريكا وهي راعية الإرهاب الأولى في العالم أنها تقوم بحرب على الإرهاب، ألم يسأل العالم نفسه عن الحروب والمجازر الوحشية التي شنتها إسرائيل برعاية

(٣١) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأحوال الوطن العربي، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، دار المستقبل العربي، ١٩٨٩، ص ١٦٧-١٧٤.

أمريكية كاملة، وغيرها في كوريا وفيتنام واليابان، والكثير من العمليات القذرة التي قامت بها أمريكا سواء من خلالها جيشها أو مخابراتها[٣٢].

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الساحة الدولية تعج بنظريات الولايات المتحدة لرسم مستقبل جديد للعالم يخلصه من قوى الشر والاستبداد ونشر حقوق الإنسان. غير أن تلك الحرب التي قادتها الولايات المتحدة سرعان ما كشفت عن وجهها الدامي، فقد راح ضحيتها مئات الآلاف من المدنيين خلال ١٥ عامًا، ولم يراع القصف بين مستهدف ومدني، وسرعان ما انهارت شعارات حقوق الإنسان مع صور وتقارير عن ضحايا التعذيب في سجن أبو غريب بالعراق، ومعتقل جوانتانمو في كوبا الذي أنشئ خصيصًا لاستجواب من وصفوا بأخطر أعداء أمريكا، بطرق لم تكن ترتكب حتى في معسكرات اعتقال هتلر وستالين إبان الحرب العالمية الثانية.[٣٣]

فتدمير الشعوب يتم باسم «الحرب على الإرهاب»، وتفتيت الأوطان وتدمير التراث الإسلامي ومحو الذاكرة الثقافية والحضارية للشعوب وتشتيتهم ليصبحوا لاجئين في بلدان أخرى، كل ذلك هدفه سحق أيديولوجية الوحدة والتماسك والوطنية والاستقلال... ونهب ثرواتهم من (مياه، نفط، معادن...)

فمسلسل العنف المتنقل، بات حقيقة مؤلمة، تجعلنا أمام خيارين:

- إما التعامل معه بالعنف والقسوة وحمل شعار «الحرب على الإرهاب» وتحمل آثاره المدمرة.
- إما التعامل معه بوعي وحكمة من خلال البدأ بإصلاحات حقيقية في الخطاب الديني والتربية والتعليم ومؤسسات الدولة، وإيجاد حلول للكثير من المشاكل وأهمها البطالة.

فالإرهاب من صنع المطابخ الاستخباراتية الأميركية، واتباع سياسة الحرب على الإرهاب ستستمر طويلاً مادامت تعفيها من نفقات الحرب وكلفتها الباهظة ونزيف جنودها وغضب المجتمع الأميركي والمجتمع الدولي، فيما تجعل من أدواتها معولاً، لا تعمل به بصورة مباشرة، إنما من خلال الإنابة والقدرة على الاستجابة لمخططاتها، فالعصابات المأجورة زرعت في سورية والعراق حيث تم تأسيس التنظيم الإرهابي داعش، وحرصت أميركا على ترسيخ اسمها بـ «الدولة الإسلامية» في إشارة لاقتران كل مظاهر الذبح والقتل والدمار والتخريب بالإسلام[٣٤].

ومع دخول نظرية «الشرق الاوسط الكبير» حيز التنفيذ واستغلال «ثورات الربيع العربي»، فأصبحت الحقيقة واضحة بأن الخديعة مشتركة بين النظام الأميركي والأنظمة الأخرى ومنها العربية، أما الضحايا فهي الشعوب التي تسفك دماء أبناءها وتستنزف وتسرق ثرواتها الوطنية، وتدمر دولها وحضارتها التي بنتها منذ مئات السنين، وفقدان فرصها التاريخية في النمو والتقدم والازدهار والأمن والاستقرار.

ويبقى السؤال الأبرز؟

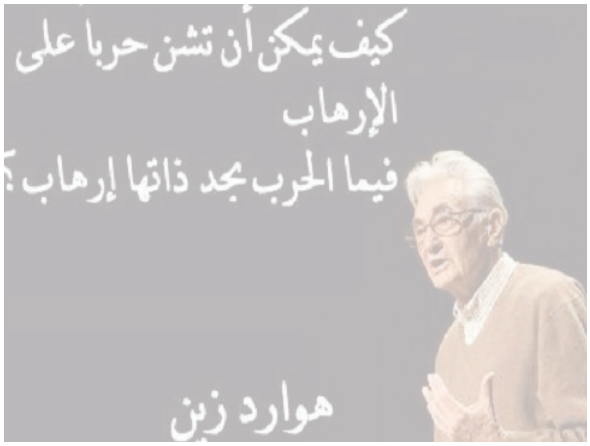

(٣٢) الموقع الإلكتروني: www.albasrah.net
(٣٣) المرجع نفسه.
(٣٤) أبا الحكم، الحرب على الإرهاب..خدعة دولية وإقليمية كبرى، شبكة البصرة، ٢٠١٤، الموقع www.albasrah.net

لائحة المصادر والمراجع

أولاً- الكتب:

١- علي عبد القادر قهوجي، القانون الدولي الجنائي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

٢- معتز محي عبد الحميد، الإرهاب وتجديد الفكر الأمني، زهران للنشر.

٣- محمد ناصر الخوالدة، بين التحرير والإرهاب، باحث للدراسات، ٢٠٠٩.

٤- فاطمة شرف الدين، (ترجمة) نولد جميعنا أحرارًا، دار النهضة العربية.

ثانيًا - المقالات:

١- محمد العربي، مقال بعنوان الإرهاب أنواعه أسبابه طرق معالجته، ٢٠١٥.

٢- ماجد أحمد الزاملي، الحرب المشروعة فقهًا وقانونًا، ٢٠١٣.

٣- عزيزة المانع، مقال بعنوان «الحرب مشروعة وغير مشروعة»، ٢٠١٥، موقع عكاظ.

٤- عبد العزيز رمضان، الدفاع الوقائي في القانون الدولي العام، دار الجامعية الجديدة، الإسكندرية.

٥- أبا الحكم، الحرب على الإرهاب..خدعة دولية وإقليمية كبرى!، شبكة البصرة.

٦ - عصام سليمان، مكافحة الإرهاب والحريات العامة والخاصة، مقال نشر في صحيفة النهار، بيروت ٢٠٠١.

ثالثًا- المجلات:

١- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأحوال الوطن العربي، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، دار المستقبل العربي، ١٩٨٩.

٢- ياسر قطيشات، الضربة الاستباقية كاستراتيجية جديدة في العلاقات الدولية، مجلة الحوار المتمدن، العدد ٣٢٨٤، ٢٠١١.

٣- حسام سويلم، الضربات الوقائية في الاستراتيجية الأمنية الأمريكية الجديدة، مجلة السياسية الدولية، العدد١٥٠، أكتوبر٢٠٠٢.

٤- عقيل يوسف عيدان، النبأ، العدد ٧٨، ٢٠٠٥.

٥- اللجنة الوطنية للتربية والعلم والثقافة، الثقافة العربية ومرآب الغرب، مركز الطباعة الحديثة، ٢٠٠٢.

٦- غسان تويني، الإرهاب والعراق قبل الحرب وبعدها، دار النهار للنشر، بيروت، ٢٠٠٢.

رابعًا - رسائل وأطروحات:

١- باسم الشجلاوي، رسالة ماجستير بعنوان «مدى مشروعية الحرب الوقائية في ضوء القانون الدولي العام»، جامعة بيروت العربية، ٢٠١٤.

٢- فلاح مبارك الدليمي، الوقائية في الاستراتيجية الأميركية بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، ٢٠٠٥.

٣- فينوس غالب كامل السعدي، المعلوماتية ودورها في الهيمنة الأميركية، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، ٢٠٠٩.

٤- منعم خميس مخلف الهيتاوي، سياسة التسلح النووي للقوى الكبرى وأثره في هرمية القوى الدولية: دراسة مقارنة لنماذج مختارة، أطروحة دكتوراه، جامعة النهرين، ٢٠٠٤.

٥- علي بشار بكر أغوان، الوقائية والاستباقية في الاستراتيجية الأميركية الشاملة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، جامعة النهرين.

خامسًا - المواقع الإلكترونية:

www.alhayat.com
www.aljazeera.net
www.albasrah.net
www.iraqicp.com
www.wikipedia.org

آية السيفِ (جدلُ البصرِ والتّبصُّرِ)

د. وسن صالح حسين الحياني - العراق

أستاذ مساعد، دكتوراه فلسفة لغة العربية، جامعة بغداد،
كلية الآداب، قسم اللغة العربية
Dr.wasansalah@gmail.com

الملَخّص

آية السيف مُسمّى شديد الصولة للآية الخامسة من سورة التوبة آخر السور نزولاً، وهي من أكثر الآيات إشكالية في فهم فلسفة الجهاد من منظور الشرع الإسلامي، إذ شكّلت الآية منطلقًا وركيزة لمقولات العنف التي تبنّتها الجماعات المتشدّدة بتوثيقات منبتها من التراث، وهذه وسمتُها بـ(جدل البصر) لأنها تلتقط صور الأحداث بإبتار وتقطيع، ووسمتُ بـ(جدل التبصّر) توثيقات مقابلة تربأ عمّا يقع في أوّل الخاطر، وتلك عرضتها في محورين، السياق المقامي الذي أظهر انضباط أحكام الإسلام بقوانين أخلاقية تدفع فرية الإبادة المشهرة بآية السيف، والسياق المقالي العاصف المبطّن بمقاصد حانية هدفها الإنسان والسيكولوجيا التي يتحرّك في إطارها.

وامتلك السياقان القدرة على تحرير الإسلام من أغلال الأقاويل التي تغرّبه في نفوس أهله قبل أعدائه، فقد أنضرا فضائل لا ينتهجها إلا تشريعٌ سماوي.

Abstract

The Sword verse (Ayah AL-Saif) is a sharp name given to the fifth verse of Surah At-Tawbah, the Last Surah to be revealed. It is one of the most Problematic to be understood, as it describes the Philosophy of jihad in Islam – It is claimed that the extremist groups use this verse as a reference to defend themselves and deny their violence and they consider this Ayah is the starting point for fighting and violence reprcsented by documentations from heritage. As aresult, the “Controversy of Sight” is represented by jihadists documentations because they convey events in an in complete way. On the other hand, the “Controversy of Insight (Thought)” is represented by documentations conveyed in two contexts; the assembly context and the article. The assembly context shows that the Islamic Legislations and beliefs obey ethical Laws and Forbid genocides- while, the article context aims to address man and their psychology in great, kind, and implied way, Any way, both contexts succeeded in disproving the accusation directed toward Islam and made it clear and Familiar.

آية السيف
(جدلُ البصر والتبصّر)

هناك مسمّيات ترسمُ مشاهدَ موّارةً يستغربُها المتلقّي مسبّبة ضبابية في ذاكرة التوثيق عنده، هذا ما كان حين قرأتُ في وسائل الإعلام وأنا أبحث عن موضوع للمشاركة في هذا المؤتمر مسمّى (آية السيف)، ما دعا إلى وقفة لقراءة نصّ الآية وأجاج التعليقات بشأنها، (الأمر مختالٌ بالطبع) هذا ما حدّثتني به النفس، وتساءلت كيف يوائم هذا المسمّى شديدُ الصولةِ بهذا الترويج مفاهيم تجذّرت فينا عن دين رحبٍ مرنٍ تحيةُ أهلِه وردّها السلام السلام، دين يُعين العاثر على النهوض إذا تعثّر لا يتقدّم للإجهاز عليه ؟

حسبتُ هذا الطرحَ من القضايا التي تتخفّى وراء قناع الحجاج والنقاش، ولكن الأمر تعسّر عندما استرسلتُ سماعًا وقراءةً في متابعة الآية الكريمة، إذ تبيّن أن ما كان عندي خطوط حُمْرٌ هو ذائعٌ في كتب التفسير والفقه والناسخ والمنسوخ، إذن هذا الطرح موثّقٌ، ومنبتُهُ من التراث.

تماوجت عندي الأفكار وبدت النفسُ متردّدة متحرّجة، فقررتُ استجابةً للفطرة التي تنبذ العنف والكراهية والعدوان وتنفر قرنها بالإسلام ولوجَ دائرة هذا النقاش متسلّحةً بالنظم وعدّة المحقق، فكان هذا البحث بعد أن حاولتُ التجرّد من العاطفة التي تُعيق الوصول إلى الحقيقة، وأبعدتُ الحكم المسبق الجاهز لبلوغ تصوّر علميّ مقبول.

آية السيف هي الآية الخامسة من سورة التوبة[١]، ونصّها قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقد صرّح بهذا المسمّى مقترنًا بلفظ الآية في مصادر تراثية متنوّعة[٢]، ولا يكاد يخلو كتاب تفسير قديم من هذا المسمّى وإن تفاوت ذلك بين شيوع وانحسار في مرّات قليلة نزولاً إلى المرّة الواحدة[٣].

فمحاولة بعضهم نفي المسمّى وادّعاء عدم صحته لانتفاء وروده في الحديث النبوي الشريف ولخلوّ القرآن الكريم من لفظ السيف[٤] محاولةٌ مردودةٌ لا يعوّل عليها.

ولعلّ مركوز هذا المسمّى ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه وكرّم وجهه) من قوله: ((بُعِثَ النبي ﷺ بأربعة أسياف: **سيف** في المشركين من العرب، قال الله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾))[٥].

ونقل ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) هذه الرواية قائلاً بعدها: ((هكذا رَوَاهُ مختصرًا، وأظن أن **السيف الثاني** هو قتال أهل الكتاب في قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩)،

والسيف الثالث: قتال المنافقين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣)، والتحريم: ٩)، **والرابع:** قتال الباغين في قوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الحجرات: ٩)[٦]

تناقل المفسرون المحدثون كلام ابن كثير بما يُفهم أن الأسياف الأربعة نصّ عليها الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ متجاوزين قول ابن كثير: ((هكذا رواه مختصرًا وأظنّ أنّ السيف الثاني...))[٧].

وآية السيف هذه من أكثر الآيات إشكالية في فهم فلسفة الجهاد من منظور الشرع الإسلامي، فهي الآية الركيزة لمقولات العنف التي تبنّتها المجاميع المتشدّدة التي تحارب أنظمة الحكم في العالمين العربي والإسلامي والعالم الغربي[٨].

كُتِبَت دراسةٌ عام (١٩٨١م) بعنوان (الفريضة الغائبة) أفرِدَ فيها موضوعٌ مستقلّ لآية السيف وأُوردت فيها آراء المفسّرين والفقهاء بشأن وجوب قتال المشركين لأن هذه الآية نسخت كلّ عهد مع المشركين ونسخت كذلك العفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم بالأمر بقتالهم ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ فهي ناسخة لـ (١١٤) آية في (٤٨) سورة وقيل لـ (١٢٤) آية في (٥٤) سورة.

وانتهى عرض الدراسة بالتعجّب ممن يستدلّ بالآيات المنسوخة على ترك القتال والجهاد[٩].

فقد أعلِن في الدراسة واجبٌ للمسلمين وهو ((أن يرفعوا السيوف في وجوه القادة الذين يحجبون الحقّ ويظهرون الباطل وإلّا لن يصل الحقّ إلى قلوب الناس))[١٠].

ولا بدّ من الإشارة إلى بعض المفاهيم التي سارت مرافقةً في الكتاب لهذه المفاهيم الثقيلة، فهو يرى أنّ ((الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال فإنّه لا يقتل عند أكثر العلماء))[١١]، ويرى أيضًا أن ((الإسلام انتشر بالسيف ولكن في وجه ائمة الكفر الذين حجبوه عن النشر وبعد ذلك لا يُكرَه أحد))[١٢].

هذه الدراسة تصدّت لها مقالة بعنوان (نقض الفريضة الغائبة فتوى ومناقشة)، إذ جاء فيها فيما يخص آية السيف ما مفاده أن الآية الكريمة كما هو منطوقها واردة في مشركي العرب الذين لا عهد لهم، إذ نبذت عهودهم، وضربَ الله لهم موعدًا الأشهر الأربعة الحرم، وقد فرّق القرآن في المعاملة بين مشركي العرب والمشركين وأهل الكتاب من الأمم الأخرى، والأمر بقتال مشركي العرب في هذه الآية وما قبلها مبنيّ على كونهم البادئين بقتال المسلمين والناكثين لعهودهم كما جاء في آية تالية من السورة ذاتها: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(التوبة: ١٣)، وأن آية السيف غير ناسخة، والاستدلال بها على أنها آمرة بقتال المشركين وغيرهم في غير موضعه بل يناقض لفظها ومعناها، وذكروا إجازة القرآن التعاهد مع المشركين والوفاء به مستدلّين بآيات من الذكر الحكيم، خاتمين موضع الردّ بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[١٣]، لينتهوا إلى أن مثل هكذا دراسة لا تمت بصلة إلى الفكر الإسلامي بقدر صلتها بالفكر السياسي[١٤].

لقد جرّني هذا الوضع القولي إلى تتبّع الكلام لمعرفة منابعه والانتهاء إلى العروق التي هو منها لتمكين المتلقّي من الإنصات إلى الأمر مفصّلاً بغية سلامة التقييم وانكفاء شوائب الحدس وتداعيات الأفكار.

أجرى المفهوم الأول في ميدان المناظرة الآتي:

كون آية السيف من (سورة براءة) (التوبة)، وهي آخر السور نزولاً عند الجميع، نزلت في شوال سنة تسع للهجرة قبل وفاة الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام) بعام، أي بعد اثنتين وعشرين سنة من بدء الوحي[١٥].

عزلُ الآية عن سياقها، وحجبُ الاستئناس بخصوصيتها، وتعميمُ لفظها بعدّها أمرًا من الله تعالى بوضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام ونقض ما كان سُمّي لهم في العقد والميثاق[١٦]، وبجعل الآية عامة في مشركي العرب وغيرهم، فقد عمّت جميع المشركين وعمّت البقاع[١٧].

اتكاء اللاحق على السابق في القول بالنسخ وتشعيب مسالكه، فقد قيل انها نسخت كلّ عهد بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين أحد من المشركين وكلّ عقد وكلّ مدّة[١٨]، ونسخت كذلك

جميع الموادعات وآيات العفو والصفح والسلام والإعراض عن المشركين والصبر على أذاهم[١٩]، من مثل قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٢١] و... فهي عند مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) ناسخة لست عشرة (١٦) آية من الذكر الحكيم[٢٢]، واتّسعت دائرة النسخ لتضمّ عند أبي ليث السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ) وأبي المظفّر السمعانيّ (ت ٤٨٩ هـ) وأبي محمد البغوي (ت ٥١٠ هـ) سبعين آية[٢٣]، والعدد تزايد في كتب الناسخ والمنسوخ، فقد نسخت عند القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤ هـ) أربع عشرة ومائة (١١٤) آية[٢٤]، والعدد نفسه ذكره هبة الله البارزي (ت ٧٣٨ هـ) وأضاف ((في اثنتين وخمسين سورة))[٢٥]، ونسخت من القرآن عند أبي جعفر النحّاس (ت ٣٣٨ هـ) أربعًا وعشرين ومائة (١٢٤) آية ثم صار آخرها ناسخًا لأوّلها وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[٢٦]، والعدد نفسه ذكره مرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣ هـ)[٢٧]، وتضخّم العدد حتّى وصل إلى مائتي آية نسختها آية السيف[٢٨] وكأنّما أصبحت آية السيف نفسها سيفًا يقطع رقاب الآيات ويتركها لا روح فيها ولا حياة، فهي متلوّة لفظًا ملغاة معنى[٢٩].

والحقيقة أن هذه الأعداد تستثير الدهشة وتستنفر الشبهات فقد ((عشنا طويلاً مع هذه الآيات الكثيرة وأحسسنا أنها نسائم من رحمة الله بالمخالفين))[٣٠]، فكيف لآية مجتزأة من سياقها أن تبطل فاعليتها؟

هذا الجمّ الغفير من الآيات المنسوخة رفضه العلماء المتقدّمون ونقضوا أغلبه في كتب الناسخ والمنسوخ وغيرها، فجمال الدين الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) قال: ((وقد ذكر بعضُ من لا فهم له من ناقلي التفسير أن هذه الآية وهي آية السيف نسخت من القرآن مائة وأربعًا وعشرين آية ثم صار آخرها ناسخًا لأوّلها، وهو قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، وهذا سوء فهم لأن المعنى اقتلوهم واسروهم إلا أن يتوبوا من شركهم ويقروا بالصلاة والزكاة فخلّوا سبيلهم ولا تقتلوهم))[٣١]

وله أقوال أخرى من مثل [((وليس بصحيح)) و((وليس للنسخ وجه)) و((وقد تكلّمنا على نظائرها ومنعنا النسخ)) و((قلت وهذا الكلام إذا حقّق لم يثبت)]][٣٢].

وقال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ): ((وقد جعلوا آية السيف ناسخة لمائة وأربع وعشرين آية وليس ذلك عن يقين منهم))[٣٣].

وله أقوال أخرى من مثل [و((وليس كذلك)) ((وهذا من أعجب الجهل)) و((هذا خبر والخبر لا ينسخ]][٣٤].

وضعّف بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤) هذا الأمر أيضًا بقوله: ((تبيّن ضعفُ ما لَهِجَ به كثيرٌ من المفسّرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك بل هي من المُنْسَأ، بمعنى أن كلّ أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلّة توجب ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلّة إلى حكم آخر وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالةُ حتّى لا يجوز امتثاله أبدًا))[٣٥].

وهذا القول ردّده جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)[٣٦] من غير الإشارة إلى الزركشي، وصرّح في (معترك الأقران في إعجاز القرآن) بأن آية السيف لم تنسخ ما أورده المكثرون من الجمّ الغفير مع آيات الصلح والعفو، وبقي ما يصلح لذلك عدد يسير[٣٧].

فالقول بنسخ آية السيف لهذا العدد من الآيات فيه ((غلو ومناقضة للتقريرات القرآنية المتضمّنة لأحكام محكمة بعدم قتال غير الأعداء وترك المسالمين والموادّين وبرّهم والإقساط إليهم))[٣٨].

وفيه كذلك خروج عن مفهوم النسخ الأصولي[٣٩]، فالنسخ عند الأصوليين إزالة الشارع حكمًا شرعيًا سابقًا بحكم شرعي لاحق، ويكون في القولين المتعارضين من كل وجه بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحالّ[٤٠].

والذي يبدو من كلام المتقدّمين أن النسخ عندهم أعمّ منه عند الأصوليين، إذ كان يطلق على التخصيص والتقييد وبيان المبهم وتفصيل المجمل ورفع الحكم الشرعي بدليل متأخر[٤١]، ولعلّ هذا هو السبب في وبالة سهام النسخ بآية السيف، فضلاً عن توارث الآراء بحكم استناد ((القصد الإقناعي إلى تصوّرات المجتمع المحتكمة إلى الرأي الشائع))[٤٢].

ونهجُ البصرِ هذا ((الذي يلتقط صور الأحداث بهذا الابتار والتقطيع والحكم العجول))[٤٣] يقابله نهج متبصّر يربأ عمّا يقع في أول الخاطر، كفيل بضمّ المتلقّي إلى منظومة الحجاج الاقتناعي العقلي الذي يعد أساس الإذعان ومقياس القبول والرفض[٤٤]، ذلك نهج اعتناق السياق، فالسياق هو ((الأساس أو المحيط الذي تعتمد عليه الحقيقة في توضيحها وفهمها))[٤٥].

يقول جوليان براون وجون يول: إن ((الفكرة القائلة بإمكانية تحليل سلسلة لغوية(جملة مثلاً) تحليلاً كاملاً بدون مراعاة للسياق قد أصبحت في السنين الأخيرة محلّ شكّ كبير))[٤٦].

فالسياق - بحسب ما يرى ستيفن أولمان - لا يقتصر على الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة بل يشمل القطعة كلها، كما ينبغي أن يشمل العناصر غير اللغوية المتعلّقة بالمقام الذي تُنطق فيه الكلمة[٤٧].

فهو البيئة اللغوية المحيطة بالكلمة أو الجملة أو العبارة، ويستمدّ أيضًا من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف، وغير ذلك من الظروف والملابسات التي تحيط عملية إنتاج الكلام[٤٨]، هو ببساطة مجموع الظروف التي تحيط الكلام[٤٩].

فالكلام المنعزل عن مساره اللغوي أو مقامه ضرب من الضوضاء لذا وجبت دراسته في إطار هذا المسرح وفي حدوده، ليعيش في بيئته الحقيقية التي تعين الباحث على فهمه وعلى درسه كذلك[٥٠].

وعليه استحثّ الخُطى لعرض آية السيف على مسرحها اللغوي، قال تبارك اسمه: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۞ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۞ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۞ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۞ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۞ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ۞ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا

فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۞ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۞ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞﴾ (التوبة: ١ –١٥).

بهذا العرض المكتمل الملامح يُدركُ كل مصغٍ ما آلَ إليه الأمرُ وما صار، فآية السيف إذن في مشركي قريش والعرب[٥١] الذين استباحوا حقوق الله وأرخصوا حقوق المسلمين بغدرهم ونقضهم العهد العام الذي كان بينهم وبين الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وهو أن لا يُصدّ أحد عن البيت ولا يخاف أحد في الشهر الحرام[٥٢]، نقضوه في وقت حرج صعب على المسلمين حين توّجه الرسول (عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم) إلى تبوك[٥٣]، ومعه ثلاثون ألف مقاتل في رجب سنة تسع للهجرة في آخر غزوة غزاها عليه الصلاة والسلام لمواجهة الروم الذين قرّروا إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تهدّد كيانهم المسيطر على المنطقة، وهذه الغزوة سمّيت غزوة العسرة لشدّة ما لقي بها المسلمون من الضنك، فقد غزاها الرسول عليه الصلاة والسلام في حرّ شديد واستقبل سفرًا بعيدًا مع قلّة الماء وقلّة المؤونة وقلّة الدوابّ التي تحمل المجاهدين إلى أرض المعركة، واستقبل غزىً وعددًا كثيرًا[٥٤].

وهي الغزوة التي بلّغ بها الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام – على غير عادته – قبائل العرب المجاورة وأهل مكّة لاستنفارهم على الحرب وحثّهم على الصدقات والدعم المادي لجيش المسلمين، فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يغزو غزوة إلا ورّى بغيرها لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا، لكنه في هذه الغزوة جلّى للناس أمرهم وأخبر بوجهتهم ليتأهّبوا لذلك [٥٥]

مع هذا الظرف الوبيل وفي هذا الوقت الشديد نكث مشركو قريش والعرب العهد حينما لاح لهم أن مواجهة المسلمين للروم ((ستكون القاضية على الإسلام وأهله، أو على الأقل ستضعف من شوكة المسلمين وتهدّ من قوّتهم))[٥٦].

وهذا النكث تقدّمته أحداث وأحداث، فهم من عادوا الإسلام وحاربوهُ منذ البداية، وتركوا في نفوس المسلمين جراحات لا تندمل، شهروا سيف الأذى والعذاب والحصار قبل الهجرة، وسيف الحرب والغزو في عقر الدار بعد الهجرة[٥٧]، ولم تهدأ عداوتهم للإسلام بعد الهجرة بل وثبوا على كلّ من شرح بالإسلام صدرًا من أهل مكّة الذين لم يتمكّنوا من الهجرة فنكّلوا بهم، وكان دعاء المستضعفين والمفتونين ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[٥٨]، فهم كدأبهم لا يرعون لأحد عهدًا ولا حرمة ولا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمّة.

لهذا الحاضر وذاك الماضي نزلت الآيات مشرّعة الحرب ضدّهم، فأجواء مشحونة بهذا الإيذاء العَميق المتكرّر كيف تواجه؟ وكيف لدولة التوحيد أن تقوم وهؤلاء يتربّصون بها؟

حان الوقت لأن تُخلَى أرض المسلمين منهم ولا سيما وأنّ القرآن نزل في أرضهم وجاءت الرسالة على رسول منهم قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٥٩]، وهو موضع ثقة يعرفون صدقه وأمانته ويأتمنونه، كان هذا كفيلاً لئلا يصرّوا على تكذيبهم وعدائهم[٦٠].

فآية السيف لا تُعلن حرب إبادة على المشركين عامّة ولم تُؤسّس على القتال والصراع الدائم كما رُوّج لها، فهذا تجهيل لمقام الآية ومنطوقها القولي اللذين سأتحرّى شعابهما لإنهاض حجج تدلّ على ذلك، بل تدلّ على انبثاق الرحمة من هذا العصف القولي ورنينه العالي.

فالعرض القادم سيكون في محورين: السياق المقامي، والسياق المقالي.

المحور الأوّل - السياق المقاميّ:

هو الخلفية غير اللغوية للكلام أو النصّ، ومن خلاله يكتسب الكلام أو النصّ تمام معناه في الاستعمال من مثل الكلام السابق والإطار الاجتماعي[٦١]، فتمام المعنى مرتبط بمقام الأداء إذ يجب وضع كل نصّ في السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي ينتمي إليه حتى يمكن فهمه بشكل ملائم[٦٢].

ومن معطيات هذا السياق استدلالان نقليّان وآخران عقليّان أسجّلها في الآتي:

أولاً - بَعْثُ الرسول عليه الصلاة والسلام الإمام عليًا ﷺ بثلاث عشرة آية من بداية سورة التوبة ليؤذّن بها إلى الناس يوم الحجّ الأكبر[٦٣]، وهو يوم عرفة لقول الرسول عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم: (الحجّ عرفة)[٦٤]، و((لإجماع المسلمين على أن الوقوف بعرفة أكبر الحج))[٦٥]، أو هو يوم النحر لرواية ((أن الرسول ﷺ وقف يوم النحر عند الجَمَرات في حجّة الوداع فقال (هذا يوم الحجّ الأكبر)[٦٦] أي يوم العيد لأن فيه تمام الحجّ ومعظم أفعاله[٦٧]، وكان عليه الصلاة والسلام قد بعث الصحابي أبا بكر ﷺ أميرًا على الحاجّ وولّاه الموسم، أما بعثُهُ الإمام عليًا فبأمر من جبريل عليه السلام بأن يبعث رجلاً من أهل بيته، لأن العرب تعارفوا في عقد العقود ونقضها ألّا يتولّى ذلك إلّا سيّدهم أو رجل من رهطه، فبعث الإمام عليًا على ما تعارفوا ليزيح العلل بالكلية، فلا تبقى لهم علّة[٦٨]، وقرأ الإمام علي ﷺ الآيات ثم قال: ((أمرتُ بأربع أن لا يقرب هذا البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلّا كلّ نفس مؤمنة، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى مدّته))[٦٩].

وقيل بُعِثَ بثلاثين آية ليؤذّن بها وقيل بأربعين[٧٠].

هذا الوقع التأريخي تتألّق فيه ملحوظتان:

الملحوظة الأولى - الآيات الكريمات من سورة التوبة نزلت متسلسلة وأعلنت للناس وبُلّغوا بها متتابعة، وتتابعها يكشف مقصودها، فبأيّ منطق وتحت أيّ مسوّغ تُغيّب الآيات وتُسطع آيةٌ واحدة ليُدّعَى أن الإسلام دين إرهاب وتطرّف وعنف؟

والملحوظة الثانية – انتخاب الزمان (يوم الحجّ الأكبر) للإعلان أمام جموع كبرى وغفيرة عن تفاصيل لا حَجْبَ فيها تخصّ الخصم -على علّاته وفظائعه- وتجعله على بيّنة ودراية تامّة بعواقب الأمور واستثناءاتها، وتكرار هذا الإعلان المُفْصِح عنه لفظ (أذان)، يقال: ((أذّن فلان تأذينًا وأذانًا: أكثر الإعلام بالشيء))[٧١]، إذ ذُكر أنّ الإمام عليًا ﷺ كان ينادي بها فاذا بُحّ قام أحد الصحابة ينادي بها[٧٢]، كل هذا فيه قيمة أخلاقية عليا وعدالة مطلقة وإرادة المحافظة على الحياة، فلا غدر ولا مراوغة ولا مباغتة، إنها مصداقيّة الإسلام وقوّته وثبات موقفه، أمور تؤهّله للمواجهة وتبعث الآخر على إعادة النظر.

ثانيًا– التصريح المروي عن الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ - آنف الذكر - بأنّ قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ سيف في المشركين من العرب[٧٣].

ثالثًا– مهلة الأربعة أشهر الممنوحة للمشركين: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ بلفظ (فسيحوا) ((والسيح: الماء الجاري))[٧٤]، وفيه حثّ على التنقّل والأسفار والتفكّر كالماء السائح

الطاهر لا كالماء الساكن الفاسد[٧٥]، فهو من المجاز[٧٦]، والمهلة الأكثر منها الممنوحة لمَن بينهُ وبين المسلمين عهدٌ ولم ينقضه ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ وهم بنو ضَمْرَة وبنو مُدْلِج من كِنانة، وكان قد بقي من عهدهم من يوم الأذان تسعة أشهر[٧٧]، فالمهلتان بتحديد المدّة تصرفان المعنى عن الإطلاق وترجعانه إلى موقف معين وتسدّان ذريعة التعميم.

والسؤال هنا: أيّ تناسب بين الإبادة المدّعاة والإمهال؟ أليسا طرفي نقيض؟

الإبادة دالّ تسريع وغلق، والإمهال دالّ انفتاح ورفق.

ثُم هذا الإرجاء بهذه المدّة (أربعة أشهر) لعدوّ لا يكف عن الاعتداء متى استطاع له سبيلا أليس مؤشّرًا على كرم هذا الدين؟

هذه مدّة مناسبة للتفكير والتشاور واتّخاذ القرار وحسم الموقف ولا سيما وأن هذا الإعلان ضعّف دور القوى المؤثّرة - أئمة الكفر - التي كانت تحول بين كثير من الناس وبين الهدى، كما أن تحديد المدّة إلى أجل ضرورة لدفع تسويف المشركين وحثّهم على النظر في الإسلام، إذ ((بعض المشركين أعرضوا وعادوا الداعي وقاتلوه لأنه جاء بتفنيد ما هم عليه من الشرك وما كان عليه آباؤهم منه، وقد طبعوا على نُعَرَة العَصَبيّة))[٧٨] فهم لم يسمعوا شيئًا من القرآن.

وفي حال أنصتوا ولم يهتدوا فهناك منجىً آخر غير القتل إذ يمكنهم إجراء اللازم بما يحفظ أموالهم وحياتهم بمغادرة جزيرة العرب.

رابعًا - وأنهي السياق المقامي بدليل آخر يغرّب مفهوم التعميم ويؤيد انضباط أحكام الإسلام بقوانين أخلاقية، وذلك فيما تلا آية السيف مباشرة ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ((فالمشركون الأفراد الذين لا يجمعهم تجمّع جاهلي يتعرّض للإسلام ويتصدّى له يكفل لهم الإسلام في دار الإسلام الأمن، ويأمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يجيرهم حتّى يسمعوا كلام الله ويتمّ تبليغهم فحوى هذه الدعوة، ثم أن يحرسهم حتّى يبلغوا مأمنهم، هذا كلّه وهم مشركون))[٧٩]

فهذه الخطوات الرحيمة لا تتوافق وفرية الإبادة بإشهار آية السيف.

المحور الثاني - السياق المقالي (اللغوي)

وهو دراسة النصّ من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض، والأدوات المستعملة للربط بين هذه الألفاظ وما يترتّب على ذلك من دلالات جزئية وكلية[٨٠].

فالسياق يبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية[٨١]، ويكتسب وصف اللغوي حين تصبّ الدراسة في الإطار الداخلي للغة وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية في نطاق التركيب[٨٢].

وهذا المعنى مؤسّس له في تراثنا بمصطلح النظم الذي يعني ((توخّي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم))[٨٣].

فـ((لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلّق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك))[٨٤].

ويستدعي الحال استحضار نصّ الآية ثانية لمعرفة ماهيات النظم المتصدّية لتيار النقد الجارف.

قال تعالى: ﴿إِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

إنّ تصدّرُ الفاء الآيةَ الكريمة يؤيّد ارتباطها بما قبلها، سواء أفاد الفاء السببية أي ((فتسبّب عن ذلك أنه....))[٨٥]، أم أفاد التفريع على قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[٨٦]، وهذا من شأنه حَجْب التعميم الملهوج به.

ولا يخفى ما في منطوق الآية من قوّة وبأس، فهي وطيدة الدعامة مكينة الأساس في مواجهة المشركين، وقد عدّها يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥ هـ) من الخطاب الجزل والقول الفصل[٨٧]. بعد أن أدرج مفهوم جزالة الخطاب بقوله: ((والمقصود من الجزالة أن يكون مستعملا في قوارع الوعيد ومهولات الزجر وأنواع التهديد))[٨٨].

وتتمشّى رعدة الهول في الآية الكريمة في شرطها الأوّل، فصدره (إذا انسلخ الأشهر الحرم) مفتتح بـ (إذا) دالّ القطع والحسم ((فيما عُلِمَ أنه كائن))[٨٩]، يليه (انسلخ) مطاوع (سلخ) لفظ يؤطّره في ذهن العربي مشهد سلخ الجلد و((كشطه ونزعه عن اللحم))[٩٠]، فـ ((كلّ شيء تفلّق عن قشر فقد انسلخ))[٩١]، مما يمنح اللفظ بعدًا إيحائيًا يتجاوز مفهوم انقضاء المهلّة وانتهائها، المعبر عنه بالمجاز الاستعاري، إسناد (انسلخ) إلى (الأشهر الحُرُم)، مما يفهم تكاملها جزءًا فجزءًا إلى أن تنقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه[٩٢]، وبيان ذلك أن الزمان محيط بالشيء وظرف له كما أن الزمان محيط به وظرف له، ومكان الشيء عبارة عن السطح الباطن من الجسم المماس للسطح الظاهر، فإذا انسلخ الشيء من جلده فقد انفصل من السطح الباطن من ذلك الجلد وذلك السطح وهو مكانه في الحقيقة، فكذلك إذا تمّ الشهر فقد انفصل عن إحاطة ذلك الشهر به ودخل في شهر آخر[٩٣].

فالمجاز الاستعاري في هذا الإعلان الحربي أنشط في إحراز الوعيد والتهديد، لأنه يعمّقهما ويُكثر من سهامهما النافذة في القلب.

على أن في الوجه الآخر لهذا المجاز شحنة دلالية مضادّة، لما فيه ((من التلويح بأن تلك الأشهر كانت حَرْزًا لأولئك المعاهدين عن غوائل أيدي المسلمين، فنيط قتالهم بزوالها))[٩٤]، ولما فيه من الإيماء إلى اتزان الإسلام وعدالة تعامله مع الآخر، فوضوح انتهاء المهلة- دالّ (انسلخ) – قيدٌ في مباشرة الحكم.

ولي وقفة عند (الأشهر الحُرُم)، فقد اختلف العلماء في تعيينها بين قائل هي الأشهر الحرم المعروفة والمصطلح عليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[٩٥]، وهي [رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم]، وقد وقع الأذان إلى المشركين يوم النحر فكان الباقي من الأشهر الحُرُم خمسين يومًا تنقضي بانقضاء شهر محرم[٩٦]، وقال أبو الحسن الماوردي(ت ٤٥٠ هـ): ((وهذا رأي الجمهور))[٩٧].

وقائل آخر حدّدها بشهور العهد المتقدّمة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، أي [عشرون من ذي الحجّة، ومحرم، وصَفَر، وربيع الأول، وعشرة من ربيع الآخر] سميت حُرُمًا لأن الله حرّم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرّض لهم[٩٨].

والرأي الثاني دُعِمَ بأدلّة هي:

الدليل الأوّل – أن الأشهر الحُرُم المعروفة غير متوالية، فواحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهي ذو القعدة وتالياه، والله تعالى أجّلهم أربعة أشهر يُقاتلون بانقضائها، وهذا غير ممكن[٩٩].

والدليل الثاني – الألف واللام في (الأشهر) للعهد، فَالعرب إذا ذكرت نكرة ثم أرادت ذكرها ثانيًا

أتت بضميرها أو بلفظها معـرّفًا بـ (ال)، ولا يجـوز حينئذ أن توصف بصفة تشعر بالمغايرة[١٠٠].

والدليل الثالث – ما دام الله تعالى قد قال لهم ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فلا بدّ أن تكون هذه الأشهر الأربعة ابتداءً من يوم إعلانهم بها، وهذا هو الذي يتّفق مع طبيعة الإعلان[١٠١].

وأناصرُ الأدلّة المتقدّمة برابع أحسبه تذكير (انسلخ) مع فاعله جمع التكسير (أشهر) الجائز معه الأمران التذكير والتأنيث[١٠٢]، ولكن العرب تذكّر للقلّة[١٠٣] وتؤنّث للكثرة[١٠٤]، والقلّة والكثرة ليسا مقصودين هنا بمفهوميهما المعجمي وإنما بأفقيهما الدلالي، فتذكير الفعل يرجّح ارتباط الأشهر بحكم معيّن تزول بزواله، على خلاف الأشهر الحُرُم المعروفة إذ هي دائرة في كلّ سنة.

ويفضي صدر الشرط إلى عجزه الذي تتسارع فيه رعدات الهول بتسيّد الأمر وتتابع حلوله بصيغته الأصلية ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ مما ينبت الرهبة ويثير التساؤل حول مغزى هذا الحشد من الأوامر.

ولي استطراد قبل الاسترسال لغرض الإجابة، فضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) أنكر ظاهرة تكرير الصيغة بشكل متعاقب، وعدّها تعاظلاً لعلّة التراكُب والثقل على النطق، ولكنه أخرج الآية الكريمة عن هذا الحكم معلّلاً ذلك بالقول: ((لما وردت ألفاظها على صيغة واحدة فُرّق بينها بواو العطف، ثم مع التفريق بينها بواو العطف لم يرد التكرير فيها إلا بين ثنتين وهما (خذوهم) (واحصروهم)، وأما الصيغة الأولى فإنها أضيف إليها كلام آخر، فقيل: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ولـم يقل: اقتلوا المشركين وخذوهم، ثم لمّا جاءت الصيغة الرابعة – أضيف إليها كلام آخر أيضًا فقيل: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

لا جرم أن الآية جاءت غير ثقيلة على النطق مع توارد صيغة الأمر فيها أربع مِرار[١٠٥]. وعودة إلى أوامر جواب الشرط فبانقضاء الأشهر الحُرُم أذنَ بأربعة تدابير تحت مظلّة الحرب، أوّلها: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾، وتباين الحديث حول هذا الموضع بين وقوف عند الأمر ووقوف عند معموله، فمن وقف عند الأمر رأى أن القتل ((وإن كان بلفظ الأمر فهو على وجه التخيير لوروده بعد حظر اعتبارًا بالأصلح))[١٠٦] ورأى آخر بأنه أمر بقتال المشركين، فخرج الأمر بذلك اللفظ (اقتلوا) على جهة التشجيع وتقوية النفس[١٠٧].

ورأى غيرهما أنه أمر للإذن والإباحة[١٠٨].

ومن وقف عند معموله صرّح بأحد أمرين:

الأول- تخصيص المقصود، فهم المشركون المصرون على الشرك الناقضون للعهد والميثاق، الذين ضرب لهم هذا الأجل إحسانًا وكرمًا[١٠٩].

والثاني- المشركون على الاطلاق هم المأمور بقتلهم في أي وقت وأي مكان[١١٠]. الحديث عن مشركي العرب.

وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك بعدّ الموضع من المجاز المرسل ذي العلاقة الكلية، إذ ذُكر الكل (المشركون) والمراد بعضهم[١١١].

وتداول هذه الآراء يَصرف انتباه المتلقّي إلى تضاؤل حظّ التعميم في الآية المباركة، فبعد أن كان الجدلُ يخصّ مشركي الأرض عامّة ومشركي العرب، بات الجدل هنا بشأن مشركي العرب والناقضين العهد منهم.

والتدبير الثاني - (وخذوهم)، والأخيذ: الأسير[١١٢]، والأخذ أعمّ من الأسر، فالأسير في أصل اللغة الأخيذ الذي يشدّ[١١٣].

والتدبير الثالث - (واحصروهم)، بمعنى قيدوهم وامنعوهم من التصرّف في البلاد[١١٤]، ((فالحصر ههنا المنع عن الخروج من محيط))[١١٥].

والتدبير الرابع: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾، جملة مفعمة بالبلاغة، فالقعود ليس على حقيقته هنا فهو مجاز في الثبات في المكان والملازمة له، بمعنى المرابطة في الأماكن المظنون مرورهم فيها[١١٦]، وفي التعبير به إرشاد إلى التأنّي والاستقرار والتمكّن[١١٧].

والمرصد اسم مكان بمعنى الموضع الذي يرقب فيه العدو[١١٨]. وهو موضع الغرّة والمباغتة[١١٩].

وفي الجملة إيجاز بعثه إسقاط حرف الجر توسّعًا، والتقدير: على كلّ مرصد، أو: في كلّ مرصد[١٢٠]، فضلاً عمّا في الحذف من تنبيه على الاجتهاد في استقصاء المراصد، لمآل معنى (كلّ) هنا إلى معنى الكثرة[١٢١].

بعد هذا العرض ما زال السؤال يدور في الخلد ويعرض للخاطر، لِمَ هذا الدفق من الأوامر لا سيما وقد اختلف العلماء في وجوبها؟

والإجابة مظنّتها: ينظّم الإسلام في هذه الآية الكريمة لأمر جليل يمسّ جوهر الدعوة ويقرّر مصيرها، إنه تأمين مكان الدعوة وتحصيل مُنجحاتها باستئصال الشرّ والفتنة من جزيرة العرب، مسألة تستدعي مهابةً وحزمًا يردعان المشركين ويعبّئان الخوف والرهبة في نفوسهم، وهل أنجب من تربة أسلوب الأمر لذلك؟ فأسلوب الأمر يوحي بالقوة والغلبة والسيادة، وتواليه بهذه المضامين - لا سيما أن الإسلام قد قوي - يشكّل بؤرًا ساخنة من شأنها إرباك العدو وإضعاف معنوياته وتثبيط همّته على المواجهة والقتال، وبالتالي تفريق صفوفه، ولعلّ هذا من أسباب رُتبيّة عرض الأوامر من الأعلى رتبة إلى الأدنى ومن الحسيّ إلى المعنوي، إذ يجذب الانتباه تقديم القتل على الأسر، والأسر على الحصر، والحصر على المرابطة والمراقبة.

ولننظر للقضية من جانبها الآخر، فهذه الصلابة في اللغة قد تحصد نتائج إيجابية تتمثّل مثلاً بمراجعة النفس والتفكير باحتمال عدالة قضية الخصم والسماع لتفاصيل هذا الدين، وهذا ما أيّده التاريخ ((فبعد هذا الإعلان الذي نشر بين قبائل العرب في الجزيرة أيقنت تللك القبائل أن الأمر جدّ، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً، فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد))[١٢٢].

ولعلّ في القضية نتيجة إيجابية أخرى مضمونها تضييق نطاق الحرب والمواجهة وحقن الدماء بتفكير المشركين على أقل تقدير بمغادرة جزيرة العرب.

وهذا يدعوني إلى القول إن الجزالة اللفظية في شرط الآية الأوّل مبطّنة بمقاصد حانية هدفها الإنسان والسيكولوجيا التي يتحرّك في إطارها.

وفُرّع على هذا الشرط شرط آخر يبثّ استثناء نصّه: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

هؤلاء المشركون إذن مع كل ما صدر منهم من مكائد ومقاتلة وشقاق وغدر لا يزال باب الإسلام مشرعًا أمامهم (فإن تابوا...)، والتوبة تتضمّن الإيمان وترك ما كانوا فيه من المعاصي، وتصديقًا لتوبتهم عليهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وفي تخصيص ذكرهما دون سائر العبادات تنبيه على مكانتهما في الشرع، فالصلاة أقوى أعمدة الإيمان والزكاة تطهّر القلب عن إمارات النفاق[١٢٣]، فضلاً عن كونهما رأسي العبادات البدنية والمالية[١٢٤]، وبهما تظهر القوة العمليّة كما بالتوبة تظهر القوة العلمية عن الجهل[١٢٥]، ((وذلك يدّل على أن كمال السعادة منوط بهذا المعنى))[١٢٦].

ويترتّب على هذا الشرط جواب يملأ النفس سكينة وطمأنينة (فخلّوا سبيلهم) بصيغة الأمر الحاثّ على الامتثال، وهو كناية عن تركهم والكفّ عنهم وعدم الإضرار بهم، فضلاً عن إجرائهم مجرى

المسلمين[١٢٧]، وللفظ صدى يردّه جذره اللغوي، خلو، فراغ، وعدم مؤاخذة على ما فَرَط منهم، حثّ أكّده ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ليكون (رحيم) آخر ما يقرّ في الآذان، والمعنى: ((اقتدوا بفعل الله إذ غفر لهم ما فَرَطَ منهم كما تعلمون، فكونوا أنتم بتلك المثابة في الإغضاء عمّا مضى))[١٢٨].

وأنهي بالقول: هذه خزائن آية السيف على وفق السياقين المقامي والمقالي اللذين تقدّما الدراسات اللغوية الغربية والعربية، وقد امتلاكا القدرة على تحرير الإسلام من أغلال الأقاويل التي تحتجزه وتثقل خطاه وتغرّبه في نفوس أهله قبل أعدائه، فقد أنضرا أخلاقيات وفضائل من قلب التعبير الصارم لا ينتهجها إلا تشريع سماويّ.

فالإسلام ((دينٌ يدعو إلى السلام ويرغّب في السلام ويربّي أبناءه على حبّ السلام وإفشاء السلام امتثالاً لأمر الملك القدوس السلام وابتغاءَ دخول الجنّة دار السلام))[١٢٩] وهو أفضل ضامن للتعايش بسلام.

مع إقرار بأن هذه الآية الكريمة وإن كان للماضي فيها حقيقة الحضور إلا أنها يستضاء بها في الحاضر والمستقبل في كلّ ظرف مشابه، فهي من آخر سورة نزلت وهديها سارٍ إلى يوم القيامة.

الهوامش

١. هذا على أصحّ الأقوال وأعمّها، واختلف قليلاً في تحديدها، فقيل معها الآية ٢٩ من سورة التوبة [ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود الكرماني، ٦٨/١] ونصّها قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، وقيل هي الآية ٢٩ من سورة التوبة ينظر: غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، ص٤٨). وفرّق مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) في تفسيره بينهما، فهو يرى أن آية السيف غير آية القتال، فآية السيف هي الخامسة من سورة التوبة، وآية القتال هي التاسعة والعشرون منها. [ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٥/ ١٧٨]، وتبعه في ذلك هبة الله البارزي (ت ٧٣٨ هـ) ينظر: ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ١/ ٢٢ وقيل هي الآية السادسة والثلاثون من سورة التوبة ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء الآلوسي، ٥/ ٢٤٦ ونصّها قوله سبحانهُ وتعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

٢. ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٤٥١/١، ٣/ ٨٣٧، ٤/ ٨٨٨، والناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النحاس، ١/ ٤١٦، والهداية في بلوغ النهاية، أبو محمد القيرواني، ١/ ٧١١، وناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، ص٢٢، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، ٢/ ٣٣٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ١/ ٦٠٥، ٣/ ٢٩١، وفتح القدير، محمد الشوكاني، ٢/ ١٤٩.

٣. ذكرتْ تسمية (آية السيف) مرّة واحدة على سبيل المثال في: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، ٢/ ٦٧٢، والتفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ٩/ ٤٥٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي،٣/ ٦٥، وجامع البيان في تفسير القرآن، محمد الايجي، ٤/ ٦١.

٤. ينظر الادعاء في: آية السيف بعد إسلامي، د. لؤي فتوحي،مقال مقتبس من كتاب (النسخ في القرآن العظيم والقانون الإسلامي)، منشور بتاريخ ٢٠١٤/٥/١، كتابات لؤي فتوحي العربية.

٥. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ٦/ ١٧٥٢.

٦. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١١٣.

٧. ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ٥/ ٤٥٦، وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ٣/ ١٥٩٠، وزهرة التفاسير، أبو زهرة، ٧/ ٣٣٧٦، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٦/ ٣٥١، وصفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ص٥١١، والتفسير المنير في الفقه والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، ١٠ / ٣١٢.

٨. ينظر: ثلاث قراءات لأبعد الآيات أثرًا في فقه العنف، بابكر فيصل بابكر (مقال منشور بتاريخ ٢٠١٢/١١/٣)، موقع المصلح.

٩. ينظر: الفريضة الغائبة، محمد عبد السلام فرج، ص ١٦، ١٧.

١٠. المصدر نفسه، ص ٢٩.

١١. المصدر نفسه، ص٢٢.

١٢. المصدر نفسه، ص٢٩.

١٣. غافر / ٣٥. ينظر: نقض الفريضة الغائبة فتوى ومناقشة، شيخ الأزهر جاد الحقّ علي جاد الحقّ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر عطية صقر، ص ٣١.

١٤. ينظر: المصدر نفسه، ص٣٧.

١٥. ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، ٤/ ٤٣، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٠/ ٧.

١٦. ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ١٤/ ٩٩، ٢٢/ ١٥٥، وتفسير القرآن العظيم، ابن ابي حاتم، ٦/ ١٧٥٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١١٢.

١٧. ينظر: تفسير الشافعي،٨٩٩/٢، وتفسير القرآن العظيم،ابن ابي حاتم، ٣/ ١٠٢٨، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ٧٢، ومحاسن التأويل،٥/ ٣٥٣، والتحرير والتنوير،١٠/ ٢٣.

١٨. ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١١٢.

١٩. ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٣/ ٣٧٥، ٤١٣، وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢٧٤، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد العلوي، ١١/ ١٣٣.

٢٠. البقرة / ٢٥٦.

٢١. النحل / ١٢٥.

٢٢. ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٥/ ١٦٢.

٢٣. ينظر: بحر العلوم، ٢/ ٣٩، وتفسير القرآن، ٥/ ٢٤٨، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، ١/ ٢٣٦.

٢٤. ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، القاسم بن سلام، ص٦٦.

٢٥. ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، ص٢٢.

٢٦. ينظر: الناسخ والمنسوخ، ص٩٩.

٢٧. ينظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، ص١١٦ والموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، ٢/ ٥٤٠.

٢٨. ينظر: بيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش،ص ٣١٦.

٢٩. ينظر: فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، ١/ ٢٨٦.

٣٠. جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، محمد الغزالي، ص٩.

٣١. ناسخ القرآن ومنسوخه، ص١٥٥.

٣٢. ينظر على سبيل المثال: المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، ص ٣٧، ٣٩، ٤٢، ٤٦، ٤٩، ١٣٥، ١٤١، ١٦٠، ١٦٣، ١٩٠، ١٩٩، ٢١٣.

٣٣. جمال القراء وكمال الإقراء، ص٤٠٤.

٣٤. ينظر على سبيل المثال: المصدر نفسه، ص ٣٦٦، ٣٧٦، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٨٥.

٣٥. البرهان في علوم القرآن، ٢/ ٤٢.

٣٦. ينظر: الاتقان في علوم القرآن، ص٣٤٠.

٣٧. ينظر: معترك الأقران، ١/ ٨٨.

٣٨. في ظلال القرآن، ٣/ ١٥٩٠.

٣٩. ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد، ١٠ / ١٥٠، وعلوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، د. عدنان محمد زرزور، ص ٢١٠.

٤٠. ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ١/ ٤٥٧.

٤١. ينظر: الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطي، ص ٥٣١.

٤٢. البلاغة والإيديولوجيا دراسة في أنواع الخطاب النثري عند ابن قتيبة، د. مصطفى الغرافي، ص ٦٧.

٤٣. جهاد الدعوة، ص١٥.

٤٤. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة، ص ١٥.

٤٥. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود سعران، ص ٢٥٢.

٤٦. تحليل الخطاب، ص٣٢.

٤٧. ينظر: دور الكلمة في اللغة، ص ٥٧.

٤٨. ينظر: علم الدلالة النظرية والتطبيق، د. فوزي عيسى. ود. رانيا فوزي عيسى، ص ١١١.

٤٩. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، د. عبد المنعم خليل، ص ٨٢.

٥٠. ينظر: دراسات في علم اللغة، د.كمال بشر، ص ٥٧، ٥٨.

٥١. ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٤/ ٢٩٢٧، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو حسن الواحدي، ٢/ ٤٧٦، وتفسير السمعاني، ٢/ ٢٨٨، والكشاف، ٢/ ٢٤٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٥، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، ١/ ٦٦٤.

٥٢. ينظر: سيرة ابن هشام، ٢/ ٥٤٣، وزاد المسير، ٢/ ٢٣٦.

٥٣. ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ٢/ ١٦٦، وفي ظلال القرآن، ٣/ ١٥٩٦.

٥٤. ينظر: المغازي، أبو عبد الله الواقدي، ٣/ ٩٩، وسيرة ابن هشام، ٢/ ٥١٥، ٥١٦، ٥٥٤، وغزوة تبوك دروس وعبر، أمير بن محمد الموري، ص ٨.

٥٥. ينظر: المغازي، ٣/ ٩٩٠.
٥٦. في ظلال القرآن، ٣/ ١٥٩٦.
٥٧. ينظر: فقه الجهاد، ص ١٣.
٥٨. النساء / ٧٥. وينظر: جهاد الدعوة، ص ٧١.
٥٩. التوبة / ١٢٨.
٦٠. ينظر: تفسير الشعراوي، ٨ / ٤٨٧٥.
٦١. ينظر: منهج السياق في فهم النصّ، عبد الرحمن بودرع، ص ٣١.
٦٢. ينظر: البلاغة والإيديولوجيا، ص ٣٥.
٦٣. ينظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني، ٢/ ٨٥٩، والكشاف، ٢/ ٢٤٣، والتفسير الكبير ١٠/ ٧، وزهرة التفاسير، أبو زهرة، ٦/ ٣٢٢٤.
٦٤. الحديث في: سنن ابن ماجة، ٢/ ١٠٠٣.
٦٥. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، ٢/ ٤٣٠.
٦٦. الحديث في: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٢٥/ ٢٢١.
٦٧. أنوار التنزيل، ٣/ ٧١.
٦٨. ينظر: تفسير السمعاني، ٢/ ٢٨٦، ومعالم التنزيل، ٢/ ٣١٦.
٦٩. تفسير الماتريدي، ٥/ ٣٣٣.
٧٠. ينظر: الكشاف، ٢/ ٢٤٣، والتفسير الكبير، ١٥/ ٥٢٣.
٧١. المعجم الوسيط (أذن)، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص١١.
٧٢. ينظر: تاريخ الإسلام، شمس الدين الإبراهيمي،٢١/ ٦٦٥.
٧٣. ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ٦/ ١٧٥٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١١٣.
٧٤. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٣/ ١٢٠.
٧٥. ينظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، حسين بن محمد المهدي، ص٢٠٦.
٧٦. ينظر: أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، ١/٤٨٨.
٧٧. ينظر: تفسير الوسيط، الواحدي، ٢/ ٤٧٩، ودرج الدرر، ٢/ ٨٥٨، ومعالم التنزيل، ٢/ ٣١٨، والمحرر الوجيز، ٣/ ٥، وفتح القدير، ٢/ ٣٨٦.
٧٨. تفسير المنار، ١٠/ ١٥٩.
٧٩. في ظلال القرآن، ٣/ ١٦٠٢.
٨٠. ينظر: منهج السياق في فهم النصّ، ص٨.
٨١. ينظر: البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنصّ القرآني، تمّام حسان، ص٢٢١.
٨٢. ينظر: علم اللسانيات الحديثة، د. عبد القادر عبد الجليل، ص٥٤٢.
٨٣. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٥٢٥.
٨٤. المصدر نفسه، ص٥٥.
٨٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو بكر البقاعي، ٨/ ٣٨٠.
٨٦. ينظر: التحرير والتنوير، ١٠/ ٢٢.
٨٧. ينظر: الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ١/ ٦٤.
٨٨. المصدر نفسه، ١/٦٣.
٨٩. دلائل الإعجاز، ص٨٢.
٩٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ٢/ ١٠٩١.
٩١. المخصّص، ابن سيده، ١/ ٤٠٥.
٩٢. ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، ٣/ ٤٣٢.
٩٣. ينظر: التفسير الكبير، ١٥/ ٥٢٨.
٩٤. ينظر: إرشاد العقل السليم، ٤/ ٤٣.
٩٥. التوبة / ٣٦.
٩٦. ينظر: تفسير السمعاني، ٢/ ٢٨٨، ومعالم التنزيل، ٢/ ٣١٨، والمحرر الوجيز، ٣/ ٥.
٩٧. النكت والعيون، ٢/ ٣٤٠.
٩٨. ينظر: التفسير الكبير، ١٥/ ٥٢٨، واللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني، ١٠/ ١٧، وإرشاد العقل السليم، ٤/ ٤٣، وفتح القدير، ٢/ ٣٨٦، وفي ظلال القرآن، ٣/ ١٦٠١.

٩٩. ينظر: محاسن التأويل، ٥/ ٣٥٢.
١٠٠. ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ١٠ / ١٧.
١٠١. ينظر: في ظلال القرآن، ٣/ ١٦٠١.
١٠٢. ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ٢/ ٩٥.
١٠٣. ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، ١/ ٤٣٥، ٢/ ١٢٤.
١٠٤. ينظر: بلاغة الكلمة، د. فاضل السامرائي، ص ٩٤.
١٠٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١/ ٣١٣.
١٠٦. النكت والعيون، ٢/ ٣٤٠.
١٠٧. ينظر: المحرر الوجيز، ٣/ ٨.
١٠٨. ينظر: التحرير والتنوير، ١٠ / ٢٢.
١٠٩. ينظر: الكشاف، ٢/ ٢٤٧، وغرائب القرآن، ٣/ ٤٣٢، ونظم الدرر، ٨/ ٣٨٠، والفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله النخجواني، ١/ ٢٩٨، وإرشاد العقل السليم، ٤/ ٤٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد أمين الشنقيطي، ٣/ ٤٦٨.
١١٠. ينظر: التفسير الكبير، ١٥/ ٥٢٨، ولباب التأويل إلى معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، ٢/ ٣٣٧، واللباب في علوم الكتاب، ١٠/ ١٧، وفي ظلال القرآن، ٣/ ١٦٠١.
١١١. ينظر: الفلك الدائر على المثل السائر، عبد الحميد بن أبي الحديد، ٤/ ٢٠٦.
١١٢. ينظر: الوسيط، ٢/ ٤٧٩، والكشاف، ٢/ ٢٤٧.
١١٣. ينظر: تفسير المنار، ١٠/ ١٤٩. وينظر معنى الأسير في: القاموس المحيط (أسر)، مجد الدين الفيروز آبادي، ١/ ٣٧٧.
١١٤. ينظر: الكشاف، ٢/ ٤٧.
١١٥. الوسيط، ٢/ ٤٧٩.
١١٦. ينظر: التحرير والتنوير، ١٠ / ٢٣.
١١٧. ينظر: نظم الدرر، ٨/ ٣٨١.
١١٨. ينظر: لباب التأويل، ٢/ ٣٣٧.
١١٩. ينظر: المحرر الوجيز، ٣/ ٨.
١٢٠. ينظر: مغني اللبيب من كتب الأعاريب، ابن هشام، ص ٦٨١، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ١/ ٤٤٩، ونظم الدرر، ٨/ ٣٨١.
١٢١. ينظر: التحرير والتنوير، ١٠/ ٢٣.
١٢٢. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، علي محمد الصّلّابي، ١٦/ ١٥٠.
١٢٣. ينظر: الفواتح الالهية، ١/ ٢٩٨.
١٢٤. ينظر، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٥/ ٣٧٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء الآلوسي، ٥/ ٢٤٦.
١٢٥. ينظر: التفسير الكبير، ١٥/ ٥٢٨، والبحر المحيط، ٥/ ٣٧٣.
١٢٦. التفسير الكبير، ١٥/ ٥٢٨.
١٢٧. ينظر: البحر المحيط، ٥/ ٣٧٣، وروح المعاني، ٥/ ٢٤٦.
١٢٨. التحرير والتنوير، ١٠/ ٢٤.
١٢٩. فقه الجهاد، ص ٤٨.

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. آية السيف بعد إسلامي، د. لؤي فتوحي، مقال مقتبس من كتاب (النسخ في القرآن العظيم والقانون الإسلامي)، منشور بتاريخ ٢٠١٤/٥/١، كتابات لؤي فتوحي العربية.
٣. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحـ: محمد سالم هاشم، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م.
٤. أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المعافري الأشبيلي (ت ٥٤٣ هـ)، تحـ: محمد عبد القادر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.
٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ابو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢ هـ)، دار احياء التراث العربي – بيروت، ب ت.
٦. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تحـ: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٧. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ شخصيته وعصره دراسة شاملة، علي محمد محمد الصّلّابي، الشارقة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ)، دار الفكر – بيروت، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ)، تحـ: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ.

١٠. بحر العلوم، أبو ليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت ٣٧٣)، تحـ: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد، ط:١، دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

١١. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف ين علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحـ: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٢. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ب ت.

١٣. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان – الأردن،١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م.

١٤. البلاغة والإيديولوجيا (دراسة في أنواع الخطاب النثري عند ابن قتيبة)، د. مصطفى الغرافي، ط١، دار الكنوز المعرفة - عمان، الأردن، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

١٥. البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنصّ القرآني، تمام حسّان، ط١، عالم الكتب – القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣ م.

١٦. بيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش (ت ١٣٩٨ هـ)، ط١، مطبعة الترقي – دمشق،١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.

١٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحـ: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م.

١٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ – بيروت، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م.

١٩. تحليل الخطاب، جوليان براون، وجون يول، ترجمة: د. محمد لطفي الزليطي، ود. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧ م.

٢٠. تفسير الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي (ت ٢٠٤ هـ)، تحـ: د. أحمد بن مصطفى الفرّان، ط١، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٢١. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهرري، تحـ: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط١، دار طوق النجاة – بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

٢٢. تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨ هـ)، مطابع أخبار اليوم، مصر، ١٩٩٧.

٢٣. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني التميمي (ت ٤٨٩ هـ)، تحـ: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

٢٤. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧ هـ)، تحـ: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ.

٢٥. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت ٧٧٤ هـ)، تحـ: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).

٢٦. التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢٧. تفسير الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ)، تحـ: د. مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٨. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت ١٥٠ هـ)، تحـ: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٢٩. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤ هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٣٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨ هـ.

٣١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨ م.

٣٢. ثلاث قراءات لأبعد الآيات أثرًا في فقه العنف، (مقال)، بابكر فيصل بابكر، موقع المصلح.

٣٣. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحـ: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٤. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني الايجي (ت ٩٠٥ هـ)، ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٥. الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحـ: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٤ م.

٣٦. جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) تحـ: د. مروان العطية، ود. محسن خرابة، ط١، دار المأمون للتراث دمشق، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٣٧. جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥ م.

٣٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ)، تحـ: محمد علي معوض، وعادل احمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٤١٨ هـ.

٣٩. دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، ط٩، دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٦ م.

٤٠. درج الدّرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) تحـ: (الفاتحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحسين، وشاركه في بقية الأجزاء: إياد عبد اللطيف القيسي، ط١، مجلة الحكمة، بريطانيا، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٤١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ب ت.

٤٢. دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحـ: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني، جدة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

٤٣. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر، ب ت.

٤٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، تحـ: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ.

٤٥. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحـ: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٤٦. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤ هـ)، دار الفكر العربي – بيروت، ب ت.

٤٧. سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ) تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، ب ت.

٤٨. السيرة النبوية، أبو عبد الله عبد الملك بن هشام بن أيوب المغافري (ت ٢١٨ هـ) تحـ: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥ هـ، ١٩٥٥ م.

٤٩. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الهمداني (ت ٧٦٩ هـ)، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار التراث – القاهرة، ودار مصر للطباعة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٥٠. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، نور الدين علي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت ٩٠٠ هـ)، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٥١. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٥٢. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، حسين بن محمد المهدي، مكتبة أحمد بن محمد المهدي، اليمن، ٢٠٠٩ م.

٥٣. الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي العلوي (ت ٧٤٥ هـ)، ط١، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٥٤. علم الدلالة النظرية والتطبيق، د. فوزي عيسى، ود. رانيا فوزي عيسى، ط١، دار المعرفة، الجامعة الإسكندرية، ٢٠٠٨ م.

٥٥. علم اللسانيات الحديثة، د. عبد القادر عبد الجليل، ط١، دار الصفاء للنشر، عمان، الأردن، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م.

٥٦. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود سعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩ م.

٥٧. علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، د. عدنان محمد زرزور، ط١، دار الأعلام، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٥٨. غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، ط٧، القاهرة، ب ت.

٥٩. غرائب التفسير وعجائب التأويل، أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، ب ت.

٦٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (ت ٨٥٠ هـ)، تحـ: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ.

٦١. غزوة تبوك دروس وعبر، أمير بن محمد الموري، مكتبة خالد بن الوليد، ومكتبة الكتب اليمنية، صنعاء، ب ت.

٦٢. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، ط١، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٦٣. الفريضة الغائبة، محمد عبد السلام فرج.

٦٤. فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، ط٣، مكتبة وهبة – القاهرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٦٥. الفلك الدائر على المثل السائر (مطبوع بآخر الجزء الرابع من المثل السائر)، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ)، تحـ: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ب ت.

٦٦. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني (ت ٩٢٠ هـ)، ط١، دار ركابي للنشر، مصر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٦٧. في ظلال القرآن، سيد قطب ابراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥ هـ)، ط١٧، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤١٢ هـ.

٦٨. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة، ط١، الشركة التونسية للنشر - تونس، ٢٠١١ م.

٦٩. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت، ب ت.

٧٠. قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن احمد الكرمي المقدسي (ت ١٠٣٣ هـ)، تحـ: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم، الكويت، ب ت.

٧١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

٧٢. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن (ت ٧٤١ هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

٧٣. اللباب في علوم الكتاب، أبو سراج الدين عمر بن علي بن عادل النعماني (ت ٧٧٥ هـ)، تحـ: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨م.
٧٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، تحـ: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ب ت.
٧٥. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، تحـ: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.
٧٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحقّ بن غالب بن عطية(ت ٥٤٢ هـ)، تحـ: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
٧٧. المخصّص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨ هـ)، تحـ: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٧٨. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠ هـ)، تحـ: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٧٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، تحـ: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة، مصر، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٨٠. المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحـ: د. حاتم صالح الضامن، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٨١. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن العزاء البغوي (ت ٥١٠ هـ)، تحـ: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٨٢. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، تحـ: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ب ت.
٨٣. معاني القرآن وإعرابه، أبو سحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تحـ: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٨٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٨٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل (ت ١٤٢٤ هـ)، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٨٦. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، دار الدعوة، استانبول، ب ت.
٨٧. المغازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقل السهمي الواقدي (ت ٢٠٧ هـ)، تحـ: مارسدن جونس، ط ٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
٨٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام عبد الله بن يوسف (ت٧٦١ هـ)، تحـ: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط٦، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ م.
٨٩. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥ هـ)، تحـ: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٩٠. منهج السياق في فهم النصّ، عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، قطر، ١٤٢٧ هـ.
٩١. الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحـ: عبد الله دراز، ومحمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٩٢. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤ هـ)، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ.
٩٣. ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم البازي الجهني الحموي (ت ٧٣٨ هـ)، تحـ: د. حاتم صالح الضامن، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٩٤. ناسخ القرآن ومنسوخه، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحـ: أبو عبد الله العاملي بن منير آل زهوي، ط ١، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٩٥. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي (ت ٣٣٨ هـ)، تحـ: د. محمد عبد السلام محمد، ط ١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨ هـ.
٩٦. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٧م.
٩٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو بكر إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب ت.
٩٨. نقض الفريضة الغائبة فتوى ومناقشة، جاد الحق علي جاد الحق، وعطية صقر، مجلة الأزهر، عدد المحرم، ١٤١٤ هـ.
٩٩. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، تحـ: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ب ت.
١٠٠. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيرواني القرطبي المالكي (ت ٤٣٧ هـ)، تحـ: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط ١، جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٠١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، تحـ: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ود. أحمد محمد صيرة، ود. أحمد عبد الغني الجمل، ود. عبد الرحمن عويس، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.